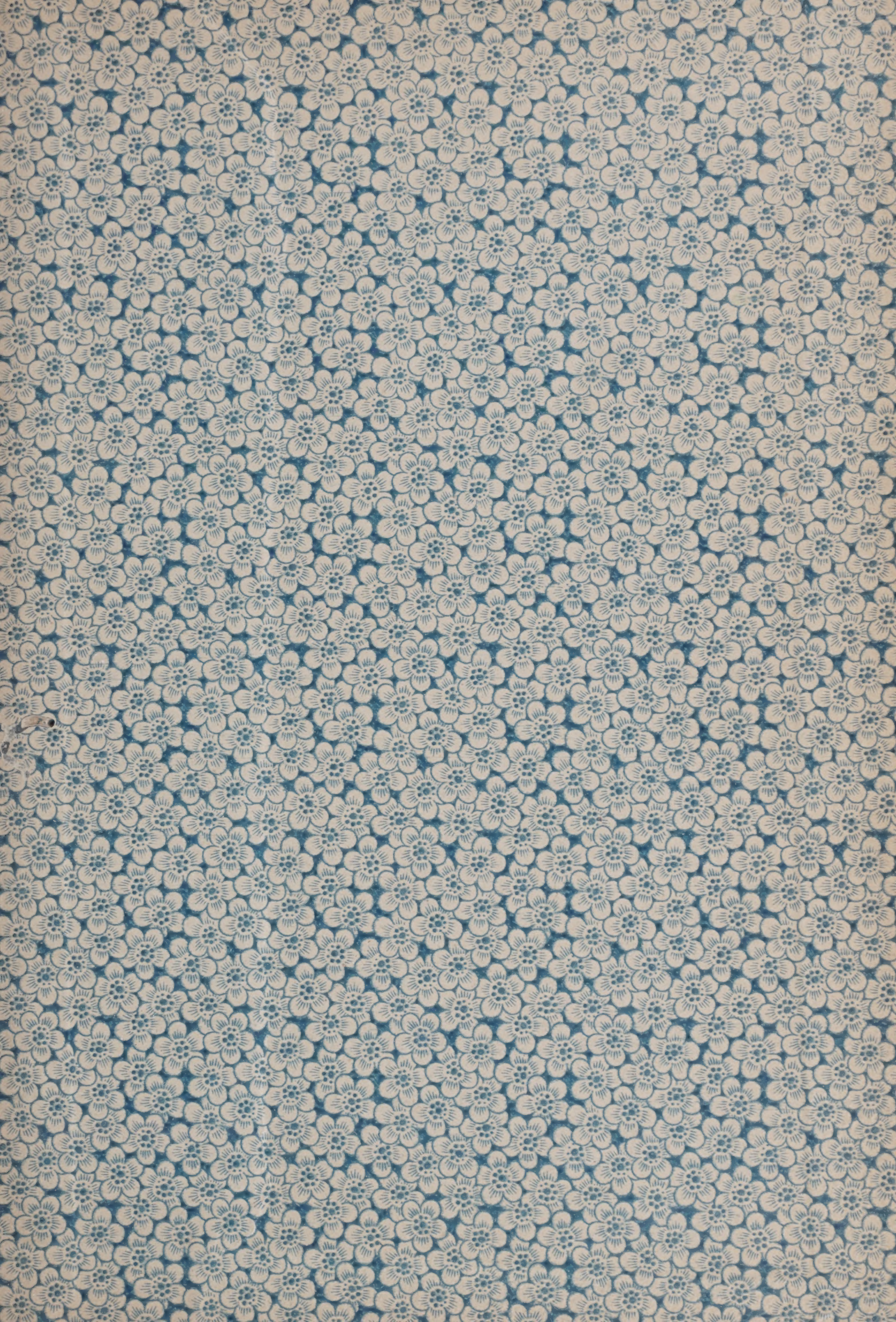
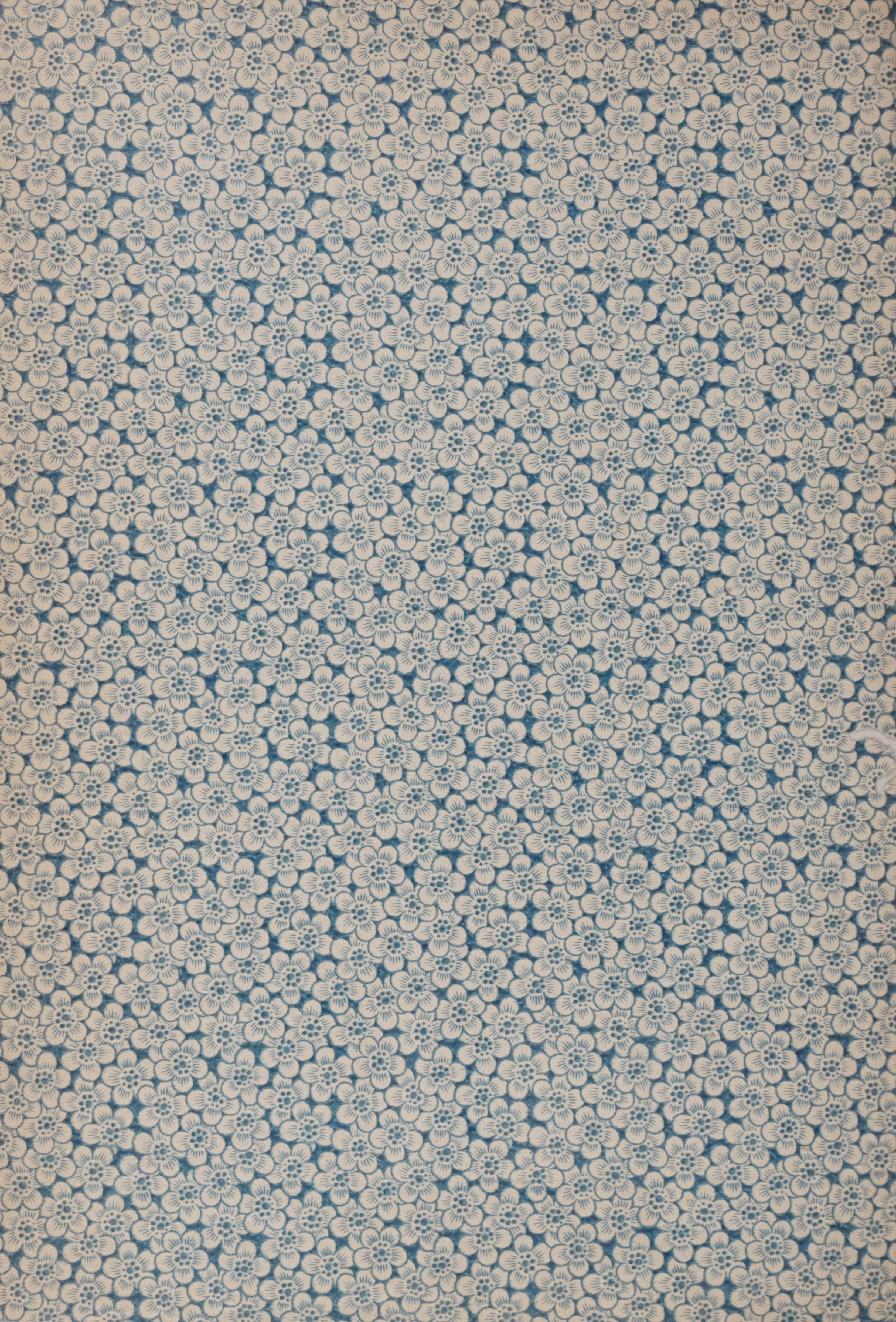






قصة قل للفرنسيس ١٩١ ١٩٢ ٢٦٤

ص ٢٢٧ حب ارز — ١٨٦ قيل انه امرأة الخ

ف ١٤، ١٩، ٤٦، ١٤٠، ٢١٧ الرؤيا، ١٤١-١٣٢، ٢٤٦، ٢٤٨
١٢٥، ٢٤٩، ٢٥٠

حكم: ٢٨، ٢٩، ٦٨، ٧٥-٧٧، ٨٢، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٤، ١٢٢، ١٢٦، ١٥٠ ١٥١، ١٨٧
٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٥

مجون: ٢٨، ٤٠، ٦٨-٧٣، ٧٤، ٩٦، ١٢١، ١٧٢-١٧٧، ١٧٨، ١٨٦، ١٩٦، ١٩٧

غرائب: ٧٨، ٨٤، ٩٢ حيه، ١٠٦، ١٣٦، ١٨٢، ٢٠٢، ٢٠٥-٢٠٨، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٣٧

خصوصيات: ١٤٥، ١٨٩، ٢١٤، ٢٤١، ٢٥٧ — ٢٣٨

٢٥٨ حج المؤلف ١٠٢٦ جلوس السلطان مراد ١٠٣٢

٢١٧ شعر وغطى

٢٠٢ الجراكسة

١٩٥ بيبرس ١٨٤ قلاوون ١٨٨ ٦٧٠

٢١٠ جانه بلاط

٢٠٦ الضرب بالفلك

٢٢٤ خلاف الذي

هـذا

كتاب أخبار

الاول فيمن تصرف فى مصر

من أرباب الدول تأليف العبد الفقير

الى عفو ربه الكريم الباقى محمد عبد

المعطى بن أبى الفتح بن أحمد بن عبد

المغنى بن على الاسحاقى المنوفى

نفعنا الله به

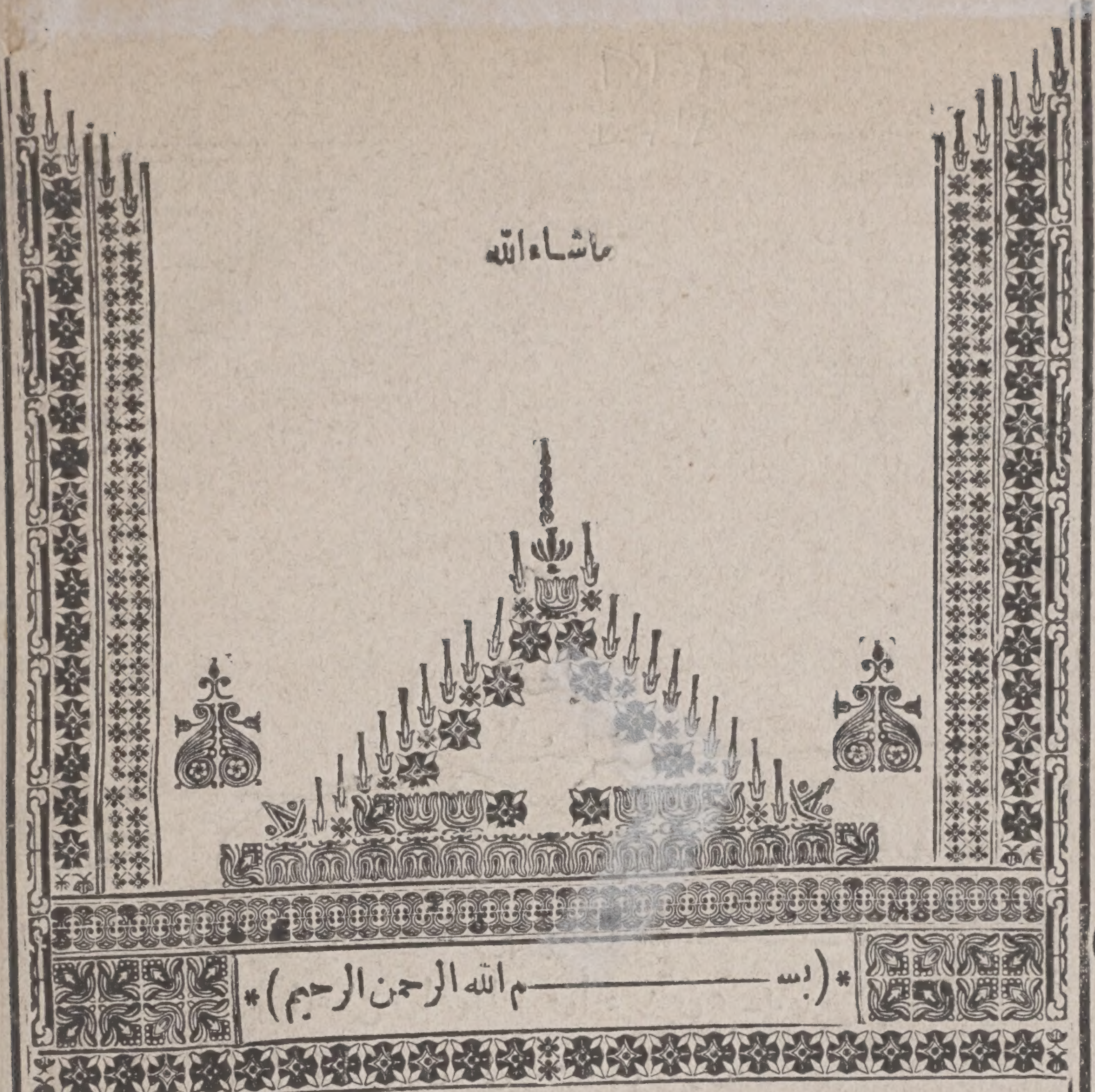
آمين

(وبهامشه)

تحفة الناظرين * فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين * تأليف الامام

الشيخ عبد الله الشرقاوى رحمه الله تعالى

آمين



الحمد لله الملك العزيز فى ملكه واقتداره * الذى ملك الوجود بقوته وأوجده
بارادته واختياره * وملك منه ماشاء لمن شاء مع علمه بسره على سريره قبل اختياره
فاوت بين مراتب الملوك وأمدّ بالملكة كل خاشع نسوك ونظمه فى سلك ابراره
ووعد من راعى رعاياه ان يظله فى ظل عرشه يوم يلقاه و يتلقاه برحمته وابراره
فسبحان من أراد فأدار الافلاك بالحكمة وأنفذ فى براياه قضاياه وحكمه وسلم
من سلم اليه الامر من الاسواء والمكاره * أحمده سبحانه وتعالى لا أحصى ثناء عليه
هو كما أثنى على نفسه سائلا من منه ان يجعل ظل الخلافة مستمدا من حضرات
قدسه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تدخل بها مع السابقين
أوسع جنه وتكون لنا من النيران أنفع جنه وأشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه
وسلم عبده ورسوله أوّل شارع لسنة السماحة والحماسة وشارح للصدور بالقول
الشارح قضايا الشرع والسياسه وشارط النصح على العمال أهل الولايات
والسياسه القائل وقوله لا سبيل الى ردّه ولا لرفضه مصر كنانة الله فى أرضه
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الركع السجود وخاصة الاتباع والاشياع
والجنود الذين عاد بهم الدين فى مقام الاعظام والتمييز وشادوا قواعده فهى
من عروّ النقص والنقض فى حرز حريز ولا يزال ان شاء الله تعالى الى يوم القيامة

(فهرست تاريخ الاسحاقى)

(تمت الفهرست)

بكل قائم منهم وهو عزيز (وبعد) فانه لا يخفى على كل ذى ذوق سليم وفهم رائق مستقيم ان فن التاريخ من الفاكهة بالغاية القصوى ونهاية الشان فى الطلاوة والجدوى لانه توقيع وقائع الزمان وتدوين الحوادث الدائر بها الدوران ألف نفائس كتب الالبا وألف مطالعته من رق طبعا وراق لبا يطلع الشاهد على ما كان فى الغائب مخبا ويودع السمع أسماء اسمار كان لرؤية أهلها محبا كما قال من حاول المعنى وأنبا

فاتنى أن أرى الديار بعينى * فلعلى أرى الديار بسمعى

فكم صدر فى الصدر الاول من عجائب يتوقف منه عليها وغرائب أحوال نهتدى بسطور الطروس اليها ومابرح المؤرخون يتناولون المقبول من المنقول عن الدول والمناصب فمن متقن منتق ومن جامع مكثر والناس فى الفنون مراتب كما قيل

لقد غرسوا حتى اكلنا واننا * لنغرس حتى تأكل الناس بعدنا

فعن لى ان احبر ما يليق بالجمع واسطر ما يروق بالسمع من حكايات باهرة واذكر من ولى مصر والقاهرة ذاهبا مذهب الايجاز والتهذيب آخذا عن النقل المبرا من التكذيب مما سمعت فوعيت وجمعت فأوعيت مع ايراد ما شاهدته فى الزمن عيانا وحققت عن معنى نوادره البديعة بيانا فكان كتابا حسنا فى بابه ممتعا لمن تعلق باسبابه انيسا تحل مؤانسته وجليسا لاتمل مجالسته تستروح اليه النفوس وتجد فى مطالعته ماتجده فى معاطاة الكؤس كما قيل

لم يبق شئ من الدنيا تسر به * الا الدفاتر فيها الشعر والسمر

فجاء بحمد الله فى حاشية نسجه الرفيع وطرة نسخه البديع فى دولة رافع عماد المملكة الشريفة مجدد نظام الدولة العثمانية المنيفة شامل الرعايا بظل معدلته الوريفة محمل التخت الشريف بعز حضرته اللطيفة المختص بما استحق أن يكون على الخليقة الخليفة القائم من الالتفات الى الصلاح والاصلاح بأرفع وظيفة الراقى مراتب العز لما كمل طالعه سعدا وشرفا الماحى بصوارمه من بغى فى الارض بغيا وسرفا من اقتدى بابيه وجده فى عدله وجده واقتفى سرسرير الملك مولانا السلطان مصطفى لابرحت ألويه ولايته فى الخافقين خافقة والسنة الاقلام مدى الايام بمدحه ناطقه ولابرحت الكواكب تقبل سدته العلية والثريا الائمة فى العلا عاتقه كما غدت ريح الصبا الثرى أعتابه ناشقه والآفاق بفائق مجده وحدائق أنسه باسقه وسميته لطائف أخبار الاول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول وقد رأينا ان نقسم هذا الكتاب الى مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة * المقدمة فى فضائل مصر وذكرها فى كتاب الله المبين وما ورد فيها من أحاديث سيد المرسلين ومن كان بها من الانبياء والصديقين وغير ذلك

بقية الانام * والصلاة والسلام على أول مظهر للذات العلية وأفضل من أفيضت عليه الاسرار الالهية وجمع فيه ما تفرق من الكمالات الانسانية * ودعا الناس الى التوحيد وترك العناد * وجاهد فى الله حق جهاده وبلغت دعوته سائر البلاد * وعلى من ورث حاله من الآل والاصحاب ومن تبعهم الى يوم التناد آمين (أما بعد) فيقول كبير المساوى عبد الله بن حجازى الشهير بالشرقاوى * انه لما حل ركاب

على ما يأتى بيانه مفصلا ان شاء الله تعالى والله تعالى اسأل أن يحسن بختامه كالاول * الباب الاول فى خلافة الخلفاء الاربعة ومن ولى بعدهم وهو الحسن ابن على بن أبى طالب * الباب الثانى فى دولة بنى أمية * الباب الثالث فى الدولة العباسية * الباب الرابع فيمن ولى مصر من نواب الخلفاء الراشدين وبنى أمية والعباسية وما داخلها من تغلب بنى طولون والاخشيدية * الباب الخامس فى دولة الفواطم * الباب السادس فى دولة الايوبية السنية السنية * الباب السابع فى الدولة التركية المعروفين بالمماليك البحرية * الباب الثامن فى دولة الجراكسة * الباب التاسع فى ظهور ملوك آل عثمان وهى دولة أقرت العيون وسرت الاعيان اذ جاءت منقادة لشرع سيد ولد عدنان أدام الله تعالى بقاءها ما دام الفرقدان * الباب العاشر فيمن تصرف بمصر من نواب آل عثمان المكرمين وأحصاء الوزراء المعظمين وايراد اخبارهم ومدة مقامهم بالديار المصرية وأحكامهم * الخاتمة فى مواعظ ونصائح وسلوك وآداب للسلاطين والملوك *(المقدمة)* أقول وبالله المستعان اما مصر حرسها الله تعالى فان الله عز وجل ذكرها فى كتابه العزيز فى ثمانية وعشرين موضعا منها ما هو صريح ومنها ما دلت عليه القرائن وكتب التفسير قال الله تعالى مخبرا عن فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى قال ابن الجوزى يفتخر فرعون بنهر ما الله أجراه ما اجراه وقال تعالى ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق وقال تعالى فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم الى وأورثناها بنى اسرائيل وقال تعالى كم تركوا من جنات وعيون الى واورثناها قوما آخرين يعنى قوم فرعون فان بنى اسرائيل ورثوا مصر بعدهم وقال بعض المفسرين المقام الكريم الفيوم وقيل ما كان لهم من المنابر والمجالس وقيل سمى كريما لانه مجلس الملوك قاله مجاهد وسعيد بن جبير وقالا هى المنابر وقال تعالى وآويناهما الى ربوة قال ابن عباس وسعيد بن المسيب ووهب بن منبه وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم هى مصر والربى لا تكون الا بمصر وقال تعالى اهبطوا مصرا وقال تعالى ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقال تعالى ونمكن لهم فى الارض وقال تعالى ادخلوا الارض المقدسة وقال تعالى لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وقال تعالى ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك وقال تعالى واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا وقال تعالى اتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض وقال تعالى اجعلنى على خزائن الارض وقال تعالى ولقد مكنا ليوسف فى الارض يتبوأ منها حيث يشاء وقال تعالى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا وقال تعالى وقد رفيها

الصدر الاعظم* والوزير الافخم والدستور الاكرم* حضرة مولانا الوزير يوسف باشا* بلغه الله تعالى من المرادات ماشا* بمدينة بلبيس فى شهر رمضان المعظم سنة أربع عشرة ومائتين بعد حصول الصلح بينه وبين طائفة الفرنساوية فى قلعة العريش وذهبت مع بعض علماء مصر لملاقاته طلب منى بعض الاخوان من أتباع ذلك الصدر الاعظم ان اجمع كتابا متضمنا لواقعة الحال المذكورة فأجبته الى ذلك *مستعينا

أقواتها وقال تعالى ارم ذات العماد قال محمد بن كعب القرظى هى الاسكندرية وقال تعالى عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض وقال تعالى وجاء من أقصى المدينة قال بعض المفسرين هى منف وقال تعالى ان فرعون علا فى الارض وقال تعالى فلن ابرح الارض وقال تعالى ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض قال ابن عباس سميت مصر بالارض كلها فى عشرة مواضع (ومن السنة) قوله صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم ذمة ورحما وقال صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا بها جندا كثيفا فذلك الجند خير اجناد الارض فقال له ابو بكر رضى الله عنه لم يارسول الله قال لانهم وازواجهم فى رباط الى يوم القيامة وفى حديث ستفتح عليكم بعدى مدينة يذكر فيها القيراط فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما فقالوا ما رحمهم وذمتهم قال امارحمهم فام اسمعيل عليه السلام واما ذمتهم فام ابراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم ويقال هاجر من قرية يقال لها ام دنين وقيل اصلها من مدينة عين شمس التى تسمى الآن بالمطرية ومارية من قرية يقال لها حفن وقيل من اهل كورة انصنا واسم ابيها شمعون وتوفيت فى المحرم سنة خمس عشرة من الهجرة ودفنت بالمدينة وقوله صلى الله عليه وسلم فى اهل مصر ما كادهم احد الا كفاهم الله مؤنته وقال عليه افضل الصلاة والسلام مصر أطيب الارض ترابا وعجمها اطيب العجم وقال عليه أفضل الصلاة والسلام قسمت البركة عشرة اجزاء تسعة بمصر وجزء بالامصار كلها وقوله عليه افضل الصلاة والسلام مصر خزائن الله والجيزة غيضة من غياض الجنة وقد روى الحافظ ابو بكر بن ثابت من حديث نبيط بن ربط قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيزة روضة من رياض الجنة ومصر خزائن الله فى ارضه ذكر ذلك المقريزى فى خططه عند ذكر الجيزة قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لما خلق الله آدم عليه السلام مثل له الدنيا شرقها وغربها وسهلها وجبلها وانهارها وبحارها وبناءها وخرابها ومن يسكنها من الامم ومن يملكها فلما رآى مصر وارضها ذات نهر جار ومادته من الجنة تنحدر فيه البركة وتمزجه الرحمة ورأى جبلا من جبالها مكسوا بالنور لا يخلو من نظر الحق اليه فى سفحه اشجار مثمرة فروعها فى الجنة تسقى بماء الرحمة فدعا آدم عليه السلام للنيل بالبركة ودعا لارضها بالرحمة والبر والتقوى وبارك فى سهلها وجبلها سبع مرات فقال ايها الجبل المرحوم سفحك جنة وتربتك مسكة لا خلتك يا مصر من بركة ولا زال فيك ملك وعز فيك الخبايا والكنوز سال نهرك عسلا كثر الله زرعك وأدر ضرعك وزكى نباتك وعظم بركتك (فائدة) النقباء ثلاثمائة والنجباء سبعون والابدال أربعون والاخيار

بعون القادر المالك
وذكرت فيه ما يتعلق
بمصر وحكامها من
أول الزمان الى وقتنا
هذا (وسميته) تحفة
الناظرين * فيمن
ولى مصر من الولاة
والسلاطين * ورتبته
على مقدمة وثلاثة
أبواب (المقدمة) فى
فضائل مصر وما ورد
فيها من الآيات
والاخبار ومن كان
فيها من الانبياء
والصديقين وغير
ذلك (الباب الاول)
فى خلافة الخلفاء
الاربعة ومن ولى
بعدهم وهو الحسن
ابن على وفى دولة بنى
أمية والدولة العباسية

سبعة والعمد أربعة والغوث واحد فمسكن النقباء الغرب ومسكن النجباء مصر ومسكن الابدال الشام والاخيار سياحون فى الارض والعمد فى زوايا الارض ومسكن الغوث مكة فاذا حدث للعامة أمر ابتهل النقباء ثم النجباء ثم الابدال ثم الاخيار ثم العمد فان أجيبوا والا ابتهل الغوث فلا تتم مسئلته حتى تجاب دعوته وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال كان لنوح عليه أفضل الصلاة والسلام أربعة من الولد حام وسام ويافث ويحطون وان نوحا رغب الى الله عز وجل وسأله أن يرزقه الاجابة فى ولده وذريته حتى دعا ملوا بالنماء والبركة فوعده ذلك فنادى نوح ولده وهم نيام عند السحر فلم يجبه الا ابناه سام وارفخشذ فانطلق معه فوضع نوح يمينه على سام وشماله على أرفخشذ وسأل الله عز وجل ان يبارك فى سام وان يجعل الملك والنبوة فى ولده أرفخشذ ثم نادى حاما وتلفت يمينا وشمالا فلم يجبه ولم يقم اليه هو ولا أحد من ولده فدعى الله عز وجل نوح أن يجعل ولده اذلاء وأن يجعلهم عبيدا لولد سام وكان مصر بن بيصر بن حام نائما الى جنب جده حام فلما سمع دعاء نوح على جده وولده قام يسعى الى نوح وقال ياجدى قد أجبتك ولم يجبك أبى ولا أحد من ولده فاجعل لى دعوة من دعائك ففرح نوح ووضع يده على رأسه وقال اللهم انه قد أجاب دعوتى فبارك فيه وفى ذريته واسكنه الارض المباركة الطيبة التى هى ام البلاد وغوث العباد قال الشاعر

من شاهد الارض واقطارها * والناس أنواعا وأجناسا
ولا رأى مصرا ولا أهلها * فما رأى الدنيا ولا الناسا

(وقال آخر)

لعمرك ما مصر بمصر وانما * هى الجنة العليا لمن يتفكر
وأولادها الولدان من نسل آدم * وروضتها الفردوس والنيل كوثر

(وقال آخر)

اذا كنت فى مصر ولم تك ساكنا * على نيلها الجارى فما أنت فى مصر
وان كنت فى مصر بشاطئ نيلها * ومالك من شئ فما انت فى مصر
وان كنت ذا شئ ولم تك صاحبا * لالف له لطف فما أنت فى مصر
وان كنت ذا الف ولم تك مالكا * لكيس حوى ألفا فما أنت فى مصر
وان حزت ماقلنا ولم تك هائما * تميل لمن تهوى فما أنت فى مصر

وكان بمصر من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابراهيم الخليل واسماعيل ويعقوب واثنا عشر سبطا من أولاد يعقوب وولد بها من الانبياء ادريس وموسى وهرون ويوشع بن نون ودانيال وارميا ولقمان وعيسى بن مريم ولد باهناس ثم سار الى الشام قال الجلال السيوطى رحمه الله ناظما لمن حل مصر من الانبياء بوفاق

ومن ولى مصر من نواب الخلفاء والدول واتصين المذكورتين فى ذلك ومن دخل من ابن بالتغلب من ابن طولون والاخشيدية (الباب الثانى) فى دولة الفواطم والدولة الايوبية والدولة التركية المعروفين بالمماليك البحرية ودولة الجراكسة (الباب الثالث) فى دولة آل عثمان المؤيدة بالنصر فى كل وقت وأوان أدام الله بقاءها ما دام الفرقدان بجاه سيد ولد عدنان وفيمن صرف فى مصر من

وخلاف ومن جاتهم الاربع نسوة المختلف فى نبوتهن

قد حل فى مصر فيما قدرووا زمر * من النبيين زادوا مصر تأنيسا
فهاك يوسف والاسباط مع أبهم * وحافدا وخليل الله ادريسا
لوطا وأيوب ذا القرنين خضر سليمان * أرميا يوشعا هرون مع موسى
وأمه سارة لقمان آسية * ودانيالا وشعيا مريما عيسى
شيثا ونوحا واسماعيل قد ذكروا * لازال من أجلهم ذا المصر محروسا

وكان بها من الصديقين مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وكان بها وزراء فرعون الذين وصفهم الله بالعقل وفضلهم على قوم نمروذ حين قالوا ارجئه وأخاه وقال وزراء نمروذ اقتلوه أو حرقوه قال البيضاوى فى تفسيره عند قوله تعالى واجعل لى وزيرا من أهلى ان اشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يتحمل الثقل عن أميره أو من الوزر وهو الملجأ لان الامير يعتصم برأيه ويلتجئ اليه فى اموره ومنه الموازرة وقيل أصله أزير من الازر بمعنى القوة كالعشير والجليس وكان بها من السحرة الذين أحضرهم فرعون لموسى اثنا عشر ساحرا رؤساء تحت يد كل ساحر عشرون عريفا تحت يد كل عريف ألف من السحرة فكان جميع السحرة مائتى ألف وأربعين ألفا ومائتين واثنين وخمسين ساحرا بالرؤساء والعرفاء فلما عاينوا ما عاينوا أيقنوا أن ذلك من السماء وأن السحر لا يقاوم أمر الله فآمنوا جميعا فى ساعة واحدة ولم يعلم أن جماعة أسلموا فى ساعة واحدة أكثر من جماعة القبط قال المهدوى فى تفسيره ان السحرة الذين حشرهم فرعون من سبع مدائن وهى شطا وبوصير وبنها وطنان وارمنت واسيوط وانصنا ومع ذلك لم يغن عنهم عددهم ولا كثرة عددهم بل لما ألقى موسى عصاه باذن الرب الاله خروا له ساجدين وقالوا آمنا برب العالمين قيل انه لما ألقى موسى عصاه فاذا هى ثعبان مبين أى حية صفراء فاتحة فاها بين لحييها ثمانون ذراعا وقيل انها ارتفعت من الارض قدر ميل وقامت على ذنبها واضعة فكها الاسفل فى الارض والاعلى على سطح القصر الذى فيه فرعون فوثب فرعون هاربا وأحدث قيل أخذته البطنة فى ذلك اليوم أربعمائة مرة وحملت على الناس فانهزموا ومات منهم خلق كثير ذكره البيضاوى فى تفسيره فى سورة الاعراف عند قوله تعالى فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين لما انهزم الناس مزدحمين مات منهم خمسة وعشرون ألفا وذكر ان فرعون صاح وقال خذها ياموسى وأنا أومن بك وارسل معك بنى اسرائيل فأخذها فعادت عصا فلم يؤمن فرعون بل كفر وعصى وكان بمصر من الصديقات آسية امرأة فرعون التى سألت ربها عز وجل ان يبنى لها عنده بيتا فى الجنة وان ينجيها من فرعون وعمله فاستجيب لها بصبرها على محنة فرعون قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم شمت

نوابهم وايراد اخبارهم ومدة مقامهم بالديار المصرية واحكامهم

(المقدمة فى فضائل مصر وما ورد فيها الى آخر ما سبق)

اعلم ان مصر قد ذكرت فى القرآن العزيز فى اكثر من ثلاثين موضعا كما قال السيوطى فى كتابه حسن المحاضره فى أخبار مصر والقاهرة بعضها بطريق الصراحة وبعضها بطريق الكناية قال تعالى اهبطوا مصرا ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا وقال الذى اشتراه من مصر ادخلوا مصر ان شاء

في الجنة ليلة الاسراء رائحة ما شممت أطيب منها فقلت يا جبريل ما هذه فقال رائحة
آسية امرأة فرعون وصاهر أهل مصر من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابراهيم
الخليل تسرى بهاجر ام اسمعيل وتزوج يوسف الصديق ببنت عين شمس وتزوج
ايضا زليخا بعد ان عجزت وعميت فدعا الله تعالى فرد عليها بصرها وجمالها ورزق
منها الولد وتسرى نبينا صلى الله عليه وسلم بمارية القبطية التي اهداها له المقوقس
ملك مصر فولدت من النبي صلى الله عليه وسلم ابراهيم عليه السلام ومات رضيعا
ودفن بالبقيع ظاهر طيبة على ساكنها افضل الصلاة والسلام ولدته في ذي الحجة
سنة ثمان من الهجرة ومات في ربيع الاول سنة عشر وكان عمره ستة عشر شهرا
وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال الحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون
رضي الله عنه وقال عليه افضل الصلاة والسلام ان له ظئرا اى مرضعا يتم رضاعه
في الجنة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام لو عاش ابراهيم لوضعت الجزية عن
كل قبطي وحزن عليه صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا حتى دمعت عيناه الشريفتان
وقال ان العين لتدمع وان القلب ليحزن ولا نقول الا ما يرضي ربنا وانا لفراقك
يا ابراهيم لمحزونون قال أبو بكر البرقي جميع أولاد النبي صلى الله عليه وسلم سبعة
القاسم وعبد الله وابراهيم وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة كلهم من خديجة
الا ابراهيم ولما مات القاسم ثم ابراهيم ثم عبد الله قال العاص بن وائل السهمي قد
انقطع ولده فهو ابتر فانزل الله تعالى ان شانئك هو الابتر ولم تزل مصر دار العلماء
والحكماء فمنهم الاسكندر ذو القرنين صاحب السد الذي ذكره الله في كتابه العزيز في
سورة الكهف فانه على اختلاف الاقوال ملك الارض كلها وبلغ مغرب الشمس
ومشرقها وبنى الاسكندرية المشهورة واسكندرية أخرى ببلاد الجون واسكندرية
أخرى ببلاد الروم وبنى سمرقند والمناظر والابراج ذكر الدماميني في كتابه عين
الحياة أن محمد بن الربيع الجيزي روى في مسنده عمن دخل مصر من الصحابة عن
عقبة بن عامر رضي الله عنه انه قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أخدمه
فاذا انا برجال من أهل الكتاب معهم مصاحف أو كتب فقالوا استأذن لنا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرفت اليه صلى الله عليه وسلم وأخبرته بمكانهم
فقال صلى الله عليه وسلم مالي ومالهم يسألوني عما لا أدري انما انا عبد ولا أعلم
الا ما علمني ربي تعالى ثم قال ابغني وضوأ فتوضأ ثم قام الى مسجد في بيته ثم ركع
ركعتين فلم ينصرف حتى عرف السرور في وجهه والبشر ثم انصرف فقال اذهب
فأدخلهم ومن وجدته معهم بالباب من أصحابي فأدخله قال فادخلتهم فلما رفعوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان شئتم سألتم وان شئتم اخبرتكم قالوا بلى
اخبرنا قبل ان نتكلم قال جئتم تسألوني عن ذي القرنين وسأخبركم عما تجدونه

عندكم

الله آمنين أليس لي
ملك مصر وقال نسوة
في المدينة ودخل
المدينة على حين غفلة
من اهلها فأصبح في
المدينة خائفا يترقب
وجاء رجل من اقصى
المدينة يسعى وجعلنا
ابن مريم وأمه آية
وآويناهما الى ربوة
ذات قرار ومعين
وهي مصر لان الربى
لا تكون الا بها قال
اجعلني على خزائن
الارض وكذلك مكنا
ليوسف في الارض
فلن ابرح الارض
حتى يأذن لي ابي ان
فرعون علا في الارض
ونريد ان نمن على الذين
استضعفوا في الارض

عندكم مكتوب بانه اول امره غلام من الروم اعطى ملكا فسار حتى جاء ساحل ارض مصر فابتنى عنده مدينة يقال لها الاسكندرية فلما فرغ من بنائها أتاه ملك فعرج به حتى استقله فرفعه ثم قال انظر ماذا تحتك فقال ارى مدينتى وارى مدائن معها ثم عرج به فقال انظر فقال اختلطت مدينتى مع المدائن فلم اعرفها ثم زاد فقال انظر فقال ارى مدينة واحدة لا ارى غيرها فقال له الملك انما تلك الارض كلها والذى يرى محيطا بها هو البحر وانما اراد ربك عز وجل ان يريك الارض وقد جعل لك سلطانا وسوف تعلم الجاهل وتثبت العالم فسار حتى بلغ مغرب الشمس ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس ثم اتى الى السدين وهما جبلان لينان يزلق عنهما كل شئ فبنى السد ثم جاز يأجوج ومأجوج ثم قطعهم فوجد قوما وجوههم وجوه الكلاب يقاتلون يأجوج ومأجوج ثم قطعهم فوجد قوما قصارا يقاتلون القوم الذين وجوههم وجوه الكلاب ثم مضى فوجد امة من الحيات تلتقم الحية منهم الصخرة العظيمة ثم افضى الى البحر المحيط بالارض فقالوا نشهد ان أمره كان هكذا كما ذكروا انا نجد هذا فى كتبنا وكان بمصر من حكماء الطب والهندسة والكيمياء وعلوم الرصد والحساب والمساحات عدة منهم افلاطون وبطليموس وسقراط وأرسطاطاليس وجالينوس وكان فى الازمنة الاول تسير الى مصر أرباب العلوم والحكم لتكون اذهانهم على الزيادة وقوة الذكاء وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه سأل كعب الاحبار عن طبائع البلدان واختلاف سكانها فقال ان الله لما خلق الاشياء جعل كل شئ لشئ فقال العقل أنا لاحق بالشام فقالت الفتنة وأنا معك وقال الخصب وانا لاحق بمصر فقال الذل وأنا معك وقال الشقاء أنا لاحق بالبادية فقالت الصحة وانا معك ويقال لما خلق الله الخلق خلق معهم عشرة أشياء الايمان والحياء والنجدة والفتنة والكبر والنفاق والغنى والفقر والذل والشقاء فقال الايمان أنا لاحق باليمن فقال الحياء وأنا معك وقالت النجدة أنا لاحقة بالشام فقالت الفتنة وأنا معك وقال الكبر أنا لاحق بالعراق فقال النفاق وأنا معك وقال الغنى أنا لاحق بمصر فقال الذل وأنا معك وقال الفقر أنا لاحق بالبادية فقال الشقاء وأنا معك وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال المكر عشرة أجزاء تسعة منها فى القبط وواحد فى سائر الناس ويقال ان الغدر عشرة أجزاء تسعة فى اليهود وواحد فى سائر الناس والحمق عشرة أجزاء تسعة فى المغاربة وواحد فى سائر الناس والقسوة عشرة أجزاء تسعة فى الترك وواحد فى سائر الناس والشجاعة عشرة أجزاء تسعة فى العرب وواحد فى سائر الناس والبلم عشرة أجزاء تسعة فى العبيد وواحد فى سائر الناس وقد ملك مصر سبعة من الكهناء ولهم الاعمال العجيبة والامور الغريبة

ونمكن لهم فى الارض
الآن تكون جبارا
فى الارض ياقوم لكم
الملك اليوم ظاهرين
فى الارض أو أن يظهر
فى الارض الفساد
انذر موسى وقومه
ليفسدوا فى الارض
ان الارض لله يورثها من
يشاء من عباده عسى
ربكم ان يهلك عدوكم
ويستخلفكم فى
الارض فينظر كيف
تعملون واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها
يريد ان يخرجكم من
ارضكم فى الموضعين
ان هذا لمكر مكرتموه
فى المدينة فأخرجناهم
من جنات وعيون

(الكاهن الاول) اسمه صيلم وهو أول من اتخذ مقياسا لزيادة النيل وعمل بركة من نحاس وعليها عقابان ذكر وأنثى وفيها قليل من الماء فاذا كان أول شهر يزيد فيه النيل اجتمعت الكهنة وتكلموا بكلام فيصفر أحد العقابين فان كان الذكر كان النيل عاليا وان كان الانثى كان النيل ناقصا (الكاهن الثانى) اسمه اعشامش من أعماله العجيبة انه عمل ميزانا فى هيكل الشمس وكتب على الكفة الاولى حقا وعلى الثانية باطلا وعمل تحتها فصوصا فاذا احضر الظالم والمظلوم أخذ فصين وسمى عليهما ما يريد وجعل كل فص منهما فى كفة فتثقل كفة المظلوم وترتفع كفة الظالم (الكاهن الثالث) عمل مرآة من المعادن فينظر فيها الاقاليم السبعة فيعرف ما أخصب فيها وما أجدب وما حدث من الحوادث وعمل فى وسط المدينة صورة امرأة جالسة فى حجرها صبى كأنها ترضعه فأى امرأة أصابها وجع فى جسمها مسحت ذلك الموضع من جسد تلك الصورة فتبرأ من ساعتها (الكاهن الرابع) عمل شجرة لها أغصان من حديد بخطاطيف اذا قرب منها الظالم خطفته وتعلقت به فلا تفارقه حتى يقر بظلمه وعمل صنما من كدان أسود وسماه عبد زحل يتحاكمون اليه فمن زاغ عن الحق ثبت فى مكانه ولم يقدر على الخروج حتى ينتصف من نفسه ولو أقام سبع سنين (الكاهن الخامس) عمل شجرة من نحاس فكل وحش وصل اليها لم يستطع الحركة حتى يؤخذ فشبعت الناس فى أيامه لحما وعمل على باب المدينة صنمين صنما عن يمين الباب وصنما عن شماله فاذا دخل أحد ان كان من أهل الخير ضحك الصنم الذى عن يمين الباب وان كان من أهل الشر بكى الصنم الذى على يسار الباب (الكاهن السادس) عمل درهما اذا اشترى صاحبه شيئا اشترط ان يزن له بزنته من النوع الذى يشتريه فاذا وضع فى الميزان ووضع فى مقابلته كل ما وجد من الصنف الذى يريد شراءه لم يعدله ووجد هذا الدرهم فى كنوز مصر فى أيام بنى أمية (الكاهن السابع) كان يعمل أعمالا عجيبة من جملتها انه كان يجلس فى السحاب فى صورة انسان عظيم فاقام مدة ثم غاب فاقاموا بلا ملك الى أن رأوه فى صورة الشمس فى برج الحمل فاخبرهم انه لا يعود اليهم وان يولوا فلانا بعده ومن فضائل مصر انها تمير أهل الحرمين وتوسع عليهم ومصر يحمل خيرها الى ما سواها وأهلها يستغنون بها عن كل بلدة حتى لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور لاستغنى أهلها بها عن سائر البلاد ومن محاسن مصر انه يوجد فيها فى كل شهر من شهور القبط صنف من المأكول والمشموم فيقال رطب توت ورمان بابه وموز هاتور وسمك كيهك وماء طوبه وخروف أمشير ولبن برمهات وورد برموده ونبق بشنش وتين بؤنه وعسل أبيب وعنب مسرى ومن محاسن مصر أيضا ما روى عن بحير الغفارى انه سمع

وكنوز ومقام كريم قيل المقام الكريم الفيوم وقيل ما كان لهم من المنابر والمجالس التى تجلس فيها الملوك كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم واقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق [illegible]ل جنة بربوة ادخلوا الارض المقدسة قيل هى مصر اولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز وقد احسن بى اذ اخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو جعل الشام بدوا وسمى مصر مصرا ومدينة وقد اشتهر على السنة كثير من الناس فى قوله تعالى سأريكم

ابن العاص يقول فى خطبته اعلموا يا أهل مصر انكم فى رباط الى يوم القيامة لكثرة الاعداء حولكم ولاشراف قلوبهم اليكم والى دياركم فان دياركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية وعن عبد الرحمن الاشعرى أنه قدم من الشام الى عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له عبد الله ما أقدمك بلادنا فقال كنت تحدثنى ان مصر أسرع الارض خرابا ثم أراك قد اتخذت فيها القصور واطمأننت فيها قال ان مصر قد أوفت خرابها حطمها بختنصر فلم يدع فيها الا السباع والضباع فهى اليوم أطيب الارض ترابا وأبعدها خرابا ولا تزال فيها بركة مادام فى شئ من الارض بركة ويقال ان مصر متوسطة فى الدنيا سلمت من حر الاقليم الاول ومن برد الاقليم السادس والسابع ووقعت فى الاقليم الثالث فطاب هواؤها وضعف حرها وخف بردها وسلم أهلها من مشاتى الاهواز ومصايف عمان وصواعق تهامة ودماميل الجزيرة وجرب اليمن وطواعين الشام وبرسام العراق وطحال البحرين وعقارب عسكر مكرم وحمى خيبر وأمنوا من غارات الترك وهجوم العرب ومكايد الديلم ونزف الانهار وقحط الامطار وقال عبد الله بن عمر خلقت الدنيا على صورة طائر برأسه وصدره وجناحيه وذنبه فالرأس مكة والمدينة واليمن والصدر الشام ومصر والجناح الايمن العراق وخلف العراق أمة يقال لها واق وخلف واق أمة يقال لها واق واق وخلف ذلك أمم لا يعلمها الا الله تعالى والجناح الايسر السند وخلف السند الهند وخلف الهند أمة يقال لها ناسك وخلف ناسك أمة يقال لها منسك وخلف ذلك أمم لا يعلمها الا الله تعالى والذنب من ذات الحمام الى المغرب وشر ما فى الطير الذنب وقد ملك مصر أربعة وثلاثون فرعونا أقلهم عمرا مائتا سنة وأكثرهم عمرا ستمائة سنة ولم يكن فيهم أعتى ولا أشر من فرعون موسى قال وهب ابن منبه كان فرعون موسى قصيرا وطول لحيته سبعة أشبار وقيل كان طوله قدر ذراع قال قتادة الفراعنة ثلاثة أولهم سنان بن الاشل صاحب سارة كان فى زمن الخليل بمصر الثانى الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف الثالث الوليد بن مصعب ملك مصر وهو فرعون موسى وهو عات وكل عات فرعون والعتاة الفراعنة (فائدة) لا بأس بذكرها روى أبو الحاكم قال أبو عبد الله وهب بن منبه بن كامل ابن سيح الصنعانى ويقال الزمارى والزمارة قرية من قرى صنعاء على مرحلتين منها ولد سنة أربع وثلاثين فى خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه لقى عبد الله ابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عمرو بن العاص وجابر ابن عبد الله وأبا هريرة وعبد الله بن الزبير وأنس بن مالك والنعمان بن بشير وأبا سعيد الخدرى وعن أحمد بن عطاء قال سمعت سلمة بن همام بن منبه يذكر عن آبائه

دار الفاسقين قال مصيرهم فصحفت بمصرهم (وقد ورد) فى مصر عدة أخبار منها ما روى عن كعب ابن مالك عن أبيه قال سمعت رسول الله عليه وسلم يقول اذا افتتحتم مصر فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما (وفى صحيح مسلم) عن أبى ذر قال قال رسول الله عليه وسلم ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما وقال صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا بها جندا

ان وهبا أصله من خراسان من بلد هراة ومنبه من أهل هراة خرج فوقع الى فارس أيام كسرى وكسرى أخرجه من هراة ثم أسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكن هو وأولاده باليمن وقد روى عن أبى ذرعة انه قال وهب بن منبه يمانى ثقة وفى رواية لغير أبى ذرعة ان وهب بن منبه تابعى ثقة توفى بصنعاء سنة ست عشرة ومائة وقيل سنة أربع عشرة ومائة وهو ابن ثمانين سنة روى عن مثنى بن الصباح انه قال رأيت وهب بن منبه أربعين سنة لم يسب شيئا فيه روح ولبث عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوأ قال وهب بن منبه لقد قرأت ثلاثين كتابا نزلوا على ثلاثين نبيا وفى رواية لمسلم بن خالد قال لبث وهب بن منبه أربعين سنة لا يرقد على فراش وقال وهب بن منبه لقد قرأت نيفا وسبعين كتابا فى الكنائس ونيفا وعشرين كتابا لا يعلمها الا قليل من الناس وجدت فيها كلها من وكل نفسه الى شئ من المشيئة فقد كفر ومن كلام وهب بن منبه ثلاثة من كن فيه أصاب البر سخاوة النفس والصبر على الاذى وطيب الكلام وقال أيضا اذا سمعت الرجل يمدحك بما ليس فيك فلا تأمنه ان يذمك بما ليس فيك وقيل جاء رجل الى وهب بن منبه فقال له ان فلانا شتمك فقال له أما وجد الشيطان بريدا غيرك وعن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون فى أمتى رجلان أحدهما يقال له وهب بن منبه يؤتيه الله الحكمة والآخر يقال له غيلان هو على أمتى أشد من ابليس رجعنا الى ما نحن بصدده من أمر فرعون موسى قيل ان فرعون موسى ملك مصر خمسمائة سنة لم يصبه ألم ولا نصب ولم يزل مخوّلا فى نعم الله تعالى الى أن أخذه الله نكال الآخرة والاولى قال ابن عباس رضى الله عنهما الاولى قوله ما علمت لكم من اله غيرى والاخرى قوله أنا ربكم الاعلى قال فعذبه الله فى أوّل النهار بالماء وفى آخره بالنار ولم يكن فرعون من أولاد الملوك وانما كان عطارا باصبهان أفلس وركبته الديون فخرج هاربا فأتى الشام فلم يستقم حاله فجاء الى مصر فرأى ملكها مشتغلا بلهوه فتوصل اليه بحيلة وخرج الى المقابر وسمى نفسه عامل الاموات وصار يأخذ عن كل ميت جعلا حتى بلغ الملك خبره وكلمه فأعجبه عقله ومعرفته فاستوزره ثم قتل الوزير فسار فى الناس سيرة حسنة وكان عدلا سخيا يقضى بالحق ولو على نفسه فأحبه الناس لكثرة عدله فتوفى الملك فولوه عليهم فعاش زمنا طويلا حتى مات منهم ثلاث قرون وهو باق فبطر وتجبر وبغى وقال أنا ربكم الاعلى فاستخف قومه فأطاعوه وقال موسى يارب ان فرعون جحدك مائتى سنة فكيف أمهلته فأوحى الله تعالى الى موسى انه عمر بلادى وأحسن الى عبادى فلما أراد الله تعالى هلاك فرعون خرج فى طلب موسى عليه الصلاة والسلام وفى طلب بنى اسرائيل وكان على مقدمة فرعون هامان فى ألف ألف

كشفا فذلك الجند خير أجناد الارض فقال أبو بكر ولم يارسول الله قال لانهم وأزواجهم فى رباط الى يوم القيامة (وأما حديث) ان مصر ستفتح فانتجعوا خيرها ولا تتخذوها دارا فانه يساق اليها أقل الناس أعمارا فهو حديث منكر جدا وقد أورده ابن الجوزى فى الموضوعات (ومن الآثار الموقوفة فى فضل مصر) ما أخرجه ابن عبد الحكم عن عبد الله ابن عمرو قال قبط مصر أكرم الاعاجم كلها وأسمحهم يدا

وثمانمائة ألف سوى القلب والجناحين ولم يخرج معه من عمره فوق الاربعين ولا دون العشرين وكان فى عسكره ذلك اليوم سبعون ألف أدهم وقيل مائتا ألف حصان من الدهم فلما انتهى موسى ومن معه من بنى اسرائيل الى بحر القلزم وهو منتهى حد مصر من شرقيها المعروف الآن ببركة الغرندل فيما بين السويس والطور هاجت الرياح وتراكمت الامواج كالجبال فقال يوشع بن نون يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون من ورائنا والبحر أمامنا فقال موسى عليه الصلاة والسلام الى ههنا فخاض يوشع الماء وقال الذى يكتم ايمانه وهو حزقيل مؤمن آل فرعون يا كليم الله أين أمرت فقال ههنا فكبح حزقيل فرسه أى نخعها بلجامها حتى طار الزبد من شدقها ثم أدخلها البحر فارتسبت فى الماء أى غارت فذهب قوم موسى يفعلون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى عليه أفضل الصلاة والسلام لا يدرى كيف يصنع فاوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فاذا مؤمن آل فرعون واقف على فرسه وصار البحر اثنى عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم بينهما مسالك فدخل كل سبط من بنى اسرائيل مسلكا يرى بعضهم بعضا من خلال الماء ودخل فرعون وقومه فى أثرهم فلما استقروا جميعا أطبق الله البحر عليهم فاغرق فرعون ومن معه جميعا كما قال الله تعالى فى كتابه المبين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم اغرقنا الآخرين ومن غلب على مصر من الفراعنة بختنصر وهو من قرية من قرى بابل يقال لها هو ولم يعرف له أب واختلف فى ايمانه حتى أنه شبه بايمان سحرة فرعون وذلك بعد ان خرب بيت المقدس وملك مصر واستولى عليها وأخذها من أيدى القبط وبقيت مصر خرابا أربعين سنة ليس بها أحد ثم ردهم بختنصر فعمرها وملك عليهم رجلا من جهته ومن ذلك الوقت بقيت مصر معمورة قال صاحب الانس الجليل فى تاريخ القدس والخليل ان أرمياء النبى عليه أفضل الصلاة والسلام رأى بختنصر قد بها وهو صبى أفرع يأكل خبزا ويتغوط ويقتل قملا فقال له ما هذا فقال أذى يخرج ومنفعة تدخل وعدو يقتل فقال له سيكون لك شأن وكان ولاية بختنصر قبل الهجرة الشريفة بالف وثلاثمائة وتسع وتسعين سنة ومائة وسبعة عشر يوما وقد أهلك الله بختنصر ببعوضة دخلت فى دماغه ونجى الله من بقى من بنى اسرائيل ولم يبق ببابل أحد قيل سئل وهب ابن منبه عن بختنصر أمات مسلما فقال وجدت أهل الكتاب مختلفين فيه فقال بعضهم آمن قبل أن يموت وقال بعضهم قتل الانبياء وخرب بيت المقدس فلم تقبل منه توبة *(فائدة)* من الانس الجليل أول من بنى الاقصى الملائكة ثم جدده آدم ثم سام بن نوح ثم يعقوب بن اسحاق ثم داود وسليمان عليهم الصلاة والسلام وروى أن مفتاح بيت المقدس كان عند سيدنا سليمان بن داود لا يأمن عليه أحدا

وأفضلهم عنصرا وأقربهم رحما بالعرب عامة وبقريش خاصة ومن أراد أن ينظر الفردوس أو ينظر الى مثلها فى الدنيا فلينظر الى أرض مصر حين تخضر زروعها أو تنمو أثمارها (وأخرج ابن عبد الحكم) عن ابى رهم السماعى الصحابى رضى الله عنه قال كانت مصر قناطر وجسورا بتقدير وتدبير حتى ان الماء ليجرى تحت منازلها وافنيتها فيحبسونه كيف شاؤا ويرسلونه كيف شاؤا فذلك قوله تعالى

فقام ليلة ليفتحه فتعسر عليه ثم استعان بالانس فتعسر عليهم ثم استعان بالجن فتعسر عليهم ثم جلس كئيبا حزينا فظن ان ربه قد منعه منه فبينما هو كذلك اذ أقبل عليه شيخ يتوكأ على عصاه وقد طعن فى السن وكان من جلساء داود عليه السلام فقال يا نبى الله أراك حزينا فقال قمت لهذا الباب أفتحه فتعسر على فاستعنت بالانس والجن فلم يفتح فقال الشيخ ألا أعلمك كلمات كان أبوك يقولهن عند كربه فيكشف الله عنه قال بلى قال قل اللهم بنورك اهتديت وبفضلك استغنيت وبك أصبحت وأمسيت ذنوبى بين يديك استغفرك وأتوب اليك يا حنان يا منان فلما قالها فتح ثم ظهرت الروم وفارس على سائر البلاد وقاتلت أهل مصر ثلاث سنوات برا وبحرا الى أن صالحوهم على شئ يدفعونه اليهم فى كل عام فرضيت الروم وفارس بذلك وجعلوا نصف مال مصر لكسرى والنصف لهرقل وأقاموا على ذلك تسع سنين ثم غلبت الروم فارس فاخرجوهم وصار صلح مصر كله للروم وذلك فى عهد رسول الله صلى الله عليه سلم زمن الحديبية والحديبية بئر قريبة من مكة المشرفة على طريق جدة فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة وفيها كانت بيعة الرضوان التى بايع النبى صلى الله عليه وسلم قريشا تحت الشجرة وهم العشرة المقطوع لهم بالجنة قال العلامة ابن حجر الهيتمى ناظما

لقد بشر الهادى من الصحب زمرة * بجنات عدن كلهم فضله اشتهر
سعيد زبير سعد طلحة عامر * أبو بكر عثمان ابن عوف على عمر

وكان هرقل صاحب الروم قد وجه المقوقس الى مصر أميرا عليها وولاه حربها وخراجها وكانت فارس قد بدأت بعمارة الحصن المعروف بقصر الشمع ثم تممت الروم بناءه ولم يزالوا فيه الى حين الفتح ولما بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم الى سائر الانام ليظهر الاسلام ويبين لهم الاحكام أقام صلى الله عليه وسلم بمكة قبل البعثة وبعدها ثلاثا وخمسين سنة وقد صح أن النبى صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين فى ثانى عشر ربيع الاول لعشرى نيسان عام الفيل فى عهد كسرى أنوشروان وقد مضى من ملكه اثنتان وأربعون سنة وأقام فى بنى سعد خمس سنين وتوفيت أمه وهو ابن ست وكفله جده عبد المطلب الى أن توفى وهو ابن ثمان فكفله عمه أبو طالب وخرج معه الى الشام وهو ابن اثنى عشرة سنة ثم خرج فى تجارة لخديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة وتزوجها فى تلك السنة وبنت قريش الكعبة ورضيت بحكمه فيها وهو ابن خمس وثلاثين سنة وبعث وهو ابن أربعين سنة وتوفى عمه أبو طالب وهو ابن سبع وأربعين سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوما وتوفيت خديجة بعد أبى طالب بثلاثة أيام وخرج الى الطائف بعدها بثلاثة أشهر ومعه زيد بن حارثة فأقام بها شهرا ثم رجع الى مكة فى جوار المطعم بن عدى ولما تمت

قد احكى عن فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى افلا تبصرون ولم يكن فى الأرض يومئذ ملك اعظم من ملك مصر وكانت الجنات بحافتى النيل من أوله الى آخره من الجانبين جميعا ما بين أسوان الى رشيد وسبعة خلج خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهى وخليج سردوس جنات متصلة لا ينقطع منها شئ والزرع ما بين الجبلين من أول مصر الى آخرها وكان المسافر يسير من

له خمسون سنة وفد عليه جن نصيبين وأسلموا ولما تمت له احدى وخمسون سنة أسرى به وعاش ثلاثا وستين سنة ونحر فى حجة الوداع ثلاثا وستين بدنة واعتق ثلاثا وستين رقبة صلى الله عليه وسلم * وكان الفيل فى العام الذى ولد فيه صلى الله عليه وسلم والمشهور عند الاكثرين انه ولد بعد الفيل بخمسين يوما وقيل بعده بخمسة وخمسين يوما وقيل بشهرين وقيل باربعين يوما وقال الكلبى كان مولده قبل الفيل بعشرين سنة وقال مقاتل باربعين سنة وقال الدماميني فى عين الحياة ان أبرهة ابن الاشرم ملك الحبشة حضر الى الكعبة يريد هدمها فى المحرم سنة اثنين وثمانين وثمانمائة من تاريخ الاسكندر الثانى الملقب بذى القرنين المتقدم ذكره ومبدؤه من السنة التى خرج فيها من مقدونية وطاف الارض وهى السنة السابعة من ملكه وطريق معرفة سنيه أن تزيد على سنى القبط التامة خمسمائة وتسعين سنة يحصل سنو الروم المطلوبة وبينه وبين السنة التى هاجر فيها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة تسعمائة وثلاث وثلاثون سنة وخمسة وخمسون يوما وأول سنى الروم تشرين الاول ومدخله فى رابع بابه تشرين الثانى أوله خامس هاتور كانون الاول أوله خامس كيهك كانون الثانى أوله سادس طوبه شباط أوله سابع أمشير أدار أوله خامس برمهات نيسان أوله سادس برموده ايار أوله سادس بشنس حزيران أوله سابع بؤنه تموز أوله سابع أبيب آب أوله ثامن مسرى أيلول أوله رابع توت وكان النبى صلى الله عليه وسلم حملا فى بطن أمه وفى المسند عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ولد النبى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ونبئ يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وتوفى يوم الاثنين ورفع الحجر يوم الاثنين رجعنا الى قصة الفيل وذلك ان أبرهة بن الاشرم المذكور بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد صرف الحجاج عن الكعبة اليها ثم ان جماعة من قريش خرجوا فى تجارة حتى جاؤا قريبا من تلك الكنيسة فاضرموا نارا ثم ارتحلوا فهبت ريح فاحرقت الكنيسة فغضب النجاشى فقال له أبرهة لا تحزن فنحن نهدم الكعبة فطلب أبرهة من النجاشى فيله المعروف بمحمود ومعه عشرة من الفيلة وقيل اثنا عشر وقيل ألف فيل ولما قرب أبرهة من مكة أمر بالغارة على اهل الحرم فاخذ لعبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم مائتى بعير وانفذ أبرهة رسولا الى عبد المطلب يقول له لم آت لقتال وانما أتيت لهدم هذه البنية فجاء الرسول الى عبد المطلب وبلغه الرسالة فقال عبد المطلب هذا بيت الله وبيت ابراهيم خليله ونحن ما لنا يد ان نقاتل هذا الملك وتوجه مع الرسول الى أبرهة ودخل عليه بعدما عرفوه بشرفه فاكرمه أبرهة وعظمه ونزل عن سريره واجلسه معه على

اسكندرية الى أسوان بالازاد فى ظل واشجار وفواكه الى أن يصل الى مدينة أسوان (وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما) قال لما خلق الله تعالى آدم مثل له الدنيا شرقها وغربها سهلها وجبلها وأنهارها وبحارها وبناءها وخرابها ومن يسكنها من الامم ومن علكها من الملوك فلما رأى مصر رأى أرضا سهلة ذات نهر جار مادته من الجنة تنحدر فيه البركة وتمزجه الرحمة ورأى جبلا من جبالها مكسوا أنوارا

البساط وقال لترجمانه قل له يسال عن حاجته فقال برد الملك على الاباعر التى أخذها فقال أبرهة قل له قد زهدتك فى عينى أنا جئت لهدم بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم فلم تكلمنى فيه وتسألنى عن رد مائتى بعير فقال عبد المطلب أنا رب هذه الابل ولهذا البيت رب يحميه ويمنعه فقال أبرهة ما كان ليمنعنى منه فقال دونك فرد عليه ابله فعاد عبد المطلب الى مكة وأمر قومه ان يتفرقوا فى رؤس الجبال وانى أتى الى البيت وحده وأصبح أبرهة بجيشه يقدمهم فيله محمود فبعثه الى نحو الحرم فلم ينبعث فضربوه بالمعول فى رأسه فابى وبرك فوجهوه نحو اليمن فقام وهرول وقد روى ان عبد المطلب أخذ بحلقة باب الكعبة وقال

يارب لا أرجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت قد عاداكا * امنعهم وان يخربوا قراكا

وان عبد المطلب لم يزل آخذا بحلقة باب الكعبة حتى نشأت من قبل اليمن من البحر طير فقال عبد المطلب أرى طيرا ما أعرفها ماهى نجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية اشباه اليعاسيب قد أقبلت يكسع بعضها بعضا امام كل فرقة طير يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق فجاءت الى الجيش وألقت على رأس كل واحد حصاة فكان الحجر يقع على بيضة أحدهم فيخرقها حتى يقع فى دماغه ويخرق الفيل أو الدابة ويغيب فى الارض من شدة وقعه وكان يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا واما أبرهة فصارت اعضاؤه تتساقط مثل الانملة ويتبعها مدة ودم وقيح حتى وصل صنعاء وطائره فوق رأسه وهو لا يشعر حتى أتى النجاشى فقص عليه القصة فلما انتهى ألقى الطائر عليه الحجر فمات بين يدى النجاشى واختلف فى قوله تعالى وأرسل عليهم طيرا أبابيل فقال سعيد بن جبير هى طير تعيش بين السماء والارض وتفرخ لها خراطيم الطير وأكف الكلاب وعن عكرمة هى طير خضر خرجت من البحر لها رؤس كرؤس السباع وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى كالبلسان وعن عائشة رضى الله عنها هى أشبه شئ بالخطاطيف وقيل السنونو الذى يأوى المسجد الحرام والسنونو بضم السين والنونين نوع من الخطاطيف (فائدة) اذا دخل أحد على من يخاف شره فليقرأ كهيعص حمعسق ويعقد لكل حرف من هذه الحروف العشرة أصبعا من أصابع يديه يبدأ بابهام يده اليمنى ويختم بابهام اليسرى فاذا فرغ من عقد جميع الاصابع قرأ فى نفسه سورة الفيل فاذا وصل الى قوله ترميهم كرر لفظ ترميهم عشر مرات يفتح فى كل مرة أصبعا من الاصابع المعقودة فاذا فعل ذلك أمن من شره وهو مجرب عجيب وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما بلغ من العمر أربعين سنة ويوما بعثه الله رسولا الى سائر الامم من عرب ومن عجم فكان بعد ذلك لا يمر على

لا يخلو من نظر الرب اليه بالرحمة فى سقيه أشجار مثمرة فروعها فى الجنة تسقى بالرحمة فدعا آدم للنيل بالبركة ودعا لارض مصر بالرحمة والبر والتقوى وبارك فى سهلها وجبلها سبع مرات (وعن عبد الله بن سلام) قال مصر أم البركات تعم بركتها من حج بيت الله الحرام من أهل المشرق والمغرب وان الله تعالى يوحى الى نيلها فى كل عام مرتين عند جريانه يوحى اليه ان تجرى الله يأمرك ان تجرى فيجرى كما يؤمر

شجر ولا مدر الا وقال السلام عليك يارسول الله وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل النبوة قال القاضى عياض هو الحجر الاسود وروى عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يدعو الى الاسلام من أول ما نزل عليه الوحى ثلاث سنين مستخفيا ثم أمر باظهار الدعوة قال صاحب المواهب اللدنية ان مقامه صلى الله عليه وسلم بمكة من حين النبوة الى حين خروجه منها بضع عشرة سنة ويدل على ذلك قول صرمة

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة * يذكر لو يلقى صديقا مواتيا

وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لما اشتد البلاء على المسلمين من المشركين شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استأذنوه فى الهجرة فقال قد رأيت دار هجرتكم وهى أرض سبخة ذات نخل بين لابتين ثم مكث بعد ذلك أياما وخرج الى أصحابه وهو مسرور فقال قد أخبرت بدار هجرتكم الا وهى يثرب فمن أراد منكم الخروج فليخرج فصار القوم يتجهزون ويترافقون فكان أول من دخل المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سلمة الاسدى ثم قدم بعده عامر ابن ربيعة مع زوجته ليلى وهى أول ظعينة قدمت الى المدينة ثم صار القوم يرحلون من مكة أولا بأول ولم يبق بمكة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعلى رضى الله عنهما ثم اجتمعت قريش ومعهم ابليس فى صورة شيخ نجدى فى دار الندوة دار قصى بن كلاب وكانت قريش لا تقضى أمرا الا فيها وتشاورون ماذا يصنعون فى أمره عليه الصلاة والسلام فاجتمع أمرهم على قتله وتفرقوا على ذلك فأتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فقال له لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى تبيت عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه فأمر عليه الصلاة والسلام عليا فنام مكانه وغطى ببرد أخضر فخرج صلى الله عليه وسلم وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان فى يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله تعالى فأغشيناهم فهم لا يبصرون ثم انصرف حيث أراد فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله والله ان محمدا لقد خرج عليكم ما ترك منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته فما ترون ما بكم فوضع كل رجل يده على رأسه فاذا عليه تراب وفى رواية أبى حاتم كما صححه الحاكم من حديث ابن عباس ما أصاب رجلا منهم حصاة الا قتل يوم بدر كافرا وفى ذلك نزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك الآية فقال أبو بكر الصحبة بأبى أنت وأمى يارسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فجهزناهما أحسن جهاز وصنعنا لهما سفرة من جراب فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من

ثم يوحى اليه ثانيا ان الله يأمرك أن تغيض جيدا فيغيض وان مصر بلدة معافاة وأهلها أهل عافية وهى آمنة ممن يقصدها بسوء ومن أرادها بسوء كبه الله على وجهه ونهرها نهر العسل ومادته من الجنة وكفى بالعسل طعاما وشرابا (وعن كعب) قال فى التوراة مكتوب مصر خزائن الله كلها من أرادها بسوء قصمه الله (وعن عقبة بن مسلم) يرفعه أن الله يقول يوم القيامة لساكنى مصر يعدد

نطاقها فربطت به فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين وكان من قوله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة ووقف على المروة ونظر الى بيت الله الحرام وقال والله انك لاحب أرض الله الىّ ولولا أهلك أخرجونى ماخرجت منك ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها فلم يجدوه فشق على قريش خروجه وجعلوا مائة ناقة لمن رده ولله در البوصيرى حيث قال

ويح قوم جفوا نبيا بارض * ألفته ضبابها والظباء
وسلوه وحن جذع اليه * وقلوه ووده الغرباء
أخرجوه منها وآواه غار * وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت * ما كفته الحمامة الحصداء

وروى أن أبا بكر رضى الله عنه لما خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها الى الغار جعل طورا يمشى أمامه وطورا يمشى خلفه وطورا عن يمينه وطورا عن شماله فقال عليه أفضل الصلاة والسلام ما هذا يا أبا بكر فقال يا رسول الله أذكر الرصد فاحب أن أكون امامك وأتخوف الطلب فأحب أن أكون خلفك واحفظ الطريق يمينا وشمالا فقال لا بأس عليك يا أبا بكر ان الله معنا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حافيا فحفى فحمله أبو بكر رضى الله عنه على كاهله حتى انتهى الى الغار فلما أراد النبى صلى الله عليه وسلم ان يدخل الغار قال أبو بكر والذى بعثك بالحق نبيا لا تدخله حتى أدخل فاسبره قبلك فدخل أبو بكر رضى الله عنه فجعل يلتمس بيده الغار فى ظلمة الليل مخافة ان يكون فيه شئ يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم فلما لم ير فيه شيئا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار وباتا فيه وأمر الله العنكبوت فنسجت على فم الغار ولله در القائل

ودود القزان نسجت حريرا * يجمل لبسه فى كل شئ
فان العنكبوت أجل منها * بما نسجت على رأس النبى

وروى عن عطاء بن ميسرة قال نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود عليه أفضل الصلاة والسلام حين كان جالوت يطلبه ومرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار وفى تاريخ أبى القاسم بن عساكر أن العنكبوت نسجت أيضا على عورة زيد بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم لما صلب عريانا سنة احدى وعشرين ومائة وأقام مصلوبا أربع سنين وكانوا وجهوه لغير القبلة فدارت خشبته الى القبلة فاحرقوا الخشبة وجسده وقال ابن خلكان فى ترجمة يعقوب بن صابر المنجنيقى انه وقف بالقاهرة على البيتين المشهورين لجماعة من الشعراء وهما

القنى فى لظى فان غيرتنى * عنك يوما فلست بالياقوت

عليهم النعم أما اسكنتكم مصر فكنتم تشبعون من خبزها وتروون من مائها (وقال أبو الربيع السائح نعم البلد مصر يحج منها بدينارين ويغزى منها بدرهمين يريد الحج من بحر القلزم والغزو الى الاسكندرية وسائر سواحل مصر (وقيل ان يوسف عليه السلام) لما دخل مصر وأقام بها قال اللهم انى غريب فحببها الى كل غريب فمضت دعوته فليس يدخلها غريب الا أحب المقام بها وكان

جمع النسج كل من حاك لكن * ليس داود فيه كالعنكبوت

فقال ابن صابر فى جوابهما

أيها المدعى الفخار دع الفخـ * ـر لذى الكبرياء والجبروت

نسج داود لم يفد ليلة الغا * ر وكان الفخار للعنكبوت

وبقاء السمند فى لهب النا * ر مزيل فضيلة الياقوت

ومن خواص العنكبوت أنه اذا جعل نسجها على الجراحة الطرية فى ظاهر البدن حفظها الاورم و يقطع سيلان الدم واذا دلكت الفضة المتغيرة بنسجه جلاها والعنكبوت الذى ينسج على الكنيف اذا علق على المحموم يبرأ باذن الله وان الله سبحانه وتعالى أمر اليراع فنبتت على فم الغار وحمامتين فعششتا و باضتا وأقبل فتيان قريش بسهامهم وسيوفهم ومعهم كرز بن علقمة القصاص فقص الاثر حتى انتهى الى الغار فقال لهم الى هنا انتهى الاثر فما أدرى بعد ذلك أصعد الى السماء أم غاص فى الارض فقال لهم قائل ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف ماتنظرون الى الغار وان عليه لعنكبوتا من قبل ميلاد محمد ثم بال حتى سال بوله بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وحمام الحرم من نسل تينك الحمامتين وفى الصحيحين عن أنس قال قال أبو بكر نظرت الى أقدام المشركين من الغار على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدميه لا بصرنا فقال يا أبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم أبصارهم فعميت عن دخولهم وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار والى هذا يشير صاحب البردة رضى الله تعالى عنه بقوله

أقسمت بالقمر المنشق ان له * من قلبه نسبة مبرورة القسم

وماحوى الغار من خير ومن كرم * وكل طرف من الكفار عنه عمى

فالصدق فى الغار والصديق لم يرما * وهم يقولون ما بالغار من أرم

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على * خير البرية لم تنسج ولم تحم

وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الأطم

وكان مكثه صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر فى الغار ثلاث ليال واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر عبد الله بن الارقط دليلا وهو على دين كفار قريش ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم على طريق السواحل فى رواية يدعلى أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية فطلبوا لبنا أو لحما يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيأ فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم هل

بها من حكماء الطب والهندسة والكيمياء وعلم النجوم والرصد والطلسمات والحساب عدة (منهم افلاطون) وبطليموس وسقراط وارططاليس وجالينوس (وكان) فى الازمنة الاول يذهب الى مصر أرباب العلوم والحكم لتكون اذهانهم على الزيادة وقوة الذكاء (وولد) بها عدة من الانبياء وهم موسى وأخوه هرون ويوشع بن نون (ودخل اليها) عيسى وتوجه الى الصعيد ثم اقام بقرية هناك تسمى اهناس (ودخلها أيضا)

لها من لبن فقالت هي أجهد من ذلك فقال أتأذني لى أن أحلبها قالت نعم بابى أنت وأمى ان رأيت بها حلبا فاحلبها فدعى بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها فسمت وسمى الله فتفاجت ودرت ودعا باناء يشبع الجماعة فحلب فسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب مرة أخرى وبقية قصة أم معبد مذكورة فى المواهب اللدنية فمن أراد الاطلاع عليها فليراجعها ثم تعرض للنبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه سراقة بن مالك المدلجى وعلم أنهما اللذان جعلت فيهما قريش ما جعلت لمن أتى بهما فركب فرسه وتبعهما بزعمه فبكى أبو بكر وقال يارسول الله أتينا قال كلا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات فساخت قوائم فرسه فطلب الامان وقال أعلم أن قد دعوتما على فادعوا لى والله لكما أن أرد الناس عنكما ولا أضر كما قال سراقة فوقفا لى ثم ركبت فرسى حتى جئتهما قال فوقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت ان سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرتهما بما يريد الناس منهما وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يقبلا واجتاز صلى الله عليه وسلم فى طريقه بعد ذلك بعبد يرعى غنما فكان من شأنه من طريق البيهقى عن قيس بن النعمان قال لما انطلق النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مستخفيين مرا بعبد يرعى غنما فاستسقياه اللبن فقال ما عندى شاة تحلب غير أن هنا شاة حملت عام أول وما بقى لها لبن قال فادع بها فاعتقلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا الله حتى أنزلت وجاء أبو بكر بمجن فحلب فسقى أبا بكر ثم حلب فسقى الراعى ثم حلب فشرب فقال الراعى بالله من أنت فوالله ما رأيت مثلك فقال وأراك تكتم على حتى أخبرك قال نعم قال أنا محمد رسول الله قال فأشهد أنك نبى وان ما جئت به حق وأنه لا يفعل ما فعلت الا نبى وأنا متبعك قال انك لن تستطيع ذلك يومك فاذا بلغك انى قد ظهرت فائتنا ولما بلغ المسلمين بالمدينة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يغدون كل يوم الى الحرة ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا الانتظار فلما أووا الى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على أطم من آطامهم لامر ينتظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يزول بهم السراب فلم يملك اليهودى نفسه فنادى باعلى صوته يا بنى قيلة هذا جدكم أى حظكم ومطلوبكم قد أقبل فخرج اليه بنو قيلة وهم الاوس والخزرج بسلاحهم فتلقوه فنزل بقباء على بنى عمرو بن عوف وعن سعيد انه قال قدم النبى صلى الله عليه وسلم لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول وقال عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يوم الاثنين وقدم المدينة يوم الاثنين لهلال ربيع الاول وأقام على رضى الله عنه بعد خروج النبى صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثة أيام ثم أدركه بقباء يوم الاثنين وأقام صلى

ابراهيم الخليل ويعقوب ويوسف والاسباط وارميا ودانيال ولقمان الحكيم عليهم السلام (ودفن بها من الصحابة والتابعين جماعة كثيرة وكان من أهلها مؤمن آل فرعون الذى اثنى عليه الله فى كتابه وكذا آسية امرأة فرعون وسحرة فرعون الذين آمنوا فى ساعة واحدة مع كثرتهم (وقال المسعودى) ان كل قرية من قرى مصر تصلح أن تكون مدينة على انفرادها (وقال القضاعى)

الله عليه وسلم بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وأسس مسجد قباء
على التقوى من أوّل يوم ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من قباء يوم الجمعة
حين ارتفع النهار فادركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها بمن كان معه من
المسلمين وهم مائة فى بطن وادى رانوناء براء مهملة ونونين ممدود اوركب راحلته يوم
الجمعة متوجها الى المدينة وكان عليه أفضل الصلاة والسلام كلما مر على دار من
دور الانصار يدعونه الى المقام عندهم يقولون يارسول الله هلم الى القوّة والمنعة
أين قول الانصار رضى الله عنهم من قول أهل مكة وقسوتهم واخراجهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم من مكة وهى بلده ومسقط رأسه ولقد أنصف من قال

لا تنكرنّ لاهل مكة قسوة * والبيت فيها والحطيم وزمزم
آذوا رسول الله وهو نبيهم * حتى حمته أهل طيبة منهم

لان أهل مكة كانوا يؤذونه فى نفسه و يقصدون نكايته فى أهله قتلوا أعمامه
وعذبوا أصحابه وأخرجوه من أحب البقاع اليه ولما يسر الله تعالى لنبيه محمد صلى
الله عليه وسلم فتح مكة ودخلها بغير جهدهم وظهرت كلمته فيها على رغمهم قام خطيبا
فحمد الله وأثنى عليه وشكره على مامنحه من الظفر ثم قال لهم لا أقول لكم الا كما
قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ذكر عبد
الرحمن بن رجب الحنبلى فى كتابه لطائف المعارف لو قام المذنبون فى الاسحار على
أقدام الانكسار ورفعوا قصص الاعتذار مضمونها يا أيها العزيز مسنا وأهلنا
الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا لبرز لهم التوقيع
عليها لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين يا يعقوب الهجر هب
ريح يوسف الوصل فلو استنشقت لعدت بعد العمى بصيرا ولو جدت ما كنت لفقده
فقيرا نقل الغزى نزيل مكة فى كتابه قال الشيخ مظفر الدين الامشاطى أهل مكة
عندهم أنفة وتعاظم وكبر وحسد والكذب فاش بينهم والنميمة والخداع والطمع
فيما فى أيدى الناس و بغض الغريب الا أن يكون مع الغريب شئ من الدنيا
فهم عبيد له يسلبون مامعه ثم يرمونه بالسوء و يسلقونه بالسنة حداد وأما أهل
المدينة فيغلب على أهلها الترحم وحب الغرباء ومواساتهم والاحسان اليهم وفى
طبعهم الجود والكرم و يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما
أوتوا و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ثم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال للانصار خلوا سبيل الناقة فانها مأمورة وقد أرخى زمامها وما يحركها
وهى تنظر يمينا وشمالا حتى أتت دار مالك بن النجار ثم سارت وهو صلى الله عليه وسلم
عليها حتى بركت على باب أبى أيوب الانصارى ثم سارت وبركت فى مبركها الاوّل
وألقت باطن عنقها وصوّتت من غير ان تفتح فاها فنزل عنها صلى الله عليه وسلم

لم يكن فى الارض أعظم من ملك مصر فانها لو زرعت جميعا لوفت بخراج الدنيا باسرها ويوجد فى مصر فى كل شهر نوع من المأكول أو المشموم فيقال رطب توت ورمان بابه وموز هاتور وسمك كيهك وماء طوبة ورميس أى خروف أمشير ولبن برمهات وورد برموده ونبق بشنس وتين بؤنه وعسل أبيب وعنب مسرى (والسبع زهرات) التى تجتمع فى أواخر الشتاء فى وقت واحد ولا تجتمع فى غيرها

وقال هذا المنزل ان شاء الله واحتمل أبو أيوب رحله وادخله بيته ومعه زيد بن حارثة وكانت دار بنى النجار أوسط دور الانصار وأفضلها وهم أخوال عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم وقد ذكر ان بيت أبى أيوب بناه التبع الاول للنبى صلى الله عليه وسلم لما مر بالمدينة وترك فيها أربعمائة عالم وترك كتابا له صلى الله عليه وسلم ودفعه الى كبيرهم وسأله أن يدفعه للنبى صلى الله عليه وسلم فتداوله أصحاب الدور الى أن صار الى أبى أيوب وهو ولد ذلك العالم قال وأهل المدينة الذين نصروه عليه الصلاة والسلام من أولاد أولئك العلماء فعلى هذا انما نزل فى منزل نفسه لا منزل غيره وفرح أهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم وأشرقت المدينة بحلوله فيها وسرت به القلوب قال أنس بن مالك رضى الله عنه لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شئ وصعدت ذوات الخدور على الاجاجين عند قدومه يقلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا

مادعا لله داع * أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

وروى البيهقى عن أنس لما بركت الناقة على باب أبى ايوب خرج جوار من بنى النجار يقلن

نحن جوار من بنى النجار * ياحبذا محمد من جار

فقال صلى الله عليه وسلم أتحبوننى قلن نعم يارسول الله فقال عليه أفضل الصلاة والسلام ان قلبى يحبكم و وعك أبو بكر و بلال بالمدينة فقال بلال اللهم العن شيبة ابن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا الى أرض الوباء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم بارك لنا فى صاعها ومدها وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة وقال صلى الله عليه وسلم ان المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد و بهذا تمسك مالك رضى الله عنه فى تقديم اجماع فقهاء المدينة على الحديث ولم يركب مالك رضى الله عنه ظهر دابة بالمدينة قط و يقول أستحيى أن أطأ بحافر دابة أرضا فيها قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما أشرف أبو الفضل الجوهرى رحمه الله على المدينة نزل عن راحلته وأنشد قول أبى الطيب

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا * فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا

نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة * لمن بان عنه أن نلم به ركبا

وأقام صلى الله عليه وسلم عند أبى أيوب سبعة أشهر ولما أراد عليه الصلاة والسلام بناء المسجد الشريف قال يابنى النجار ثامنونى بحائطكم فقالوا لانطلب ثمنه الا الى الله فابى ذلك صلى الله عليه وسلم وابتاعه صلى الله عليه وسلم بعشرة دنانير

من البلاد وهى النرجس والبنفسج والورد النصيبى والهيعانى زهر النارنج والياسمين والنسرين وأن أهل مصر الغالب عليهم الافراح واتباع الشهوات والانهماك فى اللذات وتصديق المحالات وفى أخلاقهم رقة وعندهم بشاشة وملق ومكر وخداع ولا ينظرون فى عواقب الامور وعندهم قلة الصبر فى الشدائد والقنوط من الفرج وشدة الخوف من السلطان و يخبرون بالامور المستقبلة قبل أن تقع و يقال

أداها من مال أبي بكر قال أنس وكان في موضع المسجد نخل وخرب ومقابر مشركين فأمر بالقبور فنبشت والخرب فسويت والنخل فقطعت وأمر باتخاذها فاتخذت وبنى المسجد وسقف بالجريد وجعلت عمده من خشب النخل وكان صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة على جذع في المسجد قائما فقال ان القيام قد شق على فصنع له المنبر وحنين الجذع في السنة الثامنة من الهجرة وجزم ابن سعد بانه عمل في السنة السابعة قال الشيخ بن عبد الله بن النعمان حديث حنين الجذع الذي يخطب عليه النبي صلى الله عليه وسلم حنين العشار متواتر رواه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمع الكثير والجم الغفير قال جابر فصاح الجذع صياح الصغير فضمه اليه وفي بعض الروايات والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم أحق ان تشتاقوا الى لقائه ونظم بعضهم ذلك فقال

وحن اليه الجذع شوقا ورقة * ورجع صوتا كالعشار مرددا

فبادره ضما فقر لوقته * لكل امرئ من دهره ما تعودا

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة واليهود أكثرها يستقبلون بيت المقدس أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها سبعة عشر شهرا وكان صلى الله عليه وسلم يحب ان يستقبل قبلة ابراهيم فكان يدعو وينظر الى السماء فنزلت الآية قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وعن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقول صلى صلى الله عليه وسلم بعد ما قدم المدينة ستة عشر شهرا الى بيت المقدس ثم حول بعد ذلك الى المسجد الحرام قبل بدر بشهرين قال الزهري صرفت القبلة نحو المسجد الحرام لرجب على رأس ستة عشر شهرا من مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما حول الله القبلة حصل لبعض الناس من المنافقين والكفار ارتياب وزيغ عن الهدى وشك وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها أي ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا وتارة كذا فانزل الله في جوابهم قل لله المشرق والمغرب أي الحكم والتصرف كله لله فحيثما وجهنا توجهنا فالطاعة في امتثال أمره ولو وجهنا كل يوم الى جهات متعددة فنحن عبيده وفي تصرفه وخدامه حيثما وجهنا توجهنا وقيل قالت اليهود اشتاق الى بلد أبيه وهو يريد ان يرضى قومه ولو ثبت على قبلتنا لرجونا ان يكون هو النبي الذي ننتظران يأتي فانزل الله تعالى وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم يعني اليهود الذين أنكروا استقبالكم الكعبة وانصرافكم عن بيت

ذكر مصر بافوالها ذكر ذلك في جواهر البحور *(وأول من سكن مصر شيث بن آدم عليهما السلام)* وذلك ان أباه آدم أوصى له فكان فيه وفي بنيه النبوة والدين وأنزل الله عليه تسعا وعشرين صحيفه وجاء الى أرض مصر وكانت تدعى بابلون فنزلها هو وأولاد أخيه قابيل فسكن شيث فوق الجبل وسكن اولاد اخيه قابيل اسفل الوادي *(واستخلف شيث) ولده انوش (واستخلف أنوش) ابنه قينان (واستخلف قينان) ابنه مهلاييل

المقدس يعلمون ان الله سيوجههم اليها عاف كتبهم عن أنبيائهم (فائدة) فى ذكر نزول جبريل عليه السلام على الرسل عليهم الصلاة والسلام نزل على آدم اثنتى عشرة مرة ونزل على ادريس أربع مرات ونزل على نوح خمس مرات ونزل على ابراهيم اثنتين واربعين مرة مرتين فى صغره ونزل على موسى أربع عشرة مرة ونزل على عيسى عشر مرات ثلاثا فى صغره ونزل على محمد صلى الله عليه وسلم أربعة وعشرين ألف مرة ذكر ذلك ابن عادل فى تفسيره فى سورة النحل عند قوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من أمره وروى ان جبريل عليه السلام نزل على النبى صلى الله عليه وسلم فى مرض موته فقال يا جبريل هل تنزل من بعدى فقال نعم يارسول الله أنزل عشر مرات ارفع العشر جواهر من الارض قال يا جبريل وما ترفع منها قال الاول ارفع البركة من الارض الثانى أرفع المحبة من قلوب الخلق الثالث أرفع الشفقة من قلوب الاقارب الرابع أرفع العدل من الامراء الخامس أرفع الحياء من النساء السادس أرفع الصبر من الفقراء السابع أرفع الورع والزهد من العلماء الثامن أرفع السخاء من الاغنياء التاسع أرفع القرآن العاشر أرفع الايمان وقيل ان عدة الانبياء عليهم الصلاة والسلام مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا منهم ثلثمائة وثلاثة عشر نبيا مرسلا والمذكور منهم فى القرآن باسمه العلم ثمانية وعشرون ومنهم من لم يكن مرسلا وبعضهم كان يوحى اليه فى المنام وبعضهم كان يسمع الصوت من الملك من غير ان يرى شخصه (نبذة فى اخبار الانبياء عليه الصلاة والسلام) روى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله آدم طوله ستون ذراعا وأنزل عليه تحريم الميتة والدم وحروف المعجم فى احدى وعشرين صحيفة وفيها ألف لغة وعلمه ألف حرفة وخلق حواء من ضلع آدم فى آخر النهار من يوم الجمعة وفيه أهبط الى الارض وأنزل معه الحجر الاسود وعصا موسى وكانت من آس الجنة وعاش ألف عام ومرض أحد عشر يوما وقبض يوم الجمعة وصلى عليه شيث وفى رواية كان طوله ستين ذراعا فى عرض سبعة أذرع وأنزل الله عليه الكلمات الوجودية والعدمية وعلمه سبعين ألف باب من العلم ولم يمت حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفا واختلف فى موضع قبره فقال أبو اسحاق دفن فى مشارق الفردوس وقال غيره دفن بمكة فى غار أبى قبيس وهو غار يقال له غار الكنز وقال ابن عباس دفن ببلاد الهند فى موضع يقال له بوزيا فلما كان أيام الطوفان حمله نوح عليه السلام ودفنه ببيت المقدس وقال عروة تمامات آدم عليه السلام وضع بباب الكعبة وصلى عليه جبريل والملائكة ودفن فى مسجد الخيف وقد روى ان الله تعالى أتحف آدم بثلاث تحف على يد جبريل عليه السلام بالعقل والحياء والدين وقيل له يا آدم

(واستخلف مهلاييل) ابنه يزدود فع الوصية اليه وعلمه جميع العلوم وأخبره بما يحدث فى العالم ونظر فى النجوم وفى الكتاب الذى نزل على آدم (وولد ايزد) اخنوخ وهو هرمس اى ادريس عليه السلام (وكان) الملك فى ذلك الوقت تبابيل ونبى ادريس عليه السلام وهو ابن أربعين سنة وأراده الملك بسوء فعصمه الله وأنزل عليه ثلاثين صحيفة ودفع اليه أبوه وصية جده والعلوم التى عنده وولد بمصر وخرج منها وطاف

اخترأيتهن شئت فالهمه الله ان اختار العقل فقيل للحياء والدين ارتفعا فقالا أمرنا
أن لا نفارق العقل وقد روى ان الله تعالى لما خلق آدم قال له من أنت قال أنت
أعلم يارب فقال أنت انسان فقال وما الانسانية يارب قال اطلاق الوجه وحلاوة
اللسان و بسط اليدين والخلق الحسن قال صاحب البردة رحمه الله يشير الى النبي
صلى الله عليه وسلم بالخلق الحسن

فاق النبيين فى خلق وفى خلق * ولم يدانوه فى علم ولا كرم

وفى الحديث ان حسن الخلق معلق بسلسلة فى باب الجنة مربوطة بصاحبه يذهب
صاحبه كل مذهب فلا تزال به حتى ترده الى الجنة وان سوء الخلق معلق بسلسلة
فى باب جهنم مربوطة بصاحبه فلا تزال به حتى تدخله النار فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا روى الحسن
عن أبى الحسن عن جد الحسن انه قال انّ أحسن الحسن الخلق الحسن (شيث
عليه السلام) نبى مرسل وأنزل الله عليه خمسين صحيفة وهو أول من بنى الكعبة
بالطين والحجر وعاش سبعمائة سنة وعنه أخذت الشريعة * ادريس عليه السلام
نبى مرسل أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة ولد بمصر وهو أول من خط بالقلم وأول من
خاط الثياب وأول من بنى الهياكل وسجد لله فيها وفى عصره انتهت اليه الرياسة فى
علم النباتات وأسرار الحروف وغير ذلك من الحقائق الحكمية والادوار الفلكية
وهو أول من رتب الناس على ثلاث طبقات كهنة وملوك ورعية ورفع الى السماء
وهو ابن ثلثمائة سنة وعشرين سنة * نوح عليه السلام ابن لامك بن متوشلخ بن
ادريس نبى بعث بعد ادريس وهو ابن خمسين سنة أو أربعين سنة وهو أول من
قسم الارض بين أولاده فاما سام فاعطاه بلاد الحجاز واليمن والشام وهو أبو العرب
والفرس والروم وأما حام فاعطاه بلاد المغرب وهو أبو السودان والبربر والقبط
وأما يافث فاعطاه بلاد المشرق وهو أبو ياجوج وماجوج والترك والصقالبة
ولبث فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما وكان طول السفينة ثلثمائة ذراع وعرضها
خمسين ذراعا وسمكها ثلاثين ذراعا وجعل لها ثلاث طبقات فجعل فى أسفلها
الدواب والوحش وفى وسطها الانس وفى أعلاها الطير وروى انه كان اذا أراد
ان تجرى قال بسم الله فجرت واذا أراد ان ترسو قال بسم الله فرست وعاش بعد
الغرق خمسين سنة * هود عليه السلام نبى مرسل بعثه الله الى عاد بن صفوان بن
سام و بعثه الى ثمود فكذبوه فاهلكهم الله بالصواعق والزلزلة وعاش ثمانمائة
وخمسين سنة * حنظلة بن صفوان عليه السلام نبى مرسل بعثه الله الى أصحاب الرس
فقتلوه وأحرقوه بالنار فمسخهم الله حجارة * ابراهيم الخليل عليه السلام نبى مرسل
بعثه الله الى النمروذ بن كنعان فاهلكه الله ببعوضة قال أبو الحسن الماوردى

الارض كلها ورجع
ودعا الخلق الى الله
تعالى فاجابوه وأطاعه
ملك مصر وآمن به
فنظر فى تدبير أمرها
وكان النيل يأتيهم
سيحا فينحازون عن
مسيله الى أعالى
الجبال والاراضى
العالية حتى ينقص
فينزلون ويزرعون
حيثما وجدوا فى
الارض تربة وكان
يأتى فى وقت الزراعه
وفى غير وقتها فلما
جاء ادريس جمع
أهل مصر وصعد بهم
الى أول مسيل النيل
ودبر وزن الارض
ووزن الماء على
الارض وأمرهم

ابراهيم بالسريانية أب رحيم وأنزل عليه عشر صحائف وهو أوّل من قاتل بالسيف وأوّل من اختتن وأوّل من لبس السراويل وأوّل من جز شاربه وأوّل من قص اظافيره وأوّل من راى الشيب وأوّل من أضاف الضيوف وأوّل من ثرد الثريد وعاش مائة وخمسا وسبعين سنة ودفن عند قبر سارة بمزرعة حبرون بالحاء المهملة ذوالقرنين كان فى زمن ابراهيم عليه السلام قال عكرمة كان ذوالقرنين نبيا وقال على بن أبى طالب كان عبدا صالحا وكان الخضر وزيره وابن خالته وكان له مربع مائة فى مائة موضوع على لوائه وبه افتتح اقاليم البلاد وقال المفسرون ملك الدنيا مؤمنان ذوالقرنين وسليمان وكافران بختنصر ونمروذ بن كنعان توضيح الاسكندر اثنان رومى وهو صاحب الخضر ويونانى وهو صاحب ارسطو وايضا دانيال اثنان الاكبر وهو الذى حفر الدجلة والفرات وكان انفه ذراعا وهو بعد نوح عليه السلام ودانيال الاصغر وهو بعد سليمان ولقمان اثنان العادى وهو فى زمن ذى الحكم ولقمان الثانى وهو فى زمن داود عليه السلام روى انه لما هلكت عاد بقى لقمان بالحرم فقال يارب اعطنى عمر سبعة أنسر وكان يعيش النسر ثمانين سنة فلما مات النسر السابع مات لقمان وموسى اثنان موسى بن ميشار وموسى بن عمران وهو صاحب فرعون * لوط عليه السلام نبى مرسل بعثه الله الى اهل سذوم فكذبوه فاهلكهم الله بحجارة من سجيل وعاش ثمانين سنة * اسماعيل عليه السلام نبى مرسل بعثه الله الى العمالقة وهو أوّل من ركب الخيل ومن ولده قيدار وعاش مائة وثمانين سنة * اسحق عليه السلام نبى مرسل ولد بعد اسمعيل عليه السلام بثلاث عشرة سنة وولد اسحق العيص ويعقوب وهو ابن ستين سنة فأما العيص فانه تزوج بنت عمه اسمعيل عليه السلام فولدت الروم وصاروا ملوك الارض واليونان من ولده وعاش مائة وثمانين سنة وتوفى بفلسطين ودفن عند قبر أبيه بمزرعة حبرون يعقوب عليه السلام نبى مرسل وهو اسرائيل الله وعاش مائة وسبعة وعشرين سنة يوسف عليه السلام نبى مرسل وهو أوّل من صنع القرطاس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انّ الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وعاش مائة وعشرين سنة بمصر أيوب عليه السلام نبى مرسل وكان روميا من أولاد عيص بن اسحق استنبأه الله سبحانه وتعالى وكثر أهله وماله فابتلاه الله بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم وذهاب أمواله والمرض فى بدنه ثمان عشرة سنة أوثلاث عشرة أوسبعا وسبعة أشهر وسبع ساعات روى ان امرأته قالت له يوما لودعوت الله سبحانه وتعالى ان يشفيك فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحيى من الله سبحانه وتعالى ان أدعوه وما بلغت

باصلاح ماأراد من خفض المرتفع ورفع المنخفض وغير ذلك مما رأى فى علم النجوم والهندسة والهيئة وكان أوّل من تكلم فى هذه العلوم وأخرجها من القوة الى الفعل ووضع فيها الكتب ورسم فيها التعاليم ثم سار الى بلاد الحبشة والنوبة وغيرها وجمع أهلها وزاد فى مسافة جرى النيل ومات ادريس بمصر ذكر ذلك فى حسن المحاضرة وقيل رفع الى السماء وهو ابن ثلثمائة وعشرين وقيل وستين سنة وقد ملك

مدة بلائي مدة رخائي وعاش ثلاثا وتسعين سنة وكان في ضياعه أربعون ألف وكيل (شعيب عليه السلام) نبي مرسل بعثه الله الى أهل مدينته فكذبوه فأهلكهم الله بالصيحة وهو خطيب الانبياء عاش مائة وأربعين سنة وقبره بالمسجد الحرام قبالة الحجر الاسود (موسى عليه السلام) نبي مرسل أرسله الله تعالى وأخاه هرون عليهما السلام الى فرعون فكذبهما فاغرقه الله وجنوده في اليم وأنزل على موسى عشر صحائف والتوراة في ألواح الزمرد وهي ألف سورة في كل سورة ألف آية روى عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كلم الله موسى مائة ألف وعشرين ألفا وثلثمائة وثلاث عشرة كلمة وعاش موسى عليه السلام مائة وعشرين سنة وقبره عند الكثيب الاحمر بفلسطين وعاش هرون مائة وعشرين سنة ومات قبل موسى بثلاثين سنة في التيه (الخضر عليه السلام) قيل انه نبي من الانبياء وقيل انه ولي من أولياء الله تعالى (يوشع بن نون عليه السلام) نبي مرسل بعثه الله بعد موسى عليه السلام وقد رد الله له الشمس في قتال الجبارين على مدينة أريحاء وهو الذي أرسل الله تعالى على قومه ظلمة فمات منهم في ساعة واحدة سبعون ألفا وعاش مائة وعشرين سنة (كالب بن يوقنا عليه السلام) قيل انه نبي وقيل انه ولي (حزقيل عليه السلام) قيل انه نبي بعثه الله الى بني اسرائيل وهو حزقيل ابن بوري الذي أحيا الله القوم الذين خرجوا من ديارهم بعد موتهم بدعائه ولاجله قال عطاء الخراساني كانوا أربعة آلاف وقال مقاتل والكلبي ثمانية آلاف وقال أبو مالك ثمانين ألفا وقال ابن جرير أربعين ألفا وقال ابن أبي رباح سبعين ألفا (الياس عليه السلام) نبي مرسل بعثه الله الى بني اسرائيل واعطاه الله قوة سبعين نبيا وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكان انسيا ملكيا أرضيا سماويا (اليسع بن عدي بن سوار بن افراثيم بن يوسف الصديق) بعثه الله بعد الياس عليه السلام الى بني اسرائيل وعاش خمسا وسبعين سنة (ذو الكفل عليه السلام) بعثه الله بالشام وهو من أولاد أيوب عليه السلام قال أبو موسى الاشعري ان ذا الكفل لم يكن نبيا ولكن كان رجلا صالحا وقيل هو الياس وقيل هو زكريا (شمويل عليه السلام) ابن بالي بن علقمة بن حام أرسله الله الى بني اسرائيل ومعناه بالعبرانية اسمعيل وهو الذي أقام لطالوت الملك (داود عليه السلام) نبي مرسل أنزل الله عليه الزبور بالعبرانية وهي مائة وخمسون سورة وألان له الحديد ولم يعط أحد من الخلق مثل صوته وكان لا يأكل الا من عمل يده وهو أول من قال أما بعد قال ابن عباس رضي الله عنهما كان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثون ألفا وكان عمر داود مائة سنة وشيع جنازته اربعون ألف راهب وكان الانس والجن يستمعون لحسن قراءته اذا قرأ الزبور وكذلك الوحوش والطيور يستمعون وكان يحمل من مجلسه

مصر بعده أربعة وثلاثون فرعونا أقلهم عمرا مائتا سنة وأكثرهم عمرا ستمائة سنة ولم يكن فيهم أعتى ولا أشر من فرعون موسى * قال وهب بن منبه كان فرعون موسى قصيرا قيل كان طوله ستة أشبار وطول لحيته سبعة أشبار وقيل كان طوله قدر ذراع (وقال قتادة) الفراعنة ثلاثة أولهم سنان بن الاشل صاحب سارة كان في زمن الخليل بمصر (الثاني) الريان ابن الوليد وهو فرعون يوسف (الثالث) الوليد بن مصعب

في بعض الاوقات أربعمائة جنازة ممن قدمات في مجلسه من لذة سماع صوته وحسن قراءته سليمان عليه السلام نبي مرسل قال كعب بن محمد القرظي كان عسكر سليمان عليه السلام مائة فرسخ وخمسة وعشرين فرسخا للانس ومثلها للجن ومثلها للوحوش ومثلها للطير وهو أول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم وأول من دخل الحمام وأول من صنع له النورة وكان حرس سليمان ستمائة ألف وكان له ألف بيت من قوارير على خشب فيها ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية قال ابن عباس رضي الله عنهما كان في مطبخ سليمان مائة ألف رجل وكان يذبح له كل يوم ألف شاة وثلاثون ألف بقرة وكان يأكل الشعير ويلبس الصوف وعاش ثلاثا وخمسين سنة فبينما هو متكئ على عصاه فمات فدفن على ساحل بحيرة طبرية لقمان الحكيم ابن باعورا ابن أخت أيوب عاش خمسمائة وخمسين سنة واختلف في نبوته فقال عكرمة كان نبيا وقال حذيفة كان عبدا صالحا وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل وقيل كان عبدا أسود نوبيا من سودان مصر وقيل كان خياطا أو نجارا أو راعي غنم وقد أخذ الحكمة عن ألفي نبي وقبره ما بين مسجد الرملة وسوقها وفيه قبر سبعين نبيا وكان داود عليه السلام يقول يا لقمان لقد أوتيت الحكمة وصرفت عنك النقمة (فائدة) المعمرون شيث عليه السلام عاش سبعمائة سنة نوح عليه السلام لبث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الغرق خمسين عاما ابراهيم عليه السلام عاش مائة وخمسة وسبعين عاما اسمعيل عليه السلام عاش مائة وثمانين عاما وكذلك اسحق عليه السلام يعقوب عليه السلام عاش مائة وسبعين عاما يوسف عليه السلام عاش مائة وعشرين عاما * شعيب عليه السلام عاش مائة وأربعين عاما موسى عليه السلام عاش مائة وعشرين عاما وكذلك هرون عليه السلام وكذلك يوشع عليه السلام لقمان عاش خمسمائة وستين عاما المستوعر بن زيد عاش ثلثمائة وثلاثين عاما معد يكرب الحميري عاش مائة وخمسين عاما عامر بن الظرب عاش ثلثمائة عام وكذلك اكتم بن صيفي وكان من حكماء العرب وادرك الاسلام واختلف في اسلامه قيس بن ساعدة الايادي عاش ستمائة عام وكان من عقلاء العرب وشعرائهم وهو أول من أقر منهم بالبعث وأول من قال في الخطبة أما بعد دريد بن الصمة عاش دهرا طويلا حتى سقط حاجباه على عينيه ولم يسلم وشهد حنينا عبيد الجرهمي عاش مائة وعشرين سنة معاذ بن مسلم عاش مائة وخمسين عاما صحب بني مروان وفيه يقول الشاعر

قل لمعاذ اذا مررت به * قد ضج من طول عمرك الابد

رجعنا لما نحن بصدده من أخبار الانبياء * يونس عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى أهل نينوى قرية بمصر وهو ابن أربعين عاما فالتقمه الحوت فمكث في بطنه

وهو فرعون موسى وهو عات وكل عات فرعون والعتاة الفراعنة انتهى وكان من جملة الفراعنة الذين ملكوا مصر سبعة من الكهان لهم الاعمال العجيبة والامور الغريبة (الاول) اسمه صيلم وهو اول من اتخذ مقياسا لزيادة النيل وعمل بركة من نحاس وعليها عقابان ذكر وانثى وفيها افاليل من الماء فاذا كان اول شهور يزيد فيه النيل اجتمعت الكهنة وتكلموا بكلام فيصفر احد العقابين فان كان الذكر كان النيل

ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام وقيل أربعين يوما (شعياء عليه السلام) من أنصنا بعثه الله تعالى الى بنى اسرائيل وهو الذى بشر بعيسى و بمحمد صلى الله عليه وسلم أرمياء عليه السلام نبى بعثه الله الى بنى اسرائيل فكذبوه فأرسل لهم بختنصر نخرب بيت المقدس وأحرق التوراة وقتل من بنى اسرائيل سبعين ألفا وأسر سبعين ألف غلام وذهب بهم الى بابل وفيهم دانيال وحزقيل النبى عليهما السلام وسبعة آلاف من آل داود عليه السلام (عزير عليه السلام) بن شريق عليه السلام أماته الله وهو ابن أربعين سنة فأماته مائة عام ثم بعثه وهو ابن مائة وأربعين سنة وقيل ابن مائة وعشرين سنة وأحيا حماره * (دانيال عليه السلام) نبى مرسل بعثه الله الى بنى اسرائيل وهو ممن آتاه الله الحكمة والنبوة وألقاه بختنصر فى أتون الحمام فلم يحترق وبه أنقذ الله بنى اسرائيل من أرض بابل وقبره بالسويس * (زكرياء عليه السلام) بعثه الله الى بنى اسرائيل فقتلوه وكان نجارا * يحيى عليه السلام روى أنه كان نجارا وفهم التوراة وهو ابن ثلاث سنين أو سبع وقتل بدمشق واسم المرأة التى قتلته أرميل وأنها قتلت سبعين نبيا آخرهم (يحيى عليه الصلاة والسلام) قال سعيد بن المسيب لما دخل بختنصر دمشق رأى دم يحيى عليه السلام يفور فقتل عليه سبعة وخمسين ألفا وقد بعث الله بين موسى وعيسى ألف نبى من بنى اسرائيل * (عيسى عليه السلام) نبى مرسل بعثه الله على رأس ثلاثين سنة من عمره فكذبوه فرفعه الله الى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وأنزل عليه الانجيل باللغة السريانية وهو كلمة الله وأمه مريم بنت عمران وهو من أولى العزم المرسلين وأحيا الله له سام بن نوح عليه السلام بعد أربعة آلاف سنة قال كعب بعث الله بعد عيسى ابن مريم رسولين من الحواريين من مدينة أنطاكية حبيب النجار وهو ثالث الرسل وقبره بانطاكية وشمعون ومن زمن هبوط آدم عليه السلام من الجنة الى رفع عيسى عليه السلام خمسة آلاف وخمسمائة وخمسون سنة وكانت الفترة التى لم يبعث فيها رسول أربعمائة وأربعا وثلاثين سنة (فائدة) لا بأس بذكرها وهو ان الصفى الحلى صحف اسم عيسى فقال

سألت الحب ما اسمك وهو ظبى * من العرب الكرام فقال عيسى
فقلت له انتسبت لأى قوم * تكون من الكرام فقال عيسى عبسى
فقلت وما صنيعك فى البوادى * لتحصيل الطعام فقال عيسى عشى
فقلت وما أنيسك فى الفيافى * بأثناء الظلام فقال عيسى عيسى
فقلت وعم تسأل كل غاد * يمر على الدوام فقال عيسى عنسى
فقلت ولم عصيت نصيح حب * دعاك الى المقام فقال عيسى عشى
فقلت لقد سلبت القلب منى * بلحظك والقوام فقال عيسى عنسى

عاليا وان كان الانثى كان النيل ناقصا (الكاهن الثانى) اسمه اعشامش من اعماله العجيبة انه عمل ميزانا فى هيكل الشمس وكتب على الكفة الاولى حقا وعلى الثانية باطلا وعمل تحتها فصوصا فاذا حضر الظالم والمظلوم اخذ فصين وسمى عليهما ما يريد وجعل كل فص منهما فى كفة فتثقل كفة المظلوم وترتفع كفة الظالم (الكاهن الثالث) عمل مرآة من المعادن ينظر فيها الاقاليم السبعة فيعرف ما أخصب منها وما

الاسم
نسبة الى عبس
من يجمع العشب
العيس الابل
العنس المرأة

العسن الطول

فقلت عساك تسمح لى بوصل * أبادر التمام فقال عيسى عسنى
فقلت وما الذى بدعوك حتى * تجافى بالكلام فقال عيسى عبتنى
فقلت له صدقت وأى شئ * تقول على النظام فقال عيسى غبتنى
فقلت بمن أعيش وأنت سؤلى * وتبعد بالغرام فقال عيسى عشى

وذيله الشهاب الحجازى بما أخل به الصفى الحلى من الالفاظ المصحفة فقال

فقلت أراك ياسؤلى طروبا * لانشاد النظام فقال عيسى غنيتنى
فقلت أراك حيرانا ذهولا * فانسأل هديت فقال عيسى عنيتنى
فقلت من الهوى حملت ثقلا * بما حملتنيه فقال عيسى عييتنى
فقلت ولا أريد سواك فاعطف * على فقرى اليك فقال عيسى غنيتنى
فقلت أراك ذا نظر لخدود * تثنت بالقوام فقال عيسى عبثتنى
فقلت فنيت فى حبك فارحم * وداوى ذا السقام فقال عيسى عنيتنى
فقلت معاتبا فاجر خدا * لماذا الاحمرار فقال عيسى عتبتنى
فقلت ملاطفا من أى شئ * تمايل ذا القوام فقال عيسى عنتنى

أصله عسى من العيب من الغيبة من العيشة من الغناء عن بيى من الاعياء من الغنا ضد الفقر من العبث من العناية من العتاب عن ثنى

(فائدة) أوّل من تكلم بالتصحيف فى الاسلام الامام على رضى الله عنه من ذلك قوله كل عنب يغطيه الكرم الاعنب الذنب معناه كل عيب يغطيه الكرم الاعيب الدين ومنه نجم عشق يحيى معناه بحم عسق نجنى رحمنا الما نحن بصدده (لاحقة) فى ذكر جماعة من الانبياء عليهم الصلاة والسلام (دراوست الفارسى عليه السلام هونبى وقيل ولى من عباد الله الصالحين وهو من أهل فلسطين بعثه الله الى قوم يعبدون الاصنام فدعاهم الى الله سبعين مرة (شمويل وخرقال وشمعون وجيعون من أنبياء بنى اسرائيل خالد بن سنان العبسى كان فى الفترة عليه السلام وله

شهيد على أحمد أنه * رسول من الله بارئ النسم
فلومد عمرى الى عمره * لكنت وزيراله وابن عم

محمد رسول الله وقد تقدم الكلام على بعثته ومقامه بمكة وهجرته ولما استقر عليه أفضل الصلاة والسلام بالمدينة المنورة واجتمع عليه أصحابه وقاموا بنصرته وصارت المدينة لهم دار اسلام شرع الله له جهاد الاعداء فكان مقامه صلى الله عليه وسلم بالمدينة الى حين وفاته عشر سنوات وفى سنة ست من الهجرة كاتب النبى صلى الله عليه وسلم المقوقس ودعاه الى الاسلام وكان الرسول اليه حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه ذكر البيضاوى فى تفسيره فى أول سورة الممتحنة فى قوله عزوجل يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوّى وعدوّكم أولياء نزلت فى حاطب المذكور فانه لما علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يغزو أهل مكة كتب اليهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد كم فخذوا حذركم وأرسله مع سارة مولاة

أجدب وما حدث من الحوادث وعمل فى وسط المدينة صورة امرأة جالسة فى حجرها صبى كانها ترضعه فان امرأة أصابها وجع فى جسمها مسحت ذلك الموضع من جسد تلك الصورة فتبرأ من ساعتها (الكاهن الرابع) عمل شجرة أغصانها من حديد

بنى عبد المطلب فنزل جبريل عليه السلام وأخبره بذلك فبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا
روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها
فان أبت فاضربوا عنقها فادركوها ثمت فجحدت فسل على عليها السيف فاخرجته
من عقيصتها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال له ما حملك على
هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت وما غششتك منذ نصحتك ولكنى
كنت امرأ ملصقا فى قريش وليس لى فيهم من يحمى أهلى فاردت ان آخذ عندهم
يدا وقد علمت ان كتابى لا يغنى عنهم شيأ فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعذره رجعنا الى ما نحن بصدده فلما انتهى حاطب الى الاسكندرية وجد
المقوقس فى مجلس مشرف على البحر فلما حاذا مجلسه أشار بكتاب النبى صلى الله
عليه وسلم بين أصبعيه فامر المقوقس بحمل حاطب فلما وصل اليه ناوله كتاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فضمه الى صدره وقال هذا زمان يخرج فيه النبى صلى الله
عليه وسلم الذى نجد نعته ووصفه فى كتاب الله وانا لنجد صفته أنه لا يجمع بين أختين
فى زواج وأنه لا يقبل الصدقة ويقبل الهدية وأن جلساءه المساكين وان خاتم
النبوة بين كتفيه ثم قرأ الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عند محمد
رسول الله الى المقوقس عظيم القبط سلام الله على من اتبع الهدى أما بعد
فانى أدعوك بدعاية الاسلام فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين يا أهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا
بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا أشهدوا بانا مسلمون فلما أتم المقوقس
قراءة الكتاب أخذه فجعله فى حق من عاج وختم عليه وارسل ليلا أخذ حاطبا
عنده وليس عنده أحد الا ترجمانه فقال له ألا تخبرنى عن أمور أسألك عنها فانى
أعلم ان صاحبك قد تخيرك حين بعثك فقال حاطب لا تسألنى عن شئ الا صدقتك
فيه فقال الام يدعو محمد فقال ان تعبد الله ولا تشرك به شيأ وتخلع ما سواه ويامر
بالصلاة فقال كم تصلون فقال خمس صلوات فى اليوم والليلة وصيام رمضان وحج
البيت الحرام والوفاء بالعهد وينهى عن أكل الميتة والدم قال من اتباعه قال
الفتيان من قومه وغيرهم قال وهل بعثك قومه قال نعم قال صفه لى بصفته قال
فوصفه بصفة من صفاته قال بقى أشياء لا أراك ذكرتها فى عينيه حمرة قلما تفارقه
وبين كتفيه خاتم النبوة يركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزى بالتمرات والكسر
لا يبالى من لاقى من عم ولا ابن عم قلت نعم هذه صفاته قال كنت أعلم أن نبيا قد بقى
وكنت أظنه يخرج من الشام وهناك كانت تخرج الانبياء من قبله فاراه قد خرج
فى العرب فى أرض جهد وبؤس والقبط لا تطاوعنى فارجع الى صاحبك ثم دعا

بخطاطيف اذا قرب
منها الظالم خطفته
وتعلقت به فلا تفارقه
حتى يقر بظلمه وعمل
صنما من كدان أسود
وسماه عبد زحل
بتحاكمون اليه فمن
زاغ عن الحق ثبت
مكانه ولم يقدر على
الخروج حتى ينتصف
من نفسه ولو أقام سنين
(الكاهن الخامس)
عمل شجرة من نحاس
فكل وحش وصل
اليها لم يستطع الحركة
حتى يؤخذ فشبعت
الناس لحما فى أيامه
وعمل على باب المدينة
صنمين صنما عن يمين
الباب وصنما عن
يساره فاذا دخل أحد

بكاتب يكتب بالعربية فكتب أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو اليه وقد علمت ان نبيا قد بقي وكنت أظنه يخرج من الشام وقد أكرمت رسولك وبعثت اليك جاريتين لهما مكانة فى القبط وهى مارية وأختها شيرين وخصيا يقال له مابور وبغلة وحمارا وعسلا وقباطى من قباطى مصر وكان الذى بعثه المقوقس مع الهدية شخصا اسمه جبير القبطى فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم الهدية فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدية فلما نظر الى مارية وأختها أعجبتاه وكره أن يجمع بينهما فقال اللهم اختر لنبيك فاختار الله له مارية فاسلمت وآمنت ومكثت أختها ساعة وأسلمت فوهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحمد بن سلمة الانصارى رضى الله عنه ولم تزل مصر فى يد المقوقس مدة حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وايام خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه وصدرا من خلافة عمر رضى الله عنه وفتحت مصر فى سنة تسع عشرة من الهجرة روى أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما قدم الجابية خلا به عمرو بن العاص وقال يا أمير المؤمنين أتاذن لى بالمسير الى مصر فانك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم وهى أكثر أهل الارض أموالا وأعجزهم حربا وقتالا فتخوف عمر رضى الله عنه على المسلمين فلم يزل يعظم أمرها عنده حتى ركن لذلك عمر رضى الله عنه فعقد له على أربعة آلاف رجل وقال له سر وامض واستعن بالله واستنصره فسار عمرو حتى نزل العريش وهو من حدود أرض مصر ثم سار حتى وصل قريبا من مصر فقاتله المقوقس قتالا شديدا فكتب عمرو بن العاص الى سيدنا عمر بن الخطاب يستنجده فأمده باثنى عشر ألفا منهم أربعة قوموا بأربعة آلاف وهم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت وسلمة بن مخلد فوصلوا اليه وأحاطوا بالحصن فنصب عمرو رضى الله عنه الفسطاط وهو البيت الذى من الشعر فاقاموا على باب الحصن سبعة أشهر فلما رأى المقوقس ذلك نزل فى سفينة كانت بباب الحصن وهو قصر الشمع ومعه أهل القوة فلحق بالجزيرة وهى الروضة وسأل فى الصلح فبعث اليه عمرو بن العاص رضى الله عنه عبادة بن الصامت والمقداد بن الاسود فصالحه المقوقس عن القبط والروم وجعل الخيار له فى الصلح الى أن يوافى كتاب ملكهم بما يكون وأن القبط يعطون عن كل بالغ من الرجال دينارين فكان عدتهم يوم الصلح ستة آلاف نفس وان عليهم الضيافة للواردين ثلاثة أيام وذلك فى سنة ثمان عشرة من الهجرة ثم ان المقوقس توجه الى الاسكندرية وفى سنة تسع عشرة من الهجرة هلك ملك الروم وفتحت الاسكندرية وقت الظهر يوم الجمعة مستهل محرم سنة عشرين وذلك بعد ان حوصرت أربعة عشر شهرا وقتل من المسلمين ثلاثة عشر رجلا والله تعالى أعلم

فان كان من أهل الخير ضحك الصنم الذى عن يمين الباب وان كان من أهل الشر بكى الصنم الذى عن يسار الباب (الكاهن السادس) عمل درهما اذا ابتاع صاحبه شيئا اشترط على البائع ان يزن له بزنته من النوع الذى يشتريه فاذا وضع فى الميزان ووضع فى مقابلته كل ما وجد من الصنف الذى يريد شراءه لا يعدله ووجد هذا الدرهم فى كنوز مصر فى أيام بنى أمية (الكاهن السابع) كان يعمل أعمالا عجيبة من جملتها

* (الباب الاول فى خلافة الخلفاء الاربعة ومن ولى بعدهم وهو الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه) *

روى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان لحوضى أربعة أركان ركن منه فى يد أبى بكر والثانى فى يد عمر والثالث فى يد عثمان والرابع فى يد على فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر ومن أحب عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر ومن أحب عثمان وأبغض عليا لم يسقه عثمان ومن أحب عليا وأبغض عثمان لم يسقه على ومن أحسن القول فى أبى بكر فقد أقام الدين ومن أحسن القول فى عمر فقد أوضح السبيل ومن أحسن القول فى عثمان فقد استنار بنور رب العالمين ومن أحسن القول فى على فقد استمسك بالعروة الوثقى ومن أحسن القول فى أصحابى فهو مؤمن ومن أساء القول فى أصحابى فهو منافق ويروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم متوكئا على أبى بكر وعمر وهو يقول هكذا نحيا وهكذا نموت وهكذا ندخل الجنة روى محمد بن آدم قال رأيت بمكة أسقفا يطوف بالكعبة فقلت له ما الذى أخرجك عن دين آبائك فقال تبدلت خيرا منه فقلت وكيف ذلك قال ركبت البحر فلما توسطناه انكسرت المركب فلم تزل الامواج تدافعنى حتى رمتنى فى جزيرة من جزائر البحر فيها أشجار كثيرة ولها ثمر أحلى من الشهد وألين من الزبد وفيها نهر عذب فحمدت الله على ذلك وقلت آكل من الشجر وأشرب من هذا النهر حتى يقضى الله بامره فلما ذهب النهار خفت على نفسى من الوحش فطلعت على شجرة فنمت على غصن من أغصانها فلما كان فى جوف الليل واذا دابة على وجه الماء تسبح الله تعالى وتقول لا اله الا الله العزيز الجبار محمد رسول الله النبى المختار أبو بكر الصديق صاحبه فى الغار عمر الفاروق فاتح الامصار عثمان القتيل فى الدار على سيف الله على الكفار فعلى مبغضهم لعنة العزيز الجبار ومأواهم النار وبئس القرار ولم تزل تكرر هذه الكلمات الى الفجر فلما طلع الفجر قالت لا اله الا الله الصادق الوعد والوعيد محمد رسول الله الهادى الرشيد أبو بكر الموفق السديد عمر بن الخطاب سور من حديد عثمان الفضيل الشهيد على بن أبى طالب ذو البأس الشديد فعلى مبغضهم لعنة الملك المجيد ثم أقبلت الى البر فاذا رأسها رأس نعامة ووجهها وجه انسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب سمكة فخشيت على نفسى الهلكة ثم هربت فنطقت بلسان فصيح وقالت يا هذا قف والا تهلك فوقفت فقالت ما دينك فقلت دين النصرانية فقالت ويلك ارجع الى دين الحنيفية فقد حللت بفناء قوم من مسلمى الجن لا ينجو منهم الا من كان مسلما فقلت وكيف الاسلام فقالت تشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقلتها

أنه كان يجلس فى السحاب فى صورة انسان عظيم فاقام مدة ثم غاب فاقاموا بلا ملك الى أن رأوه فى صورة الشمس فى برج الحمل فاعلمهم انه لا يعود اليهم وان يولوا فلانا بعده (وسبب تولية الوليد) بن مصعب الذى هو فرعون موسى على مصر كما أخرجه ابن عبد الحكم ان ملك مصر لما توفى تنازع الملك جماعة من أبناء الملوك ولم يكن للملك عهد لاحد ولما اشتد الامر بينهم تداعوا الى الصلح فاصطلحوا على أن يحكم بينهم

فقالت انهم اسلاملك بالترحم على أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم فقلت ومن أتاكم بذلك قالت قوم منا حضروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعوه يقول اذا كان يوم القيامة تأتي الجنة فتنادي بلسان طلق فصيح الهى قد وعدتنى ان تشيد أركانى فيقول الجليل جل جلاله قد شيدت أركانك بابى بكر وعمر وعثمان وعلى وزينتك بالحسن والحسين ثم قالت الدابة أتريد المقام ههنا أم الرجوع الى أهلك فقلت الرجوع الى أهلى فقالت اصبر حتى تمر مركب فبينما نحن كذلك واذا بمركب أقبلت تجرى فاومأت اليهم فدفعوا الى زورقا فنزلت فيه ثم جئت اليهم فوجدت المركب فيها اثنا عشر ألف رجل كلهم نصارى فقالوا ما الذى جاء بك الى ههنا فقصصت عليهم قصتى فتعجبوا كلهم وأسلموا عن آخرهم ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومما يحكى) عن عبد الواحد بن زيد قال كنت فى مركب فطرحتنا الريح الى جزيرة فاذا فيها رجل يعبد صنما فقلت له يا رجل من تعبد فأومأ الى الصنم فقلت ان معنا فى المركب من يسوى مثل هذا ليس هذا باله يعبد قال فأنتم من تعبدون قلنا الله قال وما الله قلنا الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وفى الاحياء والاموات قضاؤه قال كيف علمتم بذلك قلنا وجه الينا هذا الملك رسولا كريما فاخبرنا بذلك قال فما فعل بالرسول قلنا لما أدى الرسالة قبضه الله اليه قال هل ترك عندكم علامة قلنا ترك عندنا كتاب الملك قال أرونى كتاب الملك ينبغى ان تكون كتب الملوك حسانا فاتيناه بالمصحف فقال لا أعرف هذا فقرأنا عليه سورة من القرآن فلم نزل نقرأ عليه وهو يبكى حتى ختمنا السورة فقال ينبغى لصاحب هذا الكلام ان لا يعصى ثم أسلم وحملناه معنا وعلمناه شعائر الاسلام وسورا من القرآن وكنا حين جن الليل صلينا العشاء وأخذنا مضاجعنا فقال لنا يا قوم هذا الاله الذى دللتمونى عليه اذا جن الليل ينام قلنا يا عبد الله هو حى قيوم لا ينام قال بئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم لا ينام فاعجبنا كلامه فلما قدمنا عبادان قلت لاصحابى هذا قريب عهد بالاسلام فجمعنا له دراهم وأردنا اعطاءها له فقال ما هذا فقلنا نفقة تنفقها فقال لا اله الا الله دللتمونى على طريق ما سلكتموها أنا كنت فى جزائر البحر أعبد صنما من دونه ولم يضيعنى فيضيعنى وأنا أعرفه فلما كان فى بعض الايام قيل لى انه فى الموت فاتيته فقلت هل لك من حاجة فقال قضى حوائجى من جاءكم الى الجزيرة قال عبد الواحد فغلبتنى عينى فنمت عنده فرأيت مقابر عبادان روضة وفيها قبة وفى القبة سرير عليه جارية لم ير أحسن منها فقالت سألتك بالله الا ما عجلت به فقد اشتد شوقى اليه فانتبهت فاذا به قد فارق الدنيا فقمت اليه فغسلته وكفنته وصليت عليه وواريته فلما جن الليل نمت فرأيته فى القبة مع الجارية وهو يقرأ والملائكة يدخلون عليهم من

أوّل من يطالع من سفح الجبل فطلع فرعون بين عديلى نطرون على حمار أقبل بهما ليبيعهما فاستوقفوه وقالوا انا جعلناك حكما بيننا فيما تشاجرنا فيه من الملك وآتوه مواثيقهم على الرضا فلما استوثق منهم قال انى رأيت ان أملك نفسى عليكم فهو أذهب لضغائنكم واجمع لاموركم والامر من بعد اليكم فامروه عليهم وأقعدوه فى دار الملك بمنف فارسل الى كل صاحب أمر رجلا منهم ذوعده ومناداه

كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار

* (خلافة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه) *

اسمه عبد الله بن أبي قحافة واسم أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعيد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب التيمي القرشي يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وأمه سلمى بنت صخر بن عامر بن سعد بن تيم بن مرة ماتت مسلمة قيل كان اسم أبي بكر رضي الله عنه عبد رب الكعبة فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله وانما سمي عتيقا لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أراد أن ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى أبي بكر وهو أول الرجال اسلاما شهد المشاهد كلها وكان مولده بمكة بعد الفيل بسنتين وأربعة أشهر وأيام وكان أبيض اللون خفيف العارضين بويع له في شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة فجلس على المنبر وخطب الناس فقال أيها الناس قد وليت أمركم ولست بخيركم انما أنا متبع ولست بمبتدع فان أحسنت فاعينوني وان زغت فقوموني فان الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي على أريح عليه حق الله ان شاء الله والقوي فيكم عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه ان شاء الله لا يدع الجهاد قوم في سبيل الله الا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم الا عمهم الله بالبلاء أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فان عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله ثم قام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فحمد الله واثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس كنت قلت لكم مقالة ما كانت في كتاب الله عز وجل ولا كانت عهدا عهده رسول الله صلى الله عليه وسلم الينا ولا كانت عن رأي ان الله عز وجل قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثاني اثنين في الغار فقوموا بنا فبايعوه فقام الناس الى مبايعته عامة ولما بايع علي رضي الله عنه أبا بكر اعتنقا وتباكيا وسر المسلمون بذلك فقال أبو سفيان بن حرب أرضيتم يا بني عبد مناف ان تليكم تيم وان يلي أمركم ابن أبي قحافة والله لئن شئتم لاملأنها عليكم خيلا ورجالا فقال علي رضي الله عنه يا أبا سفيان ان المسلمين قد نصح بعضهم لبعض ولولا ان رأينا أبا بكر أهلا لها ما بايعناه * (نبذة) * في فضائله رضي الله عنه منها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر في مرض موته بتجهيز أسامة بن زيد في سبعمائة بطل لغزو الروم وانه أمير عسكره وذلك في يوم الاثنين لاربع بقين من شهر صفر سنة احدى عشرة وقال له سر الى موضع مقتل أبيك فاوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فاغد صباحا على أهل أبنى وحرق عليهم وأسرع السير فان ظفرك الله عليهم فاقلل اللبث فيهم وخذ معك الادلاء وقدم العيون والطلائع فلما كان يوم الاثنين بدئ

ملكه على ملك صاحبه ليلة يقتل فيها كل رجل منهم صاحبه ففعلوا ودان له أولئك بالربوبية فملكهم نحوا من خمسمائة سنة وقيل أربعمائة لم يصدع له رأس وكان ملكه ما بين مصر الى افريقية من بلاد المغرب (وقيل كان عطارا) باصبهان فافلس وركبته الديون فخرج هاربا الى الشام فلم يستقم حاله فجاء الى مصر فرأى ملكها مشتغلا بلهوه فتوصل اليه بحيلة وخرج الى المقابر وسمى نفسه عامل الاموات

رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوجع فحم وصدع فلما كان يوم الخميس عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء بيده لاسامة ثم قال أغز بالله وفى سبيل الله فقاتل من كفر بالله فخرج بلوائه معقودا فدفعه الى بريدة بن الخطيب الاسلمى فتكلم قوم وقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وقد عصب رأسه بعصابة وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس مامقالة بلغتنى عن بعضكم فى تأميرى أسامة ولئن طعنتم فى امرتى أسامة فلقد طعنتم فى امرتى أباه من قبله وايم الله ان كان أبوه لخليقا للامارة وان ابنه من بعده لخليق للامارة فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم ثم نزل فدخل بيته وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول أنفذوا بعث أسامة فلما كان يوم الاحد اشتد الوجع برسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل أسامة على النبى صلى الله عليه وسلم وهو مغمور فطاطأ أسامة يقبله والنبى صلى الله عليه وسلم لايتكلم فجعل يرفع يديه الى السماء ويضعهما على أسامة وعاد أسامة الى معسكره فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فى شهر ربيع الاول بلاخلاف حين زاغت الشمس وقيل حين اشتد الضحى من يوم الاثنين فى مثل الوقت الذى دخل فيه المدينة واختلفوا فى تعيين ذلك اليوم من الشهر فقيل كان أوله وقيل كان ثانيه وقيل ثانى عشره وقيل ثالث عشره وقيل خامس عشره والمشهور انه كان ثانى عشر شهر ربيع الاول وكان ابتداء مرضه صلى الله عليه وسلم فى أواخر شهر صفر وكان مدة مرضه ثلاثة عشر يوما فى المشهور وقيل أربعة عشر يوما واختلفوا فى وقت دفنه صلى الله عليه وسلم فقيل دفن من ساعته وقيل بعد وقيل من ليلة الثلاثاء وقيل يوم الثلاثاء وقيل ليلة الاربعاء ثم ان عسكر أسامة دخل المدينة ودخل بريدة باللواء حتى أتى به باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغزوه فلما ولى أبو بكر الخلافة أمر الناس بما كان أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الانصار لعمر بن الخطاب رضى الله عنه قل لابى بكر يرجع بالمسلمين فان أبى أن لايفعل فليول علينا رجلا أقدم سنا من أسامة فبلغ أسامة ذلك فارسل الى عمر بن الخطاب يسأله فى عرض ذلك على أبى بكر رضى الله عنه وهل يأذن لى أن أرجع بالناس فان وجوه الناس معنا ونخاف أن اثقال المسلمين يخطفها المشركون فأتى عمر أبا بكر رضى الله عنه فذكر له ذلك فقال أبو بكر رضى الله عنه لو خطفتنى الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فعند ذلك رجع عمر الى أسامة والانصار فذكر لهم مقالة أبى بكر رضى الله عنه فقام الانصار وقالوا لعمر لابد أن تراجع أبا بكر فى ذلك فراجعه عمر رضى الله عنه فقام أبو بكر فأخذ بلحية عمر وقال ثكلتك أمك

وصار يأخذ من كل ميت جعلا حتى بلغ الملك خبره فاحضره وكلمه فأعجبه عقله ومعرفته فاستوزره ثم قبل الوزير فصار له فى الناس سيرة حسنة وكان عدلا شجاعا يقضى بالحق ولو على نفسه فاحبه الناس لكثرة عدله فتوفى الملك فولوه عليهم فعاش زمنا طويلا حتى مات منهم ثلاثة قرون وهو باق فبطر وتجبر وبغى فقال أنا ربكم الاعلى فاستخف قومه فاطاعوه وقال موسى يارب ان فرعون عبدك مائتى سنة فكيف أمهلته

وعدمتك يا ابن الخطاب استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة وأمره وتأمرني أن أنزعه قال فعند ذلك رجع عمر رضي الله عنه الى الناس وأخبرهم بالجواب فتجهزوا وخرجوا وخرج أبو بكر فشيعهم وهو ماش وأسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر فقال أسامة لابي بكر يا خليفة رسول الله والله لتركبن أو لانزلن فقال أبو بكر والله لا أركب والله لا تنزل والله ما ضرني ان أغبر قدمي ساعة في سبيل الله وعاد أبو بكر وسافر أسامة بالجيش ولم يضره حداثة سنه وكان لا يمر بقبيلة تريد الارتداد الا وقالوا لولا ان لهؤلاء قوة ما خرج هذا من عندهم وان أسامة وصل الى أهل ابنى في عشرين ليلة فشن عليهم الغارة وسبى حريمهم وحرق منازلهم وحرثهم وأجال الخيل في عرصاتهم وأصاب الغنائم منهم وكان أسامة على فرس أبيه فقتل قاتل أبيه في الغارة ووصل الى المدينة سالما وكان سن أسامة سبع عشرة سنة (وذكرت) على سبيل الاستطراد بعض لطائف لاجل المناسبة رأيت ذكرها فيه (منها) ما حكاه المسعودي في شرح المقامات ان المهدي لما دخل البصرة رأى اياس بن معاوية وهو صبي وخلفه أربعمائة من العلماء وأرباب الطيالسة واياس يقدمهم فقال المهدي أف لهذه العثانين أما كان فيهم شيخ يقدمهم غير هذا الحدث ثم ان المهدي التفت الى اياس وقال له كم سنك يا فتى قال سني أطال الله بقاء أمير المؤمنين سن أسامة بن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا وكان في الجيش من الصحابة من هو أقدم سنا من أسامة فقال له تقدم بارك الله فيك (وحكى) أن يحيى بن أكثم لما ولاه المأمون قضاء البصرة وكان سنه عشرين سنة فاستصغروه فقال أحدهم كم سن القاضي فقال أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذي وجه به رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على مكة يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجه به رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على اليمن وأكبر من كعب بن سوار الذي وجهه عمر قاضيا على البصرة فجعل جوابه احتجاجا (وحكى) ان المأمون لما حضر اليه يحيى بن أكثم المذكور أطال النظر اليه وكان يحيى بن أكثم دميم الخلقة فقال له يا أمير المؤمنين انظر الى خلقي ولا تنظر الى خلقي فقال له المأمون هلك هالك عن أبوين وعن أختين ولم تقسم التركة حتى ماتت احدى الاختين عمن ذكر في المسئلة فقال يا أمير المؤمنين الميت الاول ذكر أم انثى فعرف المأمون فضله وقال بفرقك بين الذكر والانثى قد سهل عليك الجواب وقد ذكر انه لما استخلف عمر بن عبد العزيز قدم عليه وفود أهل كل بلد فقدم وفد أهل الحجاز فتقدم منهم غلام للكلام فقال عمر يا غلام ليتقدم من هو أسن منك فقال الغلام يا أمير المؤمنين انما المرء باصغريه قلبه ولسانه فاذا منح الله عبده لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد أجاد له الاختيار ولو

فأوحى الله تعالى اليه انه عمر بلادي وأحسن الى عبادي ومن جملة احسانه أن هامان وزيره لما ابتدأ حفر خليج سردوس أتاه أهل قرية يسألونه أن يخرج الخليج اليهم تحت قريتهم ويعطونه مالا فاجتمع له من ذلك مائة ألف دينار ولا يعلم بمصر خليج أكثر عطوفا منه لما فعل هامان بحفره ولما أخبر فرعون بما أخذه من الاموال قال له ويحك ينبغي للسيد أن يعطف على عبيده ويفيض عليهم ولا يرغب فيما بايديهم رد على أهل

كان الامر بالسن لكان هنا من هو احق بمجلسك فقال عمر صدقت فهذا هو السحر الحلال فقال يا امير المؤمنين نحن وفد التهنئة لم يكن يقدمنا اليك رغبة ولا رهبة الا انا قد امنا في ايامك ما خفنا وادركنا ما طلبنا فسال عمر عن سن الغلام فقيل له عشرون سنة (وقد روى) ان محمد بن كعب القرظى كان حاضرا فنظر الى وجه عمر وقد تهلل عند ثناء الغلام عليه فقال يا امير المؤمنين لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك فان قوما خدعهم الثناء وغرهم الشكر فزلت أقدامهم فهووا في النار أعاذك الله أن تكون منهم والحقك بسالف هذه الامة فبكى عمر حتى خيف عليه وقال اللهم لا تخلنا من واعظ وقد سمعت من بعض الافاضل ان أبا عبد الله المازرى وهو غلام لم يبلغ الحلم جلس نهارا في شهر رمضان لتدريس العلم الشريف وخلفه ما ينوف عن مائة رجل من طلبة العلم الشريف يستفيدون منه ما يلقيه لهم من العلوم فقال لهم اصبروا حتى أتغدى فقال له شخص من الحاضرين تكون شيخ هذه الطائفة وتتغدى نهارا في رمضان فاجابه بان قال له يا طويل الآذان ما وجب على صوم فخجل الرجل (وحكى) انه كان للعتابى غلام بديع الحسن حسن الصورة وكان مشغوفا بحبه فكتب اليه يقول قد علمت أيدك الله ميلى اليك واستمالة قلبى عليك وأنت تؤثر بعدى وتكره قصدى وأنا أشكو أحوالى كلها اليك وأستعين بك عليك فاجابه الغلام يقول شكواك تقتضى انصافك وايثار صيانتنا تمنعنى اسعافك ومكروه مع صيانتنا أولى من الاجتماع على فضيحتنا فان وجدت أيدك الله فرصة ليس معها انتهاك الستر وقبح الذكر صرت اليك ومع هذا لا يفى بلوغ الشهوات باسقاط المروآت ولا خير في شئ تذهب لذته وتبقى تبعته فاختر أيدك الله أحد الامرين اما طاعة الله اسخطك أو سخطه لطاعتك قال بل طاعة الله أحب وأوجب والرجوع اليه أحسن وأقرب والله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقيل في المعنى

تفنى اللذاذة ممن نال لذتها * من الحرام ويبقى الاثم والعار
تبقى عواقب سوء من مغبتها * لا خير في لذة من بعدها نار

وقال ابراهيم بن محمد المهلبى الواسطى

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعنى * منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فيقنعنى * منه الفكاهة والتحديث والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم * وليس لى في حرام منهم وطر
كذلك الحب لا اتيان معصية * لا خير في لذة من بعدها سقر

وحكى ان شخصا نظر الى ولد أمرد جميل الصورة فكتب اليه يقول

ماذا تقول اذا اجتمعنا في غد * وأقول للرحمن هذا قاتلى

كل قرية ما أخذت منهم فرده كله على أهله وكان خراج مصر في زمنه في كل سنة اثنين وسبعين ألف ألف دينار يأخذ فرعون من ذلك الربع خالصا لنفسه يصنع فيه ما يريد والربع الثانى لجنده وما يتقوى به على محاربه وجباية خراجه ودفع عدوه والربع الثالث في مصلحة الارض وما تحتاج اليه من جسور وخلج وقناطر والقوة المزارعين على زروعهم وعمارة أرضهم والربع الرابع يدفن في

فاجابه

فاجابه الولد بان قال أقول له يارب هذا طلب مني فعل السوء فاوافقته (وحكى)
أن رجلا خلا بولد أمرد فقيل له في ذلك فقال أردت ان أريه باب الفاعل
والمفعول فقيل له وما هذا المتحرك بينكما فقال حرف جاء لمعنى (وحكى) عن
على بن بسام البغدادى أنه قال كنت أتعشق غلاما لخالى ابن حمدون فنمت ليلة
عنده وقمت لادب عليه فلسعتنى عقرب فانتبه خالى فقال لى ما أتى بك ههنا فقلت
له قمت لابول قال صدقت فى است غلامى وأنشد يقول

وداري اذا نام سكانها * يقيم الحدود بها العقرب
اذا غفل الناس عن مالهم * فان عقاربها تضرب

وفى المعنى يقول

ولقد سريت مع الظلام لموعد * حصلته من غادر كذاب
فاذا على ظهر الطريق معدة * سوداء قد علمت أوان ذهابى
لابارك الرحمن فيها انها * دبابة دبت الى دباب

ومن عجيب أمر العقرب انها لاتضرب الميت ولا النائم حتى يتحرك شئ من بدنه
وربما لسعت الافعى فمات والى ذلك أشار عمارة اليمنى فقال

اذا لم يسالمك الزمان فحارب * وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب
ولا تحقرن كيدا ضعيفا فربما * تموت الافاعى من سموم العقارب
فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد * وخرب فار قبل ذا سد مارب
اذا كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من التضييع فى غير واجب
وبين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالعجائب

وفى ربيع الابرار أن أرض حمص لاتعيش بها العقرب وزعم أهلها ان ذلك
لطلسم وان طرحت فيها عقرب غريبة ماتت لوقتها وقد سمعت من شخص من
أهل حمص أنه رحل منها وسكن فى مصر وكان من جملة أمتعته التى اصطحبها معه
بساط ففرشه بالمنزل الذى سكن فيه بمصر فكلما دب عليه عقرب مات لوقته وهذا
عجيب (وروى) الحافظ أبو نعيم فى تاريخ أصبهان والمستغفرى فى الدعوات
والبيهقى فى الشعب عن على رضى الله عنه أنه قال لدغت النبى صلى الله عليه وسلم
عقرب وهو فى الصلاة فلما فرغ قال لعن الله العقرب لاتدع مصليا ولا غيره ولا
نبيا ولا غيره الا لدغته وتناول نعله فقتلها به ثم دعا بماء وملح فجعل يمسح عليها
ويقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين (وروى) عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال
جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله مالقيت من عقرب لدغتنى
البارحة قال أما انك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر
ماخلق لم تضرك ان شاء الله (حكاية) عن جابر قال كان بالمدينة رجل يكنى أبا

الارض فيؤخذ ربع مايصيب كل قرية من خراجها ليدفن ذلك فيها لنائبة تنزل أو حاجة تطرأ لاهل القرية وهذا الربع الذى يدفن فى كل قرية هو كنوز فرعون الذى يتحدث الناس انها ستظهر فيطلبها من يتتبع الكنوز وكان فرعون اذا أكمل الزرع فى كل سنة يرسل مع قائدين من قواده أردب قمح فيذهب أحدهما الى أعلى مصر والآخر الى أسفلها فيتأمل القائدان فى كل قرية فان وجد أحد القائدين موضعا

قوله مالقيت الخ هكذا فى النسخ التى بايدينا ولعل فيه سقطا والتقدير مالقيت مالقيت ولتحرر الرواية

مذكور يرقى من العقرب وينفع بها الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا مذكور ما رقيتك هذه فقال أبو مذكور شجنة قرنية ملحة بحر قفطا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بأس بها انها مواثيق أخذها سليمان بن داود على الهوام (عدنا الى ذكر الدب وما أدراك ما الدب) قال أبو نواس

اذا هجع النيام نخل عني * وعمن كان يصلح للدبيب
ألذ النيك ما كان اغتصابا * بمنع الحب أو منع الرقيب

(وقال الاشعرى)

كنت مثل النسيم عند دبيبي * سحرا نحو ردف حبيبي
فلهذا فتحت زهرة ورد * بقضيب عند المحبوب رطيب

وقد جمع ابن دانيال آلات الدب في بيت فقال

قل لمادب في الساعات الا * اقبوني باللائط الدباب
ولعمري قد كنت اقتحم الدب وآلاته معي في جراب
مثل درج وابرة وخيوط * وعقيد وبيضة وتراب

قال في القاموس دب يدب دبا ودبيبا مشى على هينة كالسقم في الجسد والبلاء في الثوب سرى وعقارب سرت عليه وأذته وهو دبوب ودبوب والديبوب الجامع بين الرجال والنساء والنمام والقواد (وحكى) أن رجلا حكى لبعض القضاة حاضران الجاحظ مر على مكتب فرأى غلاما حسنا فخاف لابد من تقبيله عشرا فلما استوفى عينه قال الغلام بيننا الحاكم فحضرا فادعى الغلام وأقر الخصم فقال القاضي ما حملك على فعلك فقال

تعلم العطف من خديه فانعطفا * وكان من دينه ان لايفي فوفا
دب العذار على ميدان وجنته * حتى اذا هم ان يسرى به وقفا
كانه كاتب عن المداد به * أراد يكتب لا ما فابتدا ألفا

فقال القاضي اتحبون ان احكم بينكما بحكم الله أو بحكم الناس فقال الصبي بحكم الله قال القاضي قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به قم قبله كما قبلك فغضب الغلام وقال لا أريد ذلك فانشد القاضي يقول

اذا كنت للتعنيق والبوس كارها * فلا تمش في الاسواق الا منقبا
ولا تخرج الاصداغ من تحت طرة * وتظهر منها فوق خدك عقربا
فتهتك مستورا وتتلف عاشقا * وتترك قاضي المسلمين معذبا

فانشد الغلام يقول

وقد كنت أرجو أن أرى العدل بيننا * فاعقبني بعد الرجاء قنوط

بأنه أراد أغفل بذره كتب الى فرعون بذلك وأعلمه باسم العامل على تلك الجهة فاذا بلغ فرعون ذلك أمر بضرب عنق ذلك العامل وأخذ ماله فربما رجع القائدان ولم يجدا موضعا للبذر الا ردب لتكامل العمارة واستظهار الزراع * ولما أراد الله هلاك فرعون خرج في طلب موسى عليه السلام وفي طلب بني اسرائيل وكان على مقدمة فرعون هامان في ألف ألف وستمائة ألف سوى القلب والجناحين ولم يخرج معه من عمره فوق

متى تفلح الدنيا وتفلح أهلها * اذا كان قاضى المسلمين يلوط

(حكاية لطيفة) وهى عشق صبى جارية فى مكتب فجعل نفسه عند الفقيه عريفا فترقب العريف غفلة الفقيه وكتب فى لوحها

ماذا تقولين فى صب أخى وله * أضحى بحبك بين الناس ولهانا
ولم يجد فرجا مما يكابده * الا رفقته الكتاب تبيانا

فكتبت تحته تقول

ان العريف اذا ما كان ذا وله * بجناوبه فقد صار ولهانا
أواصلنه على غيظ الوشاة فدع * لمن يكون علينا كيف ما كانا

فنظر الفقيه ذلك اللوح وقرأه وكتب تحته

صلى العريف ولا تخشين من أحد * ان العريف حزين القلب ولهانا
أما الفقيه فلا تخشين حرمته * لانه قد بلى بالعشق ألوانا

فبينما هم كذلك اذ دخل أبو الجارية فأخذ اللوح وقرأ ما فيه وكتب تحته يقول

والله والله لا فرقت بينكما * ولا أكون على ما فات ندمانا
أمّا الفقيه فلا والله ما نظرت * عيناى أعرص منه قط انسانا

(حكى) ان بعضهم رأى امرأة حسناء فى طاقة فاحبها ولازم المقام ببابها والمرور تحت طاقتها الى ان أعيا وقل صبره وحصل على الاياس منها فدق عليها الباب فخرجت الجارية اليه فدفع اليها صحفة وقال دعى سيدتك تبول فى هذه الصحفة فبالت فى الصحفة وقالت للجارية اتبعيه وانظرى ما يصنع فلم يزل الى ان دخل الى بعض الخرابات فوضع ايره فى ذلك البول وقال يا ميشوم اذا فاتك اللحم فاشرب المرق

* (ذكر وفاة سيدنا أبى بكر رضى الله عنه) *

عن ابن شهاب ان أبا بكر والحرث بن كلدة كانا يأكلان حريرة أهديت لابى بكر فقال الحرث ارفع يدك يا خليفة رسول الله والله ان فيها اسم سنة وأنا وأنت نموت فى يوم واحد عند انقضاء السنة فلا زالا عليلين حتى ماتا فى يوم واحد عند انقضاء السنة وقيل اغتسل فى يوم بارد فحم جسمه خمسة عشر يوما فقيل له أندعوا الطبيب فقال قد رآنى فقالوا فاى شئ قال فقال لهم قال انى فعال لما أريد وقيل سبب موته لما لدغته الحية فى الغار انتقض عليه السم ذكر ذلك ابن الاثير فى جامعه (فكانت خلافة أبى بكر) من بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين وثلاثة أشهر وتوفى ليلة الجمعة سابع جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وسنه ثلاث وستون سنة سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصى ان تغسله زوجته فغسلته ودفن بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم (روى) عن على بن أبى طالب رضى

الاربعين ولادون العشرين وكان فى عسكره ذلك اليوم سبعون ألف أدهم وقيل مائة ألف حصان أدهم فلما انتهى موسى ومن معه من بنى اسرائيل الى بحر القلزم وهو منتهى حد مصر من شرقيها المعروف الآن ببركة الغرندل فيما بين السويس والطور هاجت الرياح وتراكمت الامواج كالجبال فقال يوشع بن نون يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون من ورائنا والبحر أمامنا فقال موسى

الله عنه انه لما بلغه وفاة أبى بكر رضى الله عنه جاء مسرعا باكيا وقال رحمك الله يا أبا بكر والله لقد كنت أوّل القوم اسلاما واخلصهم ايمانا واشدهم يقينا واخوفهم بالله واحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم واحسنهم صحبة وأفضلهم مناقب واكرمهم سوابقا وأقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشبههم به هديا وخلقا وسمتا وفضلا وأكرمهم عليه وأوثقهم عنده فضلا ونجزاك الله عن الاسلام خيرا صدّقت رسول الله حين كذبه الناس فسماك الله فى كتابه العزيز صديقا فقال والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون وآسيته حين تخلفوا وقت معه حين قعدوا وصحبته فى الشدة أكرم صحبة ثانى اثنين فى الغار والمنزل عليه السكينة ورفيقه فى الهجرة ومواطن الكره فقويت حين ضعف أصحابك وبرزت حين استكانوا ونهضت حين وهنوا وقت حين كسلوا ومضيت بقوة الله عز وجل حين وقفوا كنت أطولهم صمتا وأشغلهم قلبا واشدهم يقينا وأحسنهم عملا فحملت أثقال ما عنه ضعفوا وحفظت ما اضاعوا ووعيت ما أهملوا وعلوت اذ ظلعوا وصبرت اذ جزعوا وكنت كالجبل لا تحركه العواصف كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ضعيف فى بدنه قوى فى أمر دينه متواضع فى نفسه عظيم عند الله محبوب الى أهل الارض والسموات فجزاك الله عنا وعن الاسلام خيرا قال حسان رضى الله عنه

اذا تذكرت شجوا من أخى ثقة * فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها * بعد النبى وأوفاها بما حملا
الثانى التالى المشهود مشهده * وأوّل الناس منهم صدق الرسلا
وكان حب رسول الله قد علموا * من البرية لم يعدل به رجلا

* (خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه) *

هو ابو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عدى بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله ابن رواح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب يلتقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى لؤى بن غالب (وأمه) حنتمة بنت هشام وهشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم أسلم بمكة وشهد المشاهد واسلامه سنة ست من النبوة وبه تمت الاربعون وهو أوّل من دعى أمير المؤمنين وأوّل من كتب التاريخ وأوّل من أشار الى أبى بكر رضى الله عنه بجمع القرآن فى المصحف وجمع الناس فى قيام شهر رمضان كان أبيض اللون يعلوه حمرة أصلع شديد حمرة العينين فى عارضيه خفة أعسر صفته فى التوراة قرن من حديد أمير شديد ولما أسلم نزل جبريل وقال يا محمد استبشر أهل السماء باسلام عمر وقال عليه الصلاة والسلام عمر سراج أهل الجنة فى الجنة بويع له بالخلافة بعد موت أبى بكر رضى الله عنه لثمان بقين من جمادى الآخرة

عليه السلام الى هنا فخاض يوشع الماء وقال الذى يكتم ايمانه وهو حزقيل مؤمن آل فرعون يا كليم الله اين أمرت فقال ها هنا فكبح حزقيل فرسه اى نخعها باللجام حتى طار الزبد من شدقيها ثم أدخلها فارتسبت فى الماء أى غارت فذهب قوم موسى يفعلون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى عليه السلام لا يدرى كيف يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فاذا مؤمن آل فرعون واقف

سنة ثلاث عشرة من الهجرة ولما دفن أبو بكر صعد عمر المنبر فجلس دون مجلس أبي بكر رضي الله عنه ثم قام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس اني داع فأمنوا اللهم اني غليظ فالهمني الى أهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك من غير ظلم مني ولا اعتداء عليهم اللهم اني شحيح فسخني في نوائب الموت قصدا من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة ابتغي بذلك وجهك الكريم والدار الآخرة وارزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين فاني كثير الغفلة والنسيان والهمني ذكرك على كل حال ثم قال الاورب الكعبة لاحملنهم على الطريق ثم نزل (نبذة) في مناقبه رضي الله تعالى عنه (منها) انه لما استخلف حمل اليه مال ففرقه فبدأ بالحسن والحسين رضي الله عنهما فالتفت اليه ولده عبد الله وقال يا أبت أنا أحق أن تقدمني بالعطية لمكانك في الخلافة فقال له هل لك أب كأبيهما أو جد كجدهما حتى أقدمك بالعطية فجاآ وأعاد ذلك على أبيهما رضي الله عنه فالتفت اليهما وقال مرالة وفرحاه باني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن جبريل عن الله عز وجل ان عمر سراج أهل الجنة في الجنة فجاآ واشراه بذلك ففرح فرحا شديدا وقال خذا بهذا الذي ذكرتما خط على رضي الله عنه فجاآ اليه وأخذا خطه بذلك فلما دنا قبض عمر رضي الله عنه قال لولده اذا مت فادفنوا معي خط الامام على رضي الله عنه ففعل ذلك (ومنها) انه خرج يطوف ليلة من الليالي بالمدينة ببعض السكك فسمع امرأة من نساء جنده وهي تقول

تطاول هذا الليل تسرى كواكبه * وارقني الاضجيع ألاعبه
لقد ضرني من كنت آلف قربه * ولم أنسه لما انسته أقاربه
فوالله لولا العار والنار بعده * لحرك من هذا السرير جوانبه

ثم تنفست وقالت هان على ابن الخطاب وحشتي في بيتي وغيبة زوجي عني فلما أصبح بعث اليها نفقة وبعث الى عامله يرد زوجها ثم ان عمر رضي الله عنه سأل ابنته حفصة كم تصبر المرأة فقالت أربعة أشهر وعشرا (ومنها) انه لما قدم بيت المقدس وقف بطور سيناء ولم يأمر بقتال فأرسل البطريق الذي ببيت المقدس رجلا من أعظم أصحابه وقال انظر الى ملك العرب واتني بحليته فجاء فرآه راكبا على فرسه وعليه جبة صوف مرقعة مستقبل الشمس بوجهه ومخلاة فرسه معلقة في قربوص السرج وعمر يدخل يده في المخلاة فيخرج منها خبزا فيمسحه من التبن ويلوكه فوصف ذلك للبطريق فقال هذا الذي يفتح بيت المقدس فسلموا له من ساعته (ومنها) انه افتتح في خلافته بلاد الروم والترك وبعض الصين والهند والجرز والشام والعراق والسواحل ومصر وقبرس والاسكندرية وسليس

على فرسه وصار البحر اثني عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم بينهما مسالك فدخل كل سبط مسلكا يرى بعضهم بعضا من خلال الماء ودخل فرعون وقومه في أثرهم فلما استقروا جميعا أطبق الله البحر عليهم فاغرقوا جميعا ولما أراد موسى أن يسير بني اسرائيل ضل عنه الطريق فقال ماهذا فقال علماء بني اسرائيل ان يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقا من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه منها

والنوبة (ومنها) ان عمرو بن العاص لما افتتح مصر أتى اليه أهلها وقالوا أيها
الامير ان لنيلنا هذا سنة لا يجرى الا بها فقال لهم وما هى قالوا انه اذا كان لثنتى
عشرة ليلة تخلو من بؤونة من أشهر القبط عمدنا الى جارية بكر وأخذناها من أبويها
وحملناها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ثم نلقيها فى النيل فقال لهم عمرو
لا يكون هذا فى الاسلام وان الاسلام يهدم ما قبله فأقاموا بؤونة وابيب ومسرى
لا يجرى النيل فيها لا قليلا ولا كثيرا حتى هم أهل مصر بالرحيل فلما رأى عمرو بن
العاص ذلك كتب الى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب عمر الى عمرو بن
العاص انى كتبت اليك بطاقة فالقها فى النيل فأخذها عمرو بن العاص فقرأها
فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين عمر الى نيل مصر أما بعد
فان كنت تجرى من قبلك فلا تجرى وان كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك
فنسأل الله الواحد القهار ان يجريك فألقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم
الصليب بيوم واحد فلما أصبحوا يوم الصليب أجرى الله النيل ست عشرة ذراعا فى
ليلة واحدة وقطع الله تلك السنة السيئة عن أهل مصر وصار يعمل فى ليلة وفاء
النيل المبارك فى كل سنة اشارة عظيمة كبيرة ينصب بها قناديل تعلق بحبال
كثيرة على اخشاب مرتفعة توضع بمركب وتوقد القناديل وتسير فى البحر يمينا
وشمالا وتزف بالطبول وتسمى عروسة البحر وذلك باق مستمر الى تاريخه (ومنها)
عن زيد بن أسلم وهو عبد من عبيد سيدنا عمر بن الخطاب قال خرجنا مع عمر بن
الخطاب الى حرة واقم وهى منزلة بظاهر المدينة فرأى نارا فقال لابن أسلم انظر
الى تلك النار هل هو ركب اضر بهم الليل والبرد فقلت لا اعلم يا أمير المؤمنين قال
انطلق بنا اليهم قال فخرجنا نهرول فاذا امرأة معها صغار ولها قدر منصوب على
نار وصبيانها يبكون قال عمر رضى الله عنه السلام عليكم يا أهل هذا الضوء وكره
ان يقول يا أهل هذه النار فقالت المرأة وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ادن بخير
أودع فقال لها ما بال هذه الصبية يتضاغون قالت من الجوع قال فما فى هذا
القدر قالت ماء اسكتهم به فقال لها عمر يرحمك الله ما الذى يدرى عمر بن الخطاب
بحالكم فالتفت أمير المؤمنين الى وقال انطلق بنا فرجعنا نهرول الى المدينة حتى
أتينا دار الدقيق وقال احمل هذا العدل على فقلت أنا أحمله عنك يا أمير المؤمنين
فقال ثانيا احمله على فقلت أنا أحق به عنك يا أمير المؤمنين فقال ثالثا احمله على
ثكلتك أمك أنت تحمل عنى وزرى يوم القيامة قال فحملته عليه وانطلق وانطلقت
معه وهو يهرول حتى أتينا اليها فألقى ذلك العدل عندها فأخرج قطعة من دهن
وألقاها فى القدر وجعل يقول للمرأة ذرى وأنا احرك لكم قال أسلم والله لقد رأيت
أمير المؤمنين وهو ينفخ فى النار والدخان يخرج من خلال شعر ذقنه حتى طبخ

القدر

فقال موسى أيكم
يدرى مكان قبره فلم
يكن علم قبره الا عند
عجوز عمياء فدلتهم عليه
بعد أن اشترطت على
موسى رد بصرها
وشبابها وكونها رفيقته
فى الجنة فاجابها الى
ذلك فنقلوا تابوت
يوسف بعد ان مات
بنحو من ثلاثين سنة
ودفن ببيت المقدس
* وغرق مع فرعون
من أشراف أهل مصر
وأكابرهم أكثر من
ألفى ألف فبقيت
مصر بعد غرقهم
ليس فيها من أشراف
أهلها أحد ولم يبق
بها الا العبيد والاجراء
والنساء فأجمع رأى من

القدر ثم أنزله بيده وقال لها أعطنى شيئاً فأتته بقصعة أو قال بصحفة فافرغ الطعام فيها وقال لهم كلوا وأنا أسطح لكم ثم توارى من المرأة وجعل يربض كما يربض السبع وأنا أقول يا أمير المؤمنين ما خلقت لهذا فلم يلتفت الى حتى رأيت الصغار يضحكون ثم قام وقاموا وهو يضحك ويحمد الله تعالى ثم جعل يده على يدى ثم قصدنا المدينة وقال لى يا أسلم ان الجوع عدو وقد رأيتهم وهم يبكون فاحببت أن أفارقهم وهم يضحكون (ومنها) ما ذكره القاضى البيضاوى فى تفسيره فى سورة البقرة عند قوله عز وجل من كان عدوا لجبريل قيل دخل عمر رضى الله عنه مدارس اليهود فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب كل خصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله سبحانه وتعالى فقالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لان كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم أكفر من الحمير ومن كان عدوا أحدهما فهو عدو الله ثم رجع فوجد جبريل قد سبقه بالوحى فقال عليه أفضل الصلاة والسلام لقد وافقت ربك يا عمر (ومنها) ان طائفة من النصارى جاءت اليه رضى الله عنه وسألته بان قالت له لاى شئ آدم دخل الجنة وخرج منها فقال لهم جنة الله نظيفة مليحة لا يكون فيها الا النظيف اخرج آدم منها حتى نظف ظهره من الزبالة التى هى مثلكم فى الدنيا ولما صار نظيفا أدخل الجنة (ومنها) ان الشعبى روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال حججنا مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلما أخذ فى الطواف استقبل الحجر وقال أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ومضى فقال له على بن أبى طالب يا أمير المؤمنين بل يضر وينفع قال له لم قال بكتاب الله عز وجل قال واين ذلك من كتاب الله تعالى قال فى قوله تعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى خلق الله آدم ومسح بيده على ظهره أخرج ذريته من ظهره فعرفهم بانه الرب وانهم العبيد وأخذ عليهم مواثيقهم وكتب ذلك فى رق وكان لهذا الحجر عينان ولسان فقال افتح فاك قال فالقمه ذلك لرق وقال اشهد لمن وافاك يوم القيامة فهو يضر وينفع قال عمر أعوذ بالله ان أعيش فى قوم لست فيهم يا أبا الحسن (ذكر البيضاوى فى تفسيره) عند قوله تعالى واذن فى الناس بالحج بدعوة الحج والامر به روى أنه عليه الصلاة والسلام صعد ابا قبيس فقال أيها الناس حجوا بيت ربكم فاسمع الله من فى اصلاب الرجال وأرحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق فى علمه أنه يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بذلك فى حجة الوداع * (غريبة) * نقلتها من حياة الحيوان وهى

على أن بوابن امرأة منهن يقال لها دلوكة ذات عقل ومعرفة وتجارب فخافت أن يطمع الملوك فى البلاد فبنت سورا أحاط بجميع أرض مصر كلها المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجا يجرى فيه الماء وجعلت على كل ثلاثة أميال محرسا ومسلحة وفيما بين ذلك محارس صغارا على كل ميل وجعلت على كل محرس رجالا واجرت عليهم الارزاق وامرتهم ان يحرسوا بالاجراس فاذا اتاهم احد يخافونه ضرب بعضهم

بينما عمر رضى الله عنه جالس واذا برجل معه ابنه فقال له ويحك مارأيت غرابا أشبه بغراب من هذا منك قال يا أمير المؤمنين هذا ما ولدته أمه الا وهى ميتة فاستوى عمر جالسا وقال حدثنى قال خرجت وأمه حامل به فقالت تخرج وتتركنى على هذا الحال حاملا مثقلة فقلت أستودع الله ما فى بطنك فخرجت وغبت أعواما ثم أتيت فاذا بابى مغلق فقلت ما فعلت فلانة فقالوا ماتت فقلت انا لله وانا اليه راجعون ثم انطلقت الى قبرها فبكيت عندها ثم رجعت فجلست الى بنى عمى فبينما أنا كذلك اذا ارتفعت لى نار من بين القبور فقلت لبنى عمى ما هذه النار قالوا ترى على قبر فلانة كل ليلة فقلت انا لله وانا اليه راجعون أما والله لقد كانت صوّامة قوّامة عفيفة مسلمة انطلقوا بنا اليها فانطلقنا فاخذت الفاس وأتيت القبر فاذا القبر مفتوح واذا هى جالسة وهذا الولد يدور حولها واذا مناد ينادى أيها المستودع ربه وديعة خذ وديعتك أما والله لو استودعت أمه لوجدتها فاخذته وعاد القبر كما كان والله يا أمير المؤمنين * (فائدة) * اذا علق منقار الغراب على انسان حفظ من العين واذا غمس الغراب الاسود جميعه فى الخل بريشه وطلى به الشعر سوده وزبل الابلق ينفع من الخنازير واذا صر فى خرقة وعلق على الصبى الذى لم يبلغ الحلم نفعه من السعال المزمن وقطعه ونظيره ما حكاه الكمال الدميرى أن رجلا من البهنسا أخبرنى شفاها ان بها شخصا مشهورا بابن الميتة قال وذلك ان أمه ماتت وهى حامل به فلما مضى مدة من دفنها ماتت امرأة من أقاربها ففتحوا قبرها لدفن تلك الميتة فاحس الحفار بشئ يدور حول الميتة فطلع الحفار وهو مرعوب وأخبر من حضر بما شاهده فى القبر فظنوه وحشا ثم أوقدوا نارا واشرفوا على داخل القبر فوجدوا ولدا معلقا بالميتة ملتقما ثديها وقد أجرى الله فيه اللبن لرضاعه فأخذ الحفار الولد وضمه الى صدره وعصب عينيه خوفا من مفاجأة النور وأطلعه من القبر وعاش وتزوّج ورزق الاولاد فسبحان من يحيى العظام وهى رميم (وأيضا) سمعت من بعض الافاضل أنه قال لى شفاها طالعت مسامرة الشيخ الاكبر فرأيت بها أعجوبة وهى ان الشيخ الاكبر حكى ان بعض التجار أخبره أنه سافر الى بلاد الهند بتجر فدخل مدينة من مدائن الهند فباع لشخص منها متجرا بالف مثقال ذهبا نسيئة وتوجه بما بقى معه من البضائع الى مدينة أخرى فباع مابقى معه ومكث الى أن قبض ثمن ما باعه ثم عاد الى المدينة الاولى فوجد الرجل الذى أخذ منه البضائع بالف مثقال مات يوم قدومه ودفن فحصل له من الغم والحزن ما لا يوصف وقال انا لله وانا اليه راجعون قد ذهب مالى لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقال له شخص من أهل المدينة لا تحزن فانه لا يضيع لك شئ من مالك قال وكيف لا أحزن والرجل قد مات ومن اين آخذ حق بضاعتى فقال

الى بعض بالاجراس فاتاهم الخبر من اى وجه كان فى ساعة واحدة فمنعت بذلك مصر ممن ارادها وفرغت من بنائه فى ستة اشهر ويقال له جدار العجوز وقد ثبت بالصعيد منه بقايا وملكتهم دلوكة عشرين سنة حتى بلغ من ابناء أكابرهم واشرافهم رجل ملكوه عليهم واستمر الملك للرجال ولم تزل مصر ممتنعة بتدبير تلك العجوز نحو أربعمائة سنة وجملة من ملك منهم من الرجال عشرة الى ان ظهر بختنصر على

له صاحبك الميت يطلع من قبره بعد ثلاثة أيام ويفتح حانوته ويقضى ديونه قال فاستبعدت ذلك وقلت كيف يتصوّر ذلك وصرت متفكرا متعجبا من ذلك فلما مضت الثلاثة أيام طلع الرجل من قبره وفتح حانوته وجلس نهارا والناس حوله من ورثته وغيرهم ثم جئت اليه فقال لا بأس عليك وأخذ دفترا كان بجانبه ونظر فيه وقال لك ألف مثقال ذهبا فقلت نعم فنقدها الى فأخذتها وتقدم اليه بعدى من كان له علاقة فما زال يوفى ديونه الى أن قضاها جميعا وضبط ما بقى من أمتعته وقفل حانوته وسلم مفتاحها الى ورثته وتوجه الى المقبرة فتبعته الى ان تلاحقت به وقبضت على اثوابه وقلت له الله عليك أنت صاحبنا المتوفى أم لا فقال لا وانما انا ملك من ملائكة ربى وقد جرت عادة الله فى أهل هذه المدينة اذا مات منهم احد يلقى الله شبهه على ملك من الملائكة ويطلع بعد ثلاثة ايام ويفعل ما رايت قال فتعجبت من ذلك غاية العجب وانصرفت الى حال سبيلى وهذا من العجب العجاب قلت وفى ذلك من دقائق حكمة الله ما يبعث اولى الأفكار على الاعتبار يخرج الحى من الميت ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار (وأقام) عمر رضى الله عنه فى الخلافة عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال

(ذكر وفاته رضى الله عنه)

حكى الطبرى قال جاء كعب الاحبار اليه رضى الله عنه فقال له يا أمير المؤمنين اعهد فانك ميت بعد ثلاث فقال عمر وما يدريك قال اجد صفتك وحليتك فى التوراة وانه قد اقترب أجلك وكان عمر رضى الله عنه حينئذ لا يجد وجعا ولا ألما فلما كان الغد جاء كعب الاحبار وقال يا أمير المؤمنين ذهب يومان وبقى يوم وليلة قال فلما كان الصبح خرج عمر الى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجالا فاذا استوت الصفوف جاء هو ينظر فى الناس فدخل أبو لؤلؤة فى الناس وفى يده خنجر له رأسان ونصابه فى وسطه فضرب عمر ثلاث ضربات احداهن تحت سرته وهى التى قتلته وقتل معه كليب بن النضر الليثى فلما وجد عمر حر الحديد سقط الى الارض وقال أفى الناس عبد الرحمن بن عوف قالوا نعم يا أمير المؤمنين قال فليتقدم يصلى بالناس فصلى عبد الرحمن بن عوف وعمر طريح على الارض ثم حمل الى داره ثم قال لولده اخرج فانظر من قتلنى فقال له يا أمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فقال الحمد لله الذى لم يجعل قتلى الا على يد رجل لم يسجد لله سجدة واحدة يا عبد الله اذهب الى عائشة فاسألها هل تأذن لى ان أدفن مع النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر يا عبد الله ان اختلف القوم فكن مع الاكثر ولو ثلاثة يا عبد الله ائذن للناس ان يدخلوا قال فجعل الناس يدخلون والمهاجرون والانصار يسلمون وكان كعب الاحبار فى الناس فلما نظر عمر الى

بيت المقدس وسبى بنى اسرائيل ورجع بهم الى ارض بابل ثم ملك مصر واستولى عليها واخذها من ايدى القبط وقتل من قتل وخرب مدائن مصر وقراها ولم يترك منها احدا حتى بقيت مصر اربعين سنة خرابا يابس بها ساكن يجرى نيلها ويذهب لا ينتفع به احد ثم ردهم اليها بعد الاربعين سنة فعمروها فلم تزل مصر مقهورة من يومئذ (ثم ظهرت الروم وفارس على سائر الملوك الذين فى وسط الارض فقاتلت الروم اهل

كعب الاحبار انشأ يتمثل

فاوعدنى كعب ثلاثا اعدّها * ولا شك ان الحق ماقاله كعب
ومابى حذار الموت انى لميت * ولكن حذار الموت يتبعه الذنب

ثم توفى ليلة الاربعاء لثلاث ليال من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ودفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة سن رسول الله صلى الله عليه وسلم

* (خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه) *

هو أبو عبد الله عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف يلتقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف وأمه أروى بنت كريز ابن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف وأمها أم حكيم بنت عبد المطلب أسلم قديما وهاجر الهجرتين وأروى أسلمت رضى الله عنها وأسلم عثمان رضى الله عنه فى أول الاسلام على يد أبى بكر قبل دخول النبى صلى الله عليه وسلم دار الارقم ولم يشهد بدرا لانه تخلف لمرض (كان أبيض اللون) وقيل أسمر اللون رقيق البشرة كثير شعر الرأس عظيم اللحية وسمى ذا النورين لجمعه بين بنتى النبى صلى الله عليه وسلم رقية وأم كلثوم وسمع أبو سعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم ان عثمان رضيت عنه فارض عنه وحث رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش العسرة فقال عثمان رضى الله عنه علىّ مائة بعير ثم حث فقال على ثلثمائة بعير فقال عليه الصلاة والسلام ما على عثمان بعد هذا وكان عثمان رضى الله عنه يطعم الناس طعام الامارة ويدخل بيته يأكل الزيت بالخل بويع له بالخلافة أول المحرم سنة أربع وعشرين من الهجرة * (نبذة) * من فضائله رضى الله عنه (منها) انه سئل على رضى الله عنه عن عثمان قال ذاك امرؤ يدعى فى الملا الاعلى ذا النورين وعن أبى سعيد الخدرى قال رمقت رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الليل الى طلوع الفجر يقول اللهم انى رضيت عن عثمان فارض عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة وفى رواية جابر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه فقيل له يا رسول الله ما رأيناك تركت الصلاة على أحد قبل هذا قال انه كان يبغض عثمان فابغضه الله عز وجل وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يشفع عثمان فى سبعين ألفا عند الميزان ممن استوجبوا النار وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال دخل عثمان رضى الله عنه على النبى صلى الله عليه وسلم وركبته بادية فغطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبته فقيل له دخل عليك

مصر ثلاث سنين يحاصرونهم ويصابرونهم القتال فى البر والبحر فلما رأى ذلك اهل مصر صالحوا الروم فلما غلبت فارس على الشام رغبوا فى مصر وطمعوا فيها فامتنع اهل مصر واعانتهم الروم وقامت دونهم فلما ألحت فارس على اهل مصر وخشوا ظهورهم عليهم صالحوا فارسا على أن يكون ما صالحوا به الروم بين الروم وفارس فرضيت الروم بذلك حين خافت ظهور فارس عليها وأقامت مصر بين

أبو بكر وعمر وعلى فلم تغطها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاستحيى ممن استحيت منه الملائكة وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لما أسرى بى الى السماء دخلت جنة عدن فاعطيت تفاحة فلما وضعتها فى كفى انفلقت عن حوراء عيناء مريضة الاجفان عيناها قوادم النسور فقلت لها لمن أنت فقالت للخليفة من بعدك يقتل ظلما عثمان بن عفان (ومن فضائله) رضى الله عنه عن أبى قلابة قال كنت فى رفقة بالشام فسمعت رجلا يقول واويلاه النار فقمت اليه واذا رجل مقطوع الرجلين واليدين أعمى العينين منكب على وجهه فسألته عن حاله فقال انى كنت ممن دخل على عثمان يوم الدار فلما دنوت منه صرخت زوجته فلطمتها فقال عثمان مالك قطع الله يديك ورجليك وأعمى عينيك وادخلك النار قال فأخذتنى رعدة عظيمة وخرجت هاربا ولم يبق من دعائه الا النار (ومن فضائله) رضى الله عنه انه افتتح فى أيام خلافته سابور وافريقية وسواحل الاردن وسواحل الروم واصطخر الآخرة وفارس الاولى وطبرستان وكرمان وسجستان والاساورة (ومنها) انه اختصم يوما هو وأبو عبيدة بن عامر بن الجراح رضى الله عنهما فقال أبو عبيدة يا عثمان تخرج على فى الكلام وأنا أفضل منك بثلاث فقال عثمان وما هن قال الاولى انى كنت يوم البيعة حاضرا وأنت غائب والثانية شهدت بدرا ولم تشهده والثالثة كنت ممن ثبت يوم أحد فى الوقعة ولم تثبت أنت فقال عثمان صدقت أما يوم البيعة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنى الى مكة فى حاجة ومد يده عنى وقال هذه يد عثمان بن عفان وكانت يده الشريفة خيرا من يدى وأما وقعة بدر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلفنى على المدينة ولم يمكنى مخالفته وكانت ابنته رقية مريضة فاشتغلت بخدمتها حتى ماتت ودفنتها وأما انهزامى يوم أحد فان الله عفا عنى واضاف فعلى الى الشيطان فقال تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم فخصمه عثمان أى غلبه * (ذكر قتله) * رضى الله عنه حوصر فى ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وهو بداره أكثر من عشرين يوما روى عن أبى على الكندى انه قال أشرف علينا عثمان يوم الدار وقال أيها الناس لا تقتلونى فانكم ان قتلتمونى كنتم كهاتين وشبك بين أصابعه وعن عبد الله بن سلام قال أتيت عثمان يوم الدار فدخلت لاسلم عليه وهو محصور فقال مرحبا يا أخى فقلت يسرنى لو كنت فداءك يا أمير المؤمنين فقال الليلة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مثل لى فى هذه الخوخة وأشار عثمان بيده الى خوخة فى أعلى داره فقال يا عثمان حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم قال فدلى دلوا شربت منه فها أنا أجد برودة ذلك الدلو بين ثديى وبين كتفى فقال ان شئت أفطرت

الروم وفارس: صفين سبع سنين * ثم استجاشت الروم أى ضعفت وظهرت فارس وألحت بالقتال والمدد حتى ظهروا عليهم وخربوا مصانعهم وديارهم التى بالشام ومصر وكان ذلك فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه نزلت الم غلبت الروم الآية ثم غلبت الروم فارسا فصارت الشام كلها وصلح أهل مصر كله خالصا للروم وايس لفارس منه شئ وذلك فى زمن الحديبية سنة ست من الهجرة وكان هرقل صاحب

عنـد ناوان شئت نصرفت عليهم فاخترت الفطر وكان عنده بالدار ستمائة رجـل ثم دخلوا عليـه من دار بنى حزم الانصارى فضربه نيار بن فياض الاسلمى وقيل جبلة بن الايهم وقيل سوار بن حمران وقيل رومان اليمانى وضربه بمشقص فى وجهه فسال الدم فى حجره وكان قتـله بالمدينة يوم الجمعـة لثمان عشرة أو سبع عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سـنة خمس وثلاثين وهو يومئذ بن اثنتـين وثمانين سنة ودفن بالبقـيع ليلا وصلى عليـه جبير بن مطعم فكانت خلافته اثنتى عشرة سنة الا اثنتى عشرة ليلة

(خلافة سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه)

وهو على بن أبى طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامه فاطمة بنت أسد بن هشام بن عبد مناف وهى أوّل هاشمية ولدت هاشميا أسلمت وهاجرت الى المدينة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسـلم وهو أوّل من أسلم من الذكور وا الصبيان واختلف فى سـنه قيـل كان له خمس عشرة سـنة وقيـل ست عشرة سنة شهد المشاهد كلها غير تبوك وكان رضى الله عنه شديد الادمة عظيم العينين أقرب الى القصر أدعن كثـيرالشعر عريض اللحية بويـع له بالخلافة سـنة خمس وثلاثين من الهجرة فانه لما قتل عثمان اجتمع الناس من المهاجرين والانصار على الامام على رضى الله عنه وقالوا لابدّ لنا من امام وانت أحق بها فقال لهم لاحاجة لى فى امركم فمن اخترتموه رضيته قالوا نختارك قال اذا ولابدّ فان بيعتى لاتـكون خفية فخرج الى المسجد وعليه ازار وقميص وعمامة خزونعلاه فى يده متـكئ على قوسه وبايعه الناس وكان اوّل يد مدت اليـه يد طلحة بن عبد الله وكانت يده مشلولة فنظر اليه حبيب بن ذؤيب وقال انا لله أوّل يد مدت اليـه بالبيعة يد شلاء لا يتم هـذا الامر وكانت البيعة يوم الجمعة ثم ان عليا صعد المنبر وحمد الله وأثنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أيها الناس ان هذا امركم ليس لاحد فيها حق الامن أمّرتموه وقد افترقنا بالامس على أمر وكنت كارها لامركم فابيتم الا أن أكون عليكم أميرا وليس لى ان آخـذ درهـما دونـكم فان شئتم والا فلا قالوا بلى نحن على مافارقناك عليه بالامس وبايعه الناس كافة ثم دخل بيته فدخل عليه المغيرة بن شعبة وقال يا أمير المؤمنين ان لك عنـدى نصيحة قال وماهى قال ان أردت ان تستقيم لك الخلافة فاستعمل طلحة بن عبد الله على الـكوفة وعبد الله بن الزبير بن العوام على البصرة ومعاوية بن أبى سفيان على الشأم على ما كانوا عليه حتى تلزمهم طاعتك وتأتيك بيعتهـم فاذا اسـتقر قرارها رأيت رأيك تعزل من تريد وتولى من تريد فقال أما طلحة والزبير فسأرى فيهما رأيى وأما معاوية فوالله لا يرانى الله أستعين به على حالتى ولـكنى أدعوه الى البيعة فان هو أجابنى والا حاربته فانصرف المغيرة

الروم قد وجه المقوقس الى مصر اميرا عليها وجعل اليـه حربها وجباية خراجها فنزل الاسكنـدرية فلم تزل مصر فى ملك الروم حتى فتحها الله عـلى المسلمين وكان من دأب المقوقس أن يصيف بمصر ويشتى بالاسكندرية واستمر حاكما بمصر من طرف هرقل احدى وثلاثين سـنة حتى افتتح عمرو بن العاص رضى الله عنه الديار المصرية فى سنة عشرين من الهجرة النبوية فى خلافـة عمـر بن الخطاب رضى الله عنـه ولما أتى مصر حاصرها ثلاثة أشهر

مغضبا وهو يقول

نصحت عليا في ابن هند مقالة * فردت فلم أسمع لها الدهر ثانيه
وقلت له أوجز عليه بعهده * وبالامر حتى يستقر معاويه
وتعلم أهل الشام ان قد ملكته * وأن أذنه صارت لامرك واعيه
فتحكم فيه ما تريد فانه * لداهية فارفق به أي داهيه
فلم يقبل النصح الذي قد نصحته * وكانت له تلك النصيحة كافيه

فلما بلغ معاويه كتب الى على رضى الله عنه أما بعد فلو علمنا ان الحرب تبلغ بنا وبك لم يجن بعضنا على بعض وان كان قد غلب على عقولنا فقد بقى لنا مانرم به ما مضى ونصلح به ما بقى وقد كنت سألتك الشام على ان لا يلزمنى لك طاعة وأنا أدعوكم اليوم لما دعوتكم اليه بالامس فانك لا ترجو من البقاء الاما أرجو ولا تخاف من اللقاء الاما أخاف وقد والله رقت الاجساد وذهبت الرجال ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل يستذل به على عز يزولا يسترق به حر فكتب اليه على بن أبى طالب رضى الله عنه أما بعد فقد جاءنى كتابك تذكر فيه انا لو علمنا ان الحرب تبلغ بنا وبك لم يجن بعضنا على بعض وانا واياك نلتمس منها غاية لن تبلغها وأما طلبك منى الشام فانى ما أعطيتك بالامس فامنعك اليوم وأما استواؤنا فى الخوف والرجاء فليس على حد سواء وليس أهل الشام على الدنيا باحرص من أهل العراق وأما قولك انا بنو عبد مناف فكذلك وليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا الطليق كالمهاجر ولا المبطل كالمحق ولا المؤمن كالمدغل وفى أيدينا فضل النبوة التى قتلنا بها العزيز وبعنا بها الحر والسلام فكتب اليه معاوية رضى الله عنه يا أبا الحسن أنا لى فضائل كثيرة كان أبى سيدا فى الجاهلية وصرت أنا ملكا فى الاسلام وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتب الوحى فقال على رضى الله عنه ايفاخرنى معاوية اكتب يا غلام

محمد النبى أخى وصهرى * وحمزة سيد الشهداء عمى
وجعفر الذى يمسى ويضحى * يطير مع الملائكة ابن أمى
وبنت محمد سكنى وعرسى * نياطا لحمها بدمى ولحمى
وسبطا أحمد ولداى منها * فايكموله سهم كسهمى
سبقتكمو الى الاسلام طفلا * صغيرا ما بلغت أوان حلمى
وأوجب طاعتى فرضا عليكم * رسول الله يوم غدير خم
فويل ثم ويل ثم ويل * لمن يرد القيامة وهو خصمى

فكتب اليه معاويه أما بعد يا على فانك قلت ما يضرك وتركت ما ينفعك وايم الله لارمينك بشهاب قابس لا تدركه الرياح ان وقع فى الارض ارتسب أو وقع فى

وكان المقوقس يقصر الشمع على بحر النيل وكانت السفن تجرى تحته فلما رأى العرب أشرفوا على أخذ البلد نزل فى مركب كانت راسية على باب قصره ثم توجه هاربا الى نحو الاسكندرية وكان يعلم ان العرب لابد لهم من أن يملكوا مصر وذلك انه كان بالاسكندرية باب مغلق عليه أربعة وعشرون قفلا عزم على فتحه المقوقس فمنعه القسس والرهبان وقالوا له كل من تقدم من الملوك لم يفتحه ويضع عليه قفلا وأنت الآخر

الصخر نقب والسلام فكتب اليه على أما بعد يا معاوية فانى قاتل عمك وجدك وخالك والسيف الذى قتلتهم به معى لم استبدل بالسيف سيفا ولا بغير الله ربا ولا بغير النبى نبيا فافعل ماشئت ستجد نى بطلا شديدا قاتل كل جبار عنيد وطوى الورقة ودفعها الى رجل أسود يقال له الطرماح فتعمم الطرماح بعمامة سوداء وركب ناقة ثم سار حتى وافى دمشق فقال أعوان معاوية هذا اعرابى قدم من عند على بن أبى طالب قوموا حتى نهزأ به فقالوا له يا اعرابى معك خبر من أهل السماء جئت به الى أهل الارض وما خلفت وراءك قال ملك الموت لقبض أرواحكم فقالوا أتحب ان تدخل على أمير المؤمنين فقال الطرماح نحن المؤمنون فن أمره علينا قال فذهبوا الى معاوية يخبرونه بقدوم الطرماح فأمر باحضاره فلما دنا من قصر معاوية واذا يزيد بن معاوية جالس على باب القصر فقال الطرماح من يكون هذا الميشوم الواسع الحلقوم المضروب على الخرطوم قالوا هذا يزيد بن معاوية أمير المؤمنين فقالوا أتحب الدخول على الملوك فقال أحب الدخول على ابن آكلة الاكباد الضالة عن طريق الرشاد التى قال الله فى حقها فى جيدها حبل من مسد فلما حضر بين يدى معاوية لم يطأ بساطه فقال له معاوية هات كتابك فقال الطرماح لمعاوية تنزل عن مرتبتك وتأخذ كتابى بيدك فقد أمرت ان لا أسلمه الا من يدى الى يدك فقام معاوية من مكانه وقبل الكتاب ففتحه فلما قرأه اغتاظ غيظا وقال للطرماح كيف خلفت عليا وأصحابه قال خلفته خصما اساما لماسما ان أتى جيشا عزمه وان أتى حصنا هدمه وأصحابه حوله كالنجوم الزاهرة والعصابة القاهرة وهو بينهم كالقمر المنير ان نهاهم ارتدعوا وان أمرهم ابتدروا فأمر له معاوية بالف دينار فأخذها وانصرف وفيما أوردناه كفاية والله أعلم بحقيقة الحال واليه المرجع والمآب * (نبذة) * من فضائل الامام على رضى الله عنه منها ما حكى عن كميل رضى الله عنه قال دخلت على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه و بين يديه قصعة فيها ثردة خبز شعير وملح وزيت فقال يا كميل هلم الى الزاد فتقدمت وأكلت ثم قلت يا امير المؤمنين لو أحسنت الى نفسك فى لون يتخذ لك فانه حكى لى من دخل على معاوية وحضر الطعام عنده انه قدم له مائدة فيها مائة وستون لونا وفيها الون لم نعرفه فسألت معاوية فدعا بصاحب مطبخه فسأله عنه فقال أدمغة الكراكى فى مصارين البط مقليا بدهن الفستق والعسل والسكر الطبرزذ والزعفران والماورد فقال يا كميل ذاك طعام الجبابرة وروى عن عبد الله بن أسد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى بى أتيت الى ربى عز وجل فاوحى الى أو أمرنى فى على بثلاث انه سيد المؤمنين وولى المتقين وقائد الغر المحجلين وروى عن أنس رضى الله عنه أنه قال قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

اجعل عليه قفلا ونحن نعطيك ما حضر لك من المال الذى ظننت أنه فيه فامتنع وفتحه ودخل فلم يجد فيه شيأ من المال لكن رأى منقوشا على حيطانه تصاوير العرب راكبين خيولا وعلى رؤسهم عمائم وسيوف مقلدين بها وكتابة فى صدر المكان تملك العرب المدينة فى هذه السنة ولما فتح عمرو بن العاص مصر واستقر بها قصد التوجه الى مدينة الاسكندرية فلما وصل اليها وحاصرها حصارا شديدا حتى أشرف على أخذها

أخرج فادع لنا أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن أبي وقاص والزبير وعدة من الانصار قال فدعوتهم فلما اجتمعوا عنده صلى الله عليه وسلم وكان على غائبا في حاجة النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع بطاسانه المرهوب من عذابه وسطوته النافذ أمره في سمائه وأرضه الذى خلق الخلق بقدرته وميزهم باحكامه وأعزهم بنبيه محمد وان الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سببا لاحقا وأمرا مفترضا أوشج به الارحام وألزم به الانام فقال عز من قائل وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا فامر الله يجرى الى قضائه وقضاؤه يجرى الى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء و يثبت وعنده أم الكتاب ثم ان الله عز وجل أمرني أن أزوج فاطمة بنت خديجة من على بن أبي طالب فاشهدوا أني قد زوجته على أربعمائة مثقال فضة ان رضى بذلك ثم دعا بطبق من بسر فوضعه بين ايدينا ثم قال انهبوا فنهبنا فبينما نحن ننهب اذ دخل عليّ على النبي صلى الله عليه وسلم فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وقال ان الله أمرني ان أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة أرضيت بذلك فقال رضيت بذلك يارسول الله قال أنس فقال النبي صلى الله عليه وسلم جمع الله شملكما واسعد جدكما و بارك عليكما وزوجنك بكرا كبيرا طيبا قال أنس فوالله لقد أخرج منهما كبيرا طيبا ومنها ماحكى عن ضرار رضى الله عنه أنه قال كان على رضى الله عنه بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا و يحكم عدلا تتفجر الحكم من جوانبه و ينطق العلم من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته كان والله غزير العبرة طويل الفكرة يخاطب نفسه يعجبه من اللباس ماقصر ومن الطعام ماخشن كان فينا كاحدنا يجيبنا اذا دعوناه ويعطينا اذا سألناه وينبئنا اذا استنبأناه ونحن والله مع تقريبه ايانا وقربه منا لانكاد ان نكلمه لهيبته ولا نبتدئه لعظمته فان تبسم تبسم عن لؤلؤ منظوم يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوى في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل ستوره وغارت نجومه وقد تمثل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السقيم و يبكى بكاء الحزين ويقول يادنيا غرى غيرى لاحاجة لى بك ابى تعرضت والى تشوقت هيهات هيهات قد ابنتك ثلاثا لاحاجة لى فيك فعمرك قصير وحظك حقير أوّاه أوّاه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق فقيل لضرار ماحزنك عليه قال كحزن امرأة ذبح ولدها في حجرها فلا ترقأ لها عبرة ولا تنقضى لها حسرة واخبر أبو عبد الله بن

أرسل اليه المقوقس يسألهم في الصلح وان يجعل لهم عليه الجزية فأتى الى عمرو بن العاص رجل بوّاب على الاسكندرية وقال له أتؤمنني على نفسى وعيالي وأنا أفتح لك الباب فأجابه عمرو لذلك ففتح له الباب ودخل هو ومن معه من المسلمين فلكوها وأسروا المقوقس وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر أوّل جمادى الآخرة سنة عشرين من الهجرة وقيل سنة اثنتين وعشرين ثم رجع عمرو الى مصر وأراد ان يبنى مدينة الفسطاط

منصور بن سكبان التسترى قال أخبرنا محمد بن الحسن بن غراب قال حدثنا القاضى موسى بن اسحق قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن ابى شيبة قال حدثنا محمد ابن فضيل عن عبد الله الاسدى قال كان على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول فى مناجاته الهى لولا ما جهلت من أمرى ما شكوت عثراتى ولولا ما ذكرت من الافراط ما سحت عبراتى الهى فامح مثبتات العثرات بمرسلات العبرات وهب كثير السيئات لقليل الحسنات الهى ان كنت لا ترحم الا المجد فى طاعتك فالى بالمجئ الخطؤن وان كنت لا تكرم الا أهل الاحسان فالى يصنع المسيؤن وان كان لا يفوز يوم الحشر الا المتقون فكيف يستغيث المذنبون الهى ان كان لا يجوز على الصراط الا من أجازته برآة عمله فانى بالجواز لمن لم يتب قبل حلول أجله الهى ان كان حجبك عن موحديك عهد جناياتهم أوقعهم غضبك بين المشركين فى كرباتهم الهى فاوجب لنا بالاسلام مذخور هباتك واستصف لنا ما كررته الجرائم بصفح صلاتك الهى ارحم غربتنا اذا ضمتنا بطون لحودنا وعميت علينا باللبن سقوف بيوتنا واضجعنا على الايمان فى قبورنا وخلفنا فرادى فى أضيق المضاجع وصرعتنا المنايا فى أنكى المصانع وصرنا فى ديار قوم كانها ما هولة وهى فيهم بلاقع الهى اذا جئناك عراة مغبرة من ثرى الاجداث رؤسنا وشاهبة من ثرى اللاحد وجوهنا وخاشعة من أهوال القيامة أبصارنا وبادية هنالك للعيون سوآتنا ومثقلة من تحمل الاوزار ظهورنا ومشغولين عما قد دهانا من أهلينا وأولادنا فلا تضعف علينا المصائب باعراض وجهك الكريم عنا وسلب عائدة ما مثله الرجاء منا الهى ما حنت هذه العيون الى بكائها ولا جادت متشربة بمائها ولا اشتهرت بنحيب المشكلات فقد عزائها الا لما سلف من نفورها وابائها وما دعاها اليه عواقب بلائها وأنت القادر يا كريم على كشف غمائها الهى ثبت حلاوة ما يستعذبه لسانى من النطق فى بلاغته بزهادة ما يرفده قلبى من النصح فى دلالته الهى أمرت بالمعروف وأنت أولى به من المأمورين وأمرت بصلة السؤال وأنت خير المسؤلين الهى كيف يقلبنا اليأس عن الامساك كما لهجنا بطلابه وقد ادرعنا من تأميلنا اياك اسبغ أثوابه الهى اذا تلونا من صفاتك شديد العقاب أشفقنا واذا تلونا منها الغفور الرحيم فرحنا فنحن بين أمرين لا يؤمننا سخطك ولا تيئسنا رحمتك الهى ان قصرت بنا مساعينا عن استحقاك نظرك فما قصرت رحمتك بنا عن اندفاع نقمك الهى كيف تفرح بصحبة الدنيا صدورنا وكيف تلتئم فى عمرانها أمورنا وكيف علكنا باللهو واللعب غرورنا وقد وعدتنا باقتراب آجالنا قبورنا الهى كيف نبتهج بدار حفرت لنا حفائر صرعتها وقيدتنا بايدى المنايا حبائل

وسبب تسميتها بذلك انه لما وصل الى مصر نصب له خيمة تسمى الفسطاط فلما توجه الى الاسكندرية أمر بازالة تلك الخيمة فوجد فيها عشا فيه يمامة قد فرخت فيه فترك القبة لاجلها شفقة على فراخ اليمامة فلما توجه الى الاسكندرية ورجع منها قيل له تنزل فى أى مكان قال مكان الخيمة التى تركتها وعليها اليمامة فسميت مصر الفسطاط وصارت مدينة عظيمة بها عدة مساجد وحمامات وطواحين ومعاصر وكانت ممتدة على ساحل البحر ولم

غدرتها وجرعتنا مكرهين جرع مرارتها ودلتنا العبر على انقطاع عيشتها الهى فاليك التجئ من مكايد خدعتها وبك نستعين على عبور قنطرتها وبك نستعصم الجوارح على خلاف شهوتها وبك نستكشف جلابيب حيرتها وبك يقوم من القلوب استضعاف جهالتها الهى كيف للدور أن تمنع من فيها من طوارق الرزايا وقد أصيب كل دار بسهم من أسهم المنايا الهى ماتفجع بانفسنا على الديار ان لم يوحشنا هنالك موافقة الابرار الهى ماتضرنا فرقة الاخوان والقرابات اذا قربتنا اليك ياذا العطايات الهى ارحمنى اذا انقطع من الدنيا أثرى وانمحى من المخلوقين ذكرى. وصرت فى المنسيين كمن نسى الهى كبرسنى ودق عظمى ورق جلدى ونال الدهر منى واقترب أجلى ونفدت أيامى وذهبت شهوتى وبقيت تبعتى وانمحت محاسنى وبلى جسمى وتقطعت أوصالى وتفرقت اعضائى الهى فارحمنى الهى أفحمتنى ذنوبى وانقطعت مقالتى فلا حجة لى ولا عذر فانا المقر بجرمى والمعترف باساءتى والأسير بذنبى المرتهن بعملى المشهور فى خطيئتى المتحير عن قصدى الهى فصل على محمد وعلى آل محمد وارحمنى برحمتك وتجاوز عنى اللهم ان صغر فى جنب طاعتك عملى فقد كبر فى جنب رجائك أملى الهى كيف انقلب بالخيبة من عندك محروما وكان ظنى بجودك ان تقلبنى مرحوما لانى لم أسلط على حسن ظنى بك قنوط الآيسين فلا تبطل صدق رجائى لك بين الآملين الهى فان كنا مرحومين فاننا نبكى على ماضيعناه فى طاعتك مانستوجبه وان كنا غير مرحومين فاننا نبكى على أنفسنا اذ فاتنا من جودك ماتطلبه الهى عظم جرمى اذ كنت المبارز به وكبر ذنبى اذ كنت المطالب به الهى اذا ذكرت ذنوبى وعظم غفرانك وجدت الحاصل لى بينهما عفو رضوانك الهى ان أوحشتنى الخطايا من محاسن لطفك فقد آنسنى اليقين بمكارم عطفك الهى ان أنامتنى الغفلة عن الاستعداد للقائك فقد أنبهتنى المعرفة بكريم آلائك الهى ان عظم لبى عن تقويم مايصلحنى فما عزب ايقانى بنظرك لى فيماينفعنى الهى جئتك ملهوفا قد ألبست ثوب عدمى وفاقتى وأقام مقام الاذلاء بين يديك ذل حاجتى الهى اكرمنى اذ كنت من سؤالك وجد معروفك فاخلطنى بأهل نوالك الهى أصبحت على باب من أبواب منحك سائلا وعن التعرض لغيرك بالمسئلة عادلا وليس من جميل امتنانك ان ترد سائلا ملهوفا ومضطرا لانتظار أمرك مألوفا الهى أقمت على قنطرة الاخطار مبلوا بالاغمار وبالاعتبار وأنا الهالك ان لم تعن عليها بتخفيف الآصار الهى أمن أهل الشقاء خلقتنى فأطيل بكائى أم من أهل السعادة فانشر رجائى الهى ان لم تهدنى الى الاسلام مااهتديت ولو لم تطلق لسانى بدعائك مادعوت

تزل عامرة الى الدولة الفاطمية فخربت وبسبب الافرنج ومجيئهم الى ديار مصر وبنى عمرو بن العاص بها جامعه الكبير ووقف على قبلته سبعون من الصحابة رضى الله عنهم وهو أول جامع بنى فى الاسلام بمصر المحروسة وهو جامع مبارك يستجاب فيه الدعاء وحررت مسافة مصر بعد أن تلاشى أمرها بالنسبة الى زمن فرعون فكانت مسافتها مائة ألف ألف فدان تزرع غير البور وكان فيها فى الزمن الاول مائة

ولو لم تعرفنى حلاوة نعمتك ماعرفت ولو لم تبين لى شديد عقابك ما استجرت
الهى ان أقعدنى التخلف عن السير مع الابرار فقد أقامنى الثقة بك على مدارج
الاخيار الهى نفسا أعززتها بتأييد ايمانك فكيف تذلها بين اطباق نيرانك
الهى لسانا كسوته من وحدانيتك انقى أثوابها كيف تهوى اليه من النار
مشعلات التهابها الهى كل مكروب فاليك يلتجى وكل محزون فاليك يرتجى
الهى سمع العابدون بجزيل ثوابك فخشعوا وسمع المذنبون بسعة غفرانك فطمعوا
حتى ازدحمت عصائب العصاة ببابك وعج منهم اليك العجيج والضجيج بالدعاء
فى بلادك وكل أمل ساق صاحبه اليك محتاجا وكل قلب تركه بارب وجف
الخوف منك منهاجا فأنت المسؤل الذى لاتسود لديه وجوه المطالب الهى
ان اخطأت طريق النظر لنفسى بما فيه كراماتها فقد أصبت طريق الفزع
بما فيه سلاماتها الهى ان كانت نفسى قد استسعدتنى متمردة على مايؤذيها
فقد استسعدتها الآن بدعائك على ماينجيها الهى ان قسطت فى الحكم على
نفسى بما فيه حسرتها فقد اقسطت فى تعريفى اياها من رحمتك أسباب رأفتها
الهى ان قطعنى قلة الزاد فى المسير اليك فقد وصلته بما أعددته من فضل
تعويلى عليك الهى اذا ذكرت رحمتك ضحكت لها عيون وسائلى واذا ذكرت
سخطك بكت لها عيون مسائلى الهى أدعوك دعاء من لم يرج غيرك فى دعائه
وارجوك رجاء من لم يقصد غيرك فى رجائه الهى كيف أسكت بالافهام لسان
ضراعتى وقد أقلقنى ما أبهم من مصير عاقبتى الهى قد علمت حاجة جسمى
الى ماتكفلت له من الرزق فى حياتى وعرفت قلة استغنائى عنه فى الجنة بعد
وفاتى فيامن سمح لى به متفضلا فى العاجل فلا تمنعنيه يوم فاقتى اليه فى الآجل
الهى ان عذبتنى فعبد خلقته لما أردت فعذبته وان رحمتنى فعبد ألفيته مسيئا
فانجيته الهى لا احتراس مع الذنب الا بعصمتك ولا وصول الى عمل الخيرات
الا بمشيئتك وكيف لى بافادة ماسلبتنى فيه مشيئتك وكيف لى باحتراس
من الذنب مالم تدركنى فيه عصمتك الهى أنت دللتنى على سؤال الجنة قبل
معرفتها فاقبلت النفس بعد العرفان على مسئلتها أفتدل على خير بالسؤال
ثم تمنعه وأنت الكريم المحمود فى كل ماتصنعه ياذا الجلال والاكرام الهى
ان كنت غير مستاهل لما ارجو من رحمتك فانت اهل أن تجود على المذنبين
بفضل سعتك الهى نفسى قائمة بين يديك وقد أظلها حسن التوكل عليك
فاصنع بى ما أنت أهله وتغمدنى برحمة منك الهى ان كان دنا أجلى ولم
يقربنى منك عملى فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عللى فان غفرت
فمن أولى منك بذلك وان عذبت فمن أعدل منك فى الحكم هنالك الهى انك

وخمسون كورة ومدينة
وثلاثمائة وستون
قرية فلما ملكها
بختنصر وخربها
أعيدت بعد ذلك
وصار بها خمس
وثلاثون كورة ومدينة
ثم تناقصت حتى
صارت فى دولة عمرو
ابن العاص أربعين
كورة وعدة قراها
ألفان وثلاثمائة وخمسة
وسبعون قرية دون
الكنوز وكان خراجها
فى زمن عمرو بن
العاص اثنى عشر
ألف ألف دينار ثم
تغيرت أحوال مصر
فى دولة الاسلام الى
الغاية وخرب غالب
قراها وانحط خراجها

لم

لم تزل بارّا بي في أيام حياتي فلا تقطع برك بي بعد مماتي الهي كيف أيأس من حسن نظرك بعد وفاتي وأنت لم توالني الا الجميل في حياتي الهي ذنوبي قد أخافتني ومحبتي لك قد أجارتني فتول في أمري ما أنت أهله وجد بفضلك على من غمره جهله يامن لا يخفى عليك خافية صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد واغفر لي ماخفي عن الناس من أمري الهي ليس اعتذاري اليك اعتذار من يستغني عن قبول عذره فاقبل عذري ياخير من اعتذر اليه المسيؤن الهي لو أردت اهانتي لم تهدني ولو أردت فضيحتي لم تعافني فمتعني بما له هديتني وادم على مابه سترتني الهي لولا ما اقترفت من الذنوب ماخفت عقابك ولولا ماعرفت من كرمك مارجوت ثوابك وأنت أكرم الاكرمين بتحقيق آمال الآملين فارحم من استرحم في تجاوزه من المذنبين الهي نفسي تمنيني بانك تغفرلها فاكرم بها أمنيتي فقد بشرت بعفوك وصدق كرمك مبشرات تمنيها وهب لها بجودك مقصرات تجنيها الهي القتني الحسنات بين جودك وكرمك والقتني السيئات بين عفوك ومغفرتك وقد رجوت أن لا يضيع بين هذين وهذين محسن ومسيء الهي اذا شهد الاحسان بتوحيدك وانطلق لساني بتمجيدك ودلني القرآن على فضل جودك فكيف لا يبتهل رجائي بحسن موعدك الهي تتابع احسانك يدلني على حسن نظرك فكيف يشقى امرؤ أوليته منك حسن النظر الهي اذا نظرت بالهلكة الي عيون سخطك فما نامت عن استنقاذي عيون رحمتك الهي ان عرضني ذنبي لعقابك فقد أدناني رجائي من ثوابك الهي ان غفرت فبفضلك وان عذبت فبعدلك فيامن لا يرجى الا فضله ولا يخاف الا عدله صل على محمد وامنن علي بفضلك ولا تستقص علي بعدلك الهي خلقت لي جسما وجعلت لي آلات أطيعك بها وأعصيك واغضبك بها وأرضيك وجعلت لي من نفسي داعيا الى الشهوات واسكنتني دارا ملئت من الآفات وقلت لي ازدجر فبفضلك أعتصم واحترز واستوفقك فيما يرضيك وأسألك فان سؤالي لا يحفيك الهي لو عرفت اعتذارا وتنصلا هو أبلغ من الاعتراف بالذنب لأتيته فهب لي ذنبي بالاعتراف ولا تردني في طلبي بالخيبة عند الانصراف الهي كاني بنفسي وقد اضطجعت في حفرتها وانصرف عنها المشيعون من عشيرتها من شفير القبر ذوو مودتها ورحمها المعادي لها في الحياة عند صرعتها ولم يخف على الناظرين اليها ذل فاقتها ولا على من رآها توسدت الثرى عجز حيلتها وقالت ملائكته غريب نأى عنه الاقربون وبعيد جفاه الاهلون وخذله المؤملون نزل بنا قريبا فاصبح في اللحد غريبا وقد كنت في دار الدنيا داعيا ونظرك الي في هذا اليوم راجيا فتحسن عند ذلك ضيافتي وتكون أشفق علي من أهلي

ولم يزل عمرو بن العاص واليا على مصر الى ان توفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وولي عثمان ابن عفان فعزله وولي بدله عبد الله بن أبي سرح فلما أتى الى مصر ارتحل عمرو الى المدينة الشريفة فجبى عبد الله ابن أبي سرح خراج مصر في تلك السنة اربعة عشر الف الف دينار فلما وصل ذلك الى عثمان بالمدينة نظر الى عمرو بن العاص وقال له قد درت اللقحة ياعمرو فقال له نعم ولكن جاعت اولادها فان هذه الزيادة التي

وقراباتى الهى سترت على فى الدنيا ذنوبا فلم تظهرها فلا تفضحنى يوم القيامة
على رؤس العالمين بها واسترها على هناك يا أرحم الراحمين الهى لو طبقت
ذنوبى بين السماء والارض وخرقت النجوم وبلغت أسفل الثرى ماردنى اليأس
عن موقع غفرانك ولاصرفنى القنوط عن انتظار رضوانك الهى سمعت نفسى
اليك تستوهبها وفتحت أفواه أملها تستوجبها فهب لها ماسألت وجدلها
بما طلبت فانك أكرم الاكرمين بتحقيق امل الآملين الهى قد أصبت
من الذنوب ماعرفت وأسرفت على نفسى بما قد علمت فاجعلنى اما عبدا
طائعا لك فاكرمتنى وأما عاصيا فرحمتنى الهى دعوتك بالدعاء الذى علمتنى فلا
تحرمنى من جنانك التى عرفتنى فمن النعمة ان هديتنى بحسن دعائك ومن تمامها
ان توجب لى حسن جزائك الهى انتظرت عفوك كما ينتظره المسيؤن ولست
آيسا من رحمتك التى يتوقعها المحسنون الهى جودك بسط أملى وشكرك قبل
عملى فصل على محمد وعلى آل محمد وبشرنى بلقائك وأعظم رجائى بجزائك الهى
أنت الكريم الذى لا يخيب لديك أمل الآملين ولا يبطل عندك سبق السابقين
الهى ان كنت لا استحق معروفك ولم أستوجبه فكن أنت أهل التفضل به
على فالكريم من لم يضع معروفه عند من لا يستوجبه الهى مسكنتى لا يجبرها
الاعطاؤك وامنيتى لا يغنيها الا انعماؤك الهى أستوفقك لما يدنينى منك وأعوذ
بك مما يصرفنى عنك الهى أحب الامور الى نفسى وأعودها على منفعة
ما استرشدتها بهدايتك اليه ودللتها برحمتك عليه فاستعملها بذلك عنى اذ أنت
أرحم الراحمين بها أمنى الهى أرجوك رجاء من لا يخافك وأخافك خوف
من لا يرجو ثوابك فقنى بالخوف شرما أحاذر واعطنى بالرجاء خيرما أحاذر
الهى أنتظرت عفوك كما ينتظره المذنبون ولست آيسا من رحمتك التى يتوقعها
المحسنون الهى مددت اليك يدا بالذنوب ماسوره وعينا بالرجاء مزروره
وحقيق لمن دعاه بالندم تذللا ان يجيبه بالكرم تفضلا الهى ان عرضتنى
ذنوبى لعقابك فقد أدنانى رجائى من ثوابك الهى لم أسلط على حسن ظنى
بك قنوط الآيسين فلا تبطل صدق رجائى لك بين الآملين الهى ان انقرضت
بغيرما احببت من السعى أيامى فبالايمان أمضتها الماضيات من أعوامى الهى
ان أخطأت طريق النظر بما فيه كراماتها فقد أصبت طريق الفزع بما فيه
سلاماتها الهى ما أضيق الطريق على من لم تكن أنت دليله وما أوحش
المسلك على من لم تكن أنت أنيسه الهى انهملت عبراتى حين ذكرت خطيئاتى
ومالها الا تنهمل وما أدرى ما يكون اليه مصيرى وماذا يهجم عليه عند البلاغ
مسيرى وارى نفسى تخاتلنى وأيامى تخادعنى وقد خفقت فوق رأسى ألوية

اخذها عبد الله بن
ابى سرح اغناهى كاى
الجماجم فانه اخذ من كل
رأس دينارا خارجا عن
الخراج وحصل لاهل
مصر بسبب ذلك ضرر
شديد وهى اول نازلة
حلت بهم ثم اعيد عمرو
ابن العاص الى ولاية
مصر فى زمن معاوية
وأقام أميرا بها الى ان
مات بها ليلة عيد
الفطر سنة ثلاث
وأربعين على المشهور
ودفن بالمقطم وهو
جبل الجيوشى من
ناحية الفج وكان
طريق الناس يومئذ
الى الحجاز فاحب ان
يدعو له من مر به من
الناس وهو اول أمير

اجنحة الموت ورمتني عن قريب أعين الفوت فاعذرني وقد أوجس في مسامعي رافع الصوت لقد رجوت ممن ألبسني بين الاحياء ثوب عافيته ان لا يعريني بين الاموات بجود رأفته ولقد رجوت ممن تولاني باقي حياتي باحسانه ان يسعفني بعد وفاتي بغفرانه يا أنيس كل غريب آنس في القبر وحشتي ويا ثاني كل وحيد ارحم في القبر وحدتي ويا عالم السر والاخفى ويا كاشف الضر والبلوى كيف نظرك لي من بين ساكني الثرى وكيف صنيعك بي في دار الوحشة والبلا قد كنت بي لطيفا أيام حياتي فلا تقطع برك عني بعد وفاتي يا أفضل المنعمين في آلائه وانعم المتفضلين في نعمائه كثرت عندي أياديك فعجزت عن احصائها وضقت ذرعا في شكري لمسائل بجزائها ذلك الحمد على ما أوليت ولك الشكر على ما أبليت يا خير من دعاه داع وأفضل من رجاه راج بذمة الاسلام أتوسل اليك وبحرمة القرآن أعتمد عليك فصل على محمد وآل محمد واختم لي بخير واعصمني من النار واسكني الجنة مع الابرار ولا تفضحني بسريرتي حيا وميتا وهب لي الذنوب التي فيما بيني وبينك وأرض عبادك عني في مظالمهم قبلي واجعلني ممن رضيت عنه فحرمته على النار وأصلح لي أموري التي دعوتك بها في الدنيا والآخرة يا حنان يا منان يا ذا الجلال والاكرام يا حي يا قيوم يا من له الخلق والامر تباركت يا أحسن الخالقين يا رحيم يا قدير يا كريم صل على محمد وآله الطيبين وعليه وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته انه حميد مجيد والحمد لله رب العالمين روى عن شريح انه قال اشتريت دارا بالكوفة فبلغ ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال يا شريح اشتريت لك دارا بالكوفة فقلت نعم فقال أشهدت عدولا فقلت نعم فقال اتق الله فانه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسأل عن بينتك اذا نظرت أن لا تكون اشتريت دارا من غير مالك ووزنت من غير حقه فاذا أنت قد خسرت الدارين جميعا الدنيا والآخرة يا شريح لقد كنت حين اشتريت هذه الدار صرت الي كنت أكتب لك الصك على هذه النسخة اذا ما كنت تشتريها بدرهمين قلت وما كنت تكتب يا أمير المؤمنين قال كنت أكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى العبد الذليل من ميت قد ازعج للرحيل اشترى هذا العبد المفتون بالامل من هذا العبد المزعج بالاجل دار الخدعة والغرور من الجانب الفاني في عسكر الهالكين لها حدود أربعة فحدها الاول ينتهي الى دواعي الآفات الثاني ينتهي الى دواعي الهلكات الثالث ينتهي الى دواعي المصيبات والحد الرابع ينتهي الى الهوى والردى والشيطان الغوي وفي هذا الحد مشرع باب هذه الدار في الخروج من عز القنوع والدخول في دار الحرص والفضول فما أدرك هذا المشتري من درك

مات بمصر

(الباب الاول في خلافة الخلفاء الاربعة ومن ولي بعدهم)

وهو الحسن بن علي وفي دولة بني أمية والدولة العباسية ومن ولي مصر من نواب الخلفاء الراشدين والدولتين المذكورتين ومن دخل في ذلك بالتغلب من ابن طولون والاخشيدية والتقدم على ذلك نبذة مما يتعلق به صلى الله عليه وسلم تبركا به فنقول هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بفتح الطاء

كسرى وقيصر وتبع وحمير ومن بنى وشيد وقهر أنسيت يامغرور انك ميت أيقن بانك فى المقابر نازل تبلى وتفنى والخلائق للبلا أعثل هذا العيش يفرح عاقل وكانت مدة خلافة الامام على رضى الله عنه أربع سنين وتسعة أشهر وتوفى قتيلا يوم الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين من الهجرة وكان سنه ثلاثا وستين سنة ودفن سحرا بقصر الامارة بالكوفة وغيب قبره والله أعلم وكان السبب فى قتله رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه لما اختلف نوابه ونواب معاوية بسبب قتل عثمان بن عفان اتفق طائفة من الخوارج على قتلهما فقال عبد الرحمن بن ملجم أنا أكفيكم عليا وقال الحجاج بن عبد الرحمن الصيرفى وأنا أقتل معاوية فأما عبد الرحمن بن ملجم فانه توجه الى الكوفة وكان يكتم أمره ولا يظهر الذى يقصده على أحد ثم انه أتى قوما من بنى تيم فرأى امرأة جميلة الصورة يقال لها قطام وكان الامام على قتل أباها وأخاها يوم النهروان فخطبها ابن ملجم فقالت له لا أتزوجك الا على شروط ثلاثة أولها ثلاثة آلاف درهم والثانية قينة تغنى والثالثة قتل على بن أبى طالب فقال لها اما الدراهم والقينة فهما مهر وأما قتل على بن أبى طالب فلم ذكرت لى ذلك وماتريدين منه قالت تلتمس ضربه بالسيف فان ضربته وسلمت شفيت نفسى منه ونفعك العيش معى والا فما عند الله لك خير منى فقال لها والله ماجئت الا لقتل على بن أبى طالب وكان ماأراده الله فى الازل وتوجه من عندها الى الكوفة وكان من عادة الامام على رضى الله عنه اذا خرج الى الصلاة من بيته وقف بباب المسجد ونادى أيها الناس الصلاة الصلاة وكان ابن ملجم قد وقف له مقابل المسجد فاعترض الامام عليا وكان رفيقا لابن ملجم شبيب بن مجرة قال ابن التياح فرأيت بارقة السيف وسمعت قائلا يقول الحكم لله ياعلى ثم رأيت سيفا ثانيا فأما سيف ابن ملجم فأصاب جبهة الامام على رضى الله عنه مع قرنه الى أن وصلت الى دماغه وأما سيف ابن مجرة فوقع فى الطاق فقال على لا يفوتنكم هذان الرجلان فشد الناس عليهما من كل جانب فاما ابن مجرة فتبعته خيل المغيرة بن شعبة فقتلوه وأما ابن ملجم فصرعوه وأخذوه ودخلوا به على الامام رضى الله عنه فقال طيبوا طعامه والينوا فراشه فان أنا أعيش فانا ولى دمى فاما ان اقتص منه واما ان أعفو عنه وان مت فالحقوه بى وأخاصمه عند رب العالمين ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين قال فى زهر الآداب ان عليا رضى الله عنه لما رأى عبد الرحمن بن ملجم قال أنت الذى تخضب هذه من هذه فقيل له ياأمير المؤمنين الا تقتله قال كيف يقتل الانسان قاتله وفى رواية ومن يقتلنى وأحضر عبد الرحمن بن ملجم بعد وفاة الامام على رضى الله عنه وجاء الناس بالنفط والبوارى وقطعت يداه ورجلاه وكحلت عيناه ولم يتأوه بل يتلو القرآن فلما

المشددة وكسر اللام ابن هاشم بوزن اسم الفاعل ابن عبد مناف بفتح الميم ابن قصى بضم القاف ابن كلاب بكسر الكاف على صيغة الجمع ابن مرة بضم الميم ابن كعب بفتح أوله ابن لؤى بضم أوله وفتح الهمزة وتشديد التحتية ابن غالب بوزن اسم الفاعل ابن فهر بكسر أوله ابن مالك بن النضر بفتح أوله ابن كنانة بكسر أوله ابن خزيمة ابن مدركة بضم أولهما ابن الياس بكسر الهمزة وسكون اللام قبل المثناة التحتية ابن مضر بضم

أرادوا قطع لسانه تأوّه وامتنع من اخراجه فقيل له قطعت يداك ورجلاك وما تألمت ولا امتنعت ولم هذا الامتناع عند قطع لسانك فقال لئلا يفوتني شئ من تلاوة القرآن وأنا حي فشقوا شدقه وأخرجوا لسانه وقطعوه وقتل ثم قتلة والله يحكم بين العباد قال أبو بكر بن حماد يرثي الامام علي رضي الله عنه

قل لابن ملجم والاقدار غالبة * هدمت ويحك للاسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشي على قدم * وأوّل الناس اسلاما وايمانا
واعلم الناس بالقرآن ثم بما * سنّ النبي لنا شرعا وتبيانا
صهر الرسول وعاضده وناصره * أضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له * ما كان هرون من موسى بن عمرانا
وكان في الحرب سيفا ماضيا بطلا * ليثا اذا لقي الاقران أقرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر * فقلت سبحان رب العرش سبحانا
اني لاحسبه ما كان من بشر * يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مرادا اذا عدت قبائلها * وأخسر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الاولى التي جلبت * على ثمود بارض الحجر خسرانا
وكان يخبرهم ان سوف يخضبها * قبل المنية أزمانا وازمانا
فلا عفا الله عنه ما تحمله * ولا سقى قبر عمران بن حطانا

وقال أيضا

وهز علي بالعراقين لحية * مصيبتها حلت على كل مسلم
وقال سيأتيها من الله حادث * يخضبها أشقى البرية بالدم
فباكره بالسيف شلت يمينه * لشوم قطام عند ذل بن ملجم
فيا ضربة من خاسر ضل سعيه * تبوأ منها مقعدا في جهنم

وقال البحتري

ولا عجب للاسد ان ظفرت بها * كلاب الاعادي من فصيح واعجم
فضربة وحشي سقت حمزة الردى * وموت علي من حسام ابن ملجم

أوّله ابن نزار بكسر أوّله وفتح الزاي قبل الالف ابن معدّ بفتح أوّله وتشديد ثالثه ابن عدنان بوزن فعلان وهذا هو النسب المتفق عليه وليس مما وراءه طريق صحيح (ولما نفخ الروح في آدم) كان نور نسمة محمد صلى الله عليه وسلم يلمع في جبهته كالشمس المشرقة ثم انتقل ذلك النور من صلب آدم عليه السلام الى رحم حوّاء ومنها الى صلب شيث ولم يزل ينتقل من أصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وهو معنى قوله تعالى وتقلبك في الساجدين

(خلافة سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما)

هو سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم بويع له يوم مات أبوه وأقام ستة أشهر وخلع نفسه في ربيع الاوّل سنة احدى وأربعين ومات سنة خمس وسنه سبع وأربعون سنة ودفن بالبقيع روى سفينة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدي ثلاثون عاما ثم تكون ملكا عضوضا وكان آخر ولاية الحسن ثلاثون سنة من خلافة أبي بكر رضي الله عنه وروى ان النابغة الجعدي نظر الى الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فقال رحبا على

رحب وقربا على قرب هذان سبطا محمد صلى الله عليه وسلم ودعوة ابراهيم وصريحا اسمعيل وفرعا قريش وشبلا هاشم وسيدا شباب أهل الجنة ثم انشأ يقول

بدران من شمس كريم نبعة * أفنانها بيد النبوة تزهر
من حجر طاهرة لفرع طاهر * كرمت مناسبه وطاب العنصر
الاطيبون أرومة من هاشم * والاكرمون مآثرا لا تنكر
جبريل منهم والنبي محمد * والمروتان وزمزم والكوثر
والبيت بيتهمو ونسب منهمو * ومنى يورثها الصغير الاكبر
واذا وقفت على العشار عشية * حجرتهمو حجراتها والمشعر

(مسئلة) مفيدة سئل عنها مولانا شيخ الاسلام الشيخ شهاب الدين أحمد الرملى الشافعى تغمده الله برحمته وهى هل يقال لمن هو من ذرية العباس رضى الله عنه سيد وشريف وهل له تعليق علامة الشرف أم لا أجاب ليس الامور المذكورة لاحد من أولاد العباس ولا لاحد من أقاربه وأولاد بناته صلى الله عليه وسلم الا لاولاد سيدتنا فاطمة رضى الله عنها فالشرف مختص باولادها الحسن والحسين ومحسن فاما محسن فمات صغيرا فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم والعقب للحسن والحسين رضى الله عنهما وانما اختصا بالشرف هما وفروعهما الامور كثيرة منها كونهما مشاركين للنبى صلى الله عليه وسلم فى نسبه فانهما هاشميان ومحبة النبى صلى الله عليه وسلم لهما وكونهما سيدى شباب أهل الجنة فى الجنة قال صلى الله عليه وسلم انهما بضعة منى يريبنى مايريبهما ويؤذينى مايؤذيهما وكونها أشبه بناته فى الخلق والخلق حتى فى المشى ومنها اكرامه لها حتى انها كانت اذا جاءت اليه قام لها وأجلسها فى مجلسه لما أودعه الله فيها من السر ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال ابشر يا أبا الحسن فان الله عزوجل قد زوجك بها فى السماء قبل ان أزوجك بها فى الارض ولقد هبط على ملك من السماء قبل ان تأتينى فقال لى السلام عليك يارسول الله ابشر باجتماع الشمل وطهارة النسل فما استتم كلامه حتى هبط جبريل فقال السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ثم وضع من يده حريرة بيضاء مكتوب فيها سطران بالنور فقلت ماهذه الخطوط فقال ان الله عز وجل اطلع الى الارض اطلاعة فاختارك من خلقه وبعثك برسالته ثم اطلع اليها ثانية فاختار لك منها أخا وزيرا وصاحبا وحبيبا فزوجه ابنتك فاطمة فقلت من هذا الرجل فقال أخوك فى الدين وابن عمك فى النسب وقد أمرنى ان آمرك بتزويجها بعلى فى الارض وان أبشرهما بغلامين زكيين محبين فاضلين طاهرين خيرين فى الدنيا والآخرة ومما أفاده مولانا شيخ الاسلام ابن حجر الهيتمى فى كتابه الصواعق المحرقة حيث قال ينبغى لكل أحد ان يكون له غيرة على هذا النسب الشريف

وكان كل جد من أجداده من لدن آدم أخذ العهد والميثاق ان لا يوضع ذلك النور الا فى الطاهرات فاول من أخذ العهد آدم أخذه على شيث وشيث على انوش وانوش على قينن وهكذا الى ان وصلت النوبة الى عبد الله ابن عبد المطلب فلما أودع ذلك فى صلبه لمع ذلك النور من جبهته فظهر له جمال وبهجة فكانت نساء قريش يرغبن فى نكاحه وقد لقى فى زمانه مالقى يوسف عليه السلام من امراة العزيز (وقد روى

وضبطه حتى لا ينتسب اليه صلى الله عليه وسلم أحد الا بحق ولم تزل أنساب أهل البيت النبوى مضبوطة على تطاول الايام وأحسابهم التى بها يتميزون محفوظة عن ان يدعيها الجهال واللئام عند من يقوم بتصحيحها فى كل زمان ومن يعتنى بتفاصيلها فى كل أوان خصوصا انساب الطالبيين والمطلبيين ومن ثم وقع الاصطلاح على اختصاص الذرية الطاهرة بفاطمة من بنى ذوى الشرف كالعباسيين والجعافرة بلبس الاخضر اظهارا لمزية شرفهم ثم فى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة أمر السلطان الاشرف شعبان ابن السلطان حسن بن الناصرى محمد بن قلاوون أن يمتازوا عن الناس بعصائب على العمائم ففعل ذلك باكثر البلاد كمصر والشام وغيرهما وفى ذلك يقول بن جابر الاندلسى نزيل حلب وهو صاحب شرح الفية بن مالك المسمى بالاعمى والبصير

جعلوا لابناء الرسول علامة * ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة فى كريم وجوههم * يغنى الشريف عن الطراز الاخضر

وقال فى ذلك جماعة من الشعراء مايطول ذكره ومن أحسنه قول الاديب محمد ابن ابراهيم بن بركة الدمشقى

أطراف تيجان أتت من سندس * خضر لاعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهمو بها * شرفا ليعرفهم من الاطراف

(فائدة) عظيمة وهو ان النابغة الجعدى المذكور كان من شعراء الجاهلية ثم أدرك الاسلام روى عنه أنه قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فانشدته قصيدتى حتى انتهيت الى قولى

أتيت رسول الله اذجاء بالهدى * ويتلو كتابا واضح الحق نيرا
بلغت السما مجدا وجودا وسوددا * وانا لنرجوا فوق ذلك مظهرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أين يا أبا ليلى فقلت الى الجنة يارسول الله فقال الى الجنة ان شاء الله ثم انتهيت الى قولى

ولا خير فى حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما أورد الامر أصدرا

فقال صدقت وأحسنت لا يفضض الله فاك قال فبقيت عمرى أحسن الناس ثغرا وعمرت عمرا طويلا فكنت كلما سقطت لى سن نبتت مكانها أخرى لدعوة النبى صلى الله عليه وسلم وعظم وشرف وكرم

(الباب الثانى فى دولة بنى أمية)

كانت بالشام وعدة الخلفاء منهم أربعة عشر خليفة وكانت عمالهم بمصر وغيرها ومدة نصرتهم اثنتان وتسعون سنة (أولهم) معاوية بن أبى سفيان رضى الله

الترمذى) عن العباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق وجعلنى من خيارهم ثم تخير القبائل فجعلنى فى خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلنى فى خير بيت فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا أى ذاتا وأصلا * وأخرج ابن جرير فى تفسير قوله تعالى حكاية عن ابراهيم الخليل عليه السلام واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام عن مجاهد قال استجاب الله تعالى دعوة ابراهيم فى ولده

عنه واسمه صخر بن حرب بويع له فى ذى الحجة سنة أربعين ببيت المقدس قال الطبرى لما مات الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه اتفق معاوية وعمرو بن العاص على ان يكون معاوية بالشام وعمرو بن العاص بمصر ولا يكون لاحدهما على الآخر كلام ثم جعل الناس يقدمون على معاوية من سائر الاقطار وهو يرضى الناس بالاموال فلما فرغ ما عنده من الاموال كتب الى عمرو بن العاص انه قد كثر على ورّاد الحجاز ووفود العجم والشام والروم واليمن ولم يكن عندى شئ أرضيهم به فصير الى خراج مصر سنة واحدة لاستعين به على من يرد على فقال عمرو ابن العاص فى نفسه متى صيرت اليه مالا يطالبنى فى كل سنة فكتب جوابا لمعاوية يقول له هذه الابيات

معاوى ان تدركك نفس شحيحة * فما ورثتنى مصر أمى ولا أبى
وما نلتها عفوا ولكن شرطتها * وقد دارت الحرب العوالى على قطبى
ولولا دفاع الاشعرى وصحبه * لالفيتها تدعو كفاقدة الصبى

فكتب اليه معاوية انه قد تردد كتابى اليك اطالب خراج مصر وانت تمتنع وتدافع ولم تسيره فسيره الى قولا واحدا وطلبا جازما والسلام فكتب اليه عمرو بن العاص جوابا وهى القصيدة الجلية المشهورة التى أولها

معاوية الفضل لا تنس لى * وعن منهج الحق لا تعدل
نسيت احتيالى فى جلق * على أهلها يوم لبس الحلى
وقد أقبلوا زمرا يهرعوا * ويأتون كالبقر الهمل

ومنها أيضا

ولولا كنت كمثل النسا * تعاف الخروج من المنزل
نسيت محاورة الاشعرى * ونحن على دومة الجندل
والعقته عسلا باردا * وأمزجت ذلك بالحنظل
ألين فيطمع فى جانبى * وسهمى قد غاب فى المفصل
وأخلعها منه عن خدعة * كخلع النعال من الارجل
وألبستها فيك لما عجز * ت كلبس الخواتم فى الانمل

ومنها أيضا

ولم تك والله من أهلها * ورب المقام ولم تكمل
وسيرت ذكرك فى الخافقين كسير الجنوب مع الشمأل
نصرناك من جهلنا يا ابن هند * على البطل الاعظم الافضل
وكنت وان ترها فى المنام * فزفت اليك ولا مهر لى
وحيث تركنا أعالى النفوس * نزلنا الى اسفل الارجل

فلم يعد أحد منهم صنما بعد دعوته وجعل من ذريته يقيم الصلاة * قال السيوطى رحمه الله وهذه الاوصاف كانت لاجداده صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر ذرية ابراهيم عليه السلام وكل ما ذكر عن ذرية سيدنا ابراهيم من المحاسن فان أولى الناس به سلسلة الاجداد الشريفة الذين خصوا بالاصطفاء وانتقل اليهم نور النبوة واحدا بعد واحد ولم يدخل ولد اسحق عليه السلام وبقية ذرية ابراهيم

وكم قد سمعنا من المصطفى * وصايا مخصصة فى على

ومنها أيضا

وان كان بينكما نسبة * فأين الحمام من المنجل

وأين الثريا وأين الثرى * وأين معاوية من على

فلما سمع معاوية هذه الابيات لم يتعرض له بعد ذلك قيل دخل عقيل بن أبى طالب على معاوية وقد كف بصره وجلس الى جانبه على سريره فقال له معاوية أنتم معاشر بنى هاشم تصابون فى أبصاركم فقال له عقيل وأنتم معاشر بنى أمية تصابون فى بصائركم فسكت ولم يتكلم وقيل ان معاوية قال يوما لجلسائه ماتعدون الغريب فيكم فقالوا الذى لا احد له فقال بل الغريب الذى مات نظراؤه الذين كان يستأنس بهم وأنشد

اذا ذهب القرن الذى أنت منهمو * وخلفت فى قرن فأنت غريب

مفرد فى المعنى

أجالس معشرا لاشكل فيهم * واشكالى قد اعتنقوا اللحودا

قيل دخل نجار العدوى على معاوية وعليه عباءة فازدراه فقال ياأمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك وانما يكلمك من فيها فقال معاوية مارأيت أحقر منه أولا ولا أكبر منه آخرا وقيل قال الاسكندر لرجل دنا من مجلسه فتكلم بفصاحة لكن حسن ثيابك يحسن كلامك فقال أمّا الكلام فأنا قادر عليه وأما الثياب فأنت تقدر عليها فخلع عليه وأكرمه (ذكر قدوم عكرشة بنت الاطروش بن رواحة على معاوية) قيل دخلت عليه وهى متكئة على عكازها فسلمت عليه بالخلافة ثم جلست فقال لها معاوية ياعكرشة اليوم صرت عندك أمير المؤمنين فقالت له نعم اذ لا على حى فقال معاوية ياعكرشة ألست يوم صفين المقلدة حمائل سيفك بين الصفين وأنت واقفة تقولين أيها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ان الجنة لا يحزن من سكنها ولا يموت من دخلها فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا تنصرم همومها مستظهرين بالصبر على من طلب حقوقكم ان معاوية قد وفد عليكم بعجم العرب غلف القلوب لا يفقهون الايمان ولا يدرون الحكمة دعاهم بالدنيا فاجابوه واستدعاهم بالباطل فلبوه فالله الله عباد الله فى دين الله يامعشر المهاجرين والانصار امضوا على سيركم واصبروا على عزيمتكم واعلموا ان مصيركم الى الموت كانى بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام كالحمر النافرة وكانى أراك على عكازك هذه وقد انكفأ عليك العسكران يقولون هذه عكرشة بنت الاطروش كان كدت تقتلى أهل الشام وكان أمر الله قدرا مقدورا فما حملك على ذلك قالت ياأمير المؤمنين يقول الله عز وجل ياأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن

لانه دعا لاهل هذا البلد ألا تراه قال اجعل هذا البلد آمنا وعقبه بقوله واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام فلم تزل ناس من ذرية ابراهيم عليه السلام على الفطرة يعبدون الله تبارك وتعالى وبدل له قوله تعالى وجعلها كلمة باقية فى عقبه فان الكلمة الباقية هى التوحيد وعقب ابراهيم عليه السلام هم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ونسله وآباؤه الكرام فابواه ناجيان منعمان فى أعلى درجات الجنان لانهما ماتا فى زمن

أشياء ان تبدلكم تسؤكم وان اللبيب اذا كره أمرا لم يحب اعادته فقال لها معاوية صدقت اذكري حاجتك وما جئتني بسببه قالت ان صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فترد على فقرائنا وانا قد فقدنا ذلك فلا يجبر لنا كسير ولا ينتعش لنا فقير ثم قالت فان كان ذلك عن رأيك فمثلك من انتبه من الغفلة وراجع التوبة وان كان عن رأي غيرك فمثلك من لا يستعين بالخونة ولا يستخدم الظلمة فقال لها معاوية ياهذه اتقى الله انه ينوبنا من أمور رعيتنا أمور تنفتق وبحور تندفق فقالت سبحان الله والله ما فرض لنا حقا وفيه ضرر لغيرنا وهو علام الغيوب فأمر لها معاوية ولمن معها برد صدقاتهم اليهم وانصرافهم واكرامهم وأعطاها خمسمائة دينار فأخذتها وانصرفت وأقام معاوية في الخلافة عشرين سنة وتوفي في رجب سنة ستين وسنه ثمان وسبعون سنة ودفن بدمشق

(خلافة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان)

بويع له يوم مات أبوه قيل جلس يزيد في بيته يأكل الطعام فأجلس علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم على ركبته اليمنى وأجلس خالدا ولده على ركبته اليسرى وكان سن كل واحد منهما خمس سنين فقال لعلي يا أبا الحسن أما تقوم تتصارع أنت وابن عمك خالد لنتفرج عليكما فقال علي بن الحسين وما يأتينا من الصراع ياعم اعطني سيفا وأعطه سيفا وانظر أينا أصبر على الموت قال فنظر اليه يزيد شزرا وقال والله كنت أحسب ان الضغائن تفرغ من القلوب ولا تلد الحية الا حوية ثم رفعه من على ركبته وكان قبل ذلك يأكل معه في البيت فلم يطلبه بعدها ومات يزيد في تلك السنة (ومما يحكى) أنه لما قتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ووصل رأسه الى يزيد وضعه بين يديه وقرعه بقضيب كان معه بيده على ثناياه ثم أمر بالرأس فنصب أياما على باب دمشق وطلب يزيد أهل الشام وأحضرهم حوله وأحضر عليا الأصغر بن الحسين والنساء معه ينظرون اليهم فقال يزيد لعلي ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في أبيك الذي قطع رحمي ونازعني في سلطاني فصنع الله به ما رأيت فقال علي ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب فقال يزيد لابنه خالد أجبه عما قال فلم يدر خالد ما يقول فقال يزيد وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير روى الطبري أن يزيد أمر بخطيب من بني أمية أن يصعد المنبر فصعد وخطب ونال من علي ومن الحسين وأطنب في ذلك فاستأذن علي بن الحسين في أن يصعد المنبر ويذكر ما يريد فامتنع يزيد من ذلك فألح عليه في ذلك فأذن له فصعد المنبر وخطب خطبة بليغة حتى أبكى العيون وأوجل القلوب من جملتها أيها الناس من عرفني فقد عرفني ولم يعرفني فاني

الفترة وأهل الفترة ناجون وان غيروا وبدلوا وعبدوا الاصنام على الراجح الا من أخبر صلى الله عليه وسلم بعدم نجاتهم كامرئ القيس وأضرابه وقد حفظ الله تعالى نسبه الشريف من سفاح الجاهلية * قال محمد بن السائب كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم فما وجدت فيهم سفاحا ولا شيأ مما كان في أمر الجاهلية فان بعض أهل الجاهلية كان اذا أراد النكاح يقول الزوج خطب ويقول ولي نكاح المرأة نكح وهذا عندهم عبارة

أعرفه بنفسي وأنسب له حسبي ونسبي أنا ابن مكة أنا ابن زمزم والصفا أنا ابن من حمل الركن بأطراف الردا أنا ابن خير من ائتزر وارتدى أنا ابن خير من انتعل واحتفى أنا ابن خير من حج ولبى أنا ابن خير من ركب البراق في الهوا أنا ابن خير من أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى أنا ابن خير من بلغ به جبريل سدرة المنتهى أنا ابن من دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى أنا ابن خير من صلى بملائكة السما أنا ابن محمد المصطفى أنا ابن علي المرتضى أنا ابن فاطمة الزهراء أنا ابن سيدة النساء أنا ابن الاولياء أنا آخر الاصفياء فعند ذلك ضج الناس بالبكاء وكادت أن تكون فتنة فقل وخشي الفتنة ولما حمل رأس الحسين الى الشام خرجت زينب بنت علي بن أبي طالب في نساء من قومها من بني هاشم وهن حاسرات وكن يومئذ بدمشق وهي تنشد وتقول

ماذا تقولون اذ قال النبي لكم * ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي * نصف أسارى ونصف خضبوا بدم
ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم * ان تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

وقيل ان يزيد بن معاوية قال من جاءني برأس الحسين ملأت ركابه ذهبا فانفرد واحد من القوم وهو على ما قيل انه شبل بن يزيد الحميري وقيل شمر بن أبي الجوشن وحز رأسه ودفعه الى أخيه خولي وقيل غيره ولما قدموا به على يزيد وضعه الحامل له بين يديه وأنشد مخاطبا ليزيد

أملا ركابي فضة وذهبا * أنا قتلت السيد المحجبا
قتلت خير الناس أما وأبا * وخيرهم اذ ينسبون نسبا

فقال له يزيد لما علمت انه موصوف بهذه الاوصاف لأي شئ قدمت على قتله فامر بضرب عنقه لوقته وفاته ما أمله من الذهب والى جهنم قد ذهب وقد سئل مولانا شيخ الاسلام الشيخ شهاب الدين أحمد الرملي الشافعي رحمه الله تعالى في يزيد بن معاوية هل يجوز لعنه لانه قتل سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمر بقتله أو لا يجوز لعنه لانه لم يقتله ولا أمر بقتله وفي عبد الرحمن بن ملجم الذي قتل عليا هل هو مسلم أو كافر أجاب رحمه الله لا يجوز لعن يزيد بن معاوية كما صرح به جماعة منهم صاحب الخلاصة وغيره لانه صلى الله عليه وسلم نهى عن لعن المسلمين ومن كان من أهل القبلة ولا يخالفه قول بعض المتأخرين انهم اتفقوا على جواز لعن من قتل الحسين أو أمر بقتله أو أجازه أو رضي به لان معناه على وجه التعميم وهو لعن الطوائف المذكورة بالاوصاف دون تعيين لانسان ليكون من باب لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها رواه أبو داود وابن ماجه بل لم يثبت انه قتل الحسين رضي الله عنه ولا أمر بقتله كما صرح

عن العقد وأما نكاح عبد الله آمنة فكان عقدا موافقا لما عليه شريعة الاسلام مشتملا على تلك الشروط المعتبرة وان لم تكن بشرع بل بتوفيق من الله تعالى وكذا في بقية أجداده عليه الصلاة والسلام * (ولما قرب وجوده) * صلى الله عليه وسلم رأى عبد المطلب وهو نائم في الحجر مناما هائلا فانتبه فزعا مرعوبا وأتى كهنة قريش وقص عليهم رؤياه فقالت له الكهنة ان صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يسود أهل السماء

به جماعة منهم حجة الاسلام الغزالى قال فى الانوار ولا يجوز لعن يزيد ولا تكفيره فانه من جملة المسلمين ان شاء رحمه وان شاء عذبه قاله الغزالى والمتولى وغيرهما وقد طعنه سنان بن أبى أنس فالقاه عن فرسه واجهز عليه خولى بن يزيد من حميرونزل ليحزرأسه فارتعدت يداه فنزل أخوه شبل بن يزيد فاحتز رأسه ودفعه الى أخيه خولى ولما قدموا به على يزيد وذكرواله قتله دمعت عيناه وقال ويحكم كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن مرجانة أنا والله لو كنت صاحبه لعفوت عنه ثم قال رحم الله أبا عبد الله وغفرله ولما دخل عليه على بن الحسين فى السبى قال خلوا عنهم وكساهم وأخرج لهم جوائز كثيرة ثم قال لو كان بينهم وبين ابن مرجانة نسب ما قتلهم ثم ردهم الى المدينة وأما عبد الرحمن بن ملجم الذى قتل عليا كرم الله وجهه فهو مسلم من الخوارج الذين يكفرون مرتكب الكبائر فقد قال الامام الشافعى رضى الله عنه انه قتل متأولا لانه وكيل امرأة قتل على أباها يعنى متأولا عند نفسه فيما كان مخاطبا فيه وفيما لا يحتمل التأويل وليس كل من يؤول كان له ان يتأول وقد قطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه فلم يجزع ثم أرادوا قطع لسانه فجزع فقيل له لم لا جزعت لقطع يديك ورجليك وجزعت لقطع لسانك قال انى أكره ان تمر ساعة على من نهار ولا أذكر فيها اسم الله تعالى (نكتة مضحكة) قال صاحب النوادر اللطيفة مات مأبون يقال له قرنفل فرآه شخص فى المنام فقال ايش حالك يا قرنفل قال لا تسألنى عن شئ قال الى أين صرت يا قرنفل قال الى جهنم قال ويحك ومن يلوط بك فى جهنم قال يزيد بن معاوية وأنا واياه أصحاب ذكر فى القاموس فى باب الثاء فى حرف الدال الدغبوث بالضم هو المأبون قال مؤلف النفحات المسكية أجمع العلماء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة على تحريم اللواط ومن قال بحل ذلك فهو زنديق كافر من غير خلاف بين أهل السنة والكتاب قال صلى الله عليه وسلم من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وعن جابر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف على أمتى فعل قوم لوط فمن عمل عمل قوم لوط فاحرقوه وقال ابن عباس حد اللواط ان يرمى فاعله من سطح عال ثم يرجم حتى يموت وفى رواية ينكس من مكان مرتفع وقيل يهدم الجدار عليه وعن مالك والشافعى وأحمد بن حنبل يرجم فى الاظهر لقوله صلى الله عليه وسلم اقتلوا الفاعل والمفعول به ومن استحله كفروا اذا ركب الذكر الذكر اهتز العرش (حكى) عن بعض أهل اللطافة قال طلعت يوما نحو القرافة فى تحف وتراقة لازور من فيها من الاموات وأتعظ على ما فات والى ما هو آت واذكر هاذم

والارض فتزوج فاطمة بنت عمرو ابن عائذ من نسل النضر وأمها صخرة بنت عبد الله ابن عمران من نسل النضر أيضا فحملت بعبد الله الذبيح وقصته فى الذبح مشهورة وسبب تسميته بذلك ان عمرو الجرهمى لما أحدث قومه بحرم الله الحوادث وقيض الله تعالى لهم من أخرجهم من مكة عمد عمرو الى زمزم فطمها وهرب الى اليمن ومضت مدة طويلة وزمزم مطموسة مجهولة الى ان رأى عبد المطلب رؤيا تشير له

الحصى ٧٢

اللذات ومفرق الجماعات وميتم البنين والبنات وارتدع عن المعاصي
والسيئات فاخترقت تربها واستجليت عجبها وجعلت أجول بطرفي في
أزهارها وعشبها وأتفكر كيف ساوت تلك البقعة بين الملك والمملوك وخالطت
بين الغني والصعلوك وكم فيها قبر بزار وكم قبر مندرس علا عليه التراب والغبار
فجعلت تارة أدير طرفا غرغرت عليه الدموع وتارة أعاتب قلبا لفراق الاحبة
موجوع وتارة أندب ناسا ساروا وأخلوا الاطلال والربوع وتارة أبكي لفقد
أناس كانت وجوههم أضوأ من الشموع وأسبح الله الذي أرقدهم المحيي المميت
الذي لاراد لامره ولاقضاؤه ممنوع فبينما أنا كذلك وفي وسط الطريق سالك
اذ نظرت في كهف الجبل الى بناء منقطع وحوش في الجو مرتفع فمشيت الى
ان وصلت اليه ونويت الجلوس على بابه لاسقط التعب عليه واذا أنا بصوت
داخل البناء أحسن من نغمات الاوتار وأطيب من صوت الهزار وتسجيع
الاطيار يكرر بصوته النياحة ويندب بنغمته أوقات الراحة بصوت تميل
اليه قلوب سامعيه لما فيه من الذكاء والفصاحة يهيج الاشواق ويفتت قلب
المشتاق وتتطاول اليه الاعناق وتهمي بسماعه العيون من الاماق بقلب
جريح كأنه كابد مرارة الفراق ينشد ويقول

ما أنت ياقبر لاروض ولافلك * فكيف يجمع فيك الشمس والقمر
بالله ياقبر لاتبلى محاسنه * وهل تغير ذاك المنظر النضر
وهل بها وجهه فان وبهجته * وهل فني بفناه نشره العطر
وهل تدوم مسراتي لفرقته * هيهات قد عاد صفوي بعده كدر

ثم شهقت شهقة في أثر انشادها وتزايد بي تعبي بترددها وتقطع قلبي بنواحها
وبكائها وتعدادها الى أن سلبت كل عضو مني وأذهبت نومي عني فقلت والله
لاهجمن على هذا الباب وأحظى بسماع هذا الخطاب وانظر من هذا الذي
هو مصاب فلعلي الاحظ هذا الشاكي فأشاكيه فأما أسليه وأما انسيه
فطرقت الباب طرق متردد في أمره حامد لله على زيادة نعمه وشكره ففتح لي
الباب سريعا وولجوابه مريعا فاذا هي امرأة ذات جمال فائق وشكل لائق
وقد شاهق صاحبة عطف ومعاطف كأن شمائلها سرقت من الظبي المعاطف
بغنج ودلال وقد واعتدال وبهاء وكمال كما قال فيها الشاعر

تشابه غصن البان كالبدر والشمس * وقد طهرت من كل عيب ومن رجس
وليس لها بين البرية مشبه * فسبحان من بالحسن وجنتها مكسي
اذا نظرت عيناي نور جمالها * تزايد بي شوقي ووجدي مع الانس
تحاكي لغصن البان والبدر في الدجى * وطول نهاري في محاسنها درسي

بحفر زمزم فاراد ذلك
فمنعته قريش وآذاه
سفهاؤهم حسدا ولم
يكن له ولد سوى
الحرث فنذر لله تعالى
ان ولد له عشر بنين
ليذبحن احدهم
ويستعين بباقيهم على
حفر زمزم فتكامل
له عشر بنين وهم
الحرث والزبير وحجل
وضرار والمقدم وأبو
لهب والعباس وحمزة
وأبو طالب وعبد الله
ولما قرت عينه بهم
نام ليلة عند الكعبة
فرأى في منامه قائلا
يقول ياعبد المطلب
أوف بنذرك لرب
هذا البيت فاستيقظ
فزعا مرعوبا وأمر

عسى خالقي يمنّ علي بوصلها * فمالي سواها في حياتي وفي رمسي

ثم سألت اذنا في العبور فانعمت وسلمت السلام التام وأكرمت فبدأت بقراءة آيات من كتاب الله تعالى رب الارباب وأهديتها لسكان التراب ثم تجاسرت بكلامي عليها وتقدمت اليها وسلمت عليها وسألتها عن قصتها وحالها وقضيتها وماجرى لها فقلت لها من هذا الذي تندبينه وفي هذه البرية تبكينه وتنعيه أذهبت عنوان شبابك وقتلت نفسك بين أترابك فقالت يا أخي هذا بعلي الذي أحسن الي فيما مضى وخافني للشقاوة والقضا فقلت لها يا أختي اشتغلي بما ينفعك عنه فالموت سبيل لابد منه فابدت بكاء وعويلا ونظرت الى القبر طويلا بدمع هاطل يشبه السيول وأنشدت تقول

ياساكن القبر فوق القبر ذات جوى * يرثي لها القبر من حزن ومن شجن
تخالفت فيك أحوالي امي وضنى * الى لقاك وطرف طالب الوسن
وخالف القلب فيك العين من كمد * واسود بالغم وابيضت من الحزن
من بعد بعدك بت الليل ساهرة * لم يهن بالجوى سكنى الى سكني
وأضحت بعدك الاطلال خالية * وكم أياد لبعلي ثم كم منن
وكنت عونا لجمع النائبات وكم * أحسنت يابعل لي في سالف الزمن

ثم بكت حتى أغشي عليها ومالت كابتي بالشفقة اليها وأحرقت قلبي ببكاها ورحمت قلقها ونواها فلما فرغت من البكاء مالت بجانبها الى جانبي وغازلتني بالعين والكتف وتبهرجت علي بالخصر والردف فلما رأيت ذلك من حالها وما أبدته من فعالها تزايد بي الطمع وداخلني في مداخلتها الرجا ولم أجد عن هواها سبيلا ومخرجا فقلت ياسيدتي بحق من ألبسك الجمال وخصك بالحسن والبهاء والكمال الا ما رضيتيني لك بعلا ونخدمك أهلا لاكون أسبق الناس الى مرضاتك وابذل المجهود في قضاء حاجاتك فنظرت الى شزرا وغضبا وامتلأ قلبي منها رعبا وأنشدت تقول

أتطلب مني ان أكون مزوجا * فلست أرى هذا سبيلا ومخرجا
ولم ألتقي زوجي له المثل في الورى * ولامثله لي في البرية مرتجا
ذوالله لا أضحيت من تحت غيره * الى أن أراه من فنا القبر اخرجا
فزوجي له قدر وعلم وحكمة * وحلم وفضل وهو الخير مرتجا
فبالله دع هذا الكلام ولاتكن * بقولك هذا مابرحت مبهرجا
فلازلت مقلاة بغير تزوج * وربي من ضيقي يكون مفرجا

ثم قالت وحق رب العباد الذي ألبسني حلة الحداد وقضى عليّ بالفراق والبعاد لا كان ذلك الى يوم المعاد فقلت لها ياستي اذا لم تنعمي لي بالزواج وأنا

يذبح كبش واطعمه للفقراء والمساكين ثم نام فرأى أن قرب ماهوا كبر من ذلك فاستيقظ من نومه وقرب ثورا ثم نام فرأى ان قرب ماهوا كبر من ذلك فانتبه من نومه وقرب جملا ثم نام فرأى ان قرب ماهو اكبر من ذلك فقال وما اكبر من ذلك قال قرب احد اولادك الذي نذرته فاغتم غما شديدا ثم جمع اولاده واخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء فقالوا جميعا انا لك طائعون فمن تذبح منا فاذبح فقال لياخذ كل منكم قدحا بكسر القاف اي سهما

من هذا الامر فى ضيق وانزعاج فسألتك بحق الله شفى كل عله وأبرد كل غله الاما صدقت على مملوكك بقبله فقالت لقد أقسمت على بقسم عظيم وحلفتنى بالله كريم ثم ناحت وبكت لفرقة الاحباب وتأوهت تأوه المصاب وواعدت بعود كانه كان معها فى التراب وقالت ان كان ولابد يا شاب فلعظيم قسمك تكون القبلة من فوق النقاب فلما سمعت ذلك بادرت اليها وأرميت كليتى عليها ونهضت اليها نهضة العاشق اليها وقبلتها تقبيل الرجل المشغوف وأنشدت أقول

أحباب قلبى أنعموا بالخطاب * ولاطفوا واغتنموا للثواب
وقد رضوا من بعد ما قد جفوا * وراق لى وقتى وطاب العتاب
وأنعموا لى بالوفا عاجلا * بقبلة قبلت فوق النقاب
وطالت الخلوة ما بيننا * ونائب الهجران ولى وغاب

ثم قلت ياسيدتى بحق الله علام الغيوب وكاشف الكروب الاما وصلتنى وصال محب لمحبوب فنظرت الى عند ذلك وقالت يا شاب ان قلبى بالفراق مكسور وحالى معذور وتطلب منى أن توقعنى فى محظور ويكون ذلك بين القبور ويبقى عرضى مثلك مهتوكا غير مستور وأعصى الاله الغفور فوالله لا كان ذلك الى يوم النشور وأنشدت تقول

أتطلب منى الوصل فى جيرة القبر * وتقصد هتكى فى البرية مع سترى
وتقصد بى المحظور يا صاح ترمنى * ليزداد اثمى والخطايا مع الوزر
وفى جيرة الاموات أعصى لخالقى * فلا كان هذا القول لو ينقضى عمرى
وأنسى عهود الله بينى وبينه * ونحن توافينا الى أبد الدهر

قال فحصل لى عند ذلك الاياس وتزايد بى نحوها القلق والوسواس وتزايدت بى الحسرات وانهملت العبرات وقلت ياسيدتى بحق الله يرى ولا يرى وبحرمة نبى أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الى السموات العلا الى سدرة المنتهى الى نحو خالقه سرى وصلى وحج واعتمر وحال وحوم وتعبد فى حرى الا ما قضيت لى بالوصل وطرا فقالت والله لقد أقسمت على بما يقسم الورى والله لا كان هذا ولا جرى فان كان ولابد فيكون من ورا فما استتمت كلامها حتى أجبتها الى ما اختارت وأدرتها على جنبها فاندارت وقمت أفعل فيها ما أشارت ومهجتى من الفرح قد طارت ففتحت عن مؤخر السراويل وكشفت وسارعت فى الايلاج وتركته ساعة طويلة بلا اخراج وأنا فى لذة وحبور وقد نلت فرحا وسرور فلما قضيت الحاجه وزالت عنى اللجاجه أنشدت أقول

قد واصلونى أحبابى وما كسروا * قلبى وبالوصل ما بين الورى جبروا

ثم ليكتب فيه اسمه ففعلوا واخذ قداحهم ودخل جوف الكعبة ودفعها الى القيم كما كانوا يصنعون وقام عبد المطلب يدعو الله تعالى فخرج على عبد الله وكان احبهم اليه فقبض عليه واخذ الشفرة واقبل على ذبحه فمنعه سادة قريش وقالوا لا ندعك تذبحه حتى تعذر الى ربك والئن فعلت هذا لم يزل الرجل ياتى بابنه فيذبحه ويكون سنة ولكن انطلق الى قطيعة او سجاح الكاهنة فلعلها تأمرك بامر فيه فرج فانطلقوا حتى اتوا

تالله ما كان أحلى وصلنا عجلا * ونحن فى لذة لم يعلها كدر
والواش عنا غفول والرقيب معا * وساذتى عن محاسن وجههم سفروا
هذا هو العيش لو دام الزمان به * لكن زمانى هذا كله غير
فافهم لقولى واسمع يا أخا ثقة * قولا بدا ما حكاه فى الورى بشر

فقلت بعد ذلك لابد من معرفتها لافوز بقربها وصحبتها فقلت ياسيدتى بحق اسمعيل الذبيح وبحق من جعل النار بردا وسلاما على ابراهيم بعد ان كان فيها طريح ونجى من اليهود المسيح الاما كشفت لى عن وجهك الصبيح ومتعتينى بجمالك المليح لا كون لك عارفا ولمحاسنك واصفا ولسائر أشغالك خادما وعلى بابك لم أزل ملازما فمدت يدها بتكلف وكشفت عن وجهها الظريف فاذا هو شيبة بيضاء قد فرشت سطرين وحكت بياض اللجين فعلانى البكاء والنحيب والزفير واللهيب ووقعت فى غم عظيم وحزن مضنى كظيم وقلت الهى بحرمة محمد ساكن طيبة لاتختم بخير لهذه الشيبة وخيبها الله أعظم خيبة يا أنحس الناس وأنجس من الوسواس الخناس هذه الشيبة التى لا يستحى الله من عذابها ولا يبالى من أى باب من أبواب النار أتى بها ما حملك أيها الشيخ المنحوس على هذه الصوره وما ألجاك يا مأبون الى هذه الضروره فقال لى يا قليل الآداب يا من لم يزل من وراء حجاب يا عديم الرأى والتوفيق والصواب هكذا تصطاد الازباب فعلمت أنه شيخ جاهل ومختل ليس بعاقل وفهمت أن به مرضا من الامراض يحتال به على غرض من الاغراض فتركته ودخلت المدينة ومقلتى باكية حزينة فسالت ناسا من الاحباب والاصدقاء والاصحاب عن هذا الشيخ القليل الميزه الذى ستر وجهه وكشف طيزه فقيل لى هذا محتسب الجيزه فانصرفت وأنا متفكر فى هذه القضيه وشؤم هذه الرزية ونسال الله حسن الخاتمة بمحمد واله (حكى الراغب فى تذكرته) قيل أول من ظهرت فيه الابنة العزيز صاحب يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام وكان أبو جهل مابونا واذا أحزنه الداء القم دبره حجرا ويقول واللات والعزى لاعلاك ذكر وكان جالينوس مابونا ففعل به غلام خلف حائط فطارت دجاجة ففزع الغلام وقام عنه فقال جالينوس دعنى والدجاج فلم يزل يصفه للمرضى حتى انقطع أصل الدجاج من المدينة ودخل مطبخ على صديق له فرأى تحته غلاما وفوقه آخر فقال له ما هذا قال اللذة المضاعفة *(حكى)* صاحب النوادر ان امرأة من الفواجر علت فوق رجل وهو نائم على قفاه وادخلت ذكره فى فرجها ثم ان رجلا آخر علاها وأدخل ذكره فى دبرها فصار لها بينهما انخفاض وارتفاع وغير ذلك وهى تارة تلقم شفتها لمن هو تحتها وتارة تلتفت وتلقم شفتها لمن هو فوقها واستمرت على هذا الحال الى ان تم العمل ثم

خيبر فقص عليها عبد المطلب القصة فقالت كم الدية فيكم قالوا مائة من الابل فقالت ارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا معه عشرة من الابل ثم اضربوا عليه وعليها القداح فان خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا فى الابل ثم اضربوا بينها حتى يرضى ربكم فاذا خرجت على الابل فاذبحوها فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم فرجع القوم الى مكة وقربوا عبد الله وقربوا عشرة من الابل وقام عبد المطلب يدعو

انها سئلت عن ذلك فقالت هذا انكاح العانى وايصال اللذة للتحتانى والفوقانى وقيل للمابون لم لزمت هذا الغلام قال ان فى أيره خمسة أشياء من العروض الطويل والمديد والبسيط والوافر والكامل وقيل لمابون ان ابنك به ابنة فقال المفتاح لايخرج من بنى شيبة وقيل لمابون فى شهر رمضان هذا شهر كساد فقال أبقى الله اليهود والنصارى وقال بعضهم

رأيته تحت عبد بات يرهزه * فقلت ترضى بذا قبحت من رجل
وكيف يعلوك عبد السوء قال نعم * لى اسوة بانحطاط الشمس عن زحل

(وقال آخر)

رأيت أبيض لون تحت أسوده * والوجه منه يضاهى الشمس فى الحمل
فقلت هذا عجيب قال لا عجب * لى اسوة بانحطاط الشمس عن زحل

(وقال آخر)

يقول له المعشوق وهو يلوطه * لعلك تحتى بعد ذاك تنام
فقال وهل فى العيش للناس لذة * اذا لم يكن فوق الكرام كرام

(وقال آخر)

ولم أنس علفا نكته وهو واسع * طويل عريض المنكبين نقيف
فقال الخصى للاير قعد هاهنا * فقال ادخلا ضيف الكرام يضيف

وقد سمعت ان شخصا من ذوى الاعراض ابتلى بمرض الابنة فخشى ان يشاع عنه ذلك فيمتهن عند الناس فصنع له خشبة مثل الذكر وكان اذا تحرك عليه المرض خلا بنفسه فى بستان له داخل داره ويحكم غلق أبوابه خوفا ان يطلع عليه أحد ويعالج نفسه بالخشبة الى أن يغيب عن وجوده ولما يفيق يتضرع الى الله سبحانه وتعالى بالدعاء والابتهال فى ازالة هذا المرض وكان يعتريه فى كل شهر مايزيد على أربع مرات وكان مدة ابتلائه بهذا المرض مصفر اللون متغير الوجه ثم انه غفل يوما عن قفل باب البستان وكان متزوجا بابنة عمه وكلما يدخل البستان ويغلقه يحصل لها منه تطير وتظن انه مختل باحد فدخلها مايدخل النساء من الغيرة وكانت ترصده عند دخول البستان رجاء أن تطلع على حاله فلم يتيسر لها ذلك فجاءت يوما فوجدت باب البستان مفتوحا فدخلت فوجدت ابن عمها وهو ملقى على الارض منكب على وجهه مكشوف العورة وقد نزع الخشبة من دبره وهو مغشى عليه فنظرت الى دبره وقد خرجت منه دودة لها قرنان وهى تنفنف حول حلقة دبره على ماخرج من العفونات فانتزعت الدودة من دبره فوجدتها نحو الفتر وهو لايشعر ثم انها وضعتها فى قطنة بداخل علبة صغيرة فلما أفاق تضرع الى الله تعالى على معافاته من هذا المرض ثم مضى عليه ثلاثة أشهر ولم يعتره شئ

فخرجت القداح على والده عبد الله فلم يزل يزيد عشرا عشرا حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل فنحرت وتركت لا يصد عنها انسان ولا طائر ولا سبع ولهذا روى انه صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين والذبيحان عبد الله واسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقيل اسحق * وأما والدته صلى الله عليه وسلم فهى آمنة بنت وهب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشية (ولما حملت به) صلى الله

فحمد الله على ذلك وعمل مولدا فقالت له ابنة عمه ما سبب هذا المولد فقال لها كان اعترانى مرض وأزاله الله فضحكت فقال لها ما سبب هذا الضحك فلم تنبئه فما زال يلح عليها حتى أنبأته بالخبر وجاءت له بالعلبة التى بها الدودة وأخرجتها من القطنة فنظر اليها وقال جزاك الله خيرا فيما فعلت وأحسن اليها فسبحان من عافاه مما ابتلاه وقال بعض الحكماء الابنة مرض ينزل الله به الجبابرة وهو احتكاك فى المسربة من داخل يورث اكلة فلا تبرد على صاحبها الا بجلك الذكر وتقطير المنى وقد ذكر العارف بالله تعالى الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى مختصره لتذكرة السويدى يؤخذ الماء الذى تقع فيه السمك المملوح ويحتقن به صاحب الابنة عشرين يوما كل يوم مرة فانها تذهب وكذلك يؤخذ الشعر الذى على الفخذ الايمن من الضبع الذكر والانثى ويحرق ويدهن برماده صاحب الابنة ويبرأ باذن الله تعالى وذكر الامام الاكمل جمال الدين محمد فى رسالته الشهابية فى علم الطب أن هذا المرض قد يعترض لمن اعتاد باللواط واتيان النساء فى الدبر ويكون منه كثيرا قليل الحركة وقلبه ضعيفا وانتشاره قليلا العلاج الضرب والحبس والاستهانة وايقاعه فى هموم وغموم ومحاكمات وان يستفرغ البلغم بمثل الغاريقون وشحم الحنظل وان شرب كل يوم وزن درهم من البسفايج نفعه وكذلك من السورنجان وذكروا ان اكل قلب الديك مشويا ينفعه وكذلك الحمام واذا أكل من ورق الآس وزن درهم نفعه وكذلك اكل الثوم واذا اكتحل بالصابون أو بعروق شجر الخطمى نفعه فنسأل الله العفو والعافية من هذه البلية رجعنا الى ما نحن بصدده من أمر يزيد فانه أقام ثلاث سنوات وسبعة أشهر وتوفى فى رابع عشر ربيع الاول سنة أربع وستين وسنه تسع وثلاثون سنة ودفن بدمشق

(خلافة سيدنا عبد الله بن الزبير رضى الله عنه)

هو أول مولود ولد بالمدينة المنورة بعد عشرين شهرا من الهجرة بويع له بمكة سنة أربع وستين وخلع يزيد بن معاوية ولعنه وعابه بشرب الخمر ولعب الكلاب والفهود والغفلة عن الدين وكثرة العبيد وقتل الحسين وخلوا الحجاز من الاشراف وبايعه كثير من الامصار وقد اخترنا السكوت عما وقع لسيدنا عبد الله بن الزبير فان واقعته مستفيضة والله يحكم بين العباد روى السهيلى فى كلامه على غزوة أحد فى حديث مسند انه لما ولد عبد الله بن الزبير نظر اليه النبى صلى الله عليه وسلم وقال هو هو فلما سمعت بذلك أسماء أمسكت عن ارضاعه فقال لها النبى صلى الله عليه أرضعيه ولو بماء عينيك كبش بين ذئاب وذئاب عليها ثياب ليمنعن البيت أو ليقتلن دونه فاقام تسع سنين وقتل فى خلافة عبد الملك بن مروان على يد عامله الحجاج

عليه وسلم ليلة الجمعة فى رجب أمر الله تعالى رضوان خازن الجنان أن يفتح الفردوس ونادى مناد فى السموات والارض ان النور المخزون المكنون الذى يكون منه الهادى الامين المأمون فى هذه الليلة يستقر فى بطن امه الذى يتم فيه خلقه ويخرج للناس بشيرا ونذيرا ثم لما تم حمله وظهرت فيه العجائب ولد يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الاول عام الفيل فى عهد كسرى أنوشروان وقد مضى

الثقفى فى سادس جمادى الآخرة بمكة سنة ثلاث وسبعين

(خلافة معاوية بن يزيد المكنى بابى ليلى)

كان رجلا صالحا خاصة بعد المنبر وشهد ان عليا رضى الله عنه كان أحق بالخلافة من جده وان الحسين رضى الله عنه كان أولى بها من أبيه ثم جلس طويلا وخطب خطبة بليغة تشتمل على الثناء على الله والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ثم اختنقته العبرة فبكى طويلا ثم قال صرت أنا الثالث والساخط على أكثر من الراضى وما كنت لاتحمل آثامكم ولا يرانى الله جلت قدرته متقلدا أوزاركم وألقاه بتبعاتكم فشانكم وامركم نخذوها ومن رضيتموه فولوه فلقد خلعت بيعتى من أعناقكم والسلام فاقام خليفة أربعين يوما ولما احتضر قالوا ألا توصى بالخلافة فقال ماذقت حلاوتها لاتجرع مرارتها فتوفى بعد أربعين يوما وكان عمره ثلاثا وعشرين سنة

(خلافة مروان بن الحكم)

ولد قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بثمان سنين وجرى بينه وبين نائبه ابن الزبير محاربة على المدينة المنورة بويع له بالشام سنة أربع وستين وملكه بمصر والشام حكي ان معاوية كتب اليه لما بلغه قتل عثمان وكان مروان اذذاك بالمدينة المنورة اذا قرأت كتابى هذا فكن كالفهد لا يصاد الا بغلبة ولا يساور الاعن حيلة وكالثعلب لايغلب الا روغانا وأخف نفسك عنهم اخفاء القنفذ عند لمس الاكف وابحث عن أخبارهم بحث الدجاجة عن حبة الدخن عند نفاسها فالحازم فى الحرب خير من ألف فارس لان الفارس يقتل عشرة أوعشرين والحازم يقتل جيشا كبيرا وقال عظماء الترك ينبغى للقائد فى الحرب ان يكون فيه شئ من اخلاق البهائم والطيور شجاعة الديك وقلب الاسد وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلاب على الجراحة وحراسة الكركى وحذر الغراب وغارة الذئب وقيل الحزم أبلغ من النجدة وأقام مروان عشرة شهور وكان سنه ستا وثمانين سنة وقتلته زوجته بان وضعت على وجهه مخدة محشوة بشافيات وخلف أحد عشر رجلا

(خلافة عبد الملك بن مروان)

بويع له يوم مات أبوه قبل قتل عبد الله بن الزبير وكان من دهاة العالم وأحزمهم رأيا حتى قيل كل والد ولد ولدا الا مروان فانه ولد والدا ارشد الى هذا تشعب البلاد عليه فى أول أمره واستيلاء القائمين على غالب ملكه حتى على مقر مملكته دمشق وانتظامها بعد ذلك فى أتم سلك ودخولها بعد الخروج فى أحوز ملك وأعظم ملك لكن كان له ظلم فى بداية أمره واجحاف فى سره وجهره حكى فى سراج الملوك ان

من ملكه اثنتان وأربعون سنة وأقام فى بنى سعد أربع سنين وتوفى أبوه عبد الله قبل وضعه بشهرين وتوفيت أمه وهو ابن ست سنين وكفله جده عبد المطلب الى ان توفى وهو ابن ثمان سنين وكفله عمه أبو طالب وخرج معه الى الشام وهو ابن ثنتى عشرة سنة ثم خرج فى تجارة لخديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة وتزوجها فى تلك السنة وبنت قريش الكعبة ورضيت بحكمه فى وضع الحجر الاسود وهو ابن خمس وثلاثين سنة وبعث وهو ابن أربعين

عبد الملك بن مروان أرق ليلة فاستدعى سميرا يحدثه فكان فيما حدثه ان قال له يا أمير المؤمنين انه كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل لابنها بنت بومة البصرة فقالت بومة البصرة لا أفعل الا أن تجعلي لي صداقها مائة ضيعة خراب فقالت بومة الموصل لا أقدر على ذلك الآن ولكن ان دام والينا سلمه الله تعالى سنة واحدة صيرت لك ذلك فاستيقظ عبد الملك وجلس للظالم وانصف الناس بعضهم من بعض وتفقد أمور الولاة ومما نقل من كتاب مفاكهة الظرفاء ان ملك الروم أرسل الى عبد الملك يطلب منه عالما من علمائهم يسأله عن مسائل فارسل له الشعبي فلما وصل الى ملك الروم سأله عن أشياء منها أن قال له بلغنا ان الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون أيمكن مخلوق لا يغفل فقال الشعبي مثلهم كمثل النفس يصعد وينزل وأنت تتكلم وتأكل وتشرب قال صدقت فقال له وبلغنا ان أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتغوطون ولا يبولون كيف ذلك قال نعم كالجنين في بطن أمه يأكل ويشرب ولو تغوط داخل البشيمة لاحترق قال صدقت قال وبلغنا ان نعيم الجنة لا ينقص بالانفاق كيف ذلك قال نعم كالسراج تقتبس منه جميع المصابيح ولا ينقص نوره قال صدقت فانعم عليه وكتب الى الخليفة معه عجبت منكم كيف لا تجعلون رسولكم خليفة فلما قرأ عبد الملك بن مروان ما كتب ملك الروم قال يا شعبي انظر ما قال عنك قال يا أمير المؤمنين ما رآك ولو رآك لاستصغرني ما استكبر ولاستحقر مني ما استعظم فقال لله درك كم عطاءك قال ألفين ثم سكت الملك لحظة وقال كم عطاؤك قال ألفان قال له لم قلت أولا ألفين قال لما لحن امير المؤمنين تابعته في اللحن ثم لما أعرب تابعته في الاعراب ولا يحسن ان أعرب وقد لحن أمير المؤمنين فاعجبه ذلك وقال املؤا فاه جوهرا فلما ملؤه فقال الشعبي هذا يدخر ولا ينفق فامر له بثلاثين ألف درهم وثياب فاخرة فاخذها وانصرف وروى أبو العز أحمد بن عبد الله المسلمي فيما قرأ على أستاذه وقال اروعني أنبأ فلان عن فلان عن أبي حاتم العتبي قال لما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة جمع ولده وفيهم مسلمة وكان سيدهم فقال أوصيكم بتقوى الله فانها عصمة باقية وجنة واقية وهي أحصن كهف وأزين حلية وليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير منكم حق الكبير مع سلامة الصدور والأخذ بجميل الامور واياكم والفرقة والخلاف فبهما هلك الاولون وذل ذوو العز المعظمون انظروا مسلمة فاصدروا عن رأيه فانه نابكم الذي منه تعبرون ومجنكم الذي به تستجنون وأكرموا الحجاج فانه وطأ لكم المنابر وأثبت لكم الملك وكونوا بني أم بررة والا دبت بينكم العقارب وكونوا في الحرب أحرارا وللمعروف منارا واحتلوا في المشورة ولينوا في الشدة وضعوا الذخائر عند ذوي الاحساب والالباب

سنة وتوفي أبو طالب وهو ابن تسع واربعين وثمانية أشهر واحد عشر يوما وتوفيت خديجة بعد أبي طالب بثلاثة أيام وخرج الى الطائف بعدها بثلاثة أشهر ومعه زيد بن حارثة فاقام شهرا ثم رجع الى مكة في جوار المطعم بن عدي ولما تمت له خمسون سنة وفد عليه جن نصيبين واسلموا ولما تمت له احدى وخمسون سنة أسري به ولما اشتد البلاء من المشركين على المسلمين استأذنوه في الهجرة فقال قد أريت دار هجرتكم



فانه أصون لاحسابكم واشكر لما يسدى اليهم ثم أقبل على ابنه الوليد فقال لا الفينك اذا مت تعصر عينك وتحن حنين الامة ولكن شمر وأبذر والبس جلد نمر ودلني فى حفرتي وخلني وشأني وعليك وشأنك ثم ادع الناس الى البيعة فمن قال هكذا فقل بالسيف هكذا ثم أرسل الى عبد الله بن زيد بن معاوية وخالد بن أسيد فقال هل تدريان لم بعثت اليكما قالا نعم لنرينا آثار عافية الله اياك قال لا ولكن حضر من الامر ما تريان فهل فى أنفسكما من بيعة الوليد قالا لا والله ما نرى أحدا أحق بها منه بعدك يا أمير المؤمنين قال أولى لكما أما والله لو قلتما غير ذلك لضربت عنقكما ثم رفع رأسه فاذا السيف مشهور ثم قال مسلمة اياكم والحجاج فانكم ان صلحتم صلح الناس وان فسدتم كان الفساد أسرع وانشد

لقد أفسد الموت الحياة وقد أتى * على شخصه يوم على عصيب
فان تكن الايام أحسن مرة * الى فقد عادت لهن ذنوب
أتى بعد حلو العيش منهن مرة * فكرت على آثارهن كروب

فقال سليمان مات والله أمير المؤمنين وكانت مدة تصرف عبد الملك بن مروان احدى وعشرين سنة ومات سنة ست وثمانين وسنه ستون سنة وممايحكى ان ملكا من ملوك النصارى أرسل راهبا من علماء ملته لمناظرة علماء المسلمين وكان أبو حنيفة اذ ذاك صغيرا فلما جاء الراهب الى علماء المسلمين واجتمع فى المسجد الجامع رقى المنبر ليسالهم عن مسائل فقام أبو حنيفة من بين العلماء وقال للراهب أسائل أنت أم مسؤل فقال سائل فقال انزل مكانك الأرض ومكانى المنبر فصعد أبو حنيفة المنبر وقال سل ماشئت قال الراهب ماذا قبل الله قال أبو حنيفة هل تحسن العدد قال نعم قال ماذا قبل الواحد قال لاشئ قبله قال اذا كان الواحد الفانى لاشئ قبله فالله سبحانه وتعالى لاشئ قبله ثم قال فى أى جهة يكون وجه الله قال اذا أوقدت السراج ففى أى جهة يكون وجهه قال ذاك نور يملا البيت وليس له جهة قال اذا كان النور الزائل الحادث لاجهة له فوجه ربى جل وعلا منزه عن الجهة والمكان قال فماذا يشتغل الله قال اذا كان عالم موحد مثلى رفعه واذا كان كافر مثلك وضعه كل يوم هو فى شأن فخرس الراهب وتوجه مخزيا روى عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى كل يوم هو فى شان قال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين ذكر البيضاوى فى تفسيره فى قوله تعالى كل يوم هو فى شان يحدث أشخاصا ويجدد أحوالا على ماسبق به قضاؤه وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضى يوم السبت شيأ * (فائدة) * ولد الامام الاعظم أبو حنيفة النعمان رضى الله عنه سنة ثمانين من الهجرة ومات ببغداد سنة خمسين ومائة فعمره سبعون سنة وولد الامام

وهى أرض سبخة ذات نخل بين لابتين ثم مكث بعد ذلك أياما وخرج الى أصحابه وهو مسرور وقال قد أخبرت بدار هجرتكم ألا وهى يثرب فمن أراد منكم الخروج فليخرج فصار القوم يتجهزون ويرتحلون الى المدينة ولم يبق بمكة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعلى ثم خرج صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار ومنه الى المدينة وكان خروجه من مكة يوم الاثنين وقدومه المدينة يوم الاثنين هلال ربيع الاول وأقام على رضى الله

مالك بن أنس رضى الله عنه سنة أربع وتسعين من الهجرة ودفن بالمدينة المنورة سنة تسع وسبعين ومائة فعمره خمس وثمانون سنة وولد الامام الشافعى رضى الله عنه سنة خمسين ومائة ودفن بمصر المحروسة سنة أربع ومائتين فعمره أربع وخمسون سنة وولد الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه سنة أربع وستين ومائة ودفن ببغداد سنة احدى وأربعين ومائتين فعمره سبع وسبعون سنة والله أعلم

(خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان)

بويع له يوم مات أبوه سنة ست وثمانين بعهد من أبيه فلما تولى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال انا لله وانا اليه راجعون يالها من مصيبة ما أعظمها وأجسمها وأعمها وأوجعها موت أمير المؤمنين ويالها من نعمة ما أعظمها وأجسمها وأوجب الشكر لله على بها خلافته التى سربلنيها فكان أوّل من عزى نفسه وهناها بالخلافة فلما بايعه الناس جلس مجلس أبيه عبد الملك وجمع أهل بيته ثم قال

انفوا الضغائن والتحاسد بينكم * عند المغيب وفى حضور المشهد
فصلاح ذات البين طول بقائكم * ان مدّ فى عمرى وان لم يمدد
فلمثل هذا الدهر ألف بينكم * بتواصل وتراحم وتودد
حتى تلين قلوبكم وجلودكم * لمسوّد فيكم وغير مسوّد

والوليد المذكور هو الذى عمر الجامع الذى بدمشق المعروف بجامع بنى أمية (حدث) ابراهيم بن هشام أنه قال حدثنى أبى عن جدى قال قال عبد الملك لروح ابن زنباع يا أبا زرعة قد غلبنى الوليد باللحن واظهر العشية كآبة فسألنى عنها فلما أذن العشا أظهر كآبة وعنده الوليد وسليمان فقال له روح ما هذه الكآبة يا أمير المؤمنين لا يسوءك الله ولا يريك مكروها قال ذكرت ما فى عنقى من حقوق هذه الامة والى أين يصير أمرها بعدى فقال روح يغفر الله لك يا أمير المؤمنين فأين أنت من الوليد سيد شباب العرب فقال يا أبا زرعة لا ينبغى أن يلى العرب الا من يتكلم بكلامها فقام الوليد ودخل منزله وجمع أصحاب النحو فاقام ستة أشهر معهم وخرج وهو أجهل بالنحو من يوم دخل ذكر شيخ الاسلام العلامة عمر الوردى فى خريدته ان جملة ما أنفق على عمارة الجامع الذى عمره الوليد بدمشق مائة ألف صندوق من الذهب وفى كل صندوق أربعة عشر ألف دينار واجتمع فى ترخيمه اثنا عشر ألف مرخم وبنى بانواع الفصوص المحكمة والمرمر المصقول ويقال ان العمودين اللذين تحت القبة اشتراهما الوليد بالف وخمسمائة دينار ويقال ان رخام الجامع المذكور كان معجونا ولذا اذا وضع على النار ذاب وفى المحراب عمودان صغيران يقال انهما كانا فى عرش بلقيس ومنارة الجامع

عنه بمكة بعد خروجه صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ثم أدركه بقباء يوم الاثنين ثم اسس مسجد قباء وهو المسجد الذى أسس على التقوى ثم خرج من قباء يوم الجمعة حين ارتفع النهار فادركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها بمن كان معه من المسلمين وركب راحلته متوجها الى المدينة فلما قدم على ناقته صاروا يمسكون زمامها ويقولون يارسول الله هلم الى القوّة والمنعة فيقول خلوا سبيلها فانها مامورة فصارت تنظر يمينا وشمالا حتى

الشرقية يقال ان عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل عليها فى آخر الزمان وعندها حجر يقال انه قطعة من الحجر الذى ضربه موسى عليه الصلاة والسلام بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ذكر صاحب سراج الملوك قال خرج الوليد بن عبد الملك من باب الجامع الصغير فوجد رجلا عند الحائط تحت المأذنة الشرقية يأكل الخبز بالتراب فوقف على رأسه وقال له ما شأنك أيها الرجل حتى انفردت عن الناس فقال أحببت العزلة قال وما حملك على أكل الخبز بالتراب قال فى ذلك قنع فلما رجع الوليد الى منزله أمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال اصدقنى بالحق والا ضربت عنقك فقال الرجل يا أمير المؤمنين كان أصلى جمالا وعندى ثلاثة من الجمال أنقل عليها القمح والحبوب فحملتها فى بعض الايام فاتيت الى خربة بالشام فحصرنى البول فقعدت لابول فرأيت البول ينصب فى شق فاتبعته حتى انكشف عن حفيرة كالمطمورة فنزلت فيها فرأيت بها مالا مسكوبا فانخت رواحلى وأفرغت ما كان عليها من الغلال وملأت الزكائب من ذلك المال وغطيت المكان الذى فيه الذهب كما كان فلما سرت قليلا وجدت معى مخلاة فقلت ارجع الى ذلك المكان واملاها من الذهب فجئت الى ذلك الموضع فخفى عنى فرجعت الى الجمال فلم أجدها فى المكان الذى تركتها فيه فتأسفت على ذلك المال وآليت على نفسى ان لا آكل الخبز الا بالتراب وروى ان الجمال التى كانت عليها الذهب أتت الى بعض عمال الوليد وأناخت بما عليها فأحضرها الى الوليد وكان هذا سببا لعمارة الجامع وقيل ان الوليد توعك فبلغه ان أخاه سليمان شمت فيه فكتب اليه يقول

تمنى رجال ان أموت فان أمت * فتلك طريق لست فيها باوحد
وقد علموا لو ينفع العلم عندهم * لئن مت ما من شامت بمخلد
منيته تجرى لوقت وحتفه * سيلحقه يوما على غير موعد
فقل للذى يبغى خلاف الذى مضى * تهيأ لاخرى مثلها فكان قد

فكتب اليه فهمت ما كتبت يا أمير المؤمنين فوالله لئن كنت تمنيت ذلك تأميلا لم لا يخطر فى نفسى انى لاول لاحق به ومنعى من أهلى فعلام أتمنى زوال ملك لا يلبث من تمناه ولقد بلغ أمير المؤمنين مالم يخطر على لسانى ولم يره وجهى ومن يسمع من أهل النميمة يوشك أن يسرع فى فساد النيات ويقطع ذوى الارحام وكتب فى آخره

ومن يتتبع جاهدا كل عثرة * يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب

فكتب اليه الوليد فهمت كتابك وأنت الصادق فى المقال الكامل الفعال فما شئ أشبه بك من اعتذارك ولا أبعد منك من الشئ الذى قيل فيك والسلام (وحكى) ان شخصا بلغه عن شخص انه انتقصه وعابه فكتب اليه الحمد لعلام الغيوب المنزه

أتت دار مالك بن النجار ثم سارت حتى نزلت على باب أبى أيوب الانصارى ثم سارت وبركت فى مبركها الاول وألقت باطن عنقها وصوتت من غير ان تفتح فاها فنزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شاء الله واحتمل أبو أيوب رحله وادخله بيته ومعه زيد بن حارثة وأقام عنده صلى الله عليه وسلم ستة أشهر ثم بنى مسجده الشريف ثم أذن له فى الجهاد فاول غزواته غزوة الابواء خرج الى الجهاد يريد عير قريش ثم غزوة

عن النقائص والعيوب والصلاة على من يشفع فى فصل القضا و بخالق الناس باخلاق الرضا سيد من اذاقو بلوا بالسيئة أحسنوا ومن شرعه ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وحق من أوتى الرسالة لم يصدر عنى شئ مما كتبتم فى هذه الحالة اذ ليس من الانسانية ولا من المعقول أن يخطر ببال عاقل ما ذكرتم فضلا عن أن يقول وليس من سجايا الاذكيا اعتقاد السوء بكلام الاشقيا وليس من شان الكرام المبالغة بالايذاء بمثل هذا الكلام ولكن التحمل يورث التجمل كما قيل

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه * وان كنت مظلوما فقل أنا ظالم

والله مطلع على القلوب علام الشهادة والغيوب ولكن صبر جميل وحسبنا الله ونعم الوكيل وفى معنى ذلك قال امير المؤمنين القائم بامر الله

جمعت لدى من الغرام عجائب * خافن قلبى فى أسى وتوحش
خل يصد وعاذل متنصح * ومعاند يؤذى ونمام يشى

(وقال ابن عطيه)

لا تسمعن من الحسود نميمة * فكلامه ضرب من الهذيان
ان كان قد أوحى اليه تحرضا * فالناس قد كذبوا على الرحمن
سل غيره عنى لتعلم افكه * واسخط عليه فما المحال رمانى
لا يثبت الحق المبين لحاكم * فى الشرع حتى ينطق الخصمان

ومن نكت صاحب الخريدة لطيفة لا باس بذكرها وان كانت خارجة عن المقصود وهى أنه كان له أخ اسمه أحمد وكانا يتناوبان القضاء من جانب القاضى محمد ابن النقيب فجاءت نوبة الشيخ عمر وأحمد مستمر فكتب الشيخ عمر للقاضى محمد ابن النقيب

جعلتنى وأخى نتبارح البلا * وجعلتنا ضدين مختلفين
ياحى عالم عصره وزمانه * فلك التصرف فى دم الاخوين

فكتب اليه جوابا

أبا عمر استعد لغير هذا * فأحمد بالولاية مطمئن
فان يك فيك معرفة وعدل * فأحمد فيه معرفة ووزن

ثم ان الشيخ عمر بن الوردى رأى مناما أزعجه وهاله وعوتب فيه على ولاية القضاء فلما اصبح جاء الى القاضى محمد بن النقيب وحلف ايمانا مغلظة انه مابقى يلى القضاء مطلقا وأنشد يقول

خلعت ثوب القضاء عمدا * ولم أكن فيه بالظلوم
ان زال جاه القضاء عنى * يكون لى الجاه بالعلوم

العشيرة بضم العين ثم شين معجمة مفتوحة وهى أرض لبنى مدلج بناحية الينبع فسلرت الى الشام ولم يدركها ولما رجع الى المدينة من العشيرة لم يقم الا تسع ليال حتى سافر يريد بنى سليم ولما وصل الى ماء من مياههم اقام عليه ثلاث ليال ثم رجع الى المدينة ولم يلق حربا وتسمى هذه بدرا الاولى ولما بلغه صلى الله عليه وسلم رجوع العير من الشام خرج اليها فى ثلثمائة وثلاثة عشر وخرج أبو سفيان من مكة فى قريب من

قوله حى هو نبت السلاطة على دم الاخوين وفيه من الاشارة للمقام مالا يخفى

حدث عبد الصمد بن معقل قال قيل لوهب بن منبه يا أبا عبد الله كنت ترى الرؤيا تحدثنا بها فلا نلبث أن نراها كما رأيت قال هيهات ذهب ذلك عنى منذ وليت القضاء وانه تولى القضاء فى زمن عمر بن عبد العزيز وقال البهاء زهير

حبيبى ما هذا الجفا الذى أرى * وأين التقاضى بيننا والتعاطف
لقد نقل الواشون عنى باطلا * وملت لما قالوا فزادوا وأسرفوا
وقد كان قول الناس فى الناس قبلها * فكذب يعقوب وسرق يوسف
بعيشك قل لى ما الذى قد صنعته * فانك تدرى ما أقول وتنصف
فان كان قولا صح انى قلته * فللقول تأويل وللقول مصرف
وهب أنه قول من الله منزل * فقد بدل التوراة قوم وحرفوا
وها أنا والواشى وأنت جميعنا * يكون لنا يوم عظيم وموقف

وأقام الوليد فى الخلافة تسع سنين وثمانية أشهر وتوفى فى نصف جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وسنه ثمانية وأربعون سنة ودفن بدمشق روى عن يزيد بن مهلب أنه قال لما ولانى سليمان بن عبد الملك العراق وخراسان ودعنى عمر بن عبد العزيز قال لى يا يزيد اتق الله فانى كنت وضعت الوليد فى لحده فاذا هو يركض فى أكفانه وفى رواية أن عمر بن عبد العزيز قال لما تناولناه من السرير ووضع على أيدينا اضطرب فى أكفانه فقال ابنه أبى أبى قال فلت ويحك ان أباك ليس بحى ولكنكم تلقون ما ترى وصلى عليه عمر بن عبد العزيز لما كان ابنه سليمان غائبا ببيت المقدس

(خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان)

بويع له يوم مات أخوه (قيل) دخل أبو حازم عليه بعد ما استخلف وكان أبو حازم من أهل الزهد فقال يا أبا حازم ما لنا نكره الموت قال لانكم عمرتم دنياكم وأخربتم أخراكم فتكرهون النقلة من العمران الى الخراب قال أخبرنى كيف القدوم على الله فقال يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب الذى أتى الى أهله فرحا مسرورا وأما المسىء فكالعبد الآبق الذى أتى مولاه خائفا محزونا ان شاء رحمه وان شاء عذبه فبكى أمير المؤمنين بكاء شديدا فقال رجل من جلسائه أسأت الى أمير المؤمنين فقال أبو حازم اسكت فان الله أخذ ميثاق العلماء ليبينن للناس العلم ولا يكتمونه ثم خرج فلما وصل الى منزله بعث اليه مالا فرده وقال للرسول قل له والله يا أمير المؤمنين انى لا أرضاه لك فكيف أرضاه لنفسى وأنشد فى المعنى

منازل دنياك شيدتها * وأخربت دارك فى الآخره
فأصبحت ترغب فى ذى الخراب * وتفرغ عن هذه العامره
فلو كنت شيدت دار البقا * ولم ترض بالصفقة الخاسره

الالف وحصل القتال الشديد ونصر الله المسلمين وتسمى هذه بدر الثانية وبدر الغنائم ثم غزا صلى الله عليه وسلم بنى قينقاع بفتح القاف وضم النون وكان صلى الله عليه وسلم عاهدهم وعاهد بنى قريظة و بنى النضير أن لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوه فغدروا ولما كانت وقعة بدر أظهروا العداوة والحسد فنبذوا العهد فقال لهم صلى الله عليه وسلم يا معشر اليهود احذروا أن ينزل بكم ما نزل بقريش من النقمة

لسارعت مسرعة من قد نجا * وصرت الى العترة الطاهرة

ذكر صاحب السكردان أنه في أيام سليمان بن عبد الملك ورد كتاب من ابن هبيرة أن بخارى وقت السحر سمع قعقعة عظيمة من السماء ودوى كالرعد القاصف أسقط منه الحوامل فنظروا فاذا قد انفرج من السماء فرجة عظيمة ونزل اشخاص رؤسهم في السماء وأرجلهم في الارض وقائل يقول يا أهل الارض اعتبروا باهل السماء هذا صفوائيل الملك عصى الله فعذبه فلما طلع النهار جاء الناس الى ذلك الموضع فوجدوا خسفا عظيما لا يدرك له قرار يصعد منه دخان أسود كل ذلك مثبوت على يد قاضي بخارى بأربعين عدلا روى عن زكرياء التميمي أنه قال بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام اذ اتى بحجر منقوش فاتى بوهب بن منبه فقرأه فاذا عليه ابن آدم لو انك رأيت قرب ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك ولرغبت في الزيادة في عملك ولقصرت عن حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك اذا ازلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وبان عنك الولد وفضك النسيب والوالد فلا أنت الى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة وذكر ان سليمان بن عبد الملك كان شرها في أكله فلما حج في سنة سبع وتسعين توجه الى الطائف تطلبا للرطوبة فاتاه بعض العرب برمان من رمان الطائف فاكل منه مائة وسبعين رمانة ثم أتوه بزبيب فاكل منه سلتين ثم قال اطعموني من خرفان الطائف فاتوه بأربعة وثمانين خاروفا مشوية فاكل من كل خاروف جنبه وكليته حتى أتى على آخرها ثم قعد على السماط وأكل مع الناس على عادته وأقام في الخلافة سنتين وثمانية أشهر وتوفي في صفر سنة تسع وتسعين وسنه خمس وأربعون سنة

(خلافة سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه)

هو الاشج الذي ورد في حقه الحديث الشريف الناقص والاشج أعدلا بني أمية وسبب شجه ان أتانا رفسته فصار أبوه يمسح له الدم ويقول ان كنت أشج بني أمية انك لسعيد فكان كذلك وكان اماما عادلا فقيها محدثا روى عن أجلة من العلماء وروى عنه أجلة بويع له يوم مات ابن عمه سليمان (ومما يحكى) ان المنصور قال لعمر ابن عبيد عظني بما رأيت أو بما سمعت قال بل بما رأيت قال مات عمر بن عبد العزيز وخلف أحد عشر ابنا وبلغت تركته سبعة عشر دينارا كفن منها بخمسة دنانير واشترى موضع القبر بدينارين وأصاب كل واحد من أولاده ثمانية عشر قيراطا من دينار ومات هشام بن عبد الملك فخلف أحد عشر ابنا وأصاب كل واحد من أولاده ألف ألف دينار فرأيت رجلا من ولد عمر قد حمل في يوم واحد على مائة فرس في سبيل الله ورأيت رجلا من أولاد هشام على قارعة الطريق يسأل التصدق

أي بعذر فلم يقبلوا وأظهروا الشدة فسار اليهم صلى الله عليه وسلم واعطى اللواء الابيض عمه حمزة ابن عبد المطلب وقد تحصنوا في حصونهم فحاصروهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار فقذف الله في قلوبهم الرعب فسالوه صلى الله عليه وسلم ان يخلي سبيلهم ويخرجوا من المدينة باولادهم وعيالهم ويتركوا أموالهم فاجابهم واخذ اموالهم فيأ وأبعدهم عن المدينة ونزلوا باذرعات قرية من الشام (ثم كانت غزوة السويق)

رأيت صلاح المرء يصلح أهله * ويعدیهم داء الفساد اذا فسد
يعظم فى الدنيا لفضل صلاحه * ويحفظ بعد الموت فى المال والولد

وفى المعنى أيضا

لاشئ مماترى تبقى بشاشته * يبقى الاله ويفنى المال والولد
لم تغن عن هرمس يوماخزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذدان الثغور له * والانس والجن فى حاجاته ترد
اين الملوك التى كانت لعزتها * من كل قطر اليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب * لابد من ورده يوما كما وردوا

وهذه الابيات من جملة أبيات لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن مالك القرشى الاسدى وأوّل الابيات

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم * انا النذير فلا يغرركموا أحد
لا تعبدون الهاغير خالقكم * فان دعيتم فقولوا بيننا حدد
سبحان ذى العرش سبحانا يعادله * رب البرية فرد واحد صمد
سبحانه ثم سبحانا يعادله * وقبل سبحه الجودى والجمد
مسخر كل من تحت السماء له * لا ينبغى ان يحاكى ملكه أحد
لاشئ مماترى تبقى بشاشته * يبقى الاله ويفنى المال والولد

وروى ان ورقة كره عبادة الاوثان وطلب الدين فى الآفاق وقرأ الكتب وكانت خديجة بنت خويلد تسأله عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لها ما أراه الا نبى هذه الامة الذى بشر به موسى وعيسى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا ورقة فانى رأيته فى ثياب بيض وروى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ان خديجة بنت خويلد انطلقت بالنبى صلى الله عليه وسلم حتى أتت ورقة بن نوفل وهو عم خديجة أخو أبيها وكان امرأ تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرى فيكتب بالعربية من الانجيل ماشاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة أى عم اسمع من ابن أخيك قال ورقة يا ابن أخى ماذا ترى فاخبره صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال ورقة هذا الناموس الذى أنزل على موسى ياليتنى فيها جذعا اكون حيا حين يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أومخرجى هم قال ورقة نعم لم يأت رجل قط بما جئت به الاعودى وان يدركنى يومك انصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفى وروى عن هشام بن عروة عن أبيه ان خديجة بنت خويلد كانت تأتى ورقة وتخبره بما يخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول ورقة لئن كان ما يقول حقا انه ليأتيه الناموس الاكبر ناموس عيسى الذى يخبر به أهل الكتاب

خامس ذى الحجة من السنة الثانية من الهجرة وذلك انه لما اصاب قريشا فى بدر ما اصابهم نذر أبو سفيان ان يغزو محمدا واصحابه فخرج من مكة فى مائتى راكب حتى نزل قريبا من المدينة بجبل بينه وبينها نحو ميل وقطع جانبا من النخل ولقى رجلين من الانصار فقتلهما وبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فخرج فى طلبه فهرب هو وأصحابه وصاروا يرمون السويق وهو دقيق الشعير المحمص ليخف عليهم السير فيأخذه الصحابة

والئن نطق وأناحي لابلين الله فيه بلاء حسناء وروى ان زيد بن عمرو وورقة بن نوفل ذهبا الى الشام بلقمسان الدين فاتيا على راهب فسألاه فقال ان الذى تطلبان لم يجئ بعد وهذا زمانه وانه نبى هذه الامة الذى يخرج من قبل تهامة فرجعا وروى عن جابر بن عبد الله انه قال سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن أبى طالب هل تنفعه نبوتك قال نعم أخرجته من غمرة جهنم الى ضحضاح فيها وسئل عن خديجة انها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن فقال أبصرتها فى الجنة فى بيت من قصب لاصخب فيه ولانصب وسئل عن ورقة بن نوفل فقال أبصرته فى بطنان الجنة عليه السندس وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال يبعث أمة وحده وقيل انه ارتفع غيم فى أيام خلافة عمر بن عبد العزيز فوقع مع المطر بردة عظيمة فانكسرت فخرج منها كاغد عليه مكتوب هذه براءة من الله العزيز الجبار لعمر بن عبد العزيز من النار هنيئا له وأقام سنتين وخمسة أشهر وتوفى فى رجب سنة احدى ومائة وسنه تسع وثلاثون سنة ودفن بدير سمعان بارض حمص وقبره يزار

(خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان)

بويع له يوم مات عمر بن عبد العزيز فاقام أربع سنين وشهرين وتوفى بنجران فى شهر شعبان سنة خمس ومائة وسنه تسع وعشرون سنة ودفن بدمشق وكان عادلا مشهورا آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ونقص الجيش من ارزاقهم فسمى الناقص وهو وعمر بن عبد العزيز عدلا بنى أمية والله أعلم

(خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان)

بويع له يوم مات أخوه وسنه خمس وثلاثون سنة قيل بينما هو فى صيده وقنصه اذ نظر الى ظبى تتبعه الكلاب وأرمته الى صبى اعرابى يرعى غنما فقال هشام ياصبى دونك هذا الظبى فانه فاتنى فرفع رأسه اليه وقال له ياجاهلا بقدر الاخيار لقد نظرت الى باستصغار وكلمتنى باحتقار فكلامك كلام جبار وفعلك فعل حمار فقال له هشام ويلك ماتعرفنى فقال قد عرفنى بك سوء أدبك اذ بدأتنى بكلامك قبل سلامك فقال له ويلك انا هشام بن عبد الملك فقال الاعرابى لاقرب الله دارك ولاحيا مزارك ماا كثر كلامك وأقل اكرامك فما استتم كلامه حتى أحدقت به الجند من كل جانب كل منهم يقول السلام عليك ياأمير المؤمنين فقال هشام اقصروا عن هذا الكلام واحفظوا هذا الغلام فقبضوا عليه ورجع هشام الى قصره وجلس فى مجلسه وقال على بالغلام فاتى به فلما رأى الغلام كثرة الحجاب والوزراء وابناء الدولة فلم يكترث بهم ولم يسال عنهم بل جعل ذقنه على صدره ينظر حيث تقع قدماه الى ان وصل الى هشام فوقف بين يديه ونكس رأسه الى الارض

ويجهلونه زادهم فاذا سميت غزوة السويق (ثم كانت غزوة كركرة الكدر) وهى أرض بها طيور فى ألوانها كدرة وذلك انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان قوما من بنى سليم وغطفان يريدون الاغارة على المدينة فسار اليهم فى مائتين من أصحابه فهربوا وأخذ أبلهم وكانت خمسمائة بعير مع رعاة لهم منهم غلام يقال له يسار فاخذه صلى الله عليه وسلم واعتقه لانه رآه يصلى بعد ان أسلم ولما قرب من المدينة خمسها فخص

وسكت عن السلام وامتنع عن الكلام فقال له بعض الخدم يا كلب العرب ما منعك ان تسلم على أمير المؤمنين فالتفت اليه مغضبا وقال يا برذعة الحمار منعني من ذلك طول الطريق ونهز الدرجة والتعويق فقال هشام وقد تزايد به الغضب ياصبي لقد حضرت في يوم حضر فيه أجلك وخاب فيه أملك وانصرم فيه عمرك فقال والله ياهشام لئن لم يكن في المدة تقصير وكان في الاجل تاخير لاضرني من كلامك لاقليل ولا كثير فقال له الحاجب بلغ من محلك ان تخاطب أمير المؤمنين كلمة بكلمة فقال مسرعا لاقيت الجدل ولامك الويل والهبل اما سمعت ما قال الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها فعند ذلك قام هشام واغتاظ غيظا شديدا وقال ياسياف على برأس هذا الغلام فقد أكثر الكلام مما لا يخطر على الاوهام فاخذ الصبي وبركه في نطع الدم وسل سيف النقمة على رأسه وقال السياف ياأمير المؤمنين عبدك المدل بنفسه المتقلب في رمسه اضرب عنقه وأنا بريء من دمه قال نعم فاستأذن ثانيا فاذن له ثم استأذن ثالثا فهم هشام أن يأذن فضحك الصبي حتى بدت نواجذه فازداد هشام تعجبا وقال ياصبي أظنك معتوها ترى انك مفارق الدنيا وأنت تضحك هزوا بنفسك فقال ياأمير المؤمنين لئن كان في العمر تأخير لاضرني من كلامك قليل ولا كثير ولكن أبيات حضرت الساعة فاسمعها فان قتلي لايفوت وان أكثرت السموت فقال هشام هات وأوجز فقال

نبئت ان الباز علق مرة * عصفور بر ساقه المقدور
فتكلم العصفور في أظفاره * والباز منهمك عليه يطير
مافي مايغني لمثلك شبعة * ولئن أكلت فانني لحقير
فتبسم الباز المغرور بنفسه * عجبا وأفلت ذلك العصفور

قال فتبسم هشام وقال وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تلفظ بهذا اللفظ في أول وقت من أوقاته وطلب مادون الخلافة لاعطيته ياخادم احش فاه جواهر واحسن جائزته ويمضي الى حال سبيله ومما يناسب ذلك ماوقع لخالد بن جبلويه فانه لما كان على بن طاهر أحد قواد المامون عند محاصرته بغداد فاحتاج الى مال يصرفه فكتب الى المامون يطلب منه مالا يصرفه فكتب الى خالد بان يعطيه مايحتاج اليه فامتنع خالد من ذلك فلما أخذ على بن طاهر بغداد احضر خالدا وقال له لاقتلنك اشنع قتلة فبذل له من المال شيأ كثيرا فلم يقبله فقال خالد قد قيل شيء فاسمعه ثم شانك وما أردت فقال على بن طاهر هات فقال

نبئت ان الباز علق مرة * عصفور بر ساقه المقدور

الى آخر الابيات المتقدم ذكرها وكان على بن طاهر يعجبه الشعر فقال أحسنت

كل رجل بعيران (ثم كانت غزوة امر) بكسر الهمزة وفتح الميم وتشديد الراء وذلك انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان رجلا يقال له دعثور بضم الدال وسكون العين المهملتين ثم ثاء مثلثة ابن الحرث الغطفاني من بني محارب جمع جمعا من بني ثعلبة وأراد الاغارة على المدينة فخرج اليهم صلى الله عليه وسلم في أربعمائة وخمسين رجلا من أصحابه فلما سمعوا به هربوا في رؤس الجبال (ثم كانت غزوة بحران) بفتح الباء الموحدة ويقال

وعفا عنه ومن أحسن ما قيل في الاعتراف بالذنب وطلب العفو قول ابن زيدون في رسالته

ان لا يكن ذنب فعفوك واسع * أو كان لي ذنب ففضلك أوسع

(وقال أيضا)

تلمست هل من شافع لي فلم أجد * سوى رحمة أعطاكها الله تشفع
لئن حملت الاجرام مني وأفظعت * لعفوك من جرمي أجل وأوسع

(وقال)

لاشئ أعظم من ذنبي سوى أملي * في حسن صفحك عن جرمي وعن زللي
فان يكن ذا وذا في القدر قد عظما * فانت أعظم من ذنبي ومن أملي

وأقام هشام في الخلافة تسع عشرة سنة وتوفي بالرصافة سنة خمس وعشرين ومائة وكان وكلاء الوليد قد ختموا خزائن هشام وبيوت أمواله فلم يوجد له كفن فكفنه خادم له وهكذا احال الدنيا

(خلافة الوليد بن يزيد)

بويع له بالخلافة يوم مات عمه هشام في ربيع الآخر في عشر ليال خلون منه سنة خمس وعشرين ومائة وسنه اثنتان وأربعون سنة بعهد من أبيه وكان متعديا للحدود مستخفا بالقرآن والحديث ومما يحكى عنه ان له في الخلاعة والمجون وسخافة الدين ونظم الشعر الركيك لضلاله وكفره ما يطول ذكره من ذلك ما ذكره المعافا بن زكريا ان الوليد نظر الى جارية نصرانية يقال لها سفرا فجن بها وجعل يراسلها وتابى عليه حتى بلغه ان عيد النصارى قد قرب وأنها ستخرج فيه وكان في موضع العيد بستان حسن وكان النساء يدخلنه فصانع الوليد صاحب البستان ان يدخله لينظر النصرانية فوافقه وحضر الوليد وغير حليته ودخلت النصرانية البستان فجعلت تمشي حتى انتهت الى الوليد فقالت لصاحب البستان من هذا فقال رجل مصاب فجعلت تمازحه وتضاحكه حتى اشتفى من النظر اليها ومن حديثها فقال لها صاحب البستان ويلك تدرين من ذلك الرجل فقالت لا فقال لها انه الوليد وانما غير حليته حتى ينظر اليك وكانت بعد ذلك أحرصت على الاجتماع به وله معها مجالس مشهورة وأسمار مسطورة وله فيها من الاشعار ما يجاوز حد العشق والغرام فمن ذلك قوله

أضحى فؤادك يا وليد عميدا * صبا قديما للحسان صيودا
من حب واضحة العوارض طفلة * برزت لنا نحو الكنيسة عيدا
مازلت ارمقها بعيني رامق * حتى بصرت لها تقبل عودا
عود الصليب فويح نفسي من أرى * منكم صليبا مثله معبودا

فسالت

تضمها اثم بحاء مهملة ساكنة في السنة الثالثة من الهجرة (ثم كانت غزوة أحد) في السنة الثالثة أيضا وأحد جبل على ثلاثة أميال من المدينة وسببها أنه لما أصاب قريشا في بدر ما أصابهم وخلص أبو سفيان بالعير ووصل الى مكة مشى أشراف قريش الى من كان له تجارة في تلك العير التي كانت وقعة بدر بسببها وكانت تلك العير محبوسة في دار الندوة لم تدفع الى أربابها فقالوا ان محمدا وتركم أي نقص عددكم بان قتل رجالكم ولم

فسألت ربي ان أكون مكانه * وأكون في لهب الجحيم وقودا

قال الراوي لذلك لم يبلغ مدرك الشيباني هذه الخلاعة اذ قال في عمر والنصراني

ياليتني كنت له صليبا * فكنت منه أبدا قريبا

ابصر حسنا وأشم طيبا * لا واشيا أخشى ولا رقيبا

فلما ظهر أمر الوليد وعلمه الناس قال

الا حبذا أشقري وان قيل انني * وقعت بنصرانية تشرب الخمرا

يهون علينا ان نظل نهارنا * الى الليل لا ظهرا نصلي ولا عصرا

وروى عن زينب بنت أم سلمة قالت دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم وعندنا غلام من آل المغيرة اسمه الوليد فقال من هذا يا أم سلمة قالت هذا الوليد فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اتخذتم الوليد حنانا غيروا اسمه الوليد فانه سيكون في هذه الامة فرعون يقال له الوليد وعن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال ولد لاخي أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم غلام فسموه الوليد فقال النبي صلى الله عليه وسلم سميتموه باسماء فراعنتكم ليكونن في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو أشد على هذه الامة من فرعون موسى على قومه ولما تعدى الوليد الحدود حوصر في قصره فاراد استعطاف خواطر الجند المحاصرين له فلم يقبلوا اعتذاره فجلس وأخذ مصحفا وقال يوم كيوم عثمان ونشر المصحف يقرأ فنزلوا وقتلوه في شهر جمادى الاولى سنة ست وعشرين ومائة وكانت مدة تصرفه سنة وشهرين وعشرين يوما

(خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان)

بويع له يوم قتل ابن عمه الوليد فاقام خمسة أشهر وتوفي في سنة ست وعشرين ومائة وسنه أربعون سنة والله أعلم

(خلافة ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك)

بويع له يوم مات أخوه في ذي الحجة فاقام سبعين يوما وخلع نفسه في سنة سبع وعشرين ومائة ومات سنة اثنتين وثلاثين ومائة

(خلافة مروان المعروف بالحمار)

وسمي بالحمار لان الذي يتولى بعد مضي قرن يقال له الحمار وقيل سمي هذا الاسم لصبره على الحرب وهو ابن مروان الاول بويع له يوم خلع ابراهيم فاقام ست سنين وشهرا الى ان قتل بناحية أبو صير من قرى مصر المحروسة في ثالث شهر الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهو آخر خلفاء بني أمية وبموته انقرضت دولة بني أمية كما انقرض من قبلها من الدول ولله العزة والبقاء

تأخذوا بثارهم فاعينونا بهذا المال حتى نحارب به لعلنا ندرك منه ثارا عمن أصاب منا فطابت نفوسهم على أن يجهزوا بربح ذلك العير جيشا الى محمد صلى الله عليه وسلم وكان رأس المال خمسين ألف دينار وقد ربح كل دينار دينارا فكان الربح خمسين ألف دينار وخرجوا بها لمحاربته صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى على نبيه في ذلك ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآية وجمع أبو سفيان

(الباب الثالث فى الدولة العباسية)

وكانوا بالعراق وعدتهم سبع وثلاثون خليفة ومدة تصرفهم فى العراق خمسمائة سنة ثم انتقلوا الى مصر وعدتهم بها سبعة عشر خليفة واستمرت الخلافة فيهم الى سنة خمس وتسعمائة وكانوا يظنون بقاءها فيهم الى أن يسلموها للمهدى آخر الزمان

(أولهم أبو العباس السفاح)

واسمه عبد الله بن محمد بن على بن ترجمان القرآن عبد الله بن عباس بن عم النبى صلى الله عليه وسلم بويع له رابع عشر ربيع الاول سنة اثنتين وثلاثين ومائة فأقام أربع سنوات وثمانية أشهر وسنه اثنتان وثمانون سنة وتوفى فى المحرم سنة ست وثلاثين ومائة

(خلافة أبى جعفر المنصور)

بويع له يوم مات أخوه وسنه ثلاث وستون سنة وهو الذى بنى بغداد سنة أربعين ومائة ونزل بها فى سنة ست وأربعين وفى سنة تسع وأربعين تم بناءها وبغداد عبارة عن سبع محال لا تفتقر محلة منها الى غيرها وهى على شاطئ الدجلة فالاولى بالجانب الشرقى بالرصافة بناها المهدى بن المنصور حين ضاقت بالرعية والجند سنة احدى وخمسين والثانية مشهد أبى حنيفة والثالثة جامع السلطان والرابعة مدينة المنصور فى الجانب الغربى وتسمى باب البصرة وكان بها ثلاثون ألف مسجد وخمسة آلاف حمام والخامسة مشهد موسى بن جعفر والسادسة الكرخ والسابعة دار القز ويقال ان المنصور سأل راهبا كان فى صومعة عن مكان بغداد عندما أراد أن يختطها قال أريد ان أبنى هنا مدينة فقال انما يبنيها ملك يقال له أبو الدوانيق فضحك وقال أنا هو وكان المنصور على جلالته يحاسب على الدانق فسمى أبا الدوانيق وقد ورد ان أبا جعفر المنصور بنى أربع مدن على أربع طوالع لا يخربون أبدا الا بخراب الدنيا المدينة الاولى المنصورة وهى مدينة طولها ميل فى ميل وبها خلق كثير وتجار وليس فيها الا النخل والقصب وهى مدينة حارة جدا والثانية المصيصة على بحرين والثالثة بارض الجمدين والرابعة بغداد ذكر الشيخ عمر الوردى فى خريدته ان بغداد فى الجانب الغربى على الدجلة انفق عليها المنصور أموالا عظيمة ونقل أبواب واسط وركبها عليها وجعلها مدينة مدورة وجعل دورها اثنى عشر ألف قصبة وبنى بها قصرا اعظيما بوسطها وبنى المهدى قصرا مقابله فى الجهة الاخرى وبينهما نهر الدجلة به جسر من السفن ويقال ان حماماتها حصرت فى وقت من الاوقات فكانت ستين ألف حمام قال الطبرى فى تاريخه كان بها ستون ألف حمام كل حمام يحتاج على الاقل الى ستة

من قريش ومن والاهم من قبائل العرب من كنانة وتهامة ثلاثة آلاف من القبائل والخلفاء وفيهم جابر ابن مطعم بن عدى ووحشى قاتل حمزة وكان حبشيا وهند زوج أبى سفيان وأم حكيم بنت طارق وزوجها عكرمة رضى الله عنهم وهؤلاء أسلموا وبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مسيرهم وفيهم مائتا فرس وثلاثة آلاف بعير وسبعمائة درع ولبس صلى الله عليه وسلم درعين وهما ذات الفضول وفضة وتقلد سيفا مكتوبا عليه

أنفار ومثل ليلة العيد يحتاج كل نفر الى رطل صابون له ولاولاده وعياله فهذه ثلثمائة ألف وستون ألف رطل صابون والمشاع ان بغداد كانت مشحونة بالعلماء والفضلاء وأرباب الصنائع الظريفة النفيسة والآن غالبها خراب وقد تغيرت أوضاعها وخلت من العلماء والافاضل بقاعها وقد أخبرني من أثق به من أفاضل الرجال انه توجه اليها ومكث بها مدة فلم يجد بها من يحرر المسائل الفقهية بل ولاغيرها من غالب العلوم والله يفعل مايشاء وذكر أنه لمانبت بغداد بالقاضي عبد الوهاب المالكي خرج منها طالبا لمصر فشيعه من أكابرها وفضلائها جماعة موفورة فقال لهم لو وجدت بين ظهرانيكم كل غداة وعشية رغيفين مافارقت بغداد فلم يكن فيهم من يتكفل له بذلك ومن شعره

بغداد دار لأهل المال طيبة * وللمفاليس دار الضنك والضيق
أقمت فيها مضاعا بين ساكنها * كانني مصحف في بيت زنديق

وفي المعنى

راحوا فقا بين الفرات ودجلة * عطشان يطلب شربة من ماء
ان البلاد كثيرة أنهارها * وسحابها بغزيرة الانواء
ماضاقت الدنيا ولاعدم السرى * فيها ولاضاقت على العلماء
أرض بأرض والذي خلق الورى * قد قسم الارزاق في الاحياء

(وقال أيضا)

مالي لا أرغب عن منزل * يكثر فيه الدهر حسادي
ما الرزق في الكرج مقيم ولا * طوق العلا في جيد بغداد

ذكر القاضي البيضاوي في تفسيره في سورة الفرقان عند قوله تعالى يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا أي تركوه وصدوا عنه وعنه عليه الصلاة والسلام من تعلم القرآن وعلق مصحفه ولم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة معلقا به يقول يارب هذا اتخذني مهجورا أقول أين أهل بغداد وشحهم وجبنهم وقلة مروآتهم من أهل مصر فانه ذكر ان القاضي عبد الوهاب المذكور لما قدم مصر تلقاه أكابرها وفضلاؤها بالبشر والكرامة والترحيب وأنزلوه في أحسن البيوت وأهدوا اليه الهدايا الوافرة والارزاق المتكاثرة وصار عندهم عزيزا فجزاهم الله تعالى خيرا عن مروآتهم وقد شاهدنا ذلك في كثير ممن ورد عليهم من العلماء (ومما يحكى) ان خالدا أبا يحيى البرمكي كان يكثر التردد على المنصور وكان المنصور يجله ويدني مجلسه ويصغي لمحادثته فدخل عليه في بعض الايام وفي يده خاتم به فص من السموم القاتلة واراد ان يجلس على عادته فزأر فيه زأرة عظيمة مزعجة ومنعه من الجلوس فقال ما السبب ياأمير المؤمنين فقال له تدخل علي

في الجبن عار وفي الاقدام مكرمة * والمرء بالجبن لاينجو من القدر *
(ولما جاوز المدينة) عرض عليه أصحابه فرد منهم شبان خمسة عشر ولما التقى الجمعان قتل من المسلمين خلق كثير منهم جابر أبو عبد الله فاخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم ان الله أوقفه بين يديه وقال له سلني اعطك فقال أسألك يارب ان أرد الى الدنيا فاقتل فيك ثانيا فقال له عزوجل انه سبق مني انهم لايرجعون الى الدنيا فقال أي رب فابلغ

بالسم القاتل فقال يا أمير المؤمنين جال فى صدرى شئ كان سببا لحمل الفص القتال وهو انى خشيت من بعض الحسدة أن يدسوا عليك دسيسة من قبلى فربما يكون فيها الهلاك والتشنيع فاذا حصل ذلك والعياذ بالله تعالى العق الفص واستريح من التمثيل فاستحسن ذلك منه وأجلسه على عادته فلما سكن روعه قال يا أمير المؤمنين بالله عليك بماذا عرفت ان معى سما فقال له ان فى عضدى دملجا اذا دخل على أحد بسم يتحرك الدملج فتعجب كل من كان حاضرا وهذا من العجائب (ويحكى) ان رجلا من أهل الشام قال للمنصور يا أمير المؤمنين من انتقم فقد شفى غيظه ومن عفا فقد تفضل ومن أخذ حقه لم يجب شكره ولم يذكر فضله وكظم الغيظ حلم والتشفى طرف من العجز وقال زياد تأخير جزاء المحسن لؤم وتعجيل عقوبته دناءة والتثبت فى العقوبة ربما أدى الى سلامة منها وتأخر الاحسان ربما أدى الى ندم لم يمكن صاحبه ان يتلافاه (ومما يحكى) ان المنصور أمر وزيره ان يأتيه برجل لا يسأله عن شئ الا ويحسن الجواب ولا يبتدئه بسؤال فأتاه برجل وقال يا أمير المؤمنين هذا اما أردت فرفع منزلته وأدناه وجعله نصب عينيه فمكث عنده مدة لا يسأله عن شئ الا ويحسن الجواب ولا يبتدئه بسؤال قط فعظم عنده فامر يوما وزيره ان يدفع اليه جائزة فماطله وحدث بعد ذلك سفر للمنصور فخرج الرجل لوداعه فلما أذن له بالرجوع راحة له قال يا أمير المؤمنين هذه دار من وأشار الى جهة فاستدعى المنصور الوزير وقال ادفع اليه ما أمرت له به من الجائزة فقبضها ومضى فقال الوزير يا أمير المؤمنين من أين علمت انى لم أدفع اليه فقال أشار الى قول الشاعر

يادار عاتكة التى اتغزل * حذار العدا وبه الفؤاد موكل
وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * ملق الحديث يقول ما لا يفعل

(وحكى) الربيع بن المفضل قال كنت عند المنصور وعنده جماعة من أعمامه فقالوا له محمد بن مروان فى سجنك فان أردت ان ترسل اليه وتسأله عن كلام جرى بينه وبين ملك النوبة فبعث اليه وفض عنه الحديد وقال حدثنى بكلام جرى بينك وبين ملك النوبة فقال يا أمير المؤمنين كنا قوما ملوكا فلما انقضت بنا المدة أمرت بالمتاع فصير فى مركب فاعتدل بنا الموج شهرا ثم صرت الى جزيرة النوبة فامرت بالمضارب فضربت فاقبل أهل النوبة ينظرون الى متاعنا ويتعجبون من حسنه وأقبل ملك النوبة فاذا هو رجل طويل أصلع حاف عليه كساء وهو متوشح به ثم سلم وجلس على الارض ولم يجلس على بساطى فقلت له لم تركت الجلوس على بساطى فقال لانى ملك وحق لمن رفعه الله ان يتواضع ثم صار ينظر فى وجهى وقال ما بالكم تطؤون الزرع بدوابكم وهو محرم عليكم فى كتابكم قلت عبيدنا فعلوا ذلك

من ورائى فانزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وكان قتادة يتقى السهام بوجهه عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصابه سهم خرجت منه حدقته فلما رآها صلى الله عليه وسلم فى كفه دمعت عيناه وقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك ثم ردها صلى الله عليه وسلم براحته الشريفة فكانت أحسن عينيه وأحدهما بصرا ولما رجع من غزوة أحد وبات ليلة شاع فى صبحها ان قريشا

بالجهل قال فما بالكم تشربون الخمر وهو محرم عليكم فى دينكم قلت عبيدنا واتباعنا فعلوا ذلك بالجهل منهم قال فما بالكم تلبسون الديباج وتحلون بالذهب والفضة وهو محرم عليكم على لسان نبيكم قلت انا كنا قوما ملوكا فلما انقضت مدتنا استعنا باعاجم دخلوا فى ديننا كرهنا الخلاف عليهم قال فجعل ينظر فى وجهى ويردد الكلام عبيدنا واتباعنا وأعاجم دخلوا فى ديننا كرهنا الخلاف عليهم ليس هذا يا ابن مروان كما تقول ولكنكم قوم ملكتم فظلمتم وتركتم ما أمرتم به فاذاقكم الله وبال أمركم ولله فيكم نقمة لم تبلغ وانى لاخشى ان ينزل عليكم بلاء وانت ضيفى فيصيبنى معك فارتحل عنى فتزودت وارتحلت وانشد يقول

اذا وليت فاعمر ماتليه * بعدلك فى الامارة بالعماره
وافضل مستشار كل وقت * زمانك فاقتبس منه الاشاره

(حدث) يحيى بن معاذ أن أبا جعفر المنصور كان جالسا فالح على وجهه ذباب حتى اضجره فقال انظروا من بالباب فقالوا مقاتل بن سليمان فقال علىّ به فلما دخل عليه قال له هل تعلم لماذا خلق الله الذباب قال نعم ليذل به الجبابرة فسكت المنصور وفى شفاء الصدور وتاريخ ابن النجار مسندا ان النبى صلى الله عليه وسلم لا يقع على جسده ذباب أصلا ذكر القطبى فى اعلامه قال النجم عمر بن فهد وفى سنة ثمان وخمسين ومائة عزم على الحج أبو جعفر المنصور وكان يريد قتل سفيان الثورى رضى الله عنه فلما وصل الى بئر ميمونة بعث الى الخشابين وقال لهم ان رأيتم سفيان الثورى فاصلبوه فجاؤا ونصبوا الخشب وكان سفيان الثورى جالسا بفناء الكعبة ورأسه فى حجر فضيل بن عياض ورجلاه فى حجر سفيان بن عيينة فقيل له يا أبا عبد الله قم واختف ولا تشمت بنا الاعداء فتقدم الى استار الكعبة فاخذها وقال برئت من هذه البنية ان دخلها أبو جعفر سالما وعاد الى مكانه فركب المنصور من بئر ميمونة فلما كان بين الحجارين سقط عن فرسه فاندقت عنقه فمات فى سابع ذى الحجة فى وقت السحر فحفروا له مائة قبر ودفنوه فى آخرها ليعموا قبره عن الناس وبر الله قسم عبده سفيان فانظروا الى عباد الله المخلصين وادلالهم على جناب رب العالمين وكيف حال أهل الدنيا المغرورين وكيف تضمحل عظمتهم فى سلطان السلاطين وما أحقر سلطنة المخلوقين من ماء مهين وما أسرع زوالهم وصيرورتهم عبرة للناظرين ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار (قال البحترى) ان المتوكل ولى سالم ابن حامد دمشق وكان بها جماعة من العرب لهم قوة ومنعة فقتلوا سالما فى يوم جمعة على باب دمشق فغضب المتوكل وقال من يكون فى صولة كصولة الحجاج فقال افريدون التركى أنا لها يا أمير المؤمنين فأمره وجهزه اليها فى سبعة آلاف فارس وأطلق له النهب والقتل ثلاثة أيام فجاء ونزل فى بيت لهيا فلما أصبح قال يا دمشق

يريدون الرجوع الى المدينة فانتدب صلى الله عليه وسلم أصحابه للقتال وهى غزوة حمراء الاسد فاجابه كل من كان باحد واكثرهم جريح وتلقاه طلحة بن عبيد الله فقال أين سلاحك يا طلحة فقال قريب يا رسول الله وذهب لسلاحه وكان به بضع وسبعون جراحة قال طلحة وانا أهم بجراح رسول الله صلى الله عليه وسلم منى بجراحى قال يا طلحة أين ترى القوم قال قريبا قال أما انهم لا ينالون منا مثلها حتى يفتح الله علينا مكة ونستلم الركن

أى شئ يحل بك اليوم وقدم له بغلة ليركبها فلما وضع رجله فى الركاب ضربته بالزوج فى صدره فسقط ميتا وقبره معروف شهير بها وذلك فى حدود الاربعين ومائتين وقال ابن زيدون فى رسالته وقد تكون منية المتمنى فى أمنيته وروى الشيخ أمين الدين أبو البقاء مسلم بن محمود الشيرازى فى كتابه القاصمة للفئة الغاشمة ان يحيي العابد بمروان قال كنت عند سفيان الثورى فالتفت الى شيخ فقال حدث القوم بحديث الحية والعصا قال حدثنى عبد الجبار عن محمد بن حميرانه خرج الى متصيده فتمثلت بين يديه حية فقالت أجرنى أجارك الله فى ظله يوم لاظل الاظله فقال وممن أجيرك فقالت من عدولى يريد ان يقطعنى اربا اربا فقال وممن أين أنت قالت من أهل لا اله الا الله قال وفى أين أخبؤك قالت فى جوفك ان كنت تريد المعروف قال ففتح فاه وقال ها فدخلت جوفه واذا رجل معه صمصامة فقال يا ابن حميرأين الحية قال ماأرى شيئا فذهب الرجل فاخرجت الحية رأسها فقالت يا ابن حميرأتحس بالرجل فقال لاقد ذهب قالت فاختر أى الخصلتين اما ان أنكت قلبك نكتة أوأفرى كبدك قال والله ما كافأتنى قالت تصنع المعروف عند من لايعرفه قال أمهلينى حتى آتى سفح هذا الجبل فامهد لنفسى موضعا فبينما هو كذلك اذ هو بفتى حسن الوجه طيب الرائحة حسن الثياب فقال ياشيخ مالى أراك مسترسلا للموت آيسا من الحياة قال من عدو فى جوفى يريد هلاكى فاخرج شيئا من كمه فدفعه الى وقال كله ففعلت فاصابنى مغص شديد ثم ناولنى أخرى فاكلتها فرميت الحية من أسفل قطعا قطعا فقلت من أنت رحمك الله فقال له أنا ملك يقال له المعروف ومستقرى فى السماء الرابعة وان أهل السماء لما رأوا غدر الحية بك اضطربوا كل يسأل ربه ان يغيثك فقال عزوجل يامعروف ادرك عبدى وقال الشاعر

لاتصنع المعروف فى ساقط * فذاك صنع ساقط ضائع
فضعه فى حر كريم يكن * عرفك مسكا عرفه ضائع

وقال أيضا

متى تسد معروفا الى غير أهله * رزئت ولم تظفر باجر ولاحمد

وقال الحجاج لشخص ما أضيع الاشياء قال مطر جود فى أرض سبخة لايجف ثراها ولاينبت مراعاها وسراج يوقد فى الشمس وجارية حسناء تزف الى عنين أعمى وصنيعة تهدى الى من لايشكرها وقال بعض الحكماء أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام وقالوا الاحسان الى اللئيم أضيع من الرسم على بساط الماء والخط على بساط الهواء قالوا تعريف اللئيم من اذا ارتفع انكر أباه وجفا أخاه واستخف بالاشراف ونقل عن شيخنا المرحوم الشيخ نورالدين

الزيادى

وسار حتى بلغ حمراء الاسد وهو مكان بينه وبين المدينة ثمانية اميال ولما بلغ المشركين خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر عليهم ذلك ورجعوا الى مكة (وفى السنة الرابعة كانت غزوة بنى النضير) وهم قوم من اليهود بخيبر وسببها انه صلى الله عليه وسلم ذهب اليهم لحاجة عرضت له لقربهم من المدينة وكان معه من اصحابه جماعة دون العشرة فجلسوا بجانب جدار من بيوتهم فارادوا الغدر به صلى الله عليه وسلم وان يصعد رجل الى الجدار

الزيادى الشافعى فى تعريف اللئيم فقال من ليس له فعلة تحمد ولا خصلة تشكر
قال الشاعر

ومن يصنع المعروف مع غير أهله * يلاقى الذى لاقى مجير ام عامر
أعد لها لما استجارت ببيته * مع الامن البان اللقاح الدرائر
واسمنها حتى اذا ما تمكنت * فرته بانياب لها واظافر
فقل لذوى المعروف هذا اجزاء من * يجود بمعروف على غير شاكر

وقال آخر

زرعنا جميلا مع اناس فانكروا * جمائلنا طرا وما حفظوا القرى
ومن يزرع المعروف فى غير أهله * كمن قلد الخنزير درا وجوهرا

وقال الشاعر

لعمرك ما المعروف فى غير أهله * وفى أهله الا كبعض الودائع
فمستودع ضاع الذى كان عنده * ومستودع ما عنده غير ضائع
وما الناس فى شكر الصنيعة عندهم * وفى كفرها الا كبعض المزارع
فمزرعة طابت فاضعف نبتها * ومزرعة اكدت على كل زارع

وقال آخر

ائن بسط الزمان يدى لئيم * فصبر للذى فعل الزمان
فقد يعلو على الرأس الذباب * كما يعلو على النار الدخان

رجعنا الى ما نحن بصدده وأقام المنصور فى الخلافة اثنتين وعشرين سنة وتوفى سنة ثمان وخمسين ومائة والله أعلم

(خلافة المهدى بن المنصور)

بويع له يوم مات أبوه وسنه اثنتان وأربعون سنة فجمع الناس فخطبهم ثم حمد الله واثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان أمير المؤمنين عبد دعى فأجاب وأمر فأطاع ثم ذرفت عيناه وقال لقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرقة الاحباب وقد فارقت عظيما وتقلدت جسيما فعند الله احتسب أمير المؤمنين وبه استعين على تقليد أمور المسلمين ونزل فبايع الناس وقد جمع أبو دلامة الشاعر بين تهنئة وتعزية فقال

عيناى واحدة ترى مسرورة * باميرها جذلى وأخرى تذرف
تبكى وتضحك تارة ويسوؤها * ما أنكرت ويسرها ما تعرف
فيسوؤها موت الخليفة محرما * ويسرها أن قام هذا يخلف
ما ان رأيت كما رأيت ولا أرى * شعرا أسرحه وآخر ننتف
هذا حباه الله فضل خلافة * ولذاك جنات النعيم تزخرف

وراقى عليه جبرا فاخبره جبريل بذلك فقام وذهب الى المدينة وكان ذلك منهم نقضا للعهد فأرسل اليهم ان اخرجوا من بلدى لان بلدتهم كانت من من اعمال المدينة فلم يخرجوا فتجهز اليهم وغزاهم (ثم كانت غزوة بدر الثالثة) فى السنة الرابعة وتسمى بدر الموعد لان اباسفيان نادى يوم أحد الموعد بيننا و بينكم بدر العام القابل فخرج صلى الله عليه وسلم ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه فاقاموا على بدر ثمانية أيام منتظرة

وكان المهدى يقول ادخلوا على العلماء والقضاة وأحضروهم عندى فلو لم يكن من حضورهم الارد المظالم حياء منهم لكان خيرا كثيرا ومكث فى الخلافة عشر ين سنة وتوفى فى المحرم سنة تسع وستين ومائة

(خلافة موسى الهادى بن المهدى)

بويع له يوم مات أبوه وكان سنه أربعة وعشرين بعهد من والده وأخذ له البيعة شقيقه هرون الرشيد (ذكر صاحب السكردان) ان الهادى كان يوما فى بستان يتنزه على حمار ولا سلاح معه وبحضرته جماعة من خواصه وأهل بيته فدخل عليه حاجبه وأخبره أن بالباب بعض الخوارج له بأس ومكايد وقد ظفر به بعض القوّاد فأمر الهادى بادخاله فدخل عليه بين رجلين قد قبضا على يديه فلما أبصر الخارجى الهادى جذب يديه من الرجلين واختطف سيف أحدهما وقصد الهادى ففر كل من كان حوله وبقى وحده وهو ثابت على حماره حتى اذا دنا منه الخارجى وهم ان يعلوه بالسيف أومأ الى وراء الخارجى وأوهمه ان غلاما وراءه وقال يا غلام اضرب عنقه فظن الخارجى ان غلاما وراءه فالتفت الخارجى فنزل الهادى مسرعا عن حماره وقبض على عنق الخارجى وذبحه بالسيف الذى كان معه ثم عاد الى ظهر حماره من فوره واتباع الهادى ينظرون اليه ويتسللون عليه وقد ملؤا منه حياء ورعبا فما عاتبهم ولا خاطبهم فى ذلك بكلمة ولم يفارق السلاح بعد ذلك اليوم ولم يركب الاجواد من الخيل فانظروا الى هذا المقدار فى ثبات جاش الملوك فانه قل من يفعل ذلك وهذه مرتبة لم يصل اليها أحد الا نادرا (حكى) عن عبد الحق انه قال مما ابتلى به الهادى من المحبة انه كان مغرما بجارية تسمى غادر وكانت من أحسن النساء وجها وأطيبهم غناء اشتراها بعشرة آلاف دينار فبينما هو يشرب مع ندمائه اذ فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب فقيل له ما بال أمير المؤمنين قال وقع فى قلبى انى أموت وان أخى هرون يلى الخلافة ويتزوّج غادرا فامضوا وأتونى برأسه ثم رجع عن ذلك وأمر باحضاره وحكى له ما خطر بباله فجعل هرون يترفق به فى ذلك فقال لا أرضى حتى تحلف لى بكل ما أحلفك به اذا مت لا تتزوّج بها فرضى بذلك وحلف ايمانا عظيمة ودخل الى الجارية وحلفها أيضا على مثل ذلك فلم يلبث بعد ذلك سوى شهر ومات وولى الخلافة هرون الرشيد فطلب الجارية فقالت يا أمير المؤمنين كيف تصنع فى الايمان فقال قد كفرت عنك وعنى ثم تزوج بها ووقعت فى قلبه موقعا عظيما وافتتن بها أعظم من أخيه الهادى حتى كانت تسكر وتنام فى حجره فلا يتحرك ولا ينقلب فبينما هى فى بعض الليالى وهى فى حجره نائمة فاذا بها انتبهت فزعة مرعوبة فقال لها ما بالك فديتك قالت رأيت أخاك الهادى الساعة فى النوم فانشدنى هذه الابيات

الموسم وكان أبو سفيان قد خرج من مكة فى ألفين من قريش حتى نزل خارج مكة وقد قام به رعب من محمد صلى الله عليه وسلم فجمع قريشا وقال لهم انه لا يصلح هذا العام اقتال محمد فارجعوا فرجعوا وباع المسلمون ما كان معهم من التجارة وربحوا ربحا كثيرا وفيهم نزل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل الآية (ثم كانت غزوة دومة الجندل) أواخر السنة الرابعة الجندل بفتح الدال المهملة بلدة قريبة من دمشق بلغه صلى

أخلفت عهدى بعدما * جاورت سكان المقابر
ونسيتني وحنثت فى * ايمانك الزور الفواجر
ونكحت غادرة أخى * صدق الذى سماك غادر
لايهنك الالف الجديـ * ـد ولاتدر عنك الدوائر
ولحقتنى قبل الصبا * ح وصرت حيث غدوت صائر

قالت ثم ولى عنى وكان الابيات مكتوبة فى قلبى مانسيت منها كلمة فقال لها هذه أحلام الشيطان فقالت كلا والله ياأمير المؤمنين ثم اضطربت بين يديه وماتت فى تلك الساعة ولاتسأل عن هرون الرشيد ومالقى بعدها فكانت مدة الهادى سنة وشهرا ونصفا وتوفى فى ربيع الاول سنة سبعين ومائة

(خلافة هرون الرشيد)

بويع له يوم مات الهادى وسنه خمس وأربعون سنة ومولده بالرى لما كان أبوه المهدى أميرا عليها وكان فصيحا بليغا أديبا كثير العبادة وكان يحج عاما ويغزو عاما وقد يجمع بينهما وكان يصلى فى خلافته فى كل يوم مائة ركعة لايتركها الالعلة وكان يتصدق فى كل يوم بالف درهم ويحب العلم وأهله ويعظم حرمات الاسلام وبلغه عن بشر المريسى انه كان يقول بخلق القرآن فقال لئن ظفرت به لاضربن عنقه وكان يأتى بنفسه الى بيت الفضيل بن عياض ويعظمه وكان قاضيه الامام أبو يوسف وكان يجله كثيرا ويمتثل أمره وكانت أيام الرشيد أيام خير وله أخبار فى اللهو واللذات مشهورة (فائدة) ولد الامام أبو يوسف سنة خمس وتسعين وتوفى سنة مائة واثنتين وثمانين فجملة عمره سبع وثمانون سنة ومما يحكى عن هرون الرشيد انه قال يوما لجلسائه من أرغد الناس عيشا فقالوا أمير المؤمنين فقال لهم كلا ان لاعواد المنبر لهيبة وان لقعقعة لجام البريد لفزعة وان أهنى الناس عيشا رجل له دار يسكنها وزوجة يأوى اليها فى كفاف من العيش لايعرفنا ولا نعرفه فان من عرفنا وعرفناه أفسدنا عليه دينه ودنياه (وحكى) المسعودى فى شرح المقامات قال أخبرنا الفقيه أبو العز أحمد بن عبد الله السكبرى فى كتابه بسنده عن ايوب الوزان قال قال المفضل دخلت على الرشيد وعنده طبق ورد وعنده جارية مليحة أديبة شاعرة قد أهديت اليه فقال يامفضل قل فى هذا الورد شيأ يشبهه فقلت

كانه خد موموق يقبله * فم الحبيب وقد أبدى به خجلا

فقالت الجارية

كانه لون خدى حين يدفعنى * كف الرشيد لامر يوجب الغسلا

فقال هرون الرشيد قم يامفضل اخرج فان هذه المباحثة هيجتنا فقلت والله

الله عليه وسلم ان بها جماعة يتعرضون لمن مر بهم بالاضرار والافساد وأخذ الاموال وانهم يريدون أن يدنوا من المدينة فندب صلى الله عليه وسلم لهم الناس وخرج فى ألف مقاتل فلما دنا منهم وبلغهم الخبر تفرقوا فهجم على ماشيتهم وأمسك أصحابه رجلا منهم فساله عنهم فقال هربوا فعرض عليه الاسلام فاسلم (ثم كانت غزوة الخندق) فى شوال سنة خمس ويقال لها غزوة الاحزاب وكان كفار

يا أمير المؤمنين لا أقوم الا بجائزة فانى كنت سبب القيام أريك فضحك حتى استلقى على قفاه وأمر لى بجائزة فأخذتها وخرجت وأرخيت الستور دونى (وحكى) عن هرون الرشيد انه خرج هو وأبو يعقوب النديم وجعفر البرمكى وأبو نواس والاصمعى واذا بشيخ فى الصحراء متكئ على حمار له فقال هرون لجعفر سل هذا الشيخ هو من أين فقال له جعفر من أين جئت قال من البصرة قال وأين تريد قال بغداد قال وما تصنع فيها قال ألتمس دواء لعينى فقال له هرون مازحه فقال له جعفر أخاف أن أسمع منه ما أكره فقال بحقى عليك الا مازحته فقال جعفر للشيخ ان وصفت لك دواء ينفعك ما الذى تكافئنى به فقال الله تعالى يكافئك بما هو خير من ذلك فقال اسمع هذا السر الذى لا أصفه لاحد غيرك خذ لك ثلاث أواق من شعاع الشمس وثلاث أواق من زهرة القمر وثلاث أواق من هبوب الريح وثلاث أواق من نور السراج واجمع الجميع فى هون بلا قعر ودقهم ثلاثة أشهر فاذا دققتهم أجعلهم فى شقفة مشقوقة واجعلهم ثلاثة أشهر فى الريح ثم اجعلهم فى قصبة ساق جمل قدحى واستعمل هذا الدواء فى كل يوم ثلثمائة مرة عند النوم ودم على ذلك ثلاثة أشهر فانك تعافى ان شاء الله تعالى فلما سمع الشيخ كلامه انبطح عن حماره وضرط فى وجهه ضرطة منكرة وقال خذ هذه الضرطة مكافأة لك فاذا استعملت هذا الدواء ووهب الله لى العافية أخذت لك جارية تخدمك فى حياتك خدمة يقلع الله بها عينيك فاذا مت وعجل الله بروحك الى النار سخمت وجهك بخراك وأخلها تلطم عليك وتقول لك يا صقيع الذقن يارقيع لا اله الا الله ما أصقع ذقنك قال فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه ورسم له بثلاثة آلاف درهم وقد قيل ان هرون الرشيد حصل له فى بعض الايام حال من الاحوال وضيق صدر فأخذ معه بعض الخدام وخرج يتفرج على العادة وكان شخص يقال له أبو الحسن ابن تاجر من التجار وكان والده صاحب أموال كثيرة وأماكن وعقارات وأقطاع وضياع فتوفى والده وحاز جميع ما خلفه ثم انه كان فى كل يوم يخرج الى الجسر فأول رجل يمر عليه يدعوه الى الضيافة فمر عليه فى ذلك اليوم الرشيد فتعلق به وقال له ياسيدى هل لك فى طعام وشراب فأجابه الرشيد وقال له امض بنا ولم يعلم أبو الحسن من هو ضيفه وسارا الى أن وصلا منزل أبى الحسن فلما دخل الرشيد وجد به قاعة ان نظرت الى حيطانها رأيت العجب وان نظرت الى مجاريها رأيت شاذروانا مصفحا بالذهب فلما استقر به الجلوس استدعى أبو الحسن بجارية كأنها قضيب بان فأخذت عودها وأنشأت تقول

يا مقيما مدا الزمان بقلبى * وبعيد بشخصه عن عيانى
أنت روحى اذ كنت لست أراها * فهى أدنى الى من كل دانى

قريش ومن عاونهم من يهود بنى النضير وقبائل العرب المشركين عشرة آلاف ولما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم خبرهم شاور أصحابه فى أن يبرزلهم أو يكون فيها فأشار عليه سلمان الفارسى رضى الله عنه بالخندق وقال يارسول الله انا كنا بأرض فارس اذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا فأعجبهم ذلك وضربوا الخندق على المدينة وظهر فيها معجزات كثيرة منها ما رواه جابر رضى الله عنه قال اشتد علينا فى بعض الخندق

قال فلما سمع الرشيد من الجارية هذه الابيات قال لها أحسنت بارك الله فيك وأعجبه منطقها وتعجب من أبي الحسن وعزومته وقال له يا أبا الحسن هل من حاجة تروم قضاءها أوهل من شهوة تشتهيها فقال أبو الحسن ان بجوار نا مسجدا وله امام به وأربع مشايخ و بجوار المسجد صاحب ربع وهم كلما سمعوا نغمة أو شيأ من اللهو يغروا على الوالي ويغرموني الغرائم ويكدروا عيشي وأنا معهم في عذاب فلو تمكنت منهم كنت أضرب كل واحد منهم ألف سوط وأصلب صاحب الربع واستريح من كثرة اذاهم فقال الرشيد يبلغك الله مرادك ثم ان الرشيد غافله ووضع قرص بنج في قدح وناوله له فلم يستقر في جوفه حتى نام لوقته فقام الرشيد الى الباب فوجد غلمانه ينتظرونه فأمر الرشيد بحمل أبي الحسن على بغلة وسار الى دار الخلافة وهو سكران لا يفيق ولا يشعر بنفسه فلما استقر الرشيد بدار الخلافة استدعى بوزيره جعفر وعبد الله بن طاهر والي بغداد وبعض خدمه الخواص وقال لهم جميعا اذا كان غداة غد ونظرتم هذا الغلام وأشار الى أبي الحسن وهو جالس على سرير الملك أعطوه الطاعة وسلموا عليه بالخلافة وأي شئ أمر به فافعلوه ثم دخل بعد ذلك الى جواره وأوصاهن بخدمته وان يخاطبوه بامير المؤمنين فلما أفاق أبو الحسن وجد نفسه جالسا على سرير الملك والوزراء والوالي والخدم واقفون وهم يقبلون الارض بين يديه فاحتار أبو الحسن في أمره ووضع رأسه في عبه وجعل يفتح عينيه قليلا قليلا وجعل يضحك ويقول ايش هذا الامر الذي أنا فيه ثم انه رفع رأسه ونادى بعض الجواري فأجابته لبيك يا أمير المؤمنين فقال لها ما اسمك فالت شجرة الدر فقال لها أتدري في أي مكان أنا ومن هو أنا فقالت أنت أمير المؤمنين جالس في قصرك على سرير الخلافة فقال لها اني حائر في أمري وقد خرج عقلي وما كاني الا نائم ولكن ايش أقول في ضيفي البارحة وما أظنه الا شيطانا أو ساحرا لعب بعقلي فبقي حائرا باهتا الى أن أصبح الصباح فأتاه الخادم وقال له أسعد الله صباح أمير المؤمنين ثم ناوله تاسومة من ذهب مكللة بالجواهر واليواقيت فأخذها وتأملها طويلا ثم وضعها في كمه فقال له الخادم هذه مشاية تدخل بها بيت الخلاء فقال له صدقت ما وضعتها في كمي حتى لا تتوسخ ثم أخرجها من كمه ووضعها في رجله فلما قضى حاجته وخرج قدموا له خلعة سنية ونظر الى نفسه وهو جالس على السرير وقال كل ما أنا فيه خيال ومحال من الجان فبينما هو كذلك اذ دخل عليه بعض المماليك وقال له يا أمير المؤمنين ان الحاجب بالباب يستأذنك في الدخول فقال أبو الحسن يدخل فدخل وقبل الارض بين يديه وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقام أبو الحسن ونزل عن السرير الى الارض فقال له الحاجب الله الله يا أمير المؤمنين أما تعلم ان الناس

كدية فشكوها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا باناء من ماء فتفل فيه ودعا ما شاء الله ثم صب ذلك الماء على تلك الكدية فانهالت حتى عادت كالكثيب لا ترد فاسا ولما حضروا حول المدينة مكثوا مدة وارسل الله عليهم ريحا عاصفا في ليال شديدة البرد فقطعت اطناب خيامهم واكفأت قدورهم على افواهها ونصر الله المسلمين وخذل الاحزاب (ثم كانت غزوة المصطلق) في شعبان سنة ست من الهجرة وهم بطن من

كلهم غلمانك وتحت نظرك وأمير المؤمنين لا ينبغى له القيام الى أحد ثم قيل له ان جعفرا البرمكى وعبد الله بن طاهر وأكابر المماليك يستأذنون فى الدخول فاذن لهم فدخلوا وقبلوا الارض بين يديه وجعل كل منهم يخاطبه باميرالمؤمنين ففرح بذلك ورد عليهم السلام ثم نادى الوالى فدنا منه وقال لبيك يا أميرالمؤمنين فقال له اذهب فى هذه الساعة الى الدرب الفلانى وأمسك صاحب الربع وامام المسجد والاربع مشايخ واضرب كل واحد منهم ألف سوط فاذا فرغت من ذلك اكتب عليهم قسامة أنهم لا يسكنون فى الدرب بعد تجريسهم والمناداة عليهم هذا جزاء من يؤذى جاره ثم اصلب صاحب الربع واياك ان تتهاون فيما أمرتك به ثم ان أبا الحسن التفت الى الحاجب وبقية الخدم وقال لهم انصرفوا ثم استدعى بخادم كان قريبا منه وقال له انى جيعان وقصدى شئ آكله فقال سمعا وطاعة وأخذ بيده الى ان أدخله مجلس الطعام وقدموا بين يديه مائدة من الاطعمة الفاخرة وقام على رأسه عشر جوار نهد أبكار فالتفت الى جارية منهن وقال لها ما اسمك فقالت قضيب البان فقال لها يا قضيب البان من أنا قالت أنت أمير المؤمنين فقال تكذبين والله يا قحبة انت تضحكين على فقالت خف الله يا أمير المؤمنين هذا قصرك والجوار جوارك فقال فى نفسه ما هو كثير على الله عز وجل ثم ان الجوار أخذن بيده الى مجلس الشراب فرأى شيئا يذهل العقل وصار يقول فى نفسه لا شك ان هؤلاء من الجان ويكون هذا الذى أضافنى من ملوك الجان وما رأى لى مكافأة ومجازاة فما فعلته معه من الجميل الا ان امر اعوانه يقولون يا أمير المؤمنين وهؤلاء كلهم من الجان فالله يخلصنى منهم على خير فبينما هو يحدث نفسه واذا بجارية من تلك الجوارى ملأت له كاسا من الخمر فتناوله منها وشربه ثم ان الجوارى تكاثرن عليه بالشراب وطرحت له احداهن قرص بنج فى القدح فلما استقر فى جوفه وقع الى الارض وصار لا يعى ولا يفيق فعند ذلك أمر الرشيد بحمله الى منزله فحملوه ووضعوه على فراشه وهو لا يشعر بنفسه فلما أفاق من سكرته آخر الليل رأى نفسه فى الظلام فصاح يا قضيب البان يا شجرة الدر فلم يجبه أحد فسمعته أمه وهو ينادى بهذه الاسماء فقامت وأتت اليه وقالت له ايش جرى عليك يا ولدى وما الذى أصابك أنت مجنون فلما سمع كلام أمه قال لها من أنت يا عجوز النحس حتى تقابلى أمير المؤمنين بهذه الالفاظ فقالت له أنا أمك يا ولدى فقال لها تكذبى أنا أمير المؤمنين صاحب البلاد والحاكم على العباد فقالت له اسكت والا تروح روحك وجعلت ترقيه وتقرأ عليه وتقول يا ولدى كانك رأيت هذا فى المنام وهذا كله من وساوس الشيطان ثم قالت له ابشرك ببشارة تسر بها قال لها وما هى قالت ان الخليفة أمر بضرب الامام والمشايخ وصلب صاحب الربع وكتب عليهم قسامة

خزاعة وسببها انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان الحرث بن ضرار سيد بنى المصطلق رضى الله عنه فانه اسلم جمع لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قدر عليه من قومه ومن العرب فارسل صلى الله عليه وسلم رجلا يروده فعاد واخبره بذلك فندب الناس لقتالهم ولما وصل اليهم عرض عليهم الاسلام فابوا وحاربوا فاستاصلهم قتلا واسرا ونهبا واستاق ابلهم وشياههم وكانت الابل الفين والشياه خمسة آلاف واستعمل عليهم

لا يكثروا فضوهم على أحد فلما سمع أبو الحسن من أمه هذا الكلام زعق زعقة كاد أن يفارق الدنيا وقال انا لله وانا اليه راجعون أنا الذى أمرت بضرب المشايخ وصلب صاحب الربع ونفيهم وانا أمير المؤمنين ثم نزل الى الزقاق فى الليل ونادى باعلى صوته معاشر الناس من كان له حكومة او ظلامة فعليه بهذه الدار نزيح ظلامته وننظر فى حكومته قال فانقبه كل من فى الزقاق ومسكوه الى ان طلع النهار وجروه وادخلوه البيمارستان ووضعوه فى الحديد وصاروا كل يوم يعاقبونه ويسقونه الادوية الكريهه ويضربونه بالسياط وجعلوه مجنونا ومكث عشرة أياما فجاءت والدته تسلم عليه فشكى اليها فقالت له ياولدى خف الله فى نفسك لو كنت أمير المؤمنين ما كنت فى هذا الحال فلما سمع من والدته ذلك قال والله صدقت ما كانى الا كنت نائما فرأيت انهم جعلونى خليفة وجعلوا الى خداما وجوارى فقالت له ياولدى ان الشيطان يفعل اكثر من هذا قال صدقت وانا أستغفر الله مما جرى منى فاخرجوه من البيمارستان وادخلوه الحمام فلما أصاب العافية صنع طعاما وجلس يأكل فلم يطب له وحده فقال ياأماه لم يطب لى عيش ولا أكل وحدى فقالت له ان كنت تريد تفعل ماتشاء وتختار فرجوعك الى البيمارستان أقرب فلم يلتفت اليها وتمشى الى الجسر ينظر له نديما فبينما هو جالس اذا بالرشيد قد جاء اليه فى صفة تاجر وكان من حين فارقه يأتى كل يوم الى الجسر فلم يجده فلما رآه أبو الحسن قال له اهلا وسهلا ومرحبا ياملك الجن فقال له الرشيد ايش عملت معك فقال له اى شئ تفعل معى أكثر مما فعلت يا أوسخ الجان أكلت الضرب ودخلت البيمارستان وجعلونى مجنونا كل ذلك منك جئت بك الى منزلى وأطعمتك خيار مأكلى وبعد ذلك سلطت على شياطينك وأعوانك يلعبون بعقلى من المساء الى الصباح اذهب الى حال سبيلك فقال له الرشيد قد بلغت مقصودك من الامام والمشايخ وصاحب الربع قال نعم فقال له الرشيد لعله يأتيك مايسر خاطرك أكثر من هذا فقال له أبو الحسن ايش مقصودك منى قال مقصودى أكون ضيفك فى هذه الليلة فقال أبو الحسن على شرط ان تحلف لى بالذى هو منقوش على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام ماتخلى عفاريتك يلعبون بى فقال له الرشيد سمعا وطاعة فاخذه أبو الحسن الى منزله ثم ان ابا الحسن قدم الطعام الى الرشيد وأتباعه فاكلوا بحسب الكفاية فلما فرغوا من الاكل قدموا الشراب والمفرحات فشربوا الى أن رأى الرشيد فرصة فوضع قرص بنج فى قدح فلما شربه صار لايعى فامر الرشيد بحمل ابى الحسن الى دار الخلافة وأمرهم ان يرفعوه على سريره فلما أفاق أبو الحسن آخر الليل جعل ينادى يا أماه يا أماه فاجابوه الجوارى لبيك ياامير المؤمنين فلما سمع ذلك قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ادركونى فى هذه الليلة فانها أنحس من التى

مولاه شقران بضم الشين المعجمة وكان حبشيا واسمه صالح وفى هذه الغزوة كانت قصة الافك (ثم كانت غزوة الحديبية ومافيها من الصلح) وكانت فى آخر سنة ست من الهجرة (ثم كانت غزوة خيبر ومافيها) وكانت سنة سبع من الهجرة ثم كانت غزوة عمرة القضاء وسرية مؤتة وفتح مكة ودخولها فى شهر ذى القعدة من سنة سبع من الهجرة وقيل سنة ثمان ثم غزوة حنين ويقال لها غزوة هوازن وغزوة أوطاس وماوقع فيها من اعلاء كلمة الله

تقدمت ثم انه جعل يطيل النظر في الذين حوله و يقول هؤلاء كلهم من الجان في صفة الآدميين أمري الى الله ثم التفت الى مملوك بجانبه وقال له عضني في أذني لأرى أنا نائم أم يقظان فقال له المملوك كيف أعضك في أذنك وانت أمير المؤمنين فقال له افعل ما امرتك به والا ضربت عنقك فعضه في أذنه حتى ألقى الناب على الناب فزعق زعقة عظيمة هذا والرشيد خلف الستارة من داخل مخدع فكل من كان حاضرا معه انقلب من الضحك وهم يقولون للملوك أنت مجنون تعض أذن الخليفة فقال لهم أبو الحسن ما كفى يا قحاب الجن ما جرى على انتم ما لكم ذنب الذنب لكبيركم الذي حلفته بخان اليمين وأخرجكم في صفة الآدميين وانا استعين عليكم في هذه الليلة بآية الكرسي والاخلاص والمعوذتين ثم ان الرشيد خرج من وراء الستارة وقال أهلكتنا يا أبا الحسن فعند ذلك عرفه أبو الحسن فقبل الارض بين يديه ودعا له بدوام العز والبقاء ثم ان الرشيد ألبسه خلعة سنية ودفع له ألف دينار وجعله من أعز ندمائه (وحكى) أن الاصمعي دخل يوما على الرشيد فقال يا أمير المؤمنين كانت لي حاجة في ضيعة كذا فلقيني من كاد يقتلني قال وما هو قال بينما أنا في وسط البيداء واذا بشئ قبض على خناقي ولم أره فقلت من أنت يرحمك الله قال أنا من شعراء الجن فقلت له وما تريد مني قال أريد منك ان تصف لي في هذا الوقت ما أخبث الارض وما أطيبها وما أضيقها وما أوسعها فقلت له أو أحسن ذلك وأنت قابض على خناقي فأطلقني وأردت أن أعجزه فقلت له لا يحصل لي باعث على النظم الا بالجائزة العظيمة فقال أتطلب كثيرا فقلت ألف دينار فقال اثبت مكانك فوقفت يسيرا واذا بصرة وقعت من الهواء فاخذتها ووضعتها في كمي وقلت

من لم يكن بين أقوام يسر بهم * فكل أوقاته نقص وخسران
فاطيب الارض ما للنفس فيه هوى * سم الخياط مع الاحباب ميدان
وأخبث الارض ما للنفس فيه أذى * خضرا الجنان مع الاعداء نيران

فقال الاعتراف انصاف لقد أعجبني حسن بديهتك ولكن صف لي هذه الارض من أي الاراضي فقلت له ان لم تحرمني الجائزة ولم تقتلني فهي أطيب الارض وأوسعها وان قتلتني وأحرمتني الجائزة فهي أخبث الارض وأضيقها فضحك كالرعد القاصف فارتعدت منه فقال لي ما بالك ارتعدت وقد انبسطت معك اليوم فقلت له اذا كان بسطك يروعني فكيف انقباضك فضحك اكثر من الاول وقال اذهب يا اصمعي يحق للملوك ان يدنوك من مجالسهم فقال الرشيد أرني الصرة فاظهرتها له فقال الرشيد هذه من خزائني وعليها ختمي هذا من لصوص الجن فسبحان من نجاك منه (وحكى) عن الاصمعي انه قال ضل لي بعير

واظهار شوكة الاسلام ومن استشهد فيها من المسلمين (ثم كانت غزوة الطائف) سنة ثمان من الهجرة أيضا ثم عند منصرفه من الطائف قدم عليه كعب بن زهير تائبا مسلما حتى جلس بين يديه صلى الله عليه وسلم وأنشد له قصيدته المشهورة وهي (بانت سعاد فقلبي اليوم متبول) ولما رجع منها الى المدينة أتته وفود العرب وكانت تلك السنة تسمى سنة الوفود ودخل الناس في دين الله أفواجا وقد استوفينا الكلام على ما يتعلق

خرجت

فخرجت في طلبه فقد دخلت حلة عرب ورأيت جماعة يصطلون ناراً وبقربهم شيخ ملتف بقطعة عباءة وهو يرتعد ويقول

أيا رب ان اليوم أصبح كاشحا * وأنت بحالى يا مهيمن تعلم
فان كنت يوما مدخلى لجهنم * ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم

فعجبت من فصاحته فسلمت عليه وقلت لاى شئ يدخلك جهنم فقال لقلة صلاتى فقلت لم لا تصلى فانشد يقول

أيطلب ربى ان أصلى عاريا * ويكسو غيرى حلة البرد والحر
فوالله لا صليت ما عشت عاريا * عشاء ولا وقت المغيب ولا الوتر
ولا الصبح الا يوم شمس دفيئة * وان غيمت فالويل للظهر والعصر
وان يكسنى ربى قميصا وجبة * أصلى له مهما أعيش من العمر

قال فتعجبت من فصاحته وأعطيته قميصا وجبة وقلت له قم صل فلبسهما واستدبر القبلة يصلى بلا وضوء قاعدا فقلت له أما تستحى ان تفعل هذا فقال

اليك اعتذارى من صلاتى قاعدا * على غير طهر مومئا نحو قبلتى
فمالى ببرد الماء يارب طاقة * ورجلاى لا تقوى على ثنى ركبتى
ولكننى أستغفر الله شاتيا * واقضيكها يارب فى وقت صيفتى
فان أنا لم أفعل فدونك فاحتكم * بما شئت من صفعى ومن نتف لحيتى

فتركته وانصرفت متعجبا (وحكى) عن أبى العتاهية انه قال بينما أنا جالس فى حبس الرشيد اذ دخل علينا رجل ذو شهامة ووسامة فسلم وجلس ساعة لا ينطق فقلت أصلحك الله ان للمسجونين استرواحا الى الاخبار وتطلعا الى الحديث وقد دخلت علينا فلم تخبرنا بشئ من أمرك فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للداخل دهشة فابسطوه بالانس ولم تبتدئونى بالبسط والتأنيس فقلت صدقت وقص كل واحد مناقصة ثم أخرجت سويقا كان عندى فاسقيته فبينما هو يشرب اذ دخل علينا الاعوان فقالوا له قم فقد أمر بقتلك فارتعد ناوهو ساكن الجنان طيب النفس حتى استتم شرب السويق ثم قال أنا حاضر موت يحيى بن عبد الله بن الحسن الذى يقول

اذا أنا لم أقبل من الدهر كلما * تكرهت منه طال عتبى على الدهر
الى الله أشكو الامر فى الخلق كلهم * وليس الى المخلوق شئ من الامر
فعودت نفسى الصبر حتى ألفته * وأسلمنى حسن العزاء الى الصبر
وصيرنى يأسا من الناس راجيا * لسرعة لطف الله من حيث لا أدرى
وأوسع صدرى للاذى كره الاذى * وقد كنت أحيانا يضيق به صدرى
وقد ييأس الانسان فى بعض حاله * ويأتيه لطف الله من حيث لا يدرى

بالغزوات وغيرها فى كتابنا المواهب السنية فى خير البرية وفى السنة العاشرة كانت (حجة الوداع) وكان معه صلى الله عليه وسلم أربعون ألفا ولم يحج بعد الهجرة سواها ومات ابنه ابراهيم فيها وبعث عليا الى اليمن بكتاب يدعوهم الى الاسلام فاجابه منهم خلق كثير وأسلمت همذان جميعا فى يوم واحد فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دخلت سنة احدى عشرة فمرض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما قدم

ثم نهض غير مرعوب ولا مرهوب فلم يعرف له بعد ذلك خبر ثم انى لقيته بعد سنين
بالموقف فتعرفت اليه وقلت له ماشأنك وخبرك بعد ما فارقتنا فقال لما دخلت
على الرشيد أمر من مد النطع وجرد السيف وعصب عيناى وأمر بقتلى فرأى شفتى
تتحركان فقال لم تحرك شفتيك لا ام لك فقلت بدعاء علمنيه مولاى فقال اخبرنى به
فقلت اللهم يامن لا يرد قضاؤه عن كل سلطان منيع ولا يدفع بلاؤه عن كل ذى
مجد رفيع يا كاشف الهم عن الماسور الضعيف عند معضل الخطب ودافع الغم
عن المضطر اللهيف عند تزايد الكرب اسالك باجل الوسائل لديك وأقرب
الوسائل اليك محمد خاتم النبيين وآل بيته اجمعين أهل طه ويس صلى الله عليه
وعليهم أجمعين ان تجعل لى من أمرى هذا فرجا ومن محنتى مخرجا انك سميع الدعاء
جزيل العطاء فعال لما تشاء قال فتغرغرت عينا الرشيد بالدموع ثم قال حلوا
وثاقه وادفعوا اليه زادا وراحلة وألحقوه باهله فرجعت من فورى ومما أفاده
الجلال السيوطى فى كتابه الاريج فى الفرج ان أمير المؤمنين هارون الرشيد لما
اشتد غضبه على الامام الشافعى رحمة الله عليه نادى وزيره ليلا وقال اذهب بنفسك
الى محمد القرشى فادخل عليه بغير اذن وائتنى به على غير رضاء قال فذهبت اليه
وقد تحققت من أمير المؤمنين هارون الرشيد قتله فدخلت عليه فقلت الرشيد
يدعوك فقال فى مثل هذا الوقت وبغير اذن قال بذلك أمرت فقام معى الى ان
قربت من الدخول فوجدته يحرك شفتيه لا أدرى ما يقرأ فلما دخل على الرشيد
هابه وأجلسه وأكرمه وصرفه آمنا فخرجت عقبه وقلت بالله عليك الا ما أخبرتنى
بما قلت عند دخولك فوالله ما جئتك الا وانا أعرف موضع السيف من قفاك
فقال الامام رضى الله عنه حدثنى فلان عن فلان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما أهمه أمر الاحزاب نزل جبريل فعلمه هذه الكلمات فكتبها الوزير وحفظها
وحملها وكان يتعوذ بها وهى هذه اللهم أنت غياثى فبك أغوث وأنت عياذى فبك
أعوذ وأنت ملاذى فبك ألوذ يامن ذلت له رقاب الجبابرة وخضعت له اعناق
الفراعنة أجرنى من خزيك وعقوبتك واحفظنى فى ليلى ونهارى ونومى وقرارى
وظعنى واسفارى لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك تنزيها لذاتك وتكريما لسبحات
وجهك اكفنى شر عبادك وادخلنى فى سرادقات حفظك وعنايتك وجد على
بخير يا أرحم الراحمين (وحكى) عن أحمد بن الخطيب عن أبيه وكان من أجل
الكتاب قال دخلت يوما على أمى وكان يوم أضحى فرأيت عندها عجوزا فى اطمار رثة
ولها منظر وبيان فقالت لى أمى سلم على خالتك فقلت ومن هذه قالت هذه عنابة أم
جعفر بن يحيى فقلت لا اله الا الله أصار بك الدهر الى ما أرى فقالت يابنى انما كانت
الدنيا عارية ارتجعها معيرها وحلة سلبها لابسها فقلت ما أعجب ما لقيت قالت يابنى

المدينة أقام بها الى آخر
صفر وابتداء المرض
لليلتين بقيتا منه
وقبض ضحى يوم
الاثنين الثانى عشر
من ربيع الاول فى
بيت عائشة ودفن ليلة
الاربعاء وسط الليل
وصلى عليه المسلمون
ارسالا ولم يؤمهم احد
وغسله على والعباس
والفضل وقثم وأسامة
وصالح مولاه وهو
شقران ودفن فى حجرة
عائشة التى مات فيها
صلى الله عليه وسلم
(وولى بعده ابو بكر)
رضى الله عنه واسمه
عبد الله بن ابى قحافة
واسم ابى قحافة عثمان
ابن عامر بن عمرو بن

لقد مر على أضحى مثل هذا اليوم وعلى رأسى أربعمائة وصيفة وقد ظننت مع ذلك ان ابنى عاق لى ثم صرت لكم اليوم أطلب جلدى شاتين أجعل أحدهما دثارا والآخر خمارا فقلت ما أصعب ما رأيت فانشأت تقول

كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الحساد
ان المصائب تنقضى أسبابها * وشماتة الاعداء بالمرصاد

قالت لها ثم ماذا قالت الموت فقلت أوذقت الموت فانشأت تقول

لاتحسبن الموت موت البلا * لكنما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا * أشد من ذاك لذل السؤال

(ولبعضهم)

لا تظهرن لعاذل أو عاذر * حاليك فى السراء والضراء
فلرحمة المتوجعين حرارة * فى القلب مثل شماتة الاعداء

(ولبعضهم أيضا)

أعياك اسعافى فضرت معنفى * ليت الذى عرف الجميل تجملا
مالى شكوت اليك نار جوانحى * لتكون مطفيها فكنت المشعلا

المصائب جمع مصيبة وهو ما يصيب الانسان من حوادث الدهر ونوازله والشماتة التشفى والبيت الاول من جملة أبيات قالها عبد الله بن محمد ابن أبى عيينة يعاتب بها ذات اليمينين منها

من مبلغ عنى الامير رسالة * محصورة عندى من الانشاد
كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الحساد
واظن لى منه اليك خبيئة * ستكون عند الزاد آخر زاد
مالى أرى أمرى لديك كأنه * من ثقله طود من الاطواد

قيل لايوب عليه السلام أى شئ كان فى بلائك أشد عليك قال شماتة الاعداء وقال ابن أكثم لا يفرح بنكبة الانسان الا من لؤم أصله ومما يناسب ذلك ان على بن عبد الجبار قال زوجت سيدة النساء بنت طولون لعبة من لعبها فانفقت فى وليمتها مائة ألف دينار فلم تلبث حتى رأيتها تتعرض للسؤال ببغداد فرآها بعض الاغنياء فعرفها فقال لها أين ما كنت فيه قالت خانتنا الدنيا قال فاتشتهى الآن قالت ملء بطنى طعاما قال لها هذا وكيلى خذى منه ما اردت فانصرفت الى منزله فا كلت شيأ فامر لها بعشرة آلاف درهم فقالت رد عليك مالك كان عندنا أكثر منه فابقى وولت قائلة

دع الدنيا لعاشقها * سيصبح من ذبائحها
أرى الدنيا وان مدحت * تنص على فضائحها

كعب بن سعد بن تيم ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب التيمى القرشى ويلتقى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مرة بن كعب وامه سلمى بنت صخر بن سعد بن تيم بن مرة ماتت مسلمة وقيل كان اسم ابى بكر رضى الله عنه عبد الكعبة فسماه النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله ولقبه بعتيق لانه صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى ابى بكر وهو أول الرجال اسلاما شهد المشاهد كلها وكان مولده بمكة بعد الفيل بسنتين

فلا يغررك رائحة * تصيبك من روائحها

(ومما يحكى) ان جعفرا المصلوب نادى هارون الرشيد كل من نعاه أو رثاه فعل به كما فعل به فكف الناس عن ذلك ثم ان اعرابيا كان ببادية بعيدة وفى كل سنة يأتى بقصيدة لجعفر المذكور فيعطيه الف دينار جائزة فيأخذها وينصرف ويستمر ينفق منها على قيام أوده الى آخر العام فلما جاء الاعرابى بالقصيدة وجد جعفرا مصلوبا فجاء الى المحل الذى هو مصلوب فيه فأناخ راحلته وبكى بكاء شديدا وحزن حزنا عظيما وأنشد القصيدة ثم أخذه النوم فنام فرأى جعفرا فقال له اتعبت نفسك وجئت فرأيتنا على ما رأيت لكن توجه الى البصرة واسأل عن رجل اسمه كذا من خواجات البصرة وقل له جعفر يقرئك السلام ويقول لك بامارة الفولة أعطنى ألف دينار فتوجه الاعرابى الى البصرة فوجد الخواجا فاجتمع به وبلغه ما قاله جعفر فبكى بكاء شديدا حتى كاد أن يفارق الدنيا ثم انه أكرم الاعرابى وأجلسه عنده وأحسن مثواه ومكث عنده ثلاثة أيام مكرما واعطاه ألفا وخمسمائة دينار وقال له هذه الالف المأمور لك باعطائها والخمسمائة دينار كرامة منى اليك ولك فى كل سنة ألف دينار مادمت حيا فلما أخذها الاعرابى وأراد الانصراف قال للخواجا بالله عليك الا ما أخبرتنى عن أصل الفولة قال له كنت فى ابتداء أمرى فقير الحال أطوف بالفول الحار أبيعه فى شوارع بغداد فخرجت فى يوم بارد ماطر وليس على بدنى ما يقى البرد فتارة ارعد من شدة البرد وتارة أقع فى ماء المطر وأنا فى حالة مكربة تقشعر منها الابدان وكان جعفر بمنزله فى مكان عال مشرف وعنده خواصه ومحاضيه فوقع نظره على فرق لحالى وأرسل أخذنى عنده وقال لى بع ما معك من الفول على جماعتى فأخذت أكيل بمكيال كان معى فكل من أخذ كيلة فول يملأها ذهبا ففرغ جميع ما كان معى ولم يبق معى شئ وجمع الذهب صبرة وأخذه ثم قال لى هل بقى معك شئ من الفول ففتشت القفة فلم أجد فيها سوى فولة واحدة فأخذها جعفر وفلقها نصفين واخذ نصفها وأعطى النصف الثانى لاحدى محاضيه وقال لها بكم تشترى نصف هذه الفولة فقالت بقدر هذه الصبرة قال جعفر وأنا أشترى النصف الثانى بقدر الصبرة مرتين فبهت وبقيت متحيرا فى أمرى وقلت هذا شئ محال فقال جعفر خذ ثمن فولك فتوقفت فأمر أحد غلمانه فجمع المال جميعا ووضعه فى قفتى فأخذته وانصرفت ثم رحلت الى البصرة فاتجرت بما معى من المال فوسع الله علىّ دنياى ولله الحمد والمنة فاذا أعطيتك فى كل سنة ألف دينار فهى من بعض احسانه فانظر الى مكارم أخلاق جعفر والثناء عليه حيا وميتا رحمه الله تعالى وأقام هرون الرشيد فى الخلافة ثلاثا وعشرين سنة وتسعة عشر يوما ولما جردت المنية سيف الحمام على رأس هرون ومزق ثياب رشد الرشيد

وأربعة أشهر وأيام وكان أبيض اللون خفيف العارضين ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب هو وعمر بن الخطاب الى سقيفة بنى ساعدة من الانصار يتشاورون فى أمر الخلافة فوقع بينهم كلام كثير حتى قال بعض الانصار منا امير ومنكم امير يامعشر قريش وكثر اللغط وارتفعت الاصوات فقال عمر لابى بكر ابسط يدك فبسط يده فبايعه ثم بايعه المهاجرون ثم الانصار قال ابن اسحق ولما كان اليوم

رب المنون وخلعت عنه الخلافة والسلطان وغسلته سماء الدموع بماء الاجفان رأى مناما انه يموت بطوس فلما وصل الى طوس غلب عليه التوعك فتيقن بالموت وبكى واختار لنفسه مدفنا وقال احفروا لى قبرا فى هذا المحل فحفروا له قبرا فقال قربونى الى شفيره فحملوه فى قبة فسالت عبرته وزادت حسرته وقال يا ابن آدم الى هذا تصير ولابد من هذا المصير ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه فمات وصلى عليه ابنه صالح وألحد فى القبر المذكور لثلاث مضين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة

* (خلافة محمد الامين بن هرون الرشيد) *

بويع له يوم مات والده وكان مليح الصورة أبيض اللون جميلا لكن كان سيئ التدبير ضعيف الرأى لا يصغى الى قول مشير ولما ولى الخلافة اتخذ اللهو شعارا وشرب الخمر جهارا وخلع العذار فى العذارى واشترى عزيزة المغنية بمائة ألف دينار وأخذ جارية عمه ابراهيم بن المهدى بعشرين ألف دينار وعزل أخاه المؤتمن وخلع أخاه المأمون وكان والده هرون الرشيد عهد له ولأخويه فجعل ولده عبد الله المامون ولى عهد بعد الامين وولاه ممالك خراسان باسرها وكتب بذلك صحيفة ووضعها بالكعبة المشرفة وقد عمل بعض الشعراء فى ذلك جملة قصائد من جملتها

الله قلد هارونا خلافته * دهرا فاظهر فينا العدل والسننا
وقلد الامر هرون لرأفته * بنا أمينا ومأمونا ومؤتمنا

ثم ان الامين عزم على انتزاع العهد من أخيه عبد الله المامون وكان اذذاك مقيما بخراسان فنصحه عن هذا الغدر حازم بن خزيمة فقال يا أمير المؤمنين الغدر مشؤم والناكث مغلوب منكوب وجرت العادة بنصر المظلوم فابى الامين ونبذ كلامه وعمل برأيه السقيم وصمم على ذلك أشد تصميم فكتب الى المامون يستدعيه ويذكر له حاجة الى لقائه وانه يفاوضه فى أمر مهم عظيم تضيق عنه الكتب وأكد فى تعجيل القدوم عليه وكان للمامون جواسيس ببغداد فكتبوا اليه ان أخاك يريد تحويل الخلافة عنك الى ولده موسى فاطلع المامون خواصه على ذلك فاشاروا عليه بالثبات وانتظار الفرج والاعتذار الى أخيه عن التخلف فكتب اليه يعتذر بتشعب أهل خراسان وبمن يتطاول اليها من ملوك الكفار فلم يقبل عذره وكتب اليه ثانيا يامره بالقدوم عليه ويخوفه مضرة التهاون فشاور أصحابه فثبتوا على رأيهم وعن مفارقة خراسان فكتب الى الامين عيونه بخراسان ان المامون قد فطن لما يراد به وانه ممتنع حاذر وان وزراءه قد أجمعوا على نهيه عن مفارقة خراسان فيئس الامين عند ذلك وأمر بالقبض على من فى بغداد من حشم المامون ووكلائه وأمواله وأرسل أخذ صحيفة البيعة من مكة المشرفة ومزقها

الثانى من السقيفة بعد أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه المنبر فقام عمر فتكلم قبل ابى بكر فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال يا ايها الناس ان الله قد ابقى فيكم كتابه الذى هدى الله به رسوله فان اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه الله له وان الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانى اثنين اذ هما فى الغار فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبا بكر مبايعة عامة بعد بيعة السقيفة الخاصة ثم تكلم أبو بكر على المنبر فحمد الله واثنى عليه

ودعا الناس الى خلع المأمون من عهد الخلافة والبيعة لابنه موسى وكان اذ ذاك طفلا فاجابه الناس الى ذلك وبايعوه وسمى موسى الناطق بالحق قال ولم يكن موسى يومئذ ينطق بالحق ولا بالباطل واستكفل له على بن عيسى بن هانئ وكان هذا ولى خراسان قبل هذا فاصطنع فى أهلها جلائل الصنائع وقلد المنن فى أعناق الرجال وكان شانه بخراسان عظيما ثم استشاره الامين فى امر خراسان فضمن له مايريده منها واخبره أنه لو بلغ خراسان لم يختلف عليه منها اثنان فجهزه اليها واحسن جهازه وولاه كل بلد يقدم عليها واعطاه اموالا جزيلة وجهز معه جمهور جنوده واصحبه بالسلاح والكراع ماشاء وارسل معه جيشا عدته اربعون الفا فبلغ المامون ذلك فاضطرب امره وعلم عجزه عن مقاومة على بن عيسى فركب يوما الى متنزهه ليجتمع بخواصه ويشاورهم فى امره فتعرض له شيخ مجوسى من الفرس فناداه مستغيثا به من ظلمه فلما نظر اليه المامون والى كبر سنه رق له وامر بحمله على دابة الى الموضع الذى يقصده المأمون فلما استقر به الجلوس امر بادخال الشيخ عليه فلما دخل عليه أمره بالجلوس فى ناحية من المجلس ثم أقبل على خواصه وعرفهم بما وصل اليه من أخبار الامين وأمرهم بادارة الرأى فاشار كل واحد منهم برأى فقال بعضهم نعتذر الى الأمين وننقاد لما يريده وننتظر نصر الله تعالى فيما بين ذلك وقال بعضهم نقصد بعض ممالك الكفار فنفتح تلك المملكة ونتحصن بها وقال بعضهم نستجير بملك الترك على هذا الغادر القاطع ومازالت الملوك تفعل هكذا فركن المأمون الى ذلك ثم فكر وقال كيف اجعل للترك على حرب المسلمين سبيلا ثم قال قوموا واعنى فقاموا وافند عا الشيخ الفارسى وقال له ماحاجتك فقال له بالعربية جئت لحاجة فعرض لى ماهو آكد منها فقال المأمون وما هو فقال انى دخلت على امير المؤمنين وانا غير متصف له بالمحبة ثم ألقيت محبته فى قلبى وقد تظافرت على أيها الامير ثلاث قوى من الرق رق الحب ورق الاصطناع ورق الاتباع فان رأيت ان أقول ما عندى فذاك مفوض الى تعيينك فاطرق المأمون فقال له الشيخ أيها الامير لا يصدنك عنى حقارة قدرى فانى برهمى من ولد البرهميين سند ملوك الفرس والمتوسط بينها وبين أول الاوائل (فائدة) قال الجيلى فى كتابه الانسان الكامل وأما البراهمة فانهم يعبدون الله مطلقا لامن حيث نبى ولا من حيث رسول بل يقولون مافى الوجود شئ الا وهو مخلوق لله فهم مقرون بوحدانية الله تعالى فى الوجود لكنهم ينكرون الانبياء والرسل مطلقا فعبادتهم للحق من نوع عبادة الرسل قبل الانبياء وهم يزعمون انهم أولاد ابراهيم عليه السلام ويقولون ان عندهم كتابا كتبه ابراهيم عليه السلام من نفسه من غير ان يقولوا انه من عند ربه فيه ذكر الحقائق وهى خمسة أجزاء يبيحون قراءتها لكل أحد

ثم قال (أما بعد) أيها الناس فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينونى وان أسات فقومونى الصدق امانة والكذب خيانة والضعيف منكم قوى عندى حتى آخذ له بحقه والقوى منكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله تعالى أطيعونى ما أطعت [illegible] فاذا عصيت الله تعالى فلا طاعة لى عليكم قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله وسمى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فولى عامين وثلاثة

الا الجزء الخامس لا يبيحونه الا للآحاد منهم وقد اشتهر بينهم ان من قرأ الجزء الخامس من كتابهم لا بد ان يؤل أمره الى الاسلام فيدخل فى دين محمد صلى الله عليه وسلم وهذه الطائفة أكثر ما يوجدون ببلاد الهند وثم ناس منهم يغرون بزيهم انهم براهمة وليسوا منهم وهم مقرون بعبادة الاوثان فنهم من عبد الوثن ولا يعدون من هذه الطائفة عندهم فقال المأمون أيها الشيخ ان انتقلت من ملتك الى ملتنا الحقناك شعارا فقال الشيخ ان الباعث من نفسى الى ذلك شديد ولا أفعله الآن ولعل أفعله فيما بعد فقال له المأمون قد سمعت كلام الوزراء فان كان عندك رأى فتكلم فقال كل منهم مجتهد فى الاصابة ولست أرضى شيئا مما ذهبوا اليه وانى أجد فى الحكم التى أخذها آبائى عن آبائهم أنه ينبغى للعاقل اذا دهمه ما لا قبل له به ان يسلم نفسه بالتسليم لاحكام واهب العقل وقاسم الحظوظ ولا يضيع مع ذلك نصيبه من الدفاع بحسب طاقته فانه ان لم يحصل على الظفر حصل على القدر فقال له المأمون انه كان يقال لا رأى لكذوب وقد سمعت أنفسنا لك بالثقة والطمأنينة من غير امتحان وماذاك الا لانا نختار اصابة الحزم ولكننا أحببنا أن نذيقك ثمرة حبنا بالمكاشفة الدالة على القبول وها نحن نخبرك ان هذا المتوجه الينا وهو على بن عيسى لا يمكننا مقاومته لانه أملك منا للبلاد والاموال والرجال فقال الشيخ ينبغى ان تمحو هذا من نفسك بالكلية وان تصغى لما أنطق به فانه يقال ما كثر من كثره البغى ولا قوى من قواه الظلم ولا ملك من ملكه الغضب وها أنا أحدثك حديثا ان حذوت مثاله نلت مناله فقال المأمون هات فقال ان الخنشوار ملك الهياطلة لما أسر فيروز بن يزدجرد ملك الفرس وأراد اطلاقه أخذ عليه عهد انه لا يغزوه ولا يقصده بمكروه ثم جعل فى أقصى تخوم الهياطلة صخرة وحلف فيروز أنه لا يتجاوزها بجيش ولا بغيره كانه جعلها حدا ثم أطلقه فرجع فيروز الى دار ملكه فلما استقر عزم على الغدر وان يغزو الخنشوار وأطلع وزراءه وخاصته على ذلك فحذروه الغدر وخوفوه عاقبة البغى فاردعه ذلك ولا زجره فذكروه أيمانه وعهوده التى حلف بها للخنشوار وانه لا يتعدى تلك الصخرة فقال لهم انا عاهدته ان لا أتجاوزها وأنا آمر بحملها على فيل بين يدى الجيوش فلا يتجاوزها أحد منهم فلما علموا ان الغدر والبغى تمكنا منه امسكوا عنه وأجمعوا ان لا يراجعوه فى ذلك قال فجمع فيروز مرازبته وهم أربعة تحت يد كل واحد منهم خمسون ألفا مقاتلين وأمرهم بالتجهيز لحرب الهياطلة فساروا بين يدى فيروز وهو فى جنود لا يظن لها غالب وكان الخنشوار يضعف عن مقاومة فيروز وعن مرزبان من مرازبته فلما توجه له حافظ دينهم قال له لا تفعل أيها الملك فان رب العالمين يمهل الملوك على الجور ما لم يأخذوا فى هدم اركان الدين فلا تتعرض لهم بشئ فلم يلتفت فيروز

أشهر وثمانية أيام وولى بعده عمر بن الخطاب) باستخلاف أبى بكر رضى الله عنه وهو أول من دعى أمير المؤمنين وأول من كتب التاريخ وأول من أشار على أبى بكر بجمع القرآن فى المصحف وجمع الناس فى قيام شهر رمضان ولما أسلم نزل جبريل وقال يا محمد استبشر أهل السماء باسلام عمر وبويع له بالخلافة بعد موت أبى بكر لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ولما دفن أبو بكر صعد المنبر فجلس دون

الى مقالته ثم قال الشيخ فسار فيروز بجنوده حتى انتهى الى تلك الصخرة وحملها على فيل عظيم وسيرها بين يدى الجيوش فما بعد يسيرا حتى أتاه الخبر ان بعض اساورته قتل رجلا ظلما وجاء اخو المقتول مستغيثا من قاتل أخيه فامر له فيروز بمال عظيم ليصالح عن القتيل فقال لا ارضى الا بقتل قاتل اخى فامر فيروز بطرده فطردوه فجاء الى ذلك الاسوار فحمل عليه ليقتله فحرك الاسوار فرسه هاربا وانتهى خبره الى فيروز فعجب كيف فر منه فجاء أفضل وزرائه ونزل عن دابته وأخبره أنه محتاج الى الخلوة معه فضربت له قبة فى ذلك المكان وخلا بوزيره فقال الوزير أيها الملك السعيد ملكت الاقاليم السبعة وعمرت عمر الملوك الماضية ولقد ظهرت عناية الرب الاعلى لما ضرب لك من المثل فى أمر هذا الاسوار العظيم الذى تحته الوف من الجند فى هربه من بين يدي هذا المسكين مع ضعفه وقلة ناصره وما ذاك الا لبغيه وتعديه فقال الملك انه لم يفر لعجزه عنه بل لخوفه منا وعقوبتنا فقال الوزير برهان قولى يظهر فى مبارزة الاسوار للمسكين فادعه الى ذلك فدعا الاسوار وامن المسكين وقال له أرأيت لو أمرتك بمبارزة الاسوار فقتلته أترضى به فى دم أخيك وان قتلك ذهب دمك هدرا قال نعم دعونى واياه فانه على فرس الغرور لابس درع التكبر مقاتل بسيف البغى وانا على فرس البصيرة لابس درع الثقة مقاتل بسيف الحق فقال الوزير ان كلام هذا المسكين أبلغ فى الموعظة والظفر ثم تقدم كل منهما الى صاحبه وليس مع المسكين سوى خنجر فسبق سيف الاسوار الى المسكين فاثر فيه اثرا يسيرا فقبض على فرس الاسوار وجذبه اليه ورماه الى الارض ومال عليه فذبحه بالخنجر فقال الوزير أيها الملك هذا مثل ضربه لك رب العالم فبات فيروز مكانه يدبر أمره فى رجوعه أو ذهابه ثم انه انقاد لهواه وكان يقال الهوى كالنار اذا استحكم ايقادها عسر اخمادها (فائدة) تعريف الهوى هو ميل الناس الى الشهوة حلالا أو حراما وقال بعض العلماء الهوى أنواع وهو شئ يحدثه النظر أو السمع فيخطر بالبال ثم ينمو ويقوى فيصير محبة قال الشيخ ولما بلغ الخنشوار قصد فيروز له ثبت فى أمره ووكله الى الرب الاعلى ثم ان فيروز انتهك حرمة الخنشوار ووطئ بلاده واغار على أرضه وساء شره على رعيته ولما وصل الى مقعد الخنشوار نزل اليه واستعان عليه بالرب الاعلى فانكسر فيروز منهزما فاستولى الخنشوار على جميع امواله ورجاله فغنم الاموال وقتل الرجال وجد فى طلب فيروز حتى ظفر به واسر أهل بيته وجاة مملكته فلما سمع المأمون كلام الشيخ سر بذلك وقال ان كمل سرورى بما دعوتك اليه من الايمان والتوحيد صادفت مقالتك قبولا فقال أما انا الآن فنعم أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاكرمه المأمون وخلع عليه وأرسل المأمون ظاهر بن الحسين

مجالس ابى بكر ثم حمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وخطب خطبة بليغة وله فضائل كثيرة منها جريان النيل بكتابه الذى أرسله الى عمرو بن العاص لما افتتح مصر وكانت عادته انه لا يجرى حتى يأتوا بجارية بكر يأخذونها من أبويها ويحلونها بالحلى والثياب ويلقونها فيه ففى تلك السنة اخبروا عمرو بن العاص بذلك فلم يرض بعادتهم وقال لا يكون هذا فى الاسلام والاسلام يهدم ما قبله فمكث النيل لا يخرج شهرا بؤنة وأبيب

الى على بن عيسى فحال خروجه أخذ فى كمه دراهم يفرقها على الضعفاء فسها وأسبل كمه فتبددت الدراهم فتطير من ذلك فقام شاعره

هذا تبدد شمله لاغيره * وذهابه فيها ذهاب الهم
شئ يكون الهم نصف حروفه * لاخير فى امساكه فى الكم

فتفاءل بذلك وخرج لقتال على بن عيسى ومعه أربعة آلاف فقاتلوهم فانهزم على بن عيسى وقتل وذبح وتشتتت عساكره وجاء ابن طاهر برأس على بن عيسى الى المامون كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله فقوى قلب المامون وكثر اتباعه وجمع الجموع وسار الى بغداد لقتال أخيه الامين ولازال المامون يحسن تدبيره ويضعف أمر الامين الى ان حوصر الامين فى بغداد وتفرقت جنوده وهربوا الى المامون قال محمد بن راشد أخبرنى ابراهيم بن المهدى انه كان مع الامين لما حوصر قال طلبنى الامين فى ليلة مقمرة فقال ماترى فى حسن هذه الليلة وضوء هذا القمر فاشرب معى نبيذا فقلت نعم ثم سقانى وطلب جارية تغنيه اسمها ضعف فتطير منها وتشاءم فغنت بشعر النابغة الجعدى فقالت

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأيسر ذنبا منك ضرج بالدم

فتطير من ذلك وقال لها غنى غير هذا البيت فغنت

أبكى فراقهم ويوما فارقنى * ان التفرق للاحباب بكاء
مازال يعدو عليهم ريب دهرهم * حتى تفانوا وريب الدهر عداء

فقال لها لعنك الله أما تعرفين غير هذا البيت فقالت

أما ورب السكون والحرك * ان المنايا كثيرة الشرك
ما اختلف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء فى الفلك
الا انتقل من دولة وهنت * قد زال سلطانها الى ملك
سلطان ذى العرش دائما أبدا * ليس بفان ولا بمشترك

فقال لها قومى لعنك الله فعثرت فى كاس بلور فكسرته فازداد تطيره فقال يا ابراهيم ما أظن أمرى الا قد اقترب واذا بصوت سمعناه من الشارع يقول قضى الامر الذى فيه تستفتيان فقتل الامين وحز رأسه وطيف به فى بغداد ونودى عليه هذا رأس المخلوع الى أن سكنت الفتنة وتم على الامين ما تم وكان ذلك على أمه زبيدة أشر ماتم وزبيدة بنت جعفر بن المنصور وكان جدها المنصور يرقصها وهى طفلة ويقول لها أنت زبيدة فاشتهرت بها وكانت من الخيرات ولها ماآثر الى الآن منها اجراء عين حنين الى مكة وهى واد قليل الامطار بين جبال سود عاليات خاليات من المياه والنبات فنقبت زبيدة الجبال الى ان سلكت الماء من ارض الحل الى أرض الحرم وانفقت على عملها ألف ألف وسبعمائة ألف مثقال من

ومصرى حتى هم اهل مصر بالرحيل منها فلما رأى عمرو بن العاص ذلك كتب الى عمر بن الخطاب يخبره بذلك فكتب اليه بطاقة صغيرة وأمره أن يلقيها فى النيل فاخذها عمرو وقرأها فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله امير المؤمنين عمر بن الخطاب الى نيل مصر اما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجرى وان كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسال الله الواحد القهار ان يجريك فالقى عمرو البطاقة فى النيل قبل

الذهب فلما تم عملها اجتمع المباشرون والعمال لديها وأخرجوا دفاترهم لاخراج حساب ما صرفوه ليخرجوا من عهدة ما تسلموه وكانت فى قصر عال مشرف على الدجلة فاخذت الدفاتر منهم ورمتها فى الدجلة وقالت تركنا الحساب ليوم الحساب فن فضل عنده شئ فهوله ومن بقى له شئ أعطيناه وألبستهم الخلع رحمها الله تعالى وأسكنها الفردوس فى أعلى عليين (حديث عجيب) قال الجوهرى قولهم اشأم من طويس وهو مخنث بالمدينة كان يقول ياأهل المدينة توقعوا خروج الدجال مادمت حيا بين ظهرانيكم فاذا مت فقد أمنتم لانى ولدت فى الليلة التى مات فيها النبى صلى الله عليه وسلم وفطمت فى اليوم الذى مات فيه أبو بكر رضى الله وبلغت الحلم فى اليوم الذى قتل فيه عمر رضى الله عنه وتزوجت فى اليوم الذى قتل فيه عثمان وولد لى ولد فى اليوم الذى قتل فيه على رضى الله عنه وكان اسمه طاوسا فلما تخنث جعلوه طويسا وسمى بعبد النعيم وقال فى نفسه

انى عبد النعيم * ثم أنا طاوس الجحيم
وأنا أشأم من يمشى على ظهر الحطيم
انا حاء ثم لام * ثم قاف حشو ميم

أى ثم حشو ميم وحشو الميم الياء فكأنه قال أنا خلقى أشأم الناس وحكى الامام مالك عن عبد الله بن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان يكن الخير فى شئ ففى ثلاث المرأة والدار والفرس وفى مسند أبى داود الطيالسى عن عائشة أنه قيل لها ان أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشؤم فى ثلاث المرأة والدار والفرس فقالت عائشة رضى الله عنها لم يحفظ أبو هريرة لانه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قاتل الله اليهود يقولون الشؤم فى ثلاث الدار والمرأة والفرس فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله قال جماعة من العلماء شؤم الدار ضيقها وشؤم جيرانها وأذاهم وشؤم المرأة عدم ولادتها وسلاطة لسانها وتعرضها للريب قال الامام على رضى الله عنه الحسنة فى الدنيا المرأة الصالحة وفى الآخرة الحور أجمع وعذاب النار امرأة السوء وشؤم الفرس ان لا يغزو عليها وقيل حرانها وغلاء ثمنها وشؤم الخادم سوء خلقه وقلة تعهده لما فوض اليه وقيل المراد بالشؤم عدم الموافقة * (فائدة) * الايام النحسة فى كل شهر سبعة وهى اليوم الثالث من الشهر فيه قتل قابيل هابيل اليوم الخامس فيه أخرج الله آدم من الجنة وفيه أرسل الله العذاب على قوم يونس وفيه طرح يوسف فى الجب اليوم الثالث عشر فيه سلب الله ملك أيوب وأرسل الله عليه البلاء وفيه سلب ملك سليمان وفيه قتلت اليهود الانبياء اليوم السادس عشر فيه خسف الله بقوم لوط وفيه مسخ ستمائة نصرانى وجعلوا خنازير ومسخت اليهود قردة وفيه شقت

الصليب بيوم واحد فلما أصبحوا يوم الصليب أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة وقطع الله ثلاث العادة السيئة عن أهل مصر وفى خلافته فتحت مصر ودمشق والبصرة وبعلبك وحمص وهرب هرقل من أنطاكية الى قسطنطينية (وولى بعده عثمان بن عفان) وكنيته أبو عمرو بعد ثلاثة أيام من وفاة ... حكم الشورى فبقى والياً اثنى عشر عاما كاملة غير عشرة أيام وقتل سنة خمس وثلاثين فى ذى الحجة وله فضائل كثيرة منها

اليهود زكرياء بالمنشار اليوم الحادي والعشرون فيه ولد فرعون وفيه أغرق وفيه أرسل على قوم فرعون الآيات وهى الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم اليوم الرابع والعشرون فيه شق القمر وذبطن سبعين امرأة وطرح الخليل عليه السلام فى النار وفيه عقرت ناقة صالح اليوم الخامس والعشرون فيه أرسلت الريح العقيم على قوم هود فضابط الايام النحسة من كل شهر ماقاله الشاعر

محبك يرعى هواك فهل * تعود ليالى نضد الامل

فما كان نقطابدا نحسه * وما كان همل فسعد حصل

أقام الامين فى الخلافة أربع سنين وثمانية أشهر وكان قتله فى المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة من الهجرة النبوية

(خلافة عبد الله المأمون بن هرون الرشيد)

أمه جارية سوداء اسمها مراجل من جوار المطبخ ماتت فى نفاسها وحكايتها مشهورة مع زبيدة وكانت زبيدة قد استولت على عقل الرشيد تتصرف فيه كيفما تحب وتريد بويع له بالخلافة بعد قتل اخيه وكان من أحسن رجال بنى العباس حزما وعلما وفراسة وفهما سمع الحديث على جماعة وبرع فى فنون التاريخ والادب واعتنى بالعلوم الفلسفية وعلوم الاوائل (حكى) انه افتتح مدينة من مدائن النصارى فبلغه ان بكنيستها كتب اليونان فطلبها من النصارى فتوقفوا فى اعطائها وراجعوا رهبانهم وعلماء ملتهم فاشاروا اعليهم بارسالها وقالوا لهم مادخلت كتب اليونان فى ملة الا وافسدتها فلما وصلت اليه عربها واشتغل بها فضل وأضل ومحن الناس بالقول بخلق القرآن ولولا ذلك لكان من اكمل الخلفاء وكان يضرب به المثل ذكر العلامة ابراهيم الاندلسى ثم الدمشقى فى كتابه الكوكب الوهاج ان ابراهيم بن المهدى وهو اخو هرون الرشيد لما آل الامر الى ابن اخيه المامون لم يبايعه وذهب الى الرى وأقام بها وادعى الخلافة لنفسه واقام مالكها سنة واحدة واحد عشر شهرا واثنى عشر يوما وابن اخيه المامون يتوقع منه العود الى الطاعة والانتظام فى ملكه فلما ايس من عوده الى الطاعة ركب بخيله ورجله ودخل الرى فى طلب عمه فاوسعه الا انه اختفى خوفا على دمه فجعل المامون لمن دل عليه مائة الف دينار قال ابراهيم فخفت على نفسى وتحيرت فى امرى فخرجت من دارى وقت الظهيرة وانا لا ادرى اين اتوجه فجئت الى بغداد فدخلت شارعا غير نافذ فرايت فى صدر الشارع عبدا اسود قائما على باب داره فتقدمت اليه وقلت له هل عندك موضع أقيم فيه ساعة فقال نعم وفتح لى الباب فدخلت الى بيت نظيف ثم انه بعد أن أدخلنى أغلق الباب ومضى فتوهمت انه سمع الجعالة فى وانه خرج يدل على فبقيت كالحب على النار وأنا متفكر فى أمرى فبينما أنا كذلك

تجهيز جيش العسرة بثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وكان يطعم الناس طعام الامارة ويدخل بيته يأكل الزيت والخل وكان على مصر فى مدة خلافته عبد الله بن أبى سرح وذلك انه خلع عمرو بن العاص وولى عبد الله على مصر فاقام على ولايته الى ان مات فى سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة فكانت مدة ولايته على مصر اثنى عشر سنة (ثم ولى بعده على بن أبى طالب) رضى الله عنه سنة خمس وثلاثين من الهجرة فانه

اذا اقبل ومعه حمال عليه كل ما يحتاج اليه ثم التفت الى وقال جعلنى الله فداءك أنا رجل حجام وأنا أعلم انك متقرف منى فشأنك بما لم تقع عليه يدى قال ابراهيم وكان لى حاجة الى الطعام فطبخت لنفسى قدرا ما اذكر انى أكلت مثلها فلما قضيت أمرى من الطعام قال لى ليس من قدرى ان أحادثك فان رأيت ان تشرف عبدك ذلك فعلو الرأى قال ابراهيم فقلت وأنا أظن انه لم يعرفنى ومن أين لك انى أحسن المسامرة فقال يا سبحان الله مولانا أشهر من ذلك ألست سيدى ابراهيم المهدى الذى جعل المأمون لمن دل عليك مائة ألف دينار قال ابراهيم فلما قال لى ذلك عظم فى عينى وثبتت مروءته عندى فوافقته على بغيته منى ومر بخاطرى فراق أهلى وولدى فقلت

وعسى الذى اهدى ليوسف أهله * وأعزه فى السجن وهو أسير
أن يستجيب لنا فيجمع شملنا * والله رب العالمين قدير

قال فلما سمع ذلك منى قال يا سيدى أتأذن لى أن أقول ما سنح بخاطرى فقلت له هات فقال

شكونا الى أحبابنا طول ليلنا * فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم * سريعا ولا يغشى لنا النوم أعينا
اذا ما مضى الليل المضر بذى الهوى * جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا
فلو انهم كانوا يلاقون مثل ما * نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلنا

قال ابراهيم فوالله لقد حسست بالبيت قد سار وذهب عنى كل ما كان من الجزع ثم قال بعد ان سالته

تعيرنا انا قليل عدادنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل
وانا اناس لانرى الموت سبة * اذا ما راته عامر وسلول
يقرب حب الموت اجالنا لنا * وتكرهه اجالهم فتطول

قال ابراهيم فامعناه قد داخلنى من الفكرة فى نفاسة هذا الحجام وحسن أدبه وظرفه ثم أخرجت خريطة كانت صحبتى فيها دنانير لها قيمة فرميت بها اليه وقلت الله استودعك فانى ماض من عندك واسالك أن تصرف ما فى هذه الخريطة فى بعض مهماتك ولك عندى المنن المزيد ان امنت من خوفى قال ابراهيم فاعاد الخريطة على وقال ياسيدى ان الصعاليك منا الاقدر لهم عندكم وآخذ على ما وهبنيه الزمان من قربك وحلولك عندى ثمنا والله لئن راجعتنى فى ذلك قتلت نفسى قال ابراهيم فاعدت الخريطة الى كمى وقد أثقلنى حملها فلما انتهيت الى باب داره قال لى ياسيدى ان هذا المكان اخفى لك من غيره وليس فى مؤنتك ثقل

اقبل عثمان اجتمع الناس من المهاجرين والانصار على على رضى الله عنه وقالوا لابد لنا من امام وأنت أحق بها فقال لهم لا حاجة لى فى امرتكم فمن اخترتموه رضيته فقالوا نختارك فقال اذا كان ولابد فان بيعتى لا تكون خفية نخرج الى المسجد وبايعه الناس ورحل من المدينة الى الكوفة واستقر بها وكانت مدة خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام وقتل غيلة فى الكوفة سنة أربعين من الهجرة فى شهر

فأقم عندى الى ان يفرج الله عنك فرجعت وسألته ان ينفق من تلك الخريطة فلم يفعل فاقمت عنده اياما على تلك الحالة فضجرت من الاقامة وتزييت بزى النساء بالخف والنقاب فخرجت فلما صرت فى الطريق داخلنى من الخوف امر شديد وجئت لاعبر الجسر فاذا انا بموضع مرشوش بماء فبصر بى جندى ممن كان يخدمنى فعرفنى وقال هذه حاجة المامون فتعلق بى فدفعته وفرسه فرميته مافى ذلك الزلق وصار عبرة وتبادرت اليه الناس فاجتهدت فى المشى حتى قطعت الجسر فدخلت شارعا فوجدت باب دار وامرأة فى دهليزه فقلت ياسيدة النساء احقنى دمى فانى رجل خائف فقالت لا باس عليك وأطلعتنى الى غرفة وفرشت لى وقدمت لى طعاما وقالت اهدأ روعك فبينما هى كذلك واذا بالباب قد دق دقا عنيفا فخرجت وفتحت الباب واذا بصاحبى الذى أوقعته على الجسر وهو مشدود الرأس ودمه يجرى على ثيابه وليس معه فرس فقالت يا هذا ما دهاك فقال ظفرت بالغنى وانفلت منى وأخبرها بالحال فاخرجت خرقة وعصبت بها رأسه وفرشت له ونام عليلا وطلعت الىّ وقالت أظنك صاحب القضية فقلت نعم فقالت لا باس عليك ثم جددت لى الكرامة فاقمت عندها ثلاثة أيام ثم قالت انى خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع عليك فينم عليك فانج بنفسك فسألتها المهلة الى الليل ففعلت فلما دخل الليل لبست زى النساء وخرجت من عندها فأتيت الى بيت مولاة كانت لنا فلما رأتنى بكت وتوجعت وحمدت الله على سلامتى وخرجت كانها تريد السوق للاهتمام بالضيافة فما شعرت الا بابراهيم الموصلى فى خيله ورجله والمولاة معه حتى سلمتنى اليه وحملت بالزى الذى انا فيه للمأمون فجلس مجلسا عاما وادخلنى عليه فلما دخلت عليه سلمت عليه بالخلافة فقال لا سلمك الله ولا حياك فقلت على رسلك يا أمير المؤمنين ان ولى الثار محكم فى القصاص والعفو أقرب للتقوى وقد جعلك الله فوق كل ذى عفو كما جعل ذنبى فوق كل ذنب فان تأخذ فبحقك وان تعف فبفضلك ثم قلت

ذنبى اليك عظيم * وأنت أعظم منه
فخذ بحقك اولى * واصفح بحلمك عنه
ان لم اكن فى فعالى * من الكرام فكنه

قال ابراهيم فرفع المامون رأسه فبادرته وقلت

أتيت ذنبا عظيما * وأنت للعفو أهل
فان عفوت فمنّ * وان جزيت فعدل

وفى المعنى أيضا قول الشريف على العقيلى

يا طاعتى بعتاب كاد ينقذنى * لولم اكن لاباسا درعا من الامل

رمضان وله من العمر ثلاث وستون سنة وكان الوالى على مصر فى مدة خلافته قيس بن سعد بن عبادة الخزرجى الانصارى تولى عليها سنة ست وثلاثين من الهجرة واقام على ولايته حتى ارسل له معاوية يدعوه الى القيام بطلب دم عثمان ووعده ان يكون نائبه على العراقين اذا تم له الامر فاشيع عنه انه بايع معاوية فعزله على وولى على مصر محمد بن ابى بكر رضى الله عنه فلم يزل به قائما على الامر حتى كانت وقعة صفين بين

اخلع على جديدا من نداك فقد * رقعت بالعذر ما خرقت بالزال

وفي المعنى أيضا قال بعض المحدثين

فان عاقبتني فبسوء فعلي * وما ظلمت عقوبة مستقيد
وان تغفر فاحسان جديد * دعوت به الى شكر جديد

قال فرق المامون واستروحت وائحة الرحمة منه ثم أقبل على ابن عمه وأخيه أبي اسحق وعلى جميع من حضر من خاصته وقال ماترون في أمره فكل أشار بقتلي الا انهم اختلفوا في القتلة كيف هي فقال المامون لاحمد بن خالد ماتقول يا أحمد فقال يا أمير المؤمنين ان قتلته وجدنا مثلك قتل مثله وان عفوت عنه فما وجدنا مثلك عفا عن مثله فنكس المامون رأسه وأنشد متمثلا

قومي همو قتلوا أميم أخي * فاذا رميت يصيبني سهمي

وفي المعنى

ان الكريم اذا تمكن من أذى * جاءته اخلاق الكرام فاقلعا
وترى اللئيم اذا تمكن من أذى * يطغى فلا يبقى لصلح موضعا

قال ابراهيم فكشفت المقنعة عن رأسي وكبرت تكبيرة عظيمة وقلت عفا والله أمير المؤمنين قال لا باس عليك ياعم فقلت ذنبي يا أمير المؤمنين أعظم من أن اتفوه معه بعذر وعفوك أعظم من أن أنطق معه بشكر ولكن أقول

ان الذي خلق المكارم حازها * في صلب آدم للامام السابع
ملئت قلوب الناس منك مهابة * والكل تكلؤهم بقلب خاشع
ما ان عصيتك والغواة تمدني * أسبابها الا بنية طامع
وعفوت عمن لم يكن عن مثله * عفو ولم يشفع اليك بشافع
ورحمت أطفالا كافراخ القطا * وحنين والدة بقلب جازع

فقال المامون لا تثريب عليك اليوم قد عفوت عنك ورددت عليك مالك وضياعك فقلت

رددت مالي ولم تبخل علي به * وقبل ردك مالي قد حقنت دمي
فلو بذلت دمي أبغي رضاك به * والمال حتى أسل النعل من قدمي
ما كان ذاك سوى عارية رجعت * اليك لو لم تعرها كنت لم تلم
فان جحدتك ما أوليت من نعم * اني الى اللؤم أولى منك بالكرم

فقال المامون ان من الكلام درا هذا أحسنه وخلع عليه وقال ياعم ان أبا اسحق والعباس قد أشارا بقتلك فقلت انهما نصحالك يا أمير المؤمنين ولكن أتيت بما أنت أهله ودفعت ما خفت بما رجوت فقال المامون حقد وأمنك بحياة عذرك وقد عفوت عنك ولم أجرعك مرارة الشامتين ثم ان المامون سجد طويلا ثم رفع

على ومعاوية فاستخلف على اهل مصر محمد بن ابي بكر رضي الله عنه فولى على رضي الله عنه عليهم الاشتر النخعي ثم مات فارجع محمد بن ابي بكر الى ولاية مصر الى ان ارسل له معاوية عمرو بن العاص في جيوش كثيرة فقتل بعض الجيوش محمد بن ابي بكر واستولى على مصر عمرو بن العاص الى ان مات بها كما مر وولى معاوية عليها ولده [illegible] الله فعمل له عليها سنتين ثم عزله وولى اخاه عتبة بن ابي سفيان ثم عزله وولى عقبة بن عامر الجهني

راسه وقال ياعم أتدرى لماذا سجدت فقلت شكرا لله الذى ظفرك بعدو دولتك فقال ما أردت ذلك ولكن شكرا لله الذى ألهمنى العفو عنك قال ابراهيم فشرحت له صورة أمرى وما جرى لى مع الحجام والجندى والمرأة والمولاة التى نمت على فامر المامون باحضار المولاة وهى فى دارها تنتظر الجائزة فقال لها ما حملك على ما فعلت مع سيدك فقالت الرغبة فى المال فقال لها هل لك ولد أو زوج فقالت لا فامر بضربها مائتى سوط وخلد سجنها ثم قال احضروا الجندى وامرأته والحجام فاحضروا فسأل الجندى عن السبب الذى حمله على ما فعل فقال الرغبة فى المال فقال المامون يجب ان تكون حجاما ووكل به من يلزمه الجلوس فى دكان حجام ليعلمه الحجامة وأكرم زوجة الجندى وأدخلها القصر وقال هذه امرأة عاقلة تصلح للمهمات ثم قال للحجام قد ظهر من مروأتك ما يوجب المبالغة فى اكرامك وسلم اليه دار الجندى بما فيها وخلع عليه وأمر له برزق الجندى وزيادة ألف دينار حدث محمد الرصافى قال كنت أحد من وقعت عليه التهمة أيام الواثق بمال بمصر فطلبنى السلطان طلبا شديدا حتى ضاقت على الارض برحبها فخرجت من البلاد مرتادا رجلا عزيزا يمنع الدار أعوذ به وأنزل عليه حتى انتهيت الى بنى شيبان بن ثعلبة فجئت الى بيت مشرف بظهر رابية والى جانبه فرس مربوط ورمح مركوز يلمع سنانه فنزلت عن فرسى وتقدمت فسلمت على أهل الخباء فرد على السلام نساء من وراء السجف رمقننى من خلال الستور بعيون كعيون أخشاف الظباء فقالت احداهن أطمئن يا حضرى فقلت كيف يطمئن المطلوب أو يامن المرعوب وقلما ينجو من السلطان طالبه والخوف غالبه دون ان يأوى الى جبل يعصمه أو معقل يمنعه فقالت يا حضرى لقد ترجم لسانك عن قلب صغير وذنب كبير قد نزلت بفناء بيت لا يضام فيه أحد ولا يجوع فيه كبد ما دام لهذا الحى سند أو لبد هذا بيت الاسود بن قنان أخى كليب وأعمامه شيبان صعلوك الحى فى ماله وسيدهم فى فعاله لا ينازع ولا يدافع له حفظ الجوار وموقد النار وطلب الثار فقلت الآن ذهبت عنى وحشتى وسكنت روعتى فانى لى به قالت يا جارية اخرجى فنادى مولاك فخرجت الجارية فما لبثت الاهنيهة حتى جاءت وهو معها فى جمع من بنى عمه فرأيت غلاما حين اخضر شاربه واختط عارضه فقال أى المنعمين علينا فبادرت المرأة فقالت يا أبا مرهف هذا رجل نبت به أوطانه وأزعجه سلطانه وأوحشه زمانه وقد أحب جوارك ورغب فى ذمتك وقد ضمنا له ما يضمن لمثله مثلك فقال بل الله فاك ثم أخذ بيدى وجلس وجلست ثم قال يا بنى أبى وذوى رحمى أشهدكم ان هذا الرجل فى ذمتى وجوارى فمن أراده فقد أرادنى ومن كاده فقد كادنى وما يلزمنى فى أمره من الحال الا ويلزمكم مثله فيسمع

ثم عزله وولى معاوية ابن خديج ثم عزله وولى مسلمة بن مخلد واستمر على ولاية مصر الى ان مات فى خلافة يزيد فولى بعده سعيد بن يزيد فلما ولى ابن الزبير ولى على مصر عبد الرحمن بن مخزوم القرشى (ثم ولى الخلافة أبو محمد الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما) وبايعه على الموت أكثر من أربعين ألفا من أهل الكوفة وغيرهم وأطاعه الناس وأحبوه أكثر من حبهم لابيه فبقى ستة أشهر وخلع نفسه

الرجل منكم ما يسكن اليه قلبه وتطمئن اليه نفسه فما رأيت جوابا قط أحسن من جوابهم اذ قالوا باجمعهم ماهي بأوّل منة منّت بها علينا ولا بد بيضاء طوقتنابها وما زال أبوك قبلك في بناء الشرف لنا ودفع الذمّ عنا فهذه أنفسنا وأموالنا بين يديك ثم ضرب لي قبة الى جانب بيته فلم أزل عزيزا منيعا حتى سمح لي السلطان عما أملت وعفا عني فانصرفت الى أهلي (وحكى) عن المأمون انه خرج يوما لمتنزهه فبينما هو يسير اذ رأى صبية على كتفها قربة وقد أثقلتها وهي تنادي يا أبت ادرك فاها فقد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها فتعجب المأمون من فصاحتها على صغر سنها وقال لها هل تعرفين من العربية شيئا قالت أولست من العرب قال فمن أيها قالت من اليمن قال فمن أيها قالت من قضاعة قال فمن أيها قالت من كلب قال فانك من كلاب قالت لا ولكن فريقا يدعى كلبا قالت أما انا فقد سألتني عن حسبي ونسبي فافصحت لك ولكن ممن تكون أنت قال ممن تبغضه اليمن كلها قالت فاذا أنت من مضر فمن أيها قال ممن تبغضه مضر كلها قالت فاذا أنت من قريش فمن أيها قال ممن تبغضه قريش كلها قالت فاذا أنت من بني هاشم فمن أيها قال ممن تحسده بنو هاشم كلها قالت فاذا أنت المأمون ورب الكعبة ثم وثبت قائمة وأنشدت تقول

مامون ياذا المنن الشريفه * وصاحب المرتبة المنيفه
وقائد العساكر الكثيفه * هل لك في أرجوزة لطيفه
أظرف من فقه أبي حنيفه * لا والذي أنت له خليفه
ماظلمت في حينا ضعيفه * عاملتنا بؤن خفيفه
اللص والتاجر في قطيفه * والذئب والنعجة في سقيفه

قال فتعجب المامون من حسن بديهتها على صغر سنها فقال أيما أحب اليك مائة ألف درهم مؤجلة أم عشرة آلاف معجلة فقالت المائة الف المؤجلة لانك أملى لها الوفي بها فاعطاها المائة ألف فاخذتها وانصرفت (ومما يحكى) ان المامون رأى رؤيا في منامه فنسيها فاصبح مستوحشا فاحضر الكرماني المعبر وقال رأيت رؤيا فأنسيتها فقال نعم يا أمير المؤمنين رأيت كانك طلعت الى جبل عال ونزلت الى صحراء واسعة وسرت الى بئر مالحة ثم سرت الى جبل فيه كهفان ثم سرت الى بئر عذبة ونزلت الى أجمة قصب فانتبهت وأنت تقول لا اله الا الله قال له المامون صدقت من أين عرفتها قال لما وقعت عيني عليك وضعت يدك على رأسك ثم أمررتها على وجهك ولحيتك فقلت أشهد أن لا اله الا الله فقلت الرأس رأس جبل عال والجبينان صحراء واسعة والعينان بئر مالحة والانف جبل بين كهفين والفم بئر عذبة واللحية أجمة قصب فانتبهت وأنت تقول لا اله الا الله (وروى) عن أنس

كراهية في سفك الدماء ثم دس عليه يزيد بن معاوية السم مع بعض أزواجه فمكث مريضا أربعين يوما ومات بالمدينة خامس ربيع الاوّل سنة خمس وأربعين من الهجرة ودفن بالبقيع ولما حضرته الوفاة قال لاخيه الحسين رضي الله عنهما يا اخي ان اباك استشرف لهذا الامر فصرفه الله تعالى عنه مرارا ولما تولى هذا الامر نوزع حتى جرد السيف فلم يتم له وما صفت له وانا والله لا ارى ان يجمع الله تعالى لنا اهل البيت

ابن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرؤيا لاول عابر وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقصها الا على حبيب أو لبيب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فاذا حلم أحدكم حلما يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها فانها لا تضره (وروى) ان الرؤيا قد تمتد الى اثنتين وعشرين سنة ويعضد ذلك ان سيدنا يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام رأى الرؤيا وهو ابن سبع عشرة سنة واشتراه العزيز فى تلك السنة ولبث فى منزل العزيز ثلاث عشرة سنة ومكث فى السجن سبع سنين واجتمع بابيه وخالته بعد سنتين من تصرفه فى خزائن مصر فتكون الجملة اثنتين وعشرين سنة قال الله تعالى حكاية عن يوسف يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا ومما حكاه المقريزى فى خططه قال قال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس فى تاريخ مصر ان غلام أبى سعيد الخشاب أخبره أنه رأى رؤيا عجيبة فبينما هو جالس فى حانوت أستاذه واذا بابن العسال المعبر ومعه رجل من أهل الريف يطلب عمود خشب لطاحون فاشترى من ابن عقيل عمودا بخمسة دنانير فجاء جماعة من أهل السوق يقصون عليه منامات رأوها وهو يعبرها لهم فذكرت له رؤيا رأيتها فقال لى فى أى وقت رأيتها من الليل فقلت انتبهت بعد رؤياى وقت كذا فقال هذه رؤيا لا أعبرها الا بعشرين دينارا فالححت عليه فقال أستاذى لابن العسال هذا غلام ضعيف فقير لا يملك شيأ فقال لى لست آخذ الا عشرين دينارا فلم يزل حتى قال والله لا آخذ أقل من ثمن العمود فقال ابن عقيل ان صحت الرؤيا دفعت اليك العمود فقال ان هذا الغلام يأخذ فى مثل هذا اليوم ألف دينار فقال ابن عقيل وان لم يصح هذا قال يكون العمود عندك الى مثل هذا اليوم قال ابن عقيل قد انصفت فلما كان مثل ذلك اليوم فتحت دكان استاذى واستلقيت على ظهرى أفكر فيما قال ابن العسال ومن أين تصير لى الالف دينار فقلت لعل سقف الدكان ينفرج ويسقط منه هذا المال وجعلت أجول بفكرى الى الضحى فبينما انا كذلك اذ وقف على جماعة من اعوان الاستاذ أبى على بن زنبور وطلبونى الى ديوانه فقلت وما يصنع بى قالوا لى اذا جئته سمعت كلامه وما يريد منك فقلت ما أقدر أمشى فقالوا اكتر حمارا تركبه ولم يكن معى ما أكترى به الحمار فنزعت تكة سراويلى ورهنتها على درهمين لمن اكترى لى الحمار ومضيت معهم فجاؤا بى الى ديوان أبى على بن أبى زنبور فلما دخلت قال أنت ابن عقيل فقلت لا ياسيدى أنا غلام فى حانوته فقال أتحسن قيمة الخشب قلت بلى قال فاذهب مع هؤلاء وقوم لنا الخشب بحيث لا يزيد ولا ينقص فمضيت معهم فجاؤا بى الى البحر الى خشب كثير من اثل وسنط جاف وغير ذلك مما يصلح للمراكب وقالوا لى انظر الى هذا الموضع

بين النبوة والخلافة فاياك ان يستخفك اهل الكوفة (ثم ولى الخلافة بعده ابو عبد الرحمن معاوية بن ابى سفيان) وكانت مدة خلافته بعدان خاص له الامر تسع عشرة سنة وثلاثة اشهر وخمسة ايام وكان اميرا على الشام عشرين سنة وذلك بقية خلافة عمر وعثمان وفى خلافة على لما عزله صار متغلبا فكث اميرا وخليفة أربعين سنة وتوفى سنة ستين فى رجب وولى بعده يزيد ولده فاقام ثلاث سنين وثمانية أشهر وفى مدة خلافته ارسل الى

فقومته بالفى دينار فاعجلونى ولم أضبط قيمة الخشب ثم ردونى الى أبى على فقال لى قومت الخشب كما أمرتك فقلت نعم قال بكم قومته فقلت بالفى دينار فقال انظر لئلا تغلط فقلت هو قيمته فقال لى خذه بالفى دينار فقلت أنا فقير لا أملك دينارا فقال لى ألست تحسن تدبيره فقلت بلى قال نخذه ونحن نصبر عليك الى أن تبيع شيأ فشيأ فكتبته على ورجعت الى الخشب لاعرف عدته وأوصى به الحراس فوافيت جماعة من أهل سوقنا وشيوخهم قد أتوا الى الخشب فقالوا قومت الخشب بالفى دينار وهو يساوى اضعاف ذلك فقلت اسكتوا لئلا يسمعكم أحد فقال بعضهم لبعض أعطوا هذا ربحه ونسلمه أنتم فقال قائل منهم أعطوا ربحه خمسمائة دينار فقلت لا والله ما آخذ أقل من الف دينار فاخذتها بنقد الصيرفى وميزانه وشددتها فى طرف ردائى ومضيت معهم الى ديوان أبى على وحولت أسماءهم مكان اسمى ورجعت الى استاذى فقال قبضت الالف دينار قلت نعم وتركت الدراهم بين يديه وقلت له خذ ثمن العمود فقال والله ما آخذ منك شيئا وجاء ابن العسال فاخذ العمود وانصرف (حكى) شهرياز بن رستم الديلمى قال كنت صديقا لابى شجاع بويه بن الديلم وكان فقيرا وله ثلاثة أولاد وهم عماد الدولة أبو الحسن على وركن الدولة أبو على الحسن ومعز الدولة الحسين احمد وكان بويه يصطاد السمك وتحتطب بنوه فماتت زوجته وخلفت اولاده الثلاثة الذين ذكرناهم فحزن عليها حزنا شديدا فدخلت عليه يوما فعذلته على كثرة حزنه وقلت له انت رجل تحتمل الحزن وهؤلاء المساكين اولادك يهلكهم الحزن وسليته بجهدى واخذته هو واولاده الى منزلى ليأكلوا طعاما وشغلته عن حزنه فبينما نحن كذلك اذ اجتاز بنا رجل يزعم انه منجم ومعبر المنامات فاحضره أبو شجاع وقال له رأيت فى منامى كانى أبول فخرج من ذكرى نار عظيمة فاستطالت وعلت حتى كادت تبلغ السماء ثم انفرجت تلك النار فصارت شعبا وتولد من تلك الشعب عدة شعب فاضاءت الدنيا بتلك النيران ورأيت البلاد والعباد خاضعين لتلك النيران فقال المنجم هذا منام عظيم لا افسره الا بخلعة وفرس فقال أبو شجاع والله ما املك الا الثياب التى على جسدى فان أخذتها بقيت عريانا فقال المنجم فعشرة دنانير فقال والله ما أملك دينارا واحدا فكيف عشرة فاعطاه ما تيسر فقال المنجم اعلم أنه يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الارض ويعلو ذكرهم كما علت تلك النار ثم يكون من سلالة كل واحد منهم ملوك عدة بقدر ما رأيت من تلك الشعب فقال أبو شجاع للرجل أما تستحى تسخر بنا انا رجل فقير وأولادى هؤلاء فقراء مساكين يصيرون ملوكا فقال اخبرنى بوقت ميلادهم فجعل يحسب ثم قبض على يد ابى الحسن فقبلها وقال هذا والله الذى يملك البلاد وهذا من بعده وقبض على يد اخيه الحسن فاغتاظ منه

الحسين بن على رضى الله عنه وقتله لكونه امتنع من البيعة له وأرسل له أهل الكوفة يبايعونه ليخلصوا من جور يزيد فذهب اليهم بعد امتناعه من ذلك مرارا ليقضى الله أمرا كان مفعولا وكان موته عاشر المحرم سنة احدى وستين ومكث يزيد بعده سنتين ومات ولا يجوز لعنه على الراجح (وولى بعده ولده معاوية بن يزيد) وكان صالحا فاقام أربعين يوما ورأى شدة هذا الامر فخلع نفسه ولزم بيته ومات بعد أربعين يوما من خلعه (وولى بعده عبد الله

ابو شجاع وقال اصفعوا هذا فقد افرط فى السخرية بكم فقال اذكروا هذا اذا قصدتكم وانتم ملوك فضحكوا منه واعطاه ابو شجاع عشرة دراهم وخرج وتركهم فخدموا عند ملك يقال له ماكان بن كان فى بلاد طبرستان ومازالت الاحوال تنتقل بهم الى ان جعل لهم من الاموال شئ كثير الى ان اشتهر امرهم وحسنت سيرتهم واجتمع عليهم من الجند خلق كثير وقد آل بهم الحال حتى ملكوا غالب البلاد وتملكوا بغداد من الخلفاء العباسية وانتشرت شهرتهم بدولة بنى بويه وصار المؤرخون يكتبون ذلك فى تواريخ كما يذكرون دولة بلاد فارس من بعدهم من أرباب الدول وهذا أمر عجيب واتفاق غريب والله القادر على كل شئ وذكر لى من اثق به انه سمع أن بعض ملوك الاسلام رأى فى منامه ان احدى رجليه وصلت الى السماء فقص ذلك على معبر حاذق فقال له تحت بطانة احدى خفى رجليك رقعة مرقوم فيها أبو بكر وعمر ففتقه فوجد الرقعة فقبض على صانعه فأقر بالرفض ووجد كل خف عمل على هذا النمط فقتل الرافضى شر قتلة وأحسن الى المعبر بحسنة جزيلة وافرة (ومما حكى) ان شخصا من بغداد كان صاحب نعمة وافرة ومال كثير فنفد من يده وصار لا يملك شيأ ولا ينال قوته الا بجهد جهيد فنام ذات ليلة وهو مغموم مقهور فرأى فى منامه قائلا يقول له رزقك بمصر فاتبعه وتوجه اليه فسار الى مصر فلما توجه اليها أدركه المساء فنام فى مسجد وكان بجوار ذلك المسجد بيت فقدر الله تعالى ان جماعة من اللصوص دخلوا ذلك المسجد وتوصلوا منه الى البيت المذكور فأخذ أهله فى الصياح فاغاثهم الوالى باتباعه فهربت اللصوص ودخل الوالى المسجد فوجد الرجل البغدادى فقبض عليه وضربه بالمقارع ضربا مؤلما حتى أشرف على الهلاك وسجنه فمكث ثلاثة أيام فى السجن ثم أحضره الوالى وقال له من أى البلاد أنت قال من بغداد قال له وما جاء بك الى مصر قال انى رأيت فى منامى قائلا يقول لى ان رزقك بمصر فتوجه اليه فلما جئت الى مصر وجدت الرزق تلك المقارع التى نلتها فضحك الوالى حتى بدت نواجذه وقال له يا قليل العقل ثلاث مرات آت يأتينى فى منامى يقول لى بيت فى بغداد بخط كذا ووصفه كذا بحوشه تينة تحتها فسقية بها مال له بال فتوجه اليه نخذه فلم أتوجه وأنت من قلة عقلك تحضر من بلد الى بلد برؤيا هى أضغاث أحلام وأعطاه دراهم وقال له استعن بها على عودك الى بلدك فاخذها وعاد الى بغداد مع ان البيت الذى وصفه الوالى ببغداد هو بيت ذلك الرجل فلما وصل منزله حفر تحت الشجرة فرأى مالا كثيرا فأخذه ووسع الله عليه رزقه وهذا اتفاق عجيب (سئل) بعض العلماء عن قوله صلى الله عليه وسلم من رآنى فى المنام فقد رآنى حقا وقال السائل هو فى الليلة الواحدة بل فى الساعة الواحدة يراه جماعة فى أماكن شتى

ابن الزبير) بمكة ولم يختلف عليه أحد الا مروان بن الحكم فانه ظهر بالشام ثم توجه الى مصر فملكها واستعمل عليها ولده عبد العزيز فبايعوه ثم رجع الى الشام وجددت له البيعة وذلك فى سنة خمس وستين ثم مات عبد العزيز بحلوان فحمل فى البحر الى الفسطاط ودفن بقربها سنة ست وثمانين فامر بعده عبد الملك فاقام شهرا الا ليلة ثم صرف وولى بعده ابنه عبد الله فأقام الى التسعين فعزله أخوه الوليد وولى سرى بن شريك

من أطراف الارض فقال نعم

هو كالشمس فى كبد السماء وضوءها * يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

وهو مأخوذ من قول ابن الرومى

كالشمس فى كبد السماء محلها * وشعاعها فى سائر الآفاق

ومما منّ الله سبحانه وتعالى على مؤلف هذه العجالة انه رأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم مرتين وسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام مرة واحدة وسألهما الدعاء فدعيا له بالاصلاح والتوفيق وسيدنا ابراهيم الخليل وولده سيدنا اسمعيل عليهما الصلاة والسلام وسيدنا يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام وسيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنهما ورأى حرم النبى صلى الله عليه وسلم وقبره الشريف وجبل عرفات ومحل الموقف ولما حججت فى ثمان عشرة وألف فالذى رأيته مناما وهو الحرم والقبر الشريف وجبل عرفات ومحل الموقف رأيته يقظة ونسأل الله البر السلام الذى منّ علينا برؤية محمد صلى الله عليه وسلم فى المنام أن يمنّ علينا برؤيته فى اليقظة فانه قال عليه الصلاة والسلام من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة فان الشيطان لا يتمثل بى (لطيفة) حكى ان رجلا رأى فى منامه كانه مار فى بعض الازقة فرأى حفرة فنزل بها فرأى فيها كنزا فنزع قميصه وملأه ذهبا فاراد حمله فاثقله فاحدث فانتبه من نومه ظانا بان المال بين يديه فوجد ثيابه وفرشه متضمخين بالنجاسة من بول وغائط وقيل من نكد الوجود ان الانسان يرى فى منامه انه وجد مالا أو أصاب جوهرا أو ظفر بخير فاذا انتبه لم ير من ذلك شيئا ويرى بما أحدث فاذا انتبه وجد الحدث يقينا قال الشاعر

أرى فى منامى كل شئ يسرنى * ورؤياى بعد النوم أدهى وأقبح

فان كان خيرا كان اضغاث حالم * وان كان شرا جاء من قبل أصبح

وقال أبو العلاء المعرى

الى الله أشكو اننى كل ليلة * اذا نمت لم أعدم خواطر أوهامى

فان كان شرا كان لابد واقعا * وان كان خيرا كان اضغاث أحلام

وقال الاحنف العسكرى

وأحلم فى المنام بكل خير * فاصبح لا أراه ولا يرانى

وان أبصرت شرا فى منامى * رأيت الشر من قبل الاذان

ورجعنا الى ما نحن بصدده من أخبار المامون (حكى) انه كان كثير الخير والجهاد وقيل انه ختم فى شهر رمضان ثلاثا وثلاثين ختمة وكان العلماء فى أيامه ممتحنين يجبرهم على القول بخلق القرآن فدعوا عليه فاهلكه الله وقيل ان سبب موته انه اشتهى أكل سمكة يقال لها الرعادة اذا لمسها أحد أخذته النفاضة فاكلها فمات

وكان ظلوما عسوفا وأقام واليا بمصر الى أن مات سنة ست وتسعين فولى بعده عبد الملك بن رفاعة فأقام الى سنة تسع وتسعين ثم ولى بعده أيوب الاصبحى فأقام الى سنة احدى ومائة ثم ولى بشر بن صفوان الكلبى فاقام الى سنة ثلاث ومائة ثم تولى أخوه حنظلة فاقام الى سنة خمس ومائة ثم تولى محمد بن عبد الملك أخو هشام بن عبد الملك الخليفة ثم تولى حفص بن الوليد فاقام الى سنة ثمانى عشرة ومائة

لوقته ومكث فى الخلافة عشرين سنة وخمسة أشهر وكانت وفاته لاثنتى عشرة ليلة بقين من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ودفن بطوس وكان سنه ثمانى وأربعين سنة

* (خلافة أبى اسحق المعتصم بن هرون الرشيد) *

وهو يدعى بالمثمن ولد سنة ثمان وثمانين فى ثامن شهر منها الثمان عشرة ليلة خلت من رمضان وهو ثامن اولاد الرشيد وثامن الخلفاء من بنى العباس وفتح ثمان فتوحات ووقف ببابه ثمان ملوك وقتل ثمانية اعداء وكان عمره ثمانى واربعين سنة وخلافته ثمان سنين وثمانية اشهر وخلف ثمانية بنين وثمان بنات وثمانية آلاف ألف دينار وثمانين ألف فرس وثمانية آلاف خيمة وثمانية آلاف عبد وثمانية آلاف جارية وبنى ثمانية قصور ونقش على خاتمه الحمد لله ثمانية أحرف وكان غلمانه الاتراك ثمانية عشر ألفا ومما اتفق له أنه كان جالسا فى مجلس أنسه والكاس بيده فبلغه ان امرأة شريفة فى الاسر عند علج من علوج الروم فى عمورية وانه لطمها يوما على وجهها فصاحت وامعتصماه فقال لها العلج ما يجىء اليك الا على فرس أبلق يهزأ بها فختم الكاس وناوله الساقى وقال والله لا شربته الا بعد فك الشريفة من الاسر وقتل العلج فلما أصبح الصباح نادى بالرحيل الى غزوة عمورية وأمر عسكره ان لا يخرج أحد منهم الا على أبلق فخرج فى سبعين ألف فرس أبلق فلما فتح عمورية دخلها وهو يقول للشريفة لبيك لبيك وطلب العلج صاحب الاسيرة الشريفة وضرب عنقه وفك قيدها وقال للساقى ائتنى بالكاس فأتاه به ففك ختمه وشربه ذكر الراغب فى تذكرته فى باب المكتسبين بالضراط ان رجلا جاء الى باب المعتصم وقال قولوا على الباب ضراط فقيل له اذهب فعندنا حاتم الدس وهو أحذق الضراطين فقال عند نا ماليس عنده فاستؤذن له فلما دخل قال له المعتصم ما عندك فقال أضرط ضرطة تفتق السراويل فقال ان فعلت ذلك فلك مائة دينار وان عجزت فمائة سوط ففعل وأخذ الدنانير (وحكى) عن رجل انه كان يفتح الباب بضرطته وكان سعيد بن حميد يضرط على ايقاع العيدان ومما يحكى عن شخص من الموالى انه حضر فى مجلس وكان به عواد فقام رجل وسط المجلس ووضع يديه على الارض ورفع رجليه فى الهواء فصار منكسا رأسه الى الارض ورجلاه الى فوق وصار يحرك رجليه على ايقاع العود وكلما حرك رجليه ضرط ضرطة واستمر على ذلك الى ان فرغ العواد وفى المثل أشهر من ضرطة وهب وما أحسن قول ابن الرومى يعتذر له

قد اكثر الناس فى وهب وضرطته * حتى لقد مل ما قالوا وقد بردا
لم تلق ضرطة هاجيه كضرطته * فى الذاكرين ولم يحسد كما حسدا

ووليّ بعده عبد الرحمن ابن خالد فاقام سبعة أشهر وصرف واعيد حنظلة بن صفوان فى سنة عشرين ثم صرف وولى بعده حسان بن العتاهية التجيبى سنة تسع وعشرين ثم اعيد حفص بن الوليد وعزل عنها سنة ثمان وعشرين وولى حوثرة ابن سهل الباهلى ثم ولى المغيرة بن عبيد الفزارى سنة احدى وثلاثين ثم ولى الامير عبيد الله بن مروان سنة اثنين وثلاثين ومائة وهو آخر من تولى على مصر من بنى امية وما ذكر من كون ولاية ابن الزبير بعد

ياوهب لاتكترث بالعائبين لها * فانما أنت غيث ربما رعدا

وقيل ان بعضهم وقعت في رجله شوكة فارادت زوجته قلعها فلما حركتها بالابرة ضرط فقال رأيتها قالت لا ولكن سمعت صوتها وحكى ان جحا تغطت أمه ليلة بكسائه فضرطت ثم أرادت أن تختبره هل سمع حسها أم لا فقالت له ماثمن هذا الكساء قال مائة ومادام ضراطك فيه لايساوى درهما وروى ان البديع الهمدانى دخل على الصاحب ابن عباد فتزحزح له وأجلسه على السرير معه فضرط فاراد البديع ان ينفى عن نفسه التهمة فقال يامولاى ان هذا صرير التخت فقال الصاحب بل صرير التحت فخرج من عنده خجلا وانقطع عنه فكتب اليه الصاحب

قل للبديعى لاتذهب على خجل * من ضرطة أشبهت نايا على عود
فانها الريح لاتستطيع تحبسها * اذلست أنت سليمان بن داود

وفى الالغاز فى الضرطة

ومولودة لم تعرف الطمث أمها * وليس لها روح ولاتتحرك
يقهقه منها القوم من غير رؤية * وصاحبها من عارها ليس يضحك

وقال الآخر

انفلتت منه ضرطة سمعت * فكاد منها يجرى العرق
فالتزقت فى دون فاعلها * وماظننت الضراط يلتزق

قيل وقف بين يدى الحجاج رجل من البادية فلما أخذ فى الكلام ضرط فضرب بيده على استه وقال اما أن تتكلمى فاسكت واما ان تسكتى فاكلم الامير أشتهى حدث واصل أبو بكر عن مجاهد قال وجد النبى صلى الله عليه وسلم ريحا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجد ريحا فليتوضأ فاستحيا الرجل أن يقوم فقال ليقم صاحب الريح فليتوضأ فاستحيا الرجل ان يقوم فقال رسول صلى الله عليه وسلم ليقم صاحب هذه الريح فليتوضأ ان الله لايستحيى من الحق فقال العباس يارسول الله أفلا نقوم كلنا قال قوموا كلكم فتوضوا وقيل لبعض الاعراب وقد أسن كيف أنت اليوم قال ذهب الاطيبان الناب والنضاب وبقى الارطبان السعال والضراط قيل ان بعض الفقراء أصابه قولنج شديد فى بعض المساجد ليلا فجعل يتلوه ويتقلق ويقول يالله ضرطة ورفع صوته بحضرة رفقائه فلما أصبح وقد أشرف على الهلاك وعاين الموت قال اللهم انى أسألك الجنة فقال له بعض رفقائه مارأيت أحمق منك أنت من الغروب الى الآن تسال الله فى ضرطة فما فرحت بها فتسأله الجنة التى عرضها السموات والارض رجعنا الى ما نحن بصدده قال نفطويه كان المعتصم من أشد الناس قوة وبطشا كان

ولاية معاوية الصغير هو الصحيح عند المؤرخين وبعضهم يذكره بعد ولاية عبد الملك بن مروان وذلك انه لما كانت فوية معاوية الصغير اجتمع على بيعة عبد الله بن الزبير أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان وحج بالناس ثمانى حجج وكان عبد الملك بن مروان واليا على أهل الشام فارسل الى ابن الزبير نائبه الحجاج بن يوسف الثقفى فذهب اليه بمكة وحاربه حتى قتله فى الحرم وكانت مدة خلافة ابن الزبير تسع سنين وشهرين والمقتل

يجعل زند الرجل بين أصبعيه فيكسره ذكر ذلك الحافظ السيوطى وتلك قوة عظيمة ما وصل اليها أحد (ومما اتفق) ان ملك الروم وهو اذ ذاك من اكبر ملوك النصارى ارسل كتابا الى المعتصم يهدده فاشتاط غيظا وأمر بجوابه فكتب له الجواب فلم يرضه شئ مما كتب ومزق الكتاب الذى ورد اليه من ملك الروم وأمر ان يكتب فى قطعة منه بسم الله الرحمن الرحيم الجواب ما تراه لا ما تقرأه وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار وتجهز من ساعته فمنعه المنجمون وقالوا له ان الطالع نحس فقال عليهم لا علينا وسافر من يومه وتلاحقت به العسكر ووقع حرب عظيم قتل فيه من النصارى ستون ألفا وقتل بعد ذلك ملك النصارى وكان ذلك فتحا عظيما من أعظم فتوحات الاسلام وقد مدحه الشعراء بقصائد طنانه واحسن ما قيل قصيدة أبى تمام الطائى التى مطلعها

السيف أصدق انباء من الكتب * فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب
والعلم فى شهب الارماح لامعة * بين الخميسين لا فى السبعة الشهب
أين الرواية بل أين النجوم وما * صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
لو بينت قط أمرا قبل موقعه * لم يخف ما حل بالاوثان والصلب
فتح تفتح أبواب السماء له * وتبرز الارض فى أثوابها القشب

(ومنها)

تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتقب فى الله مرتهب

(ومنها)

لم يغز قوما ولم ينهض الى بلد * الا تقدمه جيش من الرعب

(ومنها)

حتى تركت عمود الشرك منقعرا * ولم تعرج على الاوتاد والطنب
ان الاسود أسود الغاب همتها * يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب
خليفة الله جازى الله سعيك عن * جرثومة الدين والاسلام والحسب

(ومنها)

فبين أيامك اللاتى نصرت بها * وبين أيام بدر أقرب النسب

ومما يناسب ذلك ان بعض الملوك عزم على السفر لغزو عدو له فمنعه المنجمون وقالوا ان القمر فى العقرب والحركة مذمومة فدخل على الملك وهو جالس مع ندمائه بعض المماليك الحسان الوجوه وهو متوشح بقوس فوقف بين يدى الملك فنظر اليه بعض الندماء وقال للملك يا مولانا القمر قد حل فى القوس حقيقة فسافر الملك لوقته فلم ير أحسن من تلك السفرة وظفره الله بعدوه وعاد وهو محظوظ ومما

خلص الامر لعبد الملك ابن مروان الى ان مات سنة ست وثمانين بدمشق (وولى بعده ابنه أبو العباس الوليد) بن عبد الملك سنة سبع وثمانين واستمر الى سنة ست وتسعين ومات بدمشق (وولى بعده أخوه سليمان بن عبد الملك) وتوفى سنة تسع وتسعين بعد ان عهد بالخلافة الى ابن عمه أبى حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان فاستمر سنتين وخمسة اشهر ثم مات يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة وله من العمر تسع وعشرون سنة

يناسب ذلك أيضا ان سلطانا كان له عدو وبلغه عنه أمور تقتضى محاربته فهيأ نفسه وجمع عساكره باسلحتهم وراياتهم ورتبهم فى داره وخرجوا قاصدين القتال وكان بدهليز دار السلطان ثريا قناديل معلقة فاصابها راية من الرايات فانكسرت فتطير السلطان من ذلك وقصد ابطال السفر فقال له شخص من أخصاء دولته يامولانا راياتكم بلغت الثريا فاستحسن ذلك واندفع عنه الوهم وسافر فظفره الله بعدوه وعاد فرحا مسرورا رجعنا الى ما نحن بصدده وكان المعتصم من أعظم الخلفاء الذين الزموا الناس بالقول بخلق القرآن وهذه من أعظم خلاله الرديئة مع انه كان أميا لاحظ له من الكمالات العلمية بل حمله على ذلك مجرد الجهل ولما احتضر قال اللهم انك تعلم انى أخافك من قبلى وأرجوك من قبلك لا من قبلى فيامن لا يزول ملكه أرحم ملكا قد زال ملكه وأنشد

تمتع من الدنيا فانك لا تبقى * وخذ صفوها ما صفت ودع الرنقا
ولا تأمنن الدهر انى أمنته * فلم يبق لى حالا ولم يرع لى حقا
فتكت صناديد الرجال ولم أدع * عدوا ولم أمهل على جسد حنقا
وأخليت دار الملك عن كل نازل * وفرقتهم غربا ومزقتهم شرقا
فلما بلغت النجم عزا ورفعة * ودانت رقاب الخلق أجمع لى رقا
رمانى الردى سهما فاخمد جمرتى * فها أنا ذا فى حفرتى عاجلا ملقى
وأفسدت دنيايا ودينى سفاهة * فمن ذا الذى منى بمصرعه أشقى
فياليت شعرى بعد موتى ما أرى * الى رحمة الرحمن أم ناره ألقى

وتوفى ليلة الخميس لاحدى عشرة ليلة بقين من ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين

(خلافة أبى جعفر هرون الواثق بن المعتصم)

بويع له بالخلافة يوم مات والده وسنه ست وثلاثون سنة وكان عالما شاعرا حاذقا فمن شعره فى واقعة حال

حكاك بالنرجس والورد * معتدل القامة والقد
فالهمت عيناى نار الجوى * وزاد فى اللوعة والصد
ملكت فى الملك وأطلاله * فصار ملكى سبب البعد
مولى تشكى الظلم من عبده * فأنصفوا المولى من العبد

وأقام خليفة خمس سنين وتسعة أشهر ومات يوم الاربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ولما مات ترك وحده واشتغل الناس بالبيعة للمتوكل فجاء جرذون فاستل عينيه فاكلهما فسبحان العزيز المتعال الذى لا يزول ملكه ولا يعتريه زوال

وكان يقال له أشج بنى مروان وقبره بدير سمعان من أعمال حمص والمثل يضرب بعدله (وولى بعده ابن عمه يزيد) بن عبد الملك ابن مروان أربعة أعوام وشهرا واحدا ومات سنة خمس ومائة (وولى بعده أخوه هشام) ابن عبد الملك بن مروان فبقى متوليا تسع عشرة سنة وسبعة اشهر غير أيام ومات سنة خمس وعشرين ومائة (وولى بعده الوليد) بن يزيد بن عبد الملك بن مراون سنة واحدة وشهرين وكانت سيرته قبيحة (وولى بعده يزيد بن

(خلافة جعفر المتوكل بن الواثق)

بويع له يوم مات والده وسنه احدى وأربعون سنة وكان كريما سنيا أظهر السنة وأكرم علماء الحديث وأمات البدع ومنع القول بخلق القرآن وشنع على المعتزلة والهذلية وأمر نائبه بمصر ان يحلق لحية قاضى مصر محمد بن أبى الليث و يطوف به الاسواق لانه كان معتزليا يقول بالجهة وخلق القرآن ففعل به ذلك وكتب الى سائر الآفاق برفع المحنة واظهار السنة ولم يزالوا أعنى المعتزلة فى قوة وغناء الى أيام المتوكل فخمدوا ذكر البيضاوى فى تفسيره فى سورة الانعام فى قوله تعالى ان الذين فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا فيه قال عليه الصلاة والسلام افترقت اليهود على أحدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين كلها فى الهاوية الا واحدة والمعتزلة جنس يطلق على فرق منهم الواصلية والهذلية والنظامية والبشرية والعمرية والمردادية والثمامية والهشامية والجاحظية والجبائية ومن مشاهيرهم الاعيان الجاحظ وأبو الهذيل العلاف وابراهيم النظام وواصل بن عطاء وكان ألثغ بحرف الراء يجعلها غينا فالتزم باسقاط حرف الراء من كلامه حتى ضرب به المثل فقال بعض الشعراء

أجعلت وصلى الراء لم تنطق به * وقطعتنى حتى كأنك واصل
لا تجعلنى منك همزة واصل * يلحقنى حذف وما أنا واصل

(وقال أيضا)

كأنى فى الزمان اسم صحيح * جرى فتحكمت فيه العوامل
مزيد فى البناء كواو عمرو * وملغى الخط فيه كراء واصل

قيل ان بعضهم كتب رقعة وقع فيها أمر أمير المؤمنين ان تحفر بئر فى الطريق يشرب منها الشارد والوارد ودفعها لواصل وهو بحضرة أمير المؤمنين ليعجزه عن قراءتها فلما فتحها ورأى مافيها أجاب فورا وقال حكم خليفة الله أن ينبش قليب فى الفلاة يستقى منه الغادى والبادى ولم يتلعثم وواصل بن عطاء هذا توفى سنة احدى وعشرين ومائتين وانشد بعض الشعراء يقول فى اللثغ

يبدل الراء حين ينطق غينا * فيسمى لون الشقائق احمغ
قلت له يوما تصدق وزرنى * كى نرى الراح فى زى معصفغ
قال تشغب من الخغام وغيقى * مسكغ غائق غحيق مكفغ
بالله واعظا غقيق الحواشى * وعظا الصب فى الكياسة ابلغ

ومن مشاهير المعتزلة أيضا أحمد بن حائط وبشر بن المعتمر ومعمر بن عباد السلمى

الوليد) وهو الذى قتل ابن عمه الوليد المذكور ومكث ستة أشهر وكانت سيرته جيدة وازال منكرات كثيرة و يقال له الناقص لانه انتقص ارزاق الجند وكان عادلا يقارب فى سيرته عمر بن عبد العزيز وهما المرادان بقول العرب الناقص والاشج اعدلا بنى مروان فالناقص يزيد والاشج عمر ولما مات ولى بعده ابراهيم ابن الوليد واقام ثلاثة اشهر واضطرب الامر وانخلع (وولى بعده مروان بن محمد) سنة سبع وعشرين ومائة

وأبو موسى بن عيسى المرداد المعروف براهب المعتزلة وثمامة بن الشرس وهشام ابن عمر القرطبى وأبو الحسن بن عمر والخياط وأبو على الجبائى فهؤلاء رؤس مذهب الاعتزال وهم أساطين هذه البدع واليهم تنسب هذه الفرق ومن فضلاء المعتزلة أبو الحسن البصرى والكعبى والقاضى عبد الجبار الرمانى النحوى وأبو على الفارسى وأقضى القضاة الماوردى وهذا غريب *(فائدة)* لا بأس بذكرها الماوردى هو أبو الحسن وقيل أبو القاسم على بن محمد بن حبيب الماوردى مات ببغداد يوم الثلاثاء سلخ ربيع الاول سنة خمسين وأربعمائة ودفن فى يوم الثلاثاء وهو ابن ست وثمانين سنة قال بعضهم لما ألف كتبه لم يظهرها فى حياته فلما مرض مرض موته قال لبعض أصحابه ان تآليفى فى ركن البيت يعنى بيته وأخاف ان لا تقبل منى ولكننى اذا كنت فى النزع فاجعل يدك فى يدى فان بسطت فعلامة القبول وان قبضت فعلامة عدمه فاحرقها قال فلما كان فى النزع فعلت فبسطت يده فعلم بذلك قبولها فنشرها فى الناس قاله ابن خلكان الدمشقى أقول والظاهر أن المتفوه عليه بذلك اما بغضا أو حسدا والله اعلم بحقيقة الحال ومن المعتزلة الصاحب بن عباد والزمخشرى صاحب الكشاف وذكر ابن خلكان عن بعض الفضلاء ان الزمخشرى أوصى ان يكتب على قبره هذه الابيات

يامن يرى مد البعوض جناحها * فى ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى مناط عروقها فى نحرها * والمخ فى تلك العظام النحل
امنن على بتوبة تمحو بها * ما كان منى فى الزمان الاول

وتوفى الزمخشرى ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة والسيرافى من فضلاء المعتزلة وفى أيام المتوكل ماجت النجوم فى السماء وجعلت تتطاير شرقا وغربا كالجراد المنتشر من غروب الشمس الى طلوع الفجر ولم يقع مثل ذلك الا فى ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم وللمتوكل محاسن منها أنه وضع على قبر الامام احمد بن حنبل رخامة بيضاء كاللوح ونقش عليها هذا قبر شيخ أهل السنة وزين هذه الامة العالى الهمة الذى لا تأخذه فى الله لومة لائم ابى عبد الله أحمد بن محمد الشيبانى قيل للامام أحمد ابن حنبل ما تتمنى قال سندا عاليا وبيتا خاليا (وقيل) لبعض الكتبة ما تتمنى قال قلاما مشاقا وحبرا براقا وجلود ارقاقا وقيل لبعض الصوفية ما تتمنى قال ذقنا ودلقا ولا أريد رزقا *(فائدة)* نقل القرطبى عن الامام أبى بكر الطوسى رحمهما الله أنه سئل عن قوم يجتمعون فى مكان يقرؤن شيأ من القرآن ثم ينشدلهم منشد شيئا من الشعر فيرقصون ويطربون ويضربون بالدفوف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم لا فقال مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأما الرقص والتواجد فاول من أحدثه أصحاب

واضطرب الامر عليه فهرب وقتل بمصر بموضع يقال له ابوصير بالفيوم سنة اثنتين وثلاثين ومائة وانقطعت بموته دولة بنى أمية وهم أربعة عشر أولهم معاوية وآخرهم مروان ومدتهم اثنان وثمانون عاما وهى ألف شهر وانتقل الامر الى بنى العباس بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم وكانت ولايتهم بالعراق وينيبون عنهم نوابا بمصر والشام وعدتهم سبع وثلاثون خليفة ومدة تصرفهم بالعراق خمسمائة سنة ثم انتقلوا الى مصر وعدتهم بها

السامري لما اتخذلهم عجلا جسدا له خوار فقاموا يرقصون حوله ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل وانما كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس مع أصحابه كانما على رؤسهم الطير من الوقار فينبغي للسلطان ونوابه ان يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وغيرهم من أئمة المسلمين ذكر الصلاح الصفدي في كتابه تمام المتون لشرح رسالة ابن زيدون أنه اتفق أن نقم ابن جهور على ابن زيدون فحبسه فاستعطفه برسالة من جملتها قوله هب اني عكفت على العجل يشير بذلك الى قوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا لما وعد الله تعالى موسى عليه السلام لميقاته وهو أربعون يوما كان قوم موسى آمنوا ودخلوا مصر وليس لهم كتاب ولا شريعة فوعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه اني ذاهب الى ربي آتيكم بكتاب فيه بيان ما تاتون وما تذرون ووعدهم أربعين ليلة ثلاثين ذي القعدة وعشرا من ذي الحجة واستخلف عليهم أخاه هرون فلما جاء الوعد أتى جبريل على فرس يقال له فرس الحياة لا تمر على شئ الا حيي فلما رآه السامري وكان من بني اسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة فرأى موضع الفرس وكان منافقا من قوم يعبدون البقر فقال ان لهذا شانا فاخذ قبضة من تربة حافر فرس جبريل وألقى في روع السامري أنه اذا ألقى في شئ غيره وكان بنو اسرائيل قد استعاروا حليا كثيرا من قوم فرعون في عرس لهم ولما أهلك الله فرعون وقومه بقيت تلك الحلي في أيديهم قال السامري لبني اسرائيل ان الحلي التي استعرتموها لا تحل لكم فاحفروا حفرة وادفنوها فيها حتى يرجع موسى من ميقات ربه فيرى رأيه فلما اجتمعت الحلي صاغها السامري عجلا في ثلاثة أيام ثم ألقى القبضة التي أخذها من أثر حافر فرس جبريل فخرج عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر من أحسن ما يكون وخار خورة وكان يمشي ويخور فقال السامري هذا الهكم واله موسى الذي نسيه ههنا وكان بنو اسرائيل قد اخلفوا الموعد وعدوا باليوم مع الليلة حتى مضى عشرون يوما فلم يرجع موسى فوقعوا في الفتنة فعكفوا على عبادة العجل وكان الذي عكف منهم على العجل ثمانية آلاف يعبدونه الا هرون مع اثني عشر ألف رجل فأوحى الله الى موسى انا قد فتنا قومك فرجع اليهم غضبان أسفا فقال يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم ومن مناقب الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه انه بلغه ان رجلا من وراء النهر يحفظ ثلاثة أحاديث فرحل الامام أحمد اليه فوجده شيخا يطعم كلبا

خمسة عشر خليفة واستمرت الخلافة فيهم الى سنة خمسين وستمائة وكان يظن بقاؤها فيهم الى ان يسلموها للمهدي في آخر الزمان (وأول من ولي منهم عبد الله السفاح) بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بالكوفة سنة اثنتين وثلاثين ومائة فاقام اربع سنين وثمانية أشهر (وولي بعده المنصور) ابو جعفر وكان اكبر سنا من السفاح واسمه عبد الله بن محمد ببغداد وهو الذي بنى بغداد سنة مائة وأربعين وجعلها قاعدة ملكه وسماها مدينة السلام

فسلم عليه فرد عليه السلام ثم اشتغل باطعام الكلب فوجد الامام أحمد فى نفسه شيأ اذ أقبل الشيخ على الكلب ولم يقبل عليه فلما فرغ من اطعام الكلب التفت الى الامام وقال كأنك وجدت فى نفسك اذا قبلت على الكلب ولم أقبل عليك قال نعم قال حدثنى أبو الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله منه رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة ثم قال الشيخ ان أرضنا هذه ليست بارض كلاب وقد قصدنى هذا الكلب نخفت أن أقطع رجاءه فقال الامام أحمد هذا الحديث يكفينى ثم رجع ومن محاسن المتوكل أنه أرسل الى عامله بمصر الامير يزيد بن عبد الله ان يبطل ما كان بمصر من المقاييس المتقدمة و يبنى مقياسا لزيادة النيل فبناه فى أول سنة سبع وأربعين ومائتين برأس جزيرة الفسطاط وسماه المقياس الجديد وهو الموجود الآن وكان بمصر مقاييس منها ما بنى فى أيام سليمان بن عبد الملك الاموى و بنى الامير أحمد بن طولون مقياسا بجزيرة الفسطاط و بنى عمر بن عبد العزيز مقياسا بحلوان صغير الذراع و بنى المأمون مقياسا بسروان فهذه المقاييس التى بنيت فى صدر الاسلام وأما المقاييس التى وضعت قبل الاسلام وهو ما وضعه يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام فانه وضع مقياسا بمنف وهو أول من اتخذ مقياسا للنيل بالاذرع واستمر مدة ثم ان دلوكة العجوز وضعت مقياسا بأنصنا ووضعت مقياسا باخميم وان القبط وضعوا مقياسا بقصر الشمع عند دير البنات وآثاره باقية هناك الى ان بنى الامير يزيد المقياس المذكور فبطلت حكمة تلك المقاييس التى كانت قبل وان الامير يزيد لما بنى المقياس الجديد المذكور كسر فيه نحو ألفى مركب حتى ثبت أساسه فى البحر ويشتمل هذا المقياس على فسقية مربعة يدخل لها الماء من مسارب وفى وسطها عمود من رخام أبيض وفوقه جائزة من خشب ووضعوا فى العمود خطوطا أصابع وهى عبارة عن قراريط مقسمة على أذرع يعلم منها ما يزيده النيل فى كل يوم من أوان الزيادة وجعل مساحة الذراع الى أن يبلغ اثنى عشر ذراعا فيكون الذراع ثمانية وعشرين أصبعا ومن اثنى عشر ذراعا الى فوق يصير الذراع أربعة وعشرين أصبعا وكانت أرض مصر كلها تروى الرى الكامل من ستة عشر ذراعا الى سبعة عشر ذراعا وما زاد على ذلك يحصل به الضرر قال بعض الحكماء لولا جعل الله فى نيل مصر حكمة الزيادة فى زمن الصيف على التدريج حتى يتكامل رى البلاد وهبوط الماء عند بدو الزراعة لفسد اقليم مصر وتعذر سكناه لانه ليس فيه أمطار كافية ولا عيون جارية ولله در القائل

واها لهذا النيل أى عجيبة * بكر بمثل حديثها لا يسمع
يلقى الثرى فى العام وهو مسلم * حتى اذا ما قل عاد مودع

وأقام اثنتين وعشرين سنة وتوفى سنة ثمان وخمسين وهو متوجه الى الحج ودفن قريبا من مكة (وولى بعده) محمد بن عبد الله المهدى بن المنصور فأقام عشر سنين وشهرين وأياما وتوفى سنة تسع وستين ومائة (وولى بعده ابنه الهادى) موسى بن محمد المهدى فأقام عاما واحدا وشهرا وتوفى سنة سبعين ومائة (وولى بعده اخوه هرون الرشيد) فأقام ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وهو من أجل ملوك الارض له نظر فى العلم والآداب وكان يصلى فى كل يوم

مستقبلا مثل الهلال فدهره * أبدا يزيد كما يزيد ويرجع

(وقال آخر في المعنى)

كأنّ النيل ذو عقل ولب * لما يبدو لعين الناس منه

فيأتي حين حاجتهم اليه * ويمضي حين يستغنون عنه

وروى ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال نيل مصر سيد الانهار سخر الله له كل بحر في المشرق والمغرب فاذا أراد الله تعالى أن يجري نيل مصر امر كل نهران يمده فتمده الانهار بمائها وفجر له الانهار والارض عيونا فاذا انتهت جريته الى ما أراد الله تعالى أوحى الى كل ماء أن يرجع الى عنصره وعن يزيد ابن حبيب ان معاوية بن أبي سفيان سال كعب الاحبار هل تجد لهذا النيل في كتاب الله عز وجل خبرا قال اي والذي فلق الحب وفلق لموسى البحر اني لاجد في كتاب الله عز وجل ان الله تعالى يوحي اليه في كل عام مرتين يوحي اليه عند جريته ان الله تعالى يامرك أن تجري فيجري ما كتب الله له ثم يوحي اليه بعد ذلك عد يا نيل حميدا قال ابن عبد الحكم كان في زمن الاقباط يتولى قياس النيل جماعة من النصارى فلما بنى الامير يزيد هذا المقياس عزل النصارى من قياس النيل واستمر لشخص من المسلمين يقال له عبد الله بن عبد السلام بن أبي الرداد وكان أصله من البصرة وكان يقيم بالجامع العمري فاختاره الامير يزيد لقياس النيل الى ان توفي في سنة ست وستين ومائتين وكان دينا خيرا من أهل الصلاح والدين وله حال مع الله تعالى واستمر القياس لاولاده الى يومنا هذا أقول وفي زماننا هذا اقدعات الارض واهمل أمرها من عدم جرف الترع والمساقي واصلاح الجسور فصارت الاراضي لا يحصل لها الري الكامل الا ما زاد على عشرين ذراعا ومن لطائف المتوكل انه كان في زمن الورد لا يلبس الا الثياب الموردة ولا يفرش الا الفرش الموردة وكان في زمنه لا يرى الورد الا في مجلسه وكان يقول أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين وكل منا أولى بصاحبه وكان يقول مخاطبا للورد

عار على بان يشملك ساقط * أو أن تراك نواظر البخلاء

وبالجملة فمحاسن الورد كثيرة وأنواره مستنيرة وقد ورد انهم لما القوا سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في النار لم تاكل النار سوى وثاقه ولما استقر فيها أخذت الملائكة بضبعيه وأجلسوه على الارض واذا هو بعين ماء عذب وروضة تهتز بورد أحمر ونرجس (فائدة) في اشارة الورد وهو منزع صوفي الورد يقول انا الضيف الوارد بين الشتاء والصيف واللطيف الذي يزور كما يزور الطيف فاغتنموا وقتي فان الوقت ضيف أعطيت نفس العاشق وكسيت لون

وليلة مائة ركعة ويتصدق من خالص كل ماله يوم بالف درهم وكان يحب العلم ويوقر أهله وكانت أيامه من حسنها كانها اعراس وله أخبار كثيرة في اللهو واللذات وتوفي سنة ثلاث وتسعين ومائة (وولي بعده ابنه محمد الامين) فاقام أربع سنين وسبعة أشهر وثمانية أيام وقتل ليلة الاحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة ببغداد (وولي بعده أخوه عبد الله المامون ابن هرون الرشيد)

المعشوق فاروح العاشق وأهيج المعشوق فانا الزائر وأنا المزور فمن طمع فى بقائى فان ذلك زور ثم من علامات الدهر المكدور ونا عيشى المرور انى حيثما نبت رأيت الاشواك تزاحمنى وتجاورنى فانا بين الادغال مطروح وبنبال شوكى مجروح وهذا دمى يخبر عن رؤ ياعدمى فهذا حالى وأنا الطف الاوراد فمن صبر على نكد الدنيا نال المراد فبينما أنا أرفل فى ظل النضارة اذ قطعتنى أيدى النظارة فاستلبتنى من بين الازاهير الى ضيق القوارير فيذاب جسدى ويحترق زبدى ويعزق جلدى ويقطر دمعى بجسدى فى حرق ودمعى فى غرق وقد جعلت ما رشح من عرقى تعاهد الما لاقيت من قلقى فينادينى بهذا الاحتراق أهل الاختراق ويتروح بنفسى ذووا الاشواق أهل المعرفة يتوقعون لقائى وأهل المحبة يتمنون بقائى

فان غبت عنكم كنت بالروح حاضرا * فسيان قربى ان تأملت والبعد

فلله من أضحى من الناس قائلا * فانك ماء الورد اذ ذهب الورد

حكى القاضى شهاب الدين بن فضل الله عن على بن محمد الانصارى انه رأى فى نهاوند ورد اصفر فى الوردة الف ورقة فعدها فاذا هى كذلك وذكر القاضى شهاب الدين أيضا انه رأى وردة نصفها احمر قانى الحمرة ونصفها أبيض ناصع البياض والورقة كانها مقسومة بقلم وكان ابراهيم الخواص رحمه الله يسأل الله تعالى فى ايام الورد فيعتكف للعبادة ويقول فى زمن الورد يغلب على ظنى كثرة من يعصى الله تعالى فانا استغفر الله لهم واسأله المسامحة وقيل ان اعطر الزهور ورد جور وبنفسج الكوفة ونرجس جرجان ومنثور بغداد قال الصولى كان فى قصر المتوكل أربعة آلاف سرية ما بين روميات ومولدات وحبش قال الجاحظ اهدى عبد الله بن طاهر الى المتوكل أربعمائة جارية ما بين بيض وحبش وكان من جملة ذلك جارية من مولدات البصرة يقال لها محبوبة وكانت فائقة فى الحسن والجمال وكانت تضرب بالعود وتحسن الغناء وتنظم الشعر وتكتب خطا جيدا فافتتن بها المتوكل وكان لا يصبر عنها ساعة واحدة فلما رأت ميله اليها جفته وبطرت النعمة فغضب عليها وهجرها ومنع أهل القصر من كلامها فمكثت على ذلك أياما وكان للمتوكل ميل اليها فاصبح ذات يوم وقال لجلسائه قد رأيت هذه الليلة فى منامى كانى صالحت محبوبة فقالوا نرجو من الله ان يكون ذلك يقظة فبينما هو فى الحديث واذا بخادم قد أقبلت وأسرت الى المتوكل حديثا فقام من المجلس ودخل دار الحريم وكان الذى أسرته اليه أن قالت سمعنا من حجرة محبوبة غناء وهى تضرب بالعود وما ندرى ما سبب ذلك فسمعها تغنى على العود هذه الابيات

فاقام عشرين سنة وخمسة اشهر وفى مدته خرج أهل مصر عن طاعة الخليفة وامتنعوا من ورود الخراج وطردوا العمال من البلاد وصارت فتنة عظيمة بمصر حتى كادت أن تخرب فحضر وأطفأ تلك الفتنة وقتل من القبط خلقا كثيرا ورجع الى بغداد وتوفى غازيا فى اردن الروم فى رجب سنة ثمانية عشر ومائتين ودفن بطرطوس (وولى بعده المعتصم بالله محمد بن هرون الرشيد) ورحل عن بغداد واتخذ قاعدة

أدور فى القصر لا أرى أحدا * أشكو اليه ولا يكلمنى
حتى كانى ركبت معصية * ليس لها توبة تخلصنى
فهل لنا شافع الى ملك * قد زارنى فى الكرى وصالحنى
حتى اذا ما الصباح لاح لنا * عاد الى هجره وقاطعنى

فلما سمع المتوكل هذه الابيات تعجب من هذا الاتفاق الغريب حيث رأت محبوبة مناما كما رأى فلما دخل الى حجرتها واحست به بادرت بالقيام اليه واكبت على اقدامه تقبلها وقالت والله ياسيدى لقد رأيت هذه الواقعة البارحة فى المنام فلما انتبهت من النوم نظمت هذه الابيات فقال لها المتوكل والله لقد رأيت مثل ذلك مناما فعند ذلك اصطلحا وأقام عندها سبعة أيام بلياليها وكتبت محبوبة على خدها بالمسك اسم المتوكل وهو جعفر فلما رآها المتوكل أنشأ يقول

وكاتبة بالمسك فى الخد جعفرا * لنفسى خط المسك من حيث أثرا
لئن كتبت فى الخد سطرا بكفها * لقد اودعت قلبى من الخط اسطرا
فيامن هواها فى البرية جعفر * سقى الله من سقيانا بك جعفرا

ولما مات المتوكل سلاه جميع من كان له من الجوار الا محبوبة فانها لم تزل حزينة عليه حتى ماتت ودفنت بجانب قبره قال بعض الحكماء زينة النساء اربعة سواد شعر الراس والحاجبين واشفار العينين والحدقة واربعة بيض اللون العين والاسنان والساق واربعة حمر اللسان والشفتان والوجنتان واللثة واربعة مدورة الراس والعنق والساعد والعرقوب وأربعة طوال الظهر والاصابع والذراعان والساقان وأربعة واسعة الجبهة والعينان والصدر والوركان وأربعة دقيقة الحاجب والانف والشفتان والاصابع وأربعة غليظة العجز والفخذان والعضلتان والركبتان وأربعة صغيرة الاذنان والثديان واليدان والرجلان وأربعة طيبة الريح والفم والانف والفرج وأربعة عفيفة الطرف والبطن واليد واللسان *(فائدة)* اذا كانت المرأة حاملا وأردت ان تعلم هل حملها غلام أم جارية فتأخذ قملة من رأسها وتضعها فى كفها وتحلب عليها من ثديها فان أسرعت الخروج من اللبن فهى حامل بجارية وان ابطأت فهى حامل بغلام *(فائدة)* اذا أردت أن تعلم هل المرأة عاقر أم الرجل عقيم فامسك بول الرجل وبول المرأة كل واحد على حدته ثم اعمد الى أصلين من أصول الخس وهما فى المبقلة فصب كل واحد على أصل خس وعلم الذى صب عليه بول الرجل والذى صب عليه بول المرأة ويكون ذلك عند غروب الشمس فاذا كان من الغد فانظر الى الاصلين فايهما وجد آخذا فى الفساد دل على ان الذى صب عليه ماؤه عاقر (فائدة) مجربة من أخذ من ذنب الحمار ثلاث شعرات حين

مالكه سر من رأى وكان لا يقرأ ولا يكتب فاقام ثمانية أعوام وثمانية اشهر وثمانية ايام وتوفى سنة سبع وعشرين ومائتين (وولى بعده ابنه الواثق بالله) هارون ابن محمد فاقام خمس سنين واشهرا وتوفى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين (وولى بعده اخوه المتوكل على الله جعفر بن محمد) فاقام اربع عشرة سنة وسنة اشهر وسبعة ايام وقتل غرة شوال سنة سبع واربعين ومائتين (وولى بعده ابنه المستنصر بالله محمد ابن جعفر) فاقام ستة

ينزو على الاتان وشدهن على ساقه فانه ينتشر ذكره ويستوى على سوقه (فائدة) للحبل يسحق ورق الغبيراء ويعجن منه قدر درهم بعسل ويعمل صوفة وتحمل بها المرأة عقب الطهر ويجامعها الرجل تحبل باذن الله تعالى (فائدة) أخرى اذا تبخرت المرأة بحافر الحمار أسرع خروج ولدها حيا سالما بسهولة وكذلك اذا كان ميتا حدث البحترى الشاعر قال كنت عند المتوكل مع ندمائه فتذاكروا السيوف فقال بعض من حضر يا أمير المؤمنين وقع عند رجل من البصرة سيف من الهند ليس له نظير فامر المتوكل بالكتابة الى عامل البصرة أن يشترى له السيف الموصوف فاشتراه بعشرة آلاف درهم وأرسله اليه فسر المتوكل بوجوده وقال لوزيره الفتح بن خاقان اطلب لى غلاما تثق بنجدته وشجاعته وادفع هذا السيف اليه ليكون واقفا على رأسى كل يوم مادمت جالسا فلم يستتم كلام المتوكل حتى دخل باغر التركى فدفع اليه المتوكل السيف قال البحترى فوالله ما أخرج السيف المذكور من غمده الا لقتل المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان والى هذا المعنى أشار ابن زيدون فى رسالته بقوله وتكون منية المتمنى فى أمنيته ومن شعر الحافظ أبو بكر أحمد خطيب بغداد

لاتغبطنّ أخا الدنيا بزخرفها * ولا للذة وقت عجلت فرحا
فالدهر أسرع شئ فى تقلبه * وفعله بين للخلق قد وضحا
كم شارب عسلا فيه منيته * وكم تقلد سيفا من به ذبحا

وكان السبب فى قتل المتوكل انه عهد الى ولده المنتصر محمد بالخلافة أولا ثم وقع بينه وبين ابنه شئ فرجع عن عهده له وبداله ان يعهد الى أخيه الصغير محمد المعتز وكان يميل الى ابنه الصغير أكثر من الكبير فلما بلغ الجند ذلك تغيرت خواطرهم عليه قاطبة ثم ان جماعة من الجند اتفقوا مع المنتصر على قتل أبيه فلما وثقوا منه بذلك ندبوا الى قتله باغر المذكور وكان موصوفا بالشجاعة فلما جاء نصف الليل هجم عليه عشرة من الاتراك ومعهم باغر فوجدوه قد سكر ونام وعنده وزيره الفتح بن خاقان فتقدم اليه باغر وضربه بالسيف على عاتقه فمات من وقته فصاح عليهم الفتح بن خاقان ويحكم يا كلاب كيف تقتلون خليفة الله فقتلوا الفتح بن خاقان أيضا ثم لفوهما فى بساط ودفنوهما فى الليل ولم يشعر بهما أحد قال عمرو ابن شيبان رايت فى الليلة التى قتل فيها المتوكل قائلا يقول هذه الابيات

يانائم العين فى أقطار جثمان * أفض دموعك ياعمرو بن شيبان
أماترى الفتية الارجاس مافعلوا * بالهاشمى وبالفتح بن خاقان
فابكوا على جعفر وارثوا خليفتكم * فقد بكاه جميع الانس والجان

(وقال يزيد)

أشهر (وولى بعده المستعين بالله احمد بن المستنصر) فاقام ثلاث سنين وتسعة اشهر وخلع سنة اثنتين وخمسين ومائتين وقتل (وولى بعده ابن اخيه المعتز بالله محمد بن المتوكل على الله) فاقام ثلاث سنين وسبعة اشهر وقتل سنة خمس وخمسين ومائتين (وولى بعده ابن عمه المعتمد على الله احمد ابن جعفر المتوكل على الله) فاقام عشر سنين وتوفى سنة ست وستين ومائتين (وولى بعده اخوه المعتضد بالله احمد بن طلحة بن المتوكل) فاقام تسع

كانت منيته والعين هاجعة * هلا أتته المنايا والقنا رصد
خليفة لم ينل ما ناله أحد * ولم يضع مثله روح ولا جسد

وكان البحترى كثيرا ما يذكر المتوكل والفتح بن خاقان فى شعره ويرتاح لذكرهما أبدا وقال من قصيدة

تداركنى الاحسان منك ونالنى * على فاقة ذاك الندى والتطول
ودافعت عنى حين لا فتح يرتجى * لدفع الاذى عنى ولا المتوكل

وكان المتوكل أوّل خليفه قتل بيد الاتراك فظهر بذلك صدق الحديث النبوى الذى رواه ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتركوا الترك ما تركوكم فانه أوّل ما يسلب ملككم وما وسع الله به فتنظوروا وا أقام المتوكل فى الخلافه أربع عشرة سنة وتسعة أشهر الى ان قتله باغر باشارة ولده محمد المنتصر فى نصف شوّال سنة سبع وار بعين ومائتين ولا عجب فى ذلك فان الولد قد يكون ضررا على أبيه كما قيل

أرى ولد الفتى ضررا عليه * لقد سعد الذى أضحى عقيما
فاما ان يربيه عدوّا * واما ان يخلفه يتيما
واما ان يوافيه حمام * فيبقى حزنه ابدا مقيما

(وفى المعنى)

لى ولد قد انتشا * وحبه حشا الحشا * كنا نظن رشده * فما نشا كما نشا

(وفى المعنى أيضا)

اضرب وليدك تأديبا على رشد * ولا تقل هو طفل غير محتلم
فرب شق برأس جر منفعة * وقس على شق رأس السهم والقلم

(وفى المعنى أيضا)

كان أبى يريدنى * عدل أو قاضى البلد
لم يكن غير ما يريد * يعتبر من له ولد

وفى الفردوس عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان لأن يربى أحدكم جرو كلب أو خنزير خير له ان يربى ولدا من صلبه وفى الفردوس أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان تشاركهم الشياطين فى أولادهم قيل كائن ذلك يا رسول الله قال نعم قالوا كيف نعرف أولادنا من أولادهم قال بقلة الحياء وقلة الترحم وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان أحدكم اذا أتى أهله وقال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فرزقا ولدا لم يضره الشيطان وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن ابى طالب لا تجامع أهلك فى النصف الثانى من الشهر فانه يحضره الشياطين ويروى عن النبى صلى

سنين وتسعة اشهر ونصفا وتوفى سنة تسع وثمانين ومائتين وكان قد رجع الى بغداد وسكنها وانقطع حج الخلفاء بانفسهم فى خلافته (وولى بعده ابنه المكتفى بالله على بن احمد) فأقام ستة اعوام ونصفا وعشرين يوما ومات سنة خمس وتسعين ومائتين (وولى بعده اخوه المقتدر بالله) جعفر بن احمد وله من العمر ثلاث عشرة سنة ولم يل الخلافة من بنى العباس أصغر سنا منه فأقام خمسا وعشرين سنة غير ايام وتوفى فى شوّال

الله عليه وسلم أنه قال أربعة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة عاق ومنان ومدمن خمر ومكذب بالقدر وقال صلى الله عليه وسلم كل شئ بينه وبين الله حجاب الا شهادة أن لا اله الا الله ودعوة الوالدين وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده وقال صلى الله عليه وسلم ما أكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له عند كبر سنه من يكرمه وقال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا ويفيض البلاء فيضا ويغيض الكرم غيضا ويجترئ الصغير على الكبير واللئيم على الكريم وقيل لبعض الحكماء لاى شئ نحب أولادنا وهم لا يحبوننا فقال لانهم منا ولسنا منهم قال الشاعر

من كان يعلم ان مالك ماله * من بعد عينك لا يحب بقاكا

ذكر البيضاوى فى تفسيره عند قوله تعالى كما ربيانى صغيرا روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبوى بلغا من الكبر انى الى منهما ما وليا منى فى الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان أبى أخذ مالى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب فاتنى بابيك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك اذا جاءك الشيخ فاسأله عن شئ قاله فى نفسه ما سمعته اذناه فلما جاء الشيخ قال له النبى صلى الله عليه وسلم ما بال ابنك يشكوك أتريد أن تأخذ ماله فقال له سله يا رسول الله هل أنفقه الا على احدى عماته أو خالاته أو على نفسى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم دعنا من هذا أخبرنى عن شئ قلته فى نفسك ما سمعته أذناك فقال الشيخ والله يا رسول الله ما زال الله يزيدنا بك يقينا لقد قلت فى نفسى شيأ ما سمعته أذناى فقال قل فانا أسمع فقال

غذوتك مولودا وعلتك يافعا * تعل بما احنو عليك وتنهل
اذا ليلة ضاقت بك السقم لم أبت * لسقمك الا ساهرا اتململ
كانى انا المطروق دونك بالذى * طرقت به دونى فعيناى تهمل
تخاف الردى نفسى عليك وانى * لاعلم ان الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التى * اليها مدا ما كنت فيه أؤمل
جعلت جزائى غلظة وفظاظة * كانك أنت المنعم المتفضل
فليتك اذ لم ترع حق أبوتى * فعلت كما الجار المجاور يفعل

قال فحينئذ أخذ النبى صلى الله عليه وسلم بتلابيب ابنه وقال أنت ومالك لابيك فنسأل الله المنان من فضله ان يرزقنا ذرية صالحة موفقة بمنه وكرمه آمين (فائدة)

سنة عشرين وثلثمائة (وولى بعده اخوه القاهر بالله محمد بن احمد) فاقام عاما واحدا وستة اشهر واياما وكانت عيناه سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وعاش خاملا مضاعا الى ان مات سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة (وولى بعده ابن اخيه الراضى بالله محمد بن جعفر المقتدر) فاقام ست سنين وعشرة أشهر واياما ومات سنة تسع وعشرين وثلثمائة وهو آخر خليفة خطب على المنبر فى يوم الجمعة وفى زمانه اختل امر الخلافة جدا وصارت

لا باس بذكرها فى هذا المحل وايرادها فى هذا المعنى قول الشيخ المذكور فى قصيدته وعلتك يافعا قال الدماميني رحمه الله فى وصف الانسان ناظما

أصح صفات الآدمى وضبطها * لتلفظ درا تقتنيه بديعا
جنين اذا ما كان فى بطن أمه * ومن بعد يدعى بالصبى رضيعا
فان فطموه فالغلام لسبعة * كذا يافعا للعشر قله مطيعا
الى خمس عشر فالحزور تسمه * لتحسن فيما تجتنيه صنيعا
كذا الى خمس وعشرين حجة * دعاه الفاضلون مطيعا
جميل لحد الاربعين وبعده * بكهل الى خمسين فادع سميعا
وشيخا الى حد الثمانين فادعه * بهاشم هما للممات رجيعا

(خلافة محمد المنتصر بن المتوكل)

بويع له يوم قتل أبيه على كره وسنه أربع وعشرون سنة ولم يتهن بالخلافة لاستيلاء المماليك الاتراك على المملكة وكان على حذر منهم ويقول هؤلاء قتلوا الخلفاء وكانوا أيضا منه على حذر وارادوا قتله فما أمكنهم الاقدام عليه لشدة محاذرته منهم ذكر أن المنتصر جلس يوما للهو وأمر بفرش بساط من ذخائر الخزينة تداولته الملوك فرأى فيه صورة رأس عليها تاج وعليه كتابة بالفارسية فطلب من يستخرج تلك الكتابة فاحضر له رجل من الفرس فقرأها وعبس عند قراءتها فسأله المنتصر عنها فقال معنى هذه الكتابة انا الملك شيرويه بن ابرويز بن هرمز قد قتلت أبى فى طلب الملك فلم امكث بعده الاستة أشهر فاصفر وجه المنتصر وتطير من ذلك وتذكر ما صنع بابيه وحم جسمه فطلب ابن طيفور المزين ليفصده فلما أحس بذلك طائفة الاتراك دفعوا الى ابن طيفور الف دينار وقالوا له اذا طلبك المنتصر لمداواته فافصده بمبضع مسموم وان المنتصر لما بات فى توعكه انتبه فزعا مرعوبا وهو يبكى فسألته أمه ما يبكيك قال أفسدت دينى ودنياى رأيت ابى الساعة وهو يقول قتلتنى يا محمد لاجل الخلافة والله لا تتمتع بها الا أياما قلائل ثم مصيرك الى النار فلما أصبح طلب ابن طيفور ففصده بالمبضع المسموم فمات قال عمرو بن عثمان رأيت المتوكل بعد قتله بستة أشهر فى المنام فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لى بتعصبى للسنة بان القرآن غير مخلوق فقلت له وما تصنع ههنا قال جئت أنتظر ابنى محمدا حتى أخاصمه بين يدى الله تعالى فلما أصبح أشيع بين الناس موت المنتصر وأقام المنتصر فى الخلافة ستة أشهر وتوفى فى ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين (حكى) ان طيفور المذكور لما فصد المنتصر بالمبضع المسموم مكث قليلا بعد موت المنتصر ومرض فقال لتلميذه افصدنى فلم يأت له الا بالمبضع المسموم ففصده فمات لوقته فكان كما يقال

البلاد بين خارجى تغلب عليها او عامل لا يحمل اليه مالا ولم يبق بيد الراضى غير بغداد والسواد (وولى بعده اخوه المتقى لله ابراهيم بن جعفر المقتدر بالله) فاقام اربع سنين غير شهر وكان صالحا ولم يتمكن من تدبير الامور وخلع وكحلت عيناه سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وعاش مخلوعا الى ان مات سنة ثلاث واربعين وثلثمائة (وولى بعده ابن عمه عبد الله المستكفى بالله) وسنه احد واربعون سنة وهو من ابى جعفر المنصور

أفعاله ردت عليه بما جنى * فالدهر قد جازاه من جنس العمل

(خلافة أبي العباس أحمد المستعين بالله بن المعتصم عم المنتصر أخو المتوكل)

بويع له يوم مات المنتصر وسنه احدى وثلاثون سنة قدمته الترك واختاروه وعدلوا عن أولاد المتوكل لانهم كانوا قتلوه فخافوا ان يلي الخلافة أحد أولاده فيأخذ بثار أبيه فاختاروا من أولاد المعتصم المستعين بالله وما كان له من الخلافة الا الاسم وكانت المماليك الاتراك مستولين على الملك وكان الامر جميعه لوصيف وباغر حتى قيل

خليفة في قفص * بين وصيف وبغا * يقول ما قالا له * كما تقول الببغا

وهي الدرة ومما أفاده الدماميني في كتابه عين الحياة ان الشيخ كمال الدين الادفوي ذكر في ترجمة محمد بن محمد النصيبي القوصي الفاضل المحدث الاديب انه حضر مرة عند تقي الدين البصراوي الحاجب بقوص وكان له مجلس يجتمع فيه الرؤساء والفضلاء والادباء فحضر الشيخ علي الحريري وحكى أنه رأى درة تقرأ سورة يس فقال النصيبي وكان غراب يقرأ سورة السجدة فاذا جاء الى محل السجود سجد ويقول سجد لك سوادي واطمان بك فؤادي وسمعت من شخص من كتبة بيت المال المعمور بمصر ان امرأة من أولاد أمراء الدولة العثمانية توفيت وليس لها وارث الا بيت المال فضبطت تركتها فكان من جملة مخلفاتها درة ذكر انها تقرأ القرآن من أوله الى آخره فاتصل خبرها بمحمد باشا الوزير حال تصرفه بمصر فطلبها من وكيل بيت المال فاعطاها له فامتحنت في القراءة فقرأ شخص بحضورها سورة من القرآن فانتقل من آية الى آية مغلطة لها فردته فتعجب من كان حاضرا وهذا من العجب وكان المستعين فاضلا مطلعا على التواريخ متجملا في ملبسه وهو أول من اتخذ الاكمام العراض فجعل الكم ثلاثة أشبار ولما أبى المستعين الانقياد الى الاتراك خرج من بيت الخلافة وهو مختف وتوجه الى مدينة واسط فاقام بها وكاتبه الامراء والجند بان يرجع الى بغداد فامتنع من ذلك فارسلوا له من قبض عليه بواسط وسجنه ثم ان الجند أحضروا المعتز وبايعوه بالخلافة وصار العسكر فرقتين فرقة مع المستعين وفرقة مع المعتز فقويت شوكة المعتز وتم أمره في الخلافة فأرسل سعد بن صالح الى واسط فقتل المستعين بعد ان أقام في السجن سبعة أشهر وكان قتله في ثالث شوال سنة احدى وخمسين ومائتين فكانت خلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر والله تعالى أعلم

(خلافة المعتز محمد أبي عبد الله)

بويع له يوم خلع أحمد المستعين وسنه ثلاث وعشرون سنة وكان بديع الحسن حسن الصورة وكان متضعفا وكان صالح ابن وصيف مستوليا على المعتز وهو خائف

ولم يل الخلافة بعدهما من وصل الى هذا السن فاقام ستة عشر شهرا ثم خلع وكانت غيبا دسنة اربع وثلاثين وثلثمائة وعاش مخلوعا الى ان مات سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة (وولي بعده ابن عمه المطيع لله القاسم بن المقتدر) فاقام ستا وعشرين سنة واربعة اشهر واياما ومرض بالفالج وتخلى عن الامر لابنه الطائع لله ابي بكر يوم الاربعاء ثالث عشر ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلثمائة ومات بعد شهرين وتسعة أيام في المحرم سنة

منه فاجتمع الجند على المعتز وطلبوا منه أرزاقهم ووعدوه انه اذا أنفق عليهم ركبوا معه على صالح بن وصيف وقتلوه وصيف فواله المال فلم يكن فى خزائنه ما يصرفه عليهم وطلب من أمه شيأ من المال وكانت تركية واسمها قبيحة لفرط جمالها بين النساء فابت وشحت بالمال على ولدها وهو خليفة فاتفق الاتراك على خلعه وركب عليه صالح بن وصيف ومحمد بن بغا واتباعهما وأتوا الى دار الخلافة وهجموا على المعتز وجروه برجله وأوقفوه فى الشمس وعذبوه حتى خلع نفسه ومنعوه من شرب الماء الى أن مات عطشا وكانت مدة تصرفه ثلاث سنين وسبعة أشهر وان صالح ابن وصيف صادر قبيحة المذكورة وعذبها حتى أخذ منها ألف ألف دينار ونصف اردب لؤلؤ ومثله زمرذ وسدس اردب ياقوت احمر ثم اخرجت الى مكة واقامت بها الى ان ماتت واقل الناس الترحم عليها حين ظهر عندها هذا المال وشحت على ولدها والله اعلم

اربع وستين وثلثمائة وأقام الطائع ابنه والياسبع عشرة سنة وتسعة اشهر واياما وخلع سنة احدى وثمانين وثلثمائة وعاش مخلوعا الى ان مات غرة شوال سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وفى أيامه قطعت الخطبة من الحرمين الشريفين لبنى العباس وأقيمت للحسن العبيدى صاحب مصر والمغرب (وولى بعده أحمد القادر بالله) بن المقتدر فاقام ثلاثا واربعين سنة ولم يبلغ أحد من الخلفاء قبله فى امرة الخلافة مدته

(خلافة عبد الله المهدى)

بويع له يوم خلع المعتز وسنه تسع وثلاثون سنة وكان كثير العبادة ليس له من الامر شئ وقد كان ابطل الملاهى ومنع الظلمة من الظلم والمكوس قيل دخل عليه رجل وقال له لك عندى نصيحة يا اميرالمؤمنين فقال له لمن هى ألناس لعامة المسلمين ام لنفسك قال لك يا اميرالمؤمنين قال ليس الساعى باعظم عورة ولا اقبح حالا من قائد سياسة ولا تخلو من أن تكون حاسد نعمة فلا نشفى غيظك أو لك عدوّ فلا نعاقب لك عدوّك ثم أقبل على الناس فقال لا ينصح لنا ناصح الا بما فيه رضا الله تعالى وللمسلمين فيه صلاح فان مالنا الا الابدان ولهم القلوب ومن استتر لم نكشفه ومن نادانا طلبنا توبته ومن أخطأ أقلنا عثرته انى أرى النصح أبلغ من العقوبة والسلامة مع العفو أسلم منها فى العاجلة والقلوب لا تبقى لوال لا يتعطف اذا استعطف ولا يعفو اذا قدر ولا يغفر اذا ظلم ولا يرحم اذا استرحم ولا يخفى ان حظوظ النفوس تنشأ فى الغالب من الحسد وهو تمنى زوال النعمة عن المحسود وهو من الكبائر كما قال فى الروضة وهو داء لا دواء له وعداوة لا يرجى زوالها كما أشار اليه امامنا الشافعى رضى الله عنه فى قوله من أبيات

كل العداوة قد ترجى ازالتها * الا عداوة من عاداك من حسد

وحكى عن أبى العباس أحمد القادر انه بينما هو ذات ليلة فى اسواق بغداد اذ سمع شخصا يقول لآخر قد طالت علينا دولة هذا الميشوم وليس لاحد عنده رزق فامر خادما معه ان يتوكل عليه و يحضره بين يديه فلما حضر بين يديه سأله عن صنعته فقال انى كنت من السعاة الذين يستعين بهم أرباب هذا الامر على

معرفة أحوال الناس في دولي أمير المؤمنين أقصانا وأظهر الاستغناء عنا فتعطلت معيشتنا وانكسر جاهنا عند الناس فقال أفتعرف من في بغداد من السعاة قال نعم وأحضر كاتبا فكتب أسماءهم وأمر باحضارهم ثم أجرى لكل واحد منهم معلوما ونفاهم الى الثغور القاصية ورتبهم هناك عيونا على أعداء الدين ثم التفت لمن حوله وقال اعلموا ان هؤلاء ركب الله فيهم شرا وملأ صدورهم حقدا على العالم ولا بد لهم من افراغ ذلك الشر فالأولى ان يكون ذلك في أعداء الدين ولا ينغص بهم على المسلمين وفي المعنى

قوم هموا كدر الحياة وسقمها * عرض البلاء بهم على وطالا
يتآكلون ضغينة وخيانة * ويرون لحم الغافلين حلالا
وهمو فراش الشر يوم تمامه * يتهافتون تغاشيا وخبالا
وهمو غرابيل الحديث اذا وعوا * شرا تقطر منهمو أوسالا

(ومما يحكى) ان السلطان محمد بن قلاوون رحمه الله أخبره وزيره الامير علاء الدين مغلطاي ان تاج الدين كاتب الفتاح ذكر عنده أناسا بكل قبيح والتزم فيهم جملة من الذهب اذا صودروا وأخرجت وظائفهم فقال السلطان للوزير أحضر تاج الدين المذكور فلما حضر بين يديه وسمع كلامه قال هل لك علم باحد في القاهرة يعرف شيئا من هذه الاحوال قال نعم جماعة وعدهم فقال للوزير خذ هذا واحتفظ به واحسن اليه واذا احضر لك هؤلاء الذين ذكرهم عرفني بهم فخرجا من عنده وصار يذكر له جماعة جماعة وهو يحضرهم الى ان لم يبق منهم أحد ودخل الى السلطان وعرفه بهم فقال اخرج الآن في هذه الساعة وجهز الجميع الى قبرس ولا تدع أحدا منهم في القاهرة فان هؤلاء مناحيس يرافعون الناس فنفاهم أجمعين وفي المعنى

أقول وطرف النرجس الغض شاخص * الينا وللغمام حولي المام
أيارب حتى في الحدائق أعين * علينا وحتى في الرياحين غمام

وكتب بعض شهود الاهواز الى الوزير أبي الفرج محمود بن فسانجس قد مات فلان وخلف خمسين ألف دينار عينا ولم يخلف غير طفلة فان رأيت استقراض المال الى ان تبلغ الطفلة ففي عقارها واملاكها كفاية فوقع على ظهر كتابه الطفلة جبرها الله والمال ثمره الله والساعي لعنه الله لا حاجة للسلطان بالمال وعن أبي بردة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج أفواههم نارا فقيل من هم يارسول الله قال ألم تر ان الله يقول ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وحكي انه لما ولي عبد العزيز بن عبد الملك دمشق ولم يكن في بني أمية ألب منه في حداثة سنه

ولا طول عمره لانه مات وهو ابن ثلاث وتسعين سنة وتوفي سنة ثلاث وعشرين واربعمائة (وولي بعده ابنه القائم بامر الله) عبد الله بن أحمد وأقام في الخلافة أربعة واربعين عاما وتوفي سنة سبع وستين واربعمائة (وولي بعده ابنه المقتدي بامر الله) محمد بن عبد الله القائم بامر الله واقام في الخلافة تسع عشرة سنة وتوفي سنة ست وثمانين واربعمائة (وولي بعده ابنه المستظهر بالله أحمد) فاقام خمسا وعشرين سنة وثلاثة اشهر وعشرة ايام وتوفي

قال أهل دمشق هذا غلام شاب ولا علم له بالامور ويتسمع فقام اليه رجل فقال أصلح الله الامير عندي نصيحة فقال له ليت شعري ماهذه النصيحة التي ابتدأتني بها من غير يد سبقت مني اليك قال جارلي عاص فقال له ما أتقيت الله ولا أكرمت اميرك ولا حفظت جارك ان شئت نظرنا فيما تقول فان كنت صادقا لم ينفعك ذلك عندنا وان كنت كاذبا عاقبناك قال أقلني قال اذهب حيث جئت لاصحبك الله بخير اني أراك شر رجل وروي ان معاوية رضي الله عنه قال يوما للاحنف بن قيس في أمر بلغه عنه فانكر الاحنف فقال معاوية الثقة بلغني فقال الثقة لا يبلغ وقد جاء في السنة النبوية أحاديث كثيرة في ذم النميمة منها مارواه حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وقد جاء عنه عليه أفضل الصلاة والسلام انه قال لعن الله المثلث قيل له وما المثلث يارسول الله قال الذي يسعى بصاحبه الى سلطانه فيهلك نفسه وصاحبه وسلطانه وعن الفضيل بن عياض رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أظهر لاخيه الود والصفاء وأضمر له الحقد والبغض أصمه الله وأعمى بصر قلبه وقال صلى الله عليه وسلم الا أخبركم بخياركم قالوا بلى قال الذين اذا ذكروا ذكر الله ألا أنبئكم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وقال شر الناس عند الله منزلة من تركه الناس اتقاء فحشه وقال ان من شر الناس عند الله منزلة ذا الوجهين الذي يأتي لذا بوجه والى هذا بوجه وقال ان من شر الناس منزلة عند الله عبدا اذهب آخرته بدنيا غيره وروى عمار ابن ياسر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار رواه أبو داود وصححه ابن حبان وأخرج الطبراني من حديث أنس بلفظ من كان ذا لسانين جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار وقال ابن زيدون في رسالته الهمازون المشاؤن بنميم يعني ان هؤلاء ذكرهم الله في القرآن العظيم في قوله تعالى هماز مشاء بنميم الهماز المغتاب الذي يأكل لحم الناس بالطعن والغيبة وقال الحسن هو الذي يلوي شدقه في أقفية الناس والنم والنميمة واحد وهو نقل الكلام السيء والمعنى انه قتات يسعى بين الناس بالنميمة ليفسد فيما بينهم قال صلى الله عليه وسلم لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم (أوصت) اعرابية ابنها وقد أراد السفر فقالت أي بني اياك والنميمة فانها تزرع الضغينة وتفرق بين الاحبة واياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضا وفي المثل النميمة ارثة العداوة وما أحسن قول الشيخ شهاب الدين محمود

يا ملزمي بذنوب ما أحطت بها * علما ولا خطرت يوما على فكري
صدقت في أباطيل الذنوب وكم * كذبت فيك يقين السمع والبصر

سنة اثنتي عشرة وخمسمائة (وولي بعده ابنه المسترشد بالله منصور) فاقام سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وخلع وقتل سنة خمسمائة وتسع وعشرين (وولي بعده ولده الراشد بالله) منصور واتهموه بالمنكرات وخلعوه وأرسلوه الى الموصل ثم قتلوه سنة خمسمائة واثنين (وولي بعده محمد المقتفي لامر الله) بن المستظهر بالله فاقام اربعا وعشرين سنة ثم قامت عليه الجند ورجموه ثم حبسوه شهرا من غير شرب فمات بالظما سنة خمسمائة وخمسة

وقال ابن الرعاد

أنهاك ان الحادثين تحدثوا * فمناشرحديثهم لاخيره
فاحذر فديتك ان تكون جليسهم * حتى يخوضوا فى حديث غيره

ومن أمثال العرب واياك وكل مستحدث فانه يا كل مع كل من أكل ويجرى مع كل ريح وقال وهب بن الوردى خالطت الناس منذ خمسين سنة فما وجدت رجلا غفرلى زلة ولا أقال لى عثرة ولا سترلى عورة ولا امنته اذا غضب ومن كلام النابغة الناس أجناس * أكثرهم أنجاس رجعنا الى مانحن بصدده من أمر عبد الله المهدى فاتفق الاتراك على خلعه وركبوا عليه فخرج عليهم وقاتلهم بنفسه الى ان أمسكوه باليد وعصروا على بطنه الى ان مات وكانت خلافته سنة الاخمسة عشر يوما والله أعلم

(خلافة المعتمد على الله أحمد بن المتوكل)

بويع له يوم مات ابن عمه المهدى فى شهر رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وكان له انهماك على اللهو واللذات فقدم أخاه طلحة ولقبه الموفق بالله وجعله ولى عهده وولاه المشرق والحجاز واليمن وفارس وطبرستان وسجستان والسند وكان للمعتمد ولد صغير اسمه جعفر لقبه المفوض الى الله وولاه المغرب والشام والجزيرة وعقد له لواءين أبيض وأسود وعقد لهما البيعة وشرط على أخيه الموفق اذا حدث به ريب المنون وولده صغير كان الموفق ولى عهده وان كان حينئذ ولده كبيرا كان ولده ولى عهده وكتب بذلك معاقدة كتب كل منهما خطه عليها وكان الموفق عاقلا مدبرا مشتغلا بامور المملكة وكان أخوه المعتمد مكبا على لهوه ولذاته مهملا لاحوال الرعية فكرهه الناس وأحبوا أخاه طلحة وظهرت له نجابة كبيرة وظهرت فى أيام المعتمد طائفة من الزنج وتغلبت على المسلمين وكان لهم رأس اسمه مهبول يدعى علم المغيبات وفتك فى المسلمين ذكر الصولى انه قتل ألف ألف وخمسمائة ألف وكان يأسر النساء ويبيعهن وكان ذلك من أعظم المصيبات فى الاسلام وتملك هذا الكافر مدائن أخذها من المسلمين واستأصل أهلها وجعل دار مملكته واسط فانتدب لقتاله الموفق بالله وجمع الجموع فركض بخيله ورجله وجنوده الى ان التقت الفئتان بخفات السودان من لمعان السيوف وانهزموا مابين مقتول ومأسور الى ان قتل كبيرهم مهبول ووجوه عساكره واستردت المدن التى أخذها كواسط وغيرها واطمأنت المسلمون وكافة العباد ولقبوه الناصر لدين الله وصار له حينئذ لقبان ودخل بغداد فى عظم وعلو شان ورأس مهبول الكافر على رأس رمح ورؤس كبار عسكره على رماح ودعاله المسلمون واستمر أخوه المعتمد على حاله منهمكا على لهوه ولذاته وله اسم الخلافة وجميع الامور يتلقاها

وخمسين (وولى بعده ولده المستنجد بالله) يوسف فاقام احدعشر عاما وخمسة أيام وتوفى سنة خمسمائة وست وستين وولى بعده ولده الحسن المستضىء بامرالله فاقام سبعة اعوام وأربعة أشهر وتوفى سنة خمسمائة وثلاثة وسبعين بالطاعون وفى أيامه عادت الخطبة بمصر لبنى العباس بعد انقطاعها منها مائتين وخمس عشرة سنة وانقرضت دولة بنى عبيد بمصر (وولى بعده أحمد الناصر لدين الله) فاقام سبعا

الموفق بصدره وكان له ولد نجيب يدعى أحمد أبا العباس جعله الموفق ولى عهده واستعان به فى حروبه وأحواله وظهرت نجابته وقوته فخشى الموفق منه على نفسه وعلى ولد أخيه فحبسه ووكل من يثق به فى أمره واستمر محبوسا الى ان وقعت الوحشة بين المعتمد والموفق وتباغضت قلوبهما وتشاحنت صدورهما فان الرياسة لا تقبل الاشتراك والغيرة على الملك أسرع شئ ثم ان الموفق مرض واشتد عليه الحال وتحقق غلمانه ما آله فبادروا الى الحبس فكسروه وأخرجوا منه ولده وآووه وجاؤا به الى والده فلما رآه أيقن بالموت وتحقق وقال له ياولدى لهذا اليوم خبأتك وأوصاه وفوض اليه وأوصاه بعمه المعتمد وكان ذلك قبل موته بثلاثة أيام وكانت وفاته فى سنة ثمان وسبعين ومائتين وشمت فيه أخوه المعتمد وظن أنه استراح من الموفق وما علم أنه عما قليل به يلحق فكانت خلافة المعتمد ثلاثا وعشرين سنة وتوفى سنة تسع وسبعين ومائتين والله سبحانه وتعالى أعلم

* (خلافة أحمد المعتضد بن طلحة الموفق) *

بويع له يوم مات عمه وسنه ست وأربعون سنة وكان ملكا مهابا ظاهر الجبروت وافر العقل شجاعا يقدم على الاسد وحده وكان أسقط المكوس فى أيامه ورفع الظلم عن الرعية وجدد ملك بنى العباس بعدما وهى ووهن وكان يسمى السفاح الثانى وفيه يقول ابن الرومى

هنيأ بنى العباس ان امامكم * امام الهدى والجود والناس أحمد
كما بأبى العباس انشئ ملككم * كذا بأبى العباس أيضا يجدد
امام يظل الامس يشكو فراقه * تأسف ملهوف ويشتاقه غد

وفيه أيضا يقول عبد الله بن المعتز

أماترى ملك بنى هاشم * عاد عزيزا بعد ما ذللا
ياطالب الملك فكن مثله * تستوجب الملك والا فلا

وكان مع سطوته يراعى جانب الحق وقد نقل الحافظ السيوطى عن عبد الله بن حمدون قال خرج المعتضد يوما وأنا معه فرعقثاة فعاث بعض جنوده فيها فصاح صاحبها واستغاث بالمعتضد فاحضره وساله عن سبب صياحه فقال له ثلاثة من غلمانك نزلوا المقثاة واخربوها فامر عبيده باحضارهم فحضروا وضرب أعناقهم ومضى وهو يحادثنى فقال أصدقنى ياعبد الله ما الذى ينكره الناس من أحوالى فقلت له تسفك الدماء كثيرا فقال ماسفكت دما حراما قط فقلت له باى ذنب قتلت أحمد بن أبى الطيب قال انه دعانى الى الالحاد وظهر لى الحاده فقلت والثلاثة الذين نزلوا المقثاة الآن بماذا استحللت دماءهم ولاى شئ قتلتهم فقال والله ماقتلتهم وانما احضرت ثلاثة من قطاع الطريق وأوهمت الناس انهم الذين

وأربعين سنة وتوفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة وخطب له حتى بالصين والاندلس (وولى بعده ولده محمد الظاهر) فاقام تسعة أشهر وتوفى سنة ثلاث وعشرين وستمائة (وولى بعده ولده المستنصر بالله منصور) فاقام سبع عشرة سنة وتوفى سنة أربعين وستمائة وله من العمر اثنتان وخمسون سنة (وولى بعده ولده المستعصم بالله) عبد الله فاقام سبع عشرة سنة وتوفى سنة ستمائة وتسع وخمسين بخيانة وزيره ابن العلقمى الذى كان

نزلوا المقثأة فامرت بضرب أعناقهم ثم أحضر صاحب الشرطة وامر باحضار الثلاثة الذين نزلوا المقثأة فاحضرهم بانفسهم وشاهدتهم * ومما يناسب ذلك ما حكاه ابن أبى حجلة فى سكردانه ان سوادياأتى الى السلطان ملك شاه وهو يبكى فساله عن سبب بكائه فقال اشتريت بطيخا بدرهمين لا أملك غيرهما فلقينى ثلاثة من الاتراك فاخذوه منى ومالى سواهما وكان ذلك فى أول قدوم البطيخ فقال له امسك فاستدعى فراشا وقال له قد اشتاقت نفسى الى البطيخ فطف فى العسكر وانظر من عنده شئ فاحضره فعاد الفراش ومعه بطيخ فقال له عند من لقيته قال عند الامير فلان فاحضره وقال له من أين هذا البطيخ فقال جاءبه الغلمان فقال أريدهم الساعة وقد عرف نية السلطان فعاد اليه وقال لم أجدهم فالتفت السلطان الى صاحب البطيخ وقال له هذا مملوكى وقد وهبته لك حيث لم يحضر الغلمان الذين أخذوا متاعك والله ائن خليته لاضربن عنقك فاخذ بيده وخرج من بين يدى السلطان واشترى الامير نفسه بثلثمائة درهم وعاد صاحب البطيخ الى السلطان وقال ياسيدى قد بعت المملوك بثلثمائة درهم قال أوقد رضيت قال نعم قال فامض مع السلامة وكانت مدة خلافة المعتضد تسع سنين وتسعة أشهر ونصفا وتوفى فى يوم الاثنين لثمان بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وخلف من الذكور اربعا واحدى عشرة بنتا والله تعالى أعلم

* (خلافة على المكتفى بالله بن المعتضد أحمد بن طلحة) *

بويع له يوم مات أبوه وسنه احدى وثلاثون سنة واخذ له البيعة الوزير أبو الحسن عبد الله فان والده عهد له قبل موته بثلاثة أيام وكان المكتفى بالرقة فلما وصل اليه كتاب الوزير بادر وحضر من الرقة الى بغداد فى سابع جمادى الاولى وكان يوم وصوله مشهودا ونزل دار الخلافة وخلع على الوزير المذكور سبع خلع وكان المكتفى حسن الصورة يضرب بحسنه المثل ولهذا قال عبد الله بن المعتز يخاطب الدنيا

ميزت بين جمالها وفعالها * فاذا الملاحة بالقباحة لاتفى
والله لا أختارها ولوانها * كالبدر أوكالشمس أوكالمكتفى

فقرنه بالبدر والشمس فى الجمال وقد أشار ابن سناالملك الى هذا فى قوله

ومليحة بالحسن يسخروجهها * بالبدر يهزأريقها بالقرقف
لا أرتضى بالشمس تشبيها لها * والبدر بل لا أكتفى بالمكتفى

(وقال ايضا فى موضع آخر)

بابى وأمى من يكون المكتفى * بكماله وجماله كالمقتدى

قال الصولى سمعت المكتفى يقول فى علته والله ما اسفى على شئ الا على سبعمائة

رافضيا وخربت بغداد وزالت دولة بنى العباس منها وكان سبب زوالها استيلاء مماليكهم وأمرائهم عليهم ومن أعظم أسباب زوالها أن ابن العلقمى استولى على المستعصم وكان رافضيا عدوا لاهل السنة يداريهم فى الظاهر وينافقهم فى الباطن وكان يريد ازالة الخلافة من بنى العباس واعادتها الى العلويين واطفاء أهل السنة واظهار أهل البدعة فصار يكاتب كبير التتار وهو هلاكو ويطمعه فى ملك بغداد ويخبره بضعف

ألف دينار صرفتها من مال المسلمين في أبنية ما احتجت اليها وكنت مستغنيا عنها وكانت مدة تصرفه ستة أعوام ونصفا وانتقل الى دار الخير والبقاء في ليلة الاحد لثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين والله تعالى أعلم

(خلافة جعفر المقتدر بن المعتضد)

بويع له بالخلافة يوم موت أخيه وعمره ثلاث عشرة سنة ولم يل الخلافة قبله أصغر منه وولي الخلافة ثلاث مرات هذه الاولى ولم يتم له فيها أمر لصغره فغلب عليه الجند واتفقوا على عزله وخلعه فخلعوه والله تعالى أعلم

(خلافة عبد الله بن المعتز بن المتوكل)

بويع له يوم خلع المقتدر ولقبوه الغالب بالله وبايعوه لعشر بقين من ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين وهو أشعر بني العباس بل أشعر بني هاشم على الاطلاق وأكثرهم فضلا وأدبا ودخولا بعلم الموسيقى وأشعر الشعراء في التشبيهات المبتكرة الغريبة المبتدعة قال المعافي بن زكريا لما بويع لابن المعتز دخلت على شيخنا محمد بن جرير الطبري العالم الكبير المفسر فقال ما الخبر فقلت بويع بالخلافة لعبد الله بن المعتز قال فمن توشح لوزارته قلت محمد بن داود قال فمن قاضيه قلت أبو المثنى فأطرق قليلا ثم قال هذا أمر لا يتم قلت ولم لا يتم قال كل واحد ممن ذكرت ذو شان عظيم متقدم في علمه وفضله وان الدنيا مولية وان الزمان مدبر ولا مناسبة لاحد ممن ذكرت برياسة في مثل هذا الزمان ولا أرى هذا الا الى الانحلال والاضمحلال فقدر الله انهم خلعوه في ذلك اليوم وتلاشى أمره فان عبد الله بن المعتز لما تقلد الخلافة أرسل الى المقتدر يامره باخلاء دار الخلافة فلما جاء الرسول الى المقتدر وبلغه الرسالة قال ليس له عندي جواب الا السيف ولبس السلاح وركب معه جماعة قليلة من خدمه وهم مستسلمون للقتل في غاية الخوف وهجموا على عبد الله بن المعتز فهاله ذلك وألقى الله في قلبه الرعب فانهزم هو ووزيره وقاضيه وكل من في ديوانه وقبض المقتدر على عبد الله بن المعتز وعلى الامراء والفقهاء وقتل منهم من أراد وحبس عبد الله بن المعتز الى أن خرج من الحبس ميتا الى رحمة الله تعالى فكانت خلافته ساعة من نهار وحيث انجر الكلام فلا بأس بايراد شيء من أشعاره المستظرفة منها هذا الموشح الذي يصلح وشاحا لكوكب الجوزاء وإكليلا للثريا سارت به الركبان وتناقلته الرواة بألسنة الزمان وهو هذا

أيها الساقي اليك المشتكى * قد دعوناك وان لم تسمع

ونديم همت في غرته * واشرب الراح من راحته * كلما استيقظ من سكرته

جذب الزق اليه واتكى * وسقاني أربعا في أربع

ما لعيني غشيت بالنظر * أنكرت بعدك ضوء القمر * واذا ما شئت فاسمع خبري

الخليفة وبعده صورة أخذها ويحسن للمستعصم توفير الخزينة وعدم الصرف على العسكر فقطع في مرة عشرين ألف مقاتل ووفر علوفاتهم في الخزينة وأظهر للخليفة انه وفر من علوفات العسكر أموالا عظيمة في بيت المال فاعجبه رأيه لكونه كان يحب المال وجمعه فدخل التتار الى بلاد العراق واستأصلوا من بها وتوجهوا الى بغداد فاستيقظ الخليفة من غفلته وجمع من قدر عليه من الجيوش وبرز

غشيت عيناى من كثر البكا * وبكى بعضى على بعضى معى
غصن بان مال من حيث التوى * مات من يهواه من فرط الجوى
خفق الاحشاء موهون القوى
كلما فكر فى البين بكى * ويحه يبكى لما لم يقع
ليس لى صبر ولا لى جلد * ياقومى عذلوا واجتهدوا * أنكروا شكواى مما أجد
مثل حالى حقها أن تشتكى * كمد اليأس وذل الطمع
كبدى حرا ودمعى يكف * يذرف الدمع ولا يعترف * أيها المعرض عما أصف
قد نما حبى بقلبى وذكا * لا تقل فى الحب انى مدعى

ومن تشبيهاته أيضا

ومقرطق يسعى الى الندماء * بعقيقة فى درة بيضاء
والشمس مالت للغروب كانها * دينار يلعب فى قرار الماء
والبدر فى أفق السماء كدرهم * ملقى على ديباجة زرقاء
ومهفهف عقد الشراب لسانه * وكلامه بالرمز والايماء
كلمته سحرا وقلت له انتبه * يافرحة الجلساء والندماء
فاجابنى والخمر يخفض صوته * بتلجلج كتلجلج الفأفاء
انى لافهم ما تقول وانما * غلبت على سلافة الصهباء
دعنى أفيق من الخمور الى غد * واحكم بما تختار يامولائى

وله فى المثلث

خليلى طاب الراح من بعد طبخها * وقد عدت بعد السكر والعود أحمد
فهاتا عقارا فى قميص زجاجة * كياقوتة فى درة تتوقد
يصوغ عليها الماء شباك فضة * لها حلق بيض تحل وتعقد
وقتنى من نار الجحيم بنفسها * وذلك من احسانها ليس يجحد

وله فى التصانيف كتاب الزهر والرياض وكتاب مفاكهة الاخوان وكتاب الصيد والجوارح وكتاب أشعار الملوك وكتاب طبقات الشعراء وديوان جيد فى الشعر ومن كلامه البلاغة البلوغ الى المعنى ولم يطل سفر الكلام ومن كلامه العلماء غرباء لكثرة الجهال النصح بين الملا تقريع ملامة الكذب جرأة العين واشعاره البليغة وتشبيهاته الغريبة كثيرة شهيرة * (ثم عاد المقتدر ثانيا) * واستقام له الحال فسار أحسن سيرة واستقر فى الخلافة الى سنة اثنتى عشرة وثلثمائة ذكر الحافظ السيوطى فى تاريخ الخلفاء فى خلافة المقتدر سنة ثلثمائة ان بغلة ولدت فلوا وبعد تمام هذا التاريخ المبارك الميمون اتصل بعلم مؤلفه عفا الله عنه من الثقاة ان جماعة من الفرارجية من أهل منف عندهم بغلة زرقاء ولدت مهرا

الى قتالهم فلم يقدر عليهم وغرق من عسكره كثير فى نهر الدجلة وقتل أكثرهم وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الخزائن والاموال وأسروا المستعصم وأولاده فاستبقاه هلاكو الى ان استخلص أمواله وخزائنه ودفائنه ثم قتل أولاده وأتباعه وأمر أن يوضع الخليفة فى غرارة ويرفس بالارجل الى أن يموت وأوقع بوزيره الذل والهوان وصار معهم من جملة الغلمان ومات كمدا وهذه الحادثة قد استطار

فى أواسط سنة احدى وأربعين وألف فسبحان القادر على كل شئ

(خلافة ابى المنصور محمد القاهر ابن المعتضد)

بايعه يونس والامراء ولقبوه بالقاهر وفوضت الوزارة الى على بن مقلة الكاتب فجاء العسكر يطلبون منه انعام الجلوس فارتفعت الاصوات فمنعهم الحاجب من الدخول على الخليفة فمالوا الى دار يونس وأخرجوا المقتدر من الحبس وحملوه على أعناقهم الى دار الخلافة فجلس على السرير وأتوا بأخيه محمد القاهر وهو يبكى ويقول الله الله يا أخى فى روحى فاستدناه المقتدر وقبله بين عينيه وقال يا أخى لاذنب لك وأنت مغلوب على أمرك والله لا ينالك منى ما تكره فطب نفسا وقر عينا ولما زال روعه آوى اليه أخاه وقال انى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون وبذل المقتدر الاموال للجند وأرضاهم من عنده (ثم عاد المقتدر ثالثا والثالثة ثابتة) فمن محاسن المقتدر انه أبطل من ديوانه استخدام أهل الذمة من اليهود والنصارى وأبطل تصرفاتهم فى الاموال وكان يفرق فى يوم عرفة كل عام من الابل والبقر أربعين ألف رأس ومن الغنم خمسين ألفا وكان يصرف فى كل سنة فى طريق مكة ولاهل الحرمين الشريفين ثلثمائة ألف دينار وخمسة عشر ألفا وانه ختن خمسة من أولاده فصرف فى ختانهم ستمائة ألف دينار وكان فى داره أحد عشر ألف غلام خصى غير الصقالبة والروم والسود وقدمت عليه رسل الروم فجعل مركبا لارهاب العدو وأقام مائة وستين ألف مقاتل بالسلاح وأقام بعدهم الخدم وهم ستمائة ألف خادم ثم الحجاب وهم سبعمائة حاجب وكانت الستور التى نصبت على الحيطان بدار الخلافة ثمانين ألف ستر من الديباج وكانت البسط الفاخرة التى فرشت اثنين وعشرين ألف بساط وكان من جملة ذلك مائة سبع فى سلاسل الذهب والفضة وهذا كله مع وهن الدولة العباسية وضعفها فكيف زينتها فى أيام قوتها فسبحان من لا يزول ولا يزال ولا يفنى ملكه ولا يعتريه زوال وفى أيامه ظهرت الطائفة الملحدة التى تسمى القرامطة لهم اعتقاد فاسد يؤدى الى الكفر أول من ظهر منهم أبو طاهر القرمطى وبنى دارا فى هجر وأراد نقل الحج اليها لعنه الله وأخزاه فكثر فتكه فى المسلمين وسفك الدماء وكثرت طائفته واشتدت شوكته حينئذ وجاء أبو طاهر القرمطى بعسكر جرار بآلات السلاح الى المسجد الحرام يوم التروية ووضعوا السيف فى الطائفين والمصلين وفى مكة وشعابها وقتلوا ما يزيد على ثمانين ألف انسان وركض أبو طاهر بسيفه مشهورا فى يده وهو سكران راكب فرسه ودخل الى المطاف الشريف فبالت فرسه وراثت وطلع الى باب الكعبة وهو يقول

أنا بالله و بالله أنا * يخلق الخلق وأفنيهم أنا

شررها وعم ضررها وهم قوم لا يحصون عددا ولا يحتاجون الى مدد بانهم فان معهم الاغنام والبقر والخيل ياكلون لحومها لا غير وأما خيلهم فانها تحفر الارض بحوافرها وتاكل عروق النبات ولا تعرف الشعير وأما ديانتهم فانهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولما حصل فى بغداد ما حصل انتقل أولاد الخلفاء العباسيين الى مصر فى زمن السلطان بيبرس لانها كانت بايدى اسلافهم ويقيمون فيها نوابا

وأقام بمكة أحد عشر يوما وقيل ستة أيام وقلع الحجر الاسود وحمله معه يريد ان يحوّل الناس الى مسجد ضرار واستمر الحجر الاسود عند القرامطة اثنتين وعشرين سنة الا أربعة أيام وهذه مصيبة من أعظم مصائب الاسلام وابتلى أبوطاهر النحس بأكلة فصار يتناثر لحمه بالدودومات أشقى ميتة بعد ان عذبه الله بانواع البلاء ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ولولا خوف الاطالة لذكرنا نبذة من أحوال القرامطة المناحيس فان وقائعهم مشهورة ولاجل ذلك اقتصرنا على ماذكر فكانت مدة خلافة المقتدر أولا وثانيا وثالثا خمسا وعشرين سنة وقتل لثمان بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة والله سبحانه وتعالى أعلم

(خلافة القاهر بامر الله محمد بن المعتضد)

بويع له يوم قتل أخيه وسنه اثنتان وخمسون سنة فاقام سنة وستة أشهر ثم خلع واكحل في جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وتوفى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة

(خلافة محمد الراضى بن المقتدر)

بويع له يوم خلع عمه محمد القاهر وسنه اثنتان وثلاثون سنة فاقام ست سنين وعشرة أيام وتوفى فى ربيع الاولى سنة تسع وعشرين وثلثمائة

(خلافة المكتفى ابراهيم بن المقتدر)

بويع له يوم مات الراضى وسنه ستون سنة فاقام سنتين واحد عشر شهرا واكحل فى صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة

(خلافة المستكفى عبدالله بن المكتفى)

بويع له يوم خلع المكتفى وسنه ست وأربعون سنة فاقام سنة واحدة وأربعة أشهر وخلع فى جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وتوفى سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة

(خلافة الفضل المطيع لله بن المقتدر)

بويع له يوم خلع المكتفى وسنه ثلاث وسبعون سنة وفى ايامه ردّ الحجر الاسود من هجر الى مكانه من البيت الشريف فكانت خلافته تسعا وعشرين سنة واربعة اشهر وخلع نفسه فى ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلثمائة

(خلافة عبدالكريم الطائع لله بن المطيع لله)

بويع له يوم خلع أبيه وكان مغلوبا عليه من قبل أمرائه وما كان له الا العظمة قال الشريف الرضى يخاطب الطائع

مهلا أمير المؤمنين فاننا * فى دوحة العلياء لا نتفرق

وجملة نوابهم سبع وخمسون لم نتعرض لهم خوف الاطالة المؤدية الى السآمة ومن جملة نوابهم أحمد ابن طولون فانه كان نائبا على مصر فى زمن خلافة المستعز سنة أربع وخمسين ومائتين ثم سطا على الخلفاء وادعى الخلافة لنفسه وانفرد بالخراج وحاربه الخليفة أشد المحاربة فلم يقدر عليه فخضع له وتركه وصار سلطانا بمصر وتحوّل من دار النيابة بقصر الشمع وبنى بناء بين مصر وجامعه وسماه القطائع وهو أول من تسلطن بمصر والشام

ما بيننا يوم الفخار تفاوت * أبدا كلانا فى السيادة معرق
الا الخلافة ميزتك فاننى * أنا عاطل منها وأنت مطوق

قيل ان الطائع لما بلغه ذلك قال على رغم أنف الرضى وقيل ان الرضى كان يوما عند الطائع وهو يعبث بلحيته و يرفعها الى أنفه فقال له الطائع أظنك تشم منها رائحة الخلافة فقال بل رائحة النبوّة وكان الطائع كبير الانف فقال الشاعر

خليفة فى وجهه روشن * خرشفه قد ظلل العسكرا
يهدى به يمشى على رجله * وأنفه قد صعد المنبرا

وأقام الطائع سبع عشرة سنة وتسعة أشهر وخلع نفسه سنة احدى وثمانين وثلثمائة

(خلافة أبى العباس أحمد القادر بالله بن المقتدر)

بويع له بالخلافة فى عاشر رمضان سنة احدى وثمانين وثلثمائة وكان فى غاية العبادة والفضل وصنف كتابا فى الرد على القائلين بخلق القرآن وعده ابن الصلاح من علماء الشافعية وذكره فى طبقاته وطالت مدته حتى بلغت احدى وأربعين سنة وأربعة أشهر وتوفى فى ذى الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة

(خلافة القائم بأمر الله عبد الله بن أحمد القادر)

بويع له يوم مات أبوه فاقام اربعا وأربعين سنة وثمان شهور وتوفى فى شهر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة

(خلافة المقتدى بأمر الله بن القائم بامر الله)

بويع له يوم مات جده وسنه سبع وستون سنة وكانت المبايعة بحضرة الامام الكبير أبى اسحق الشيرازى أحد أركان أئمة الشافعية رضى الله عنه وكان خيرا دينا من نجباء خلفاء بنى العباس ومن جملة صلاحه ان السلطان ملكشاه قصد ان يتحكم عليه فارسل اليه يقول له لا بد ان تترك بغداد وتذهب الى أى بلد شئت فارسل الخليفة له يتلطف فى ذلك فابى الا الشدة وغلاظة فقال لرسوله اسأله المهلة لى ولو شهرا فابى وقال ولا ساعة فارسل الى وزيره فاستمهله عشرة أيام فصار الخليفة يصوم النهار و يقوم الليل و يتضرع الى الله و يضع خده على التراب و يناجى رب الارباب فنفذ دعاؤه فى ملكشاه نفوذ السهم المسموم فى كبد الظالم من المظلوم فهلك ملكشاه قبل مضى عشرة أيام وعدّت هذه كرامة للخليفة المقتدى ورحم الله من قال

وكم لله من لطف خفى * يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم يسر أتى من بعد عسر * وفرج كربة القلب الشجى
وكم هم تساء به صباحا * وتأتيك المسرة بالعشى
اذا ضاقت بك الاحوال يوما * فثق بالواحد الاحد العلى

والفرات والمغرب وكان يشتغل بالعلم والحديث وصرف على الجامع المعروف به الآن مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار والنفقة برسم الصدقة كل يوم ألف دينار ورتب للعلماء وأرباب البيوت كل شهر عشرة آلاف دينار وتوفى ليلة الاحد لعشرين خلون من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين وكانت مدة سلطنته عشرين سنة وشهرين (وتولى بعده ولده خارويه) وبايعه الجند يوم الاحد لعشرين خلون من ذى القعدة

تمسك بالنبى فكل هم * يزول اذا تمسك بالنبى

وأقام فى الخلافة تسع عشرة سنة وخمسة أشهر وتوفى ثامن محرم سنة تسع وثمانين وأربعمائة

(خلافة المستظهر بالله هو أبو العباس أحمد)

بويع له بالخلافة يوم موت أبيه وسنه أربع وأربعون سنة وكان كريم الاخلاق حسن الخط لا يقاومه أحد فى الكتابة حافظا للقرآن عالما فاضلا وكانت مدة خلافته أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وتوفى لست بقين من ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وخمسمائة والله أعلم

(خلافة أبى الفضل منصور المسترشد)

بويع له بالخلافة يوم مات أبوه وسنه ثلاث وأربعون سنة وكان شجاعا عادلا مشغولا بالعبادة وحفظ القرآن والحديث وخرج الى قتال مسعود بن ملكشاه السلجوقى فلم يقاتل معه أحد وقاتل وحده الى ان قتل وكانت خلافته تسع عشرة سنة وقتل فى ذى الحجة سنة تسع وعشرين وخمسمائة

(خلافة أبى جعفر منصور الراشد بالله)

بويع له بالخلافة يوم قتل أبيه فاقام سنة واحدة وقبض عليه السلطان مسعود السلجوقى وخلعه من الخلافة يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة بقين من ذى الحجة سنة ثلاثين وخمسمائة والله أعلم

(خلافة المقتفى لامر الله وهو محمد بن المستظهر)

بويع له بالخلافة يوم خلع عمه وكان عالما شجاعا عاقلا قال فى الاكتفاء قال ابن الجوزى قرأت بخط الشيخ أبى الفرج بن الحسين الحداد قال حدثنى من أثق به ان المقتفى رأى فى منامه قبل ان يستخلف بستة أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول له سيصل اليك هذا الامر فاقتف بى فلقب المقتفى لامر الله فاقام خمسا وعشرين سنة وتوفى يوم الاحد لليلتين خلتا من ربيع الاول سنة خمس وخمسين وخمسمائة

(خلافة المستنجد بالله يوسف بن المقتفى)

بويع له يوم مات أبوه وسنه ثمانون سنة (يحكى) انه قبل ان يصير خليفة رأى فى منامه ان ملكا نزل من السماء فكتب فى كفه ثلاث خاآت فلما أصبح سأل المعبر بن عن منامه فقالوا له انك تلى الخلافة سنة خمس وخمسين وخمسمائة وكان كذلك فاقام أحد عشر سنة وتوفى تاسع ربيع الاول سنة ست وستين وخمسمائة ومن شعره فى بخيل

وباخل أشعل فى بيته * تكرمة لاجلنا شمعه

فما جرت من عينها دمعة * حتى جرى من عينه دمعه

سنة سبعين ومائتين فتعقب ما كان يفعله والده من الصدقات والمأكولات والرفاهية والهيبة وزاد على ذلك ثم قتل بدمشق على فراشه مذبوحا ذبحه بعض جواريه فى ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وحمل فى صندوق الى مصر فكانت ولايته اثنتى عشرة سنة وثمانية عشر يوما (وتولى بعده ولده أبو العساكر) فى عاشر ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وأقام ثمانية أشهر واثنى عشر يوما وقتل سنة ثلاث وثمانين

(خلافة المستضئ بنور الله هو محمد بن الحسن بن المستنجد بالله)

بويع له يوم وفاة والده وكان حسن السيرة كريم النفس اسقط المكوس فى ممالكه وكثر ثناء الخلق عليه وكان سنه اثنتين واربعين سنة وهو الذى خطب له صلاح الدين يوسف بن أيوب بمصر فاقام تسع سنين واشهرا وتوفى سنة خمس وسبعين وخمسمائة والله تعالى أعلم

(خلافة الناصر أحمد بن المستضئ بنور الله)

بويع له يوم مات أبوه وسنه تسع وستون سنه فاقام سبعا واربعين سنة وتوفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة وخطب له حتى بالصين والاندلس

(خلافة محمد الظاهر بن الناصر أحمد)

بويع له يوم مات أبوه بعهد منه فاظهر العدل والاحسان وابطل المكوس حكى عنه أنه فرق فى ليلة النحر على الفقهاء مائة ألف دينار فلامه الوزير على ذلك فقال دعنى أفعل الخير فانى لا أدرى كم أعيش فلم يلبث ان وافاه الله بالكيل الاوفى فعاش حميدا ومات سعيدا فكانت خلافته تسعة أشهر وتوفى فى سنة ثلاث وعشرين وستمائة الى رحمة الله تعالى

(خلافة أبى جعفر المستنصر بالله)

بويع له يوم مات والده فنشر العدل وبذل الانصاف وقرب أهل العلم والدين وبنى المساجد والربط وكانت خلافته سبع عشرة سنة وتوفى سنة تسع وثلاثين وستمائة

(خلافة المستعصم بالله بن المستنصر)

بويع له يوم مات أبوه وهو آخر خلفاء بنى العباس وبزواله زالت دولة بنى العباس كما جرت عادة الله بانقراض الدول ولله البقاء عزوجل وكان سبب زوالها استيلاء مماليكهم وأمرائهم عليهم وتفويض أمور المملكة اليهم وامتهانهم غاية الامتهان الى أن صاروا اسماء بلا مسميات وصورا هيولا يتصرف فيها بالمحو والاثبات ومن أعظم أسباب زوالها ان مؤيد الدين العلقمى كان وزير المستعصم وكان رافضيا مستوليا على المستعصم عدوا له ولاهل السنة يداريهم فى الظاهر وينافقهم فى الباطن وكان يريد ازالة الخلافة من بنى العباس واعادتها الى العلويين وطمس أهل السنة واطفاء نورهم وتقوية أهل البدع فصار يكاتب هلاكو ويطمعه فى ملك بغداد ويطالعه باخبارها ويعلمه كيفية أخذها ويخبره بضعف الخليفة وانحلال العسكر عنه وصار الوزير يحسن للمستعصم توفير الخزينة وعدم الصرف على العسكر فقطع أرزاقهم وشتت شملهم بحيث انه أذن مرة لعشرين ألف مقاتل أن يذهبوا الى أين أرادوا ووفر علوفاتهم فى الخزينة واظهر للمستعصم أنه وفر من علوفات العسكر أموالا عظيمة فى بيت المال فاعجب المستعصم رأيه وكان يحب

ومائتين (وتولى بعده أخوه أبو موسى هرون ابن خارويه) فاقام ثمانى سنين وثمانية أشهر وقتل سنة احدى وتسعين ومائتين (وتولى بعده شيبان بن أحمد ابن طولون فى عاشر صفر سنة اثنتين وتسعين فاقام اثنى عشر يوما فانكر عليه قواد هرون ابن خارويه وبعثوا الى محمد بن سليمان غلام أحمد بن طولون فجاء الى مصر فى عسكر عظيم وقبض على شيبان وألقى النار فى القطائع ونهب أصحاب الفسطاط واستباح الحريم وافتض الابكار وساق

المال ويجمعه ومايعلم أنه يجمعه لعدوّه

بيت مفرد يخبركم أنه ناصح * وفى نصحه ذنب العقرب

قال صلى الله عليه وسلم ثلاثة من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان (ومما يحكى) ان اعرابيا قال اللهم انى أعوذ بك ممن لا يلتمس خالص مودتى الا بالتقبع لمواقع مهوتى وقيل لفيلسوف ما الصديق فقال اسم على غير معنى حيوان غير موجود

مفرد لسانك لى حلو وقلبك علقم * وشرك مبسوط وخيرك ملتوى

مفرد اذا أنت فتشت القلوب وجدتها * قلوب أعاد فى جسوم أصادق

(ولبعضهم)

لى صديق لديه ودّ ونصح * غير ان الدفاع منه مله

فاذا ما سعى ليدفع عنى * فى الملمات صار عون المله

ليته كف خيره وأذاه * ورعى لى بذاك حقا وجمه

وقال الطغرائى رحمه الله من قصيدة

وبنو الزمان وان صفوا لك ظاهرا * يوما حووا لك باطنا مذوقا

وقال ايضا من قصيدة له

ومن يك أصله ماء وطينا * بعيد عن جبلته الصفاء

وقال الجنيد دخلت على السرى فقلت له أوصنى قال لا تكن مصاحبا الاشرار ولا تشتغل عن الله بمصاحبة الاخيار وكان بعض الاعراب يقول فى دعائه اللهم انى أعوذ بك من الصاحب الردىء وفى المعنى

قل للذى لست أدرى من تلوّنه * أناصح أم على غش يداجينى

تغتابنى عند أقوام وتمدحنى * فى آخرين وكل منك يأتينى

(وفى المعنى)

واخوان وثقت بهم فاضحى * أذاهم يعترينى كل حين

ولما أن أسأت الظن كفوا * فواعجباه من ظن يقينى

مفرد دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة * بل فى الشدائد تعرف الاخوان

(وقيل فى المعنى)

وزهدنى فى الناس معرفتى بهم * وطول اختبارى صاحبا بعد صاحب

فلم ترنى الايام خلا تسرنى * مباديه الا ساءنى فى العواقب

ولا قلت ارجوه لدفع ملمة * من الدهر الا كان احدى النوائب

(وما احسن قول أبى دلف)

هل رأينا أوسمعنا من نهى * رجلا عن سوء فعل فانتهى

النساء وأخرج بقية أولاد أحمد بن طولون وقوّادهم فى اهانة وذلة ولم يبق منهم أحد وخلت الديار منهم وكانت مدّة ولايتهم سبعة وثلاثين سنة وسبعة أشهر وعشرين يوما ثم عادت الدولة العباسية بمصر فى خلافة المكتفى فأرسلوا نوابهم الى مصر ومن جملة نوابهم محمد بن طفج الملقب بالاخشيد ثم تغلب على مصر وصار يدعى له على المنابر فاقام احدى عشرة سنة وثلاثة اشهر ومات سنة اربع وثلاثين وثلثمائة (وولى بعده

بل اذا عوقب فى سيئة * لم يدعها وتعاطى أختها

قال الكندى الاخوان على ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنها أبدا وطبقة كالدواء يحتاج اليها حينا دون حين وطبقة كالداء لا يحتاج اليه أبدا وقالوا الاصدقاء على ثلاثة مراتب العليا وهو الصديق الكريم ذو المروأة والمرتبة الوسطى وهو الصديق الحكيم ذو التجارب والمرتبة السفلى وهو الصديق العاجز وهو ان يتوجع لشكوالك فان خلا الصديق من احدى هذه المراتب كان وجوده وعدمه سواء بل عدمه خير من وجوده قال الشاعر

اذا كنت لا علم لديك تفيدنا * ولا أنت ذودين فنرجوك للدين

ولا أنت ممن يرتجى لكريهة * عملنا مثالا مثل شخصك من طين

(وقال الصفدى)

اذا كنت لا علم لديك تفيدنا * ولا أنت ذوجود فنرجوك للقرى

ولا أنت ممن يرتجى لكريهة * عملنا مثالا مثل شخصك من خرا

قال بعض الحكماء يجب على الملك ان لا يخلو من خمس معاقل يتحصن بها أولها وزير صالح يتحصن برأيه فى الشدة والرخاء وثانيها سيف قاطع يتحصن بحده وثالثها فرس سابق يتحصن بظهره اذا لم يمكنه الثبات ورابعها قلعة منيعة يتحصن بها اذا أحيط به وخامسها امرأة حسناء يحصن بها بصره وكان يقال عدوّك ضدك وحكم الضدين التنافر والتدابر والتنائى والتباين قال صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيوت والاماء هلاكها ومن كلام الحكماء كن على حذر من الكريم اذا أهنته ومن اللئيم اذا أكرمته ومن العاقل اذا أحرجته ومن الاحمق اذا مازحته ومن الفاجر اذا عاشرته وكان يقال اذا لم تجد من الخدم الا من ساء أدبه فاخدم نفسك ولا تستخدمه لانه يحمل قلبك من الاذى أضعاف ما يحمل عن بدنك بخدمته من العناء وكان يقال غفل من زعم انه يجد راحة اذا شارك فى سره غيره لغير ضرورة لان مشقة الاستبداد بالسر وترك المشاورة فيه أقل من مشقة الحسد فى انتشاره بسبب المشاركة وضعف مشقة الحذر وقال الطغرائى فى لاميته

و ياخبيرا على الاسرار مطلعا * اصمت ففى الصمت منجاة من الزلل

قال سيدنا عمرو بن العاص ما استودعت رجلا سرا علمت أنى لست أضيق صدرا منه حيث استودعته اياه وفى المعنى

اذا ما ضاق صدرى من حديثى * فأفشته الرجال فمن ألوم

وقد قيل لبنى أمية بعد ذهاب ملكهم ما الذى كان سببا فى زوال الملك عنكم فقالوا أقواها أننا اعتمدنا على المال واستهونا بالرجال فأخذ العدو مالنا وتقوى به علينا وأبعدنا الصديق وقربنا العدو فصار الصديق عدوا بالابعاد ثم ان

ابنه ابو القاسم) فاقيم كافور الخادم الاسود نائبا عنه فكان يدبر المملكة فاقام اربع عشرة سنة وعشرة أشهر وتوفى سنة تسع واربعين وثلثمائة (وتولى بعده أبو الحسن على ولد الاخشيد فأقام سنتين والكلام لكافور الاخشيدى ثم استقرت المملكة باسم كافور فكان يدعى له على المنابر فى الديار المصرية والشامية والحجازية وكان حسن السيرة فأقام سنتين وأربعة أشهر ومات سنة سبع وخمسين وثلاثمائة (وولى بعده أحمد بن على

المستعصم ومن معه لم يزل فى غفلته لاخفاء ابن العلقمى سائر الاخبار عنه الى أن وصل هلاكو الى بلاد العراق واستأصل من بها وتوجه الى بغداد فاستيقظ الخليفة من نوم الغرور وندم على فعلته حيث لا ينفعه الندم وجمع من قدر عليه وبرز الى قتال هلاكو فوقع المصاف والتحم القتال ووقع الطراد والنزال واستمر من اقبال الفجر الى ادبار النهار فعجزوا عن الاصطبار وانكسروا أشد الانكسار وولوا الادبار وما أغنى عنهم الفرار وغرق كثير منهم فى الدجلة وقتل أكثرهم أشر قتلة وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الخزائن والاموال وأسر المستعصم هو وأولاده وجماعته وأتى بهم الى هلاكو أسرى اذلاء فسبحان المعز المذل واستبقى هلاكو الخليفة الى أن احتوى على أمواله وخزائنه وذخائره ودفائنه ثم رمى رقاب أولاده وذريته واتباعه ومتعلقيه وأمر أن يوضع الخليفة فى غرارة ويرفس بالارجل الى أن يموت ففعلوا به ذلك وكانت مدة خلافة المستعصم سبع عشرة سنة ومات فى يوم الاربعاء رابع عشر ليلة خلت من صفر سنة ست وخمسين وستمائة وانما أزال الله ملكه وأهلكه حيث اتخذ بطانة سوء ومعلوم ان الله اذا أراد بملك سوأ قيض له قرناء السوء ولله درّ القائل

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى
اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى

ولم ينل ابن العلقمى ما أراده من نقل الخلافة لمن أراده وذاق من الشنار الذل والهوان وكان حسن لهم أن يقيموا خليفة علويا فلم يوافقوه وصار معهم فى صورة بعض الغلمان ومات كمدا لارحمه الله وعملت الشعراء قصائد فى بغداد فقال بعضهم

يادت وأهلوها معا فبيوتهم * ببقاء مولانا الامير خراب

(وقال بعضهم)

ياعصبة الاسلام نوحى واندبى * حزنا على ماتم للمستعصم
دست الوزارة كان قبل زمانه * لابن الفرات فصار لابن العلقم

ثم انتقلت الخلافة الى الديار المصرية فكان أول خليفة بمصر المستنصر ووصل الى مصر فى سنة خمس وخمسين وستمائة واجتمع بالملك الظاهر بيبرس واثبت نسبه عند قضاة الشرع وبايعه بالخلافة وأجرى له نفقة وليس له من الامر الا اسم الخليفة وأولاده من بعده على هذا المنوال يأتون الى السلطان الذى يريدون توليته ويقولون له وليناك السلطنة هكذا كانوا بالقاب الخلفاء واحدا بعد واحد وكانت سلاطين الاقاليم تتبرك بهم ويرسلون لهم أحيانا يطلبون السلطنة باللسان فيكتبون لهم تقليدا وكان آخر الخلفاء بمصر أبو عبد الله محمد بن يعقوب ولقبه المتوكل ولما دخلت الدولة العثمانية وفتحت مصر وزالت دولة الجراكسة وعاد مقر الدولة

الاخشيد) فاقام سنة واحدة وزالت دولة الاخشيدية وكانت مدة تصرفهم أربعا وثلاثين سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما

(الباب الثانى فى دولة الفواطم والدولة الايوبية والدولة التركية المعروفين بالمماليك البحرية ودولة الجراكسة) أما دولة الفواطم ويقال لهم العبيديون فسبب دخولهم مصر انه لما مات الامير كافور اضطربت أحوال الديار المصرية وطمعت أهل القرى

الشريفة القسطنطينية العظمى أخذ المرحوم السلطان سليم فاتح مصر الخليفة المذكور وجعله ركننا فلما توفى السلطان سليم الى رحمة الله تعالى عاد الخليفة المذكور الى مصر واستمر بها الى ان توفى فى ثامن عشر شعبان سنة خمسين وتسعمائة زمن المرحوم داود باشا وبموته انقطعت الخلافة العباسية وكان المتوكل هذا فاضلا أديبا له شعر جيد منه قوله مضمنا بيتا من لامية الطغرائى

لم يبق من محسن يرجى ولا حسن * ولا كريم اليه مشتكى حزنى
وانما ساد قوم غير ذى حسب * ما كنت أوثران يمتد بى زمنى

فرحم الله تلك الارواح الطاهرة ومتعها بالنظر الى وجهه الكريم فى الآخرة فلقد زالوا ومازالت أخبارهم تروى وأحاديثهم الحسنة على السنة الرواة لا تطوى وفى المعنى

كانوا ملوك الارض فى أيامهم * كبراء كل مدينة ومكان
فتمزقوا وتفرقوا فهنالكهم * تحت الثرى يبلون فى الاكفان
والله وارث كل حى بعدهم * وله البقاء وكل شئ فان

(الباب الرابع فيمن ولى مصر من نواب الخلفاء الراشدين وبنى أمية والدولة العباسية ومادا خلها من بنى طولون والاخشيدية)

أول من تقرر فى مصر واليا بعد فتحها عمرو بن العاص رضى الله عنه ذكر المقريزى فى خططه ان عمرو بن العاص فتح مصر يوم الجمعة سنة عشرين من الهجرة فاختط الفسطاط بنيانا وتولى نيابة مصر وأقليمها وهى طولا من العريش الى أسوان وعرضا من ايلة الى برقة ذكر فى فتوح مصر أن عمرو بن العاص أرسل الى سيدنا عمر بن الخطاب كتابا يذكر فيه ان الفلاحين يقف عليهم جملة مال فارسل سيدنا عمر بن الخطاب جوابا يعرفه فيه امابعد فانى أعلمك أيها الامير اذا كان زمن التخضير وكتبت عليهم سجلات بتقرير فلا تغير ما كتبت عليهم والحذر من ايصال المضرة اليهم فنحن القادرون عليهم فى الدنيا وهم خصماؤنا فى الآخرة وكل راع مسؤل عن رعيته واعلم ان الظلم باب لعن الله الداخل فيه والعدل شئ نعتمده ونغضبه فاقصد أمرنا ولا تخالف حكمنا وانا منك بعيد والله مطاع عليك وشهيد وقد اتصل بنا كتابك وأنت تذكر فيه ان الزراعين يقف عليهم جملة كثيرة من المال فلا تبع من مواشيهم شيئا فترديهم الى العدم وتحل بهم النقم واجعل على زراعتهم كل ثقة أمين واذا علمت انها محفوظة مضمونة فواسهم بشئ من المؤنة وجوز الايام تهون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وصرف عمرو بن العاص عن ولايته فى خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ثم تولى عبد الله بن أبى سرح من قبل سيدنا عثمان بن عفان وفى ولايته

في الجند فكتبت أعيان مصر الى الملك المعز الفاطمى فارسل اليهم جوهرا الصقلى القائد فى مائة ألف مقاتل فدخلوا مصر فى يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة فهرب أصحاب كافور واخذ جوهر مصر بلا ضرب ولا طعن فخطب للمعز يوم الجمعة على منابر الديار المصرية وسائر أعمالها وأمر المؤذنين بجامع عمرو وبجامع ابن طولون ان يؤذنوا بحى على خير العمل التى هى شعائر الخوارج فشق ذلك على الناس

فتحت الاسكندرية عنوة الفتح الثانى ومكث أميراعلى مصر المحروسة ولاية سيدنا عثمان بن عفان وكان محمودا فى ولايته وغزا ثلاث غزوات كلها لها شان وغزا افريقية وقتل ملكها جرجير وغزا غزوة الاساورة حتى بلغ دنقلة وغزوة الصوارى ولما جبى خراج مصر بلغ أربعة عشر ألف ألف دينار فنظر سيدنا عثمان بن عفان الى عمرو بن العاص وقال قد علمت ان اللقحة درت بعدك قال نعم ولكن أجاعت أولادها والذى جباه عبد الله بن أبى سرح انما هو على الجماجم خارجا عن الخراج وغيره من الاموال الديوانية ومات عبد الله بن أبى سرح بعسقلان فى رجب سنة خمس وثلاثين بعد أن استخلف عقبة بن عامر الجهنى فكانت ولايته احدى عشرة سنة ونصف سنة تقريبا والله أعلم * ثم تولى قيس بن سعد بن عبادة الانصارى من قبل سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه فاقام يسيرا ومات ثم تولى محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه من قبل الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه فوصل الى مصر فى نصف رمضان سنة سبع وثلاثين فهدم دور شيعة عثمان ونهب أموالهم وسجن ذراريهم فبلغ ذلك معاوية فبعث عمرو بن العاص فى جيوش أهل الشام الى مصر فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزم أهل مصر فدخل عمرو بن العاص الى مصر وتغيب محمد بن أبى بكر فظفر به معاوية بن حديج فقتله ثم جعله فى جيفة حمار وأحرق بالنار لاربع خلون من صفر سنة ثمانية وثلاثين فكانت ولايته خمسة اشهر ثم عاد عمرو بن العاص من قبل معاوية ابن أبى سفيان ثانيا وجعل له مصر طعمة ذكر المقريزى فى خططه ان عمرو بن العاص قال لقبط مصر من كتم كنزا عنده فقدرت عليه لاقتلنه وان قبطيا من أهل الصعيد يقال له بطرس ذكر لعمرو ان عنده كنزا فارسل اليه فسأله عنه فانكر وجحد فحبسه وصار يسأل عنه هل يسأل عن أحد فقالوا له لا ولكن سمعناه يسأل عن راهب فى الطور فارسل عمرو الى بطرس فنزع خاتمه ثم كتب الى ذلك الراهب ان ابعث لى بما عندك وختم الكتاب بختم بطرس فجاء المرسل بالكتاب بقلة شامية مختومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها مكتوبا مالكم تحت الفسقية الكبيرة فارسل عمرو الى دار بطرس وحبس الماء عن الفسقية فوجد فيها اثنين وخمسين أردب ذهب مضروبة فضرب عمرو رأس بطرس وأخذ المال جميعا فعند ذلك أخرجت القبط كنوزهم شفقة على أنفسهم وتوفى عمرو بن العاص ليلة عيد الفطر سنة اثنتين وأربعين وغسله عبد الله بن عمرو وأخرجه الى المصلى فلم يبق أحد شهد العيد الا صلى عليه فكانت ولايته منذ افتتح مصر الى ان صرف منها أربع سنين وشهرا ثم تولى عقبة بن أبى سفيان من قبل أخيه معاوية فى ذى القعدة سنة ثلاث وأربعين فاقام ستة اشهر ثم تولى عامر بن عقبة الجهنى من قبل معاوية

وما استطاعوا له ردا وأرسل بشيرا الى المعز يبشره بفتح الديار المصرية واقامة الدعوة له بها وطلبه اليها ففرح بذلك فرحا شديدا ولما دخل جوهر القائد مصر لم يعجبه مدينة الفسطاط فأخذ فى أسباب عمارة القاهرة بنية المفاخرة لبنى العباس بدنا ثم ببغداد فحفر أساس المدينة وجمع أرباب الفلك فامرهم أن يختاروا له طالعا سعيدا يضع أساس المدينة فيه فجعل على كل جهة من أساس المدينة قوائم من خشب وبين كل قائمتين

وصرف عنها فى شهر ربيع الاول سنة سبع واربعين وكانت ولايته سنتين واربعة
أشهر ثم تولى مسلمة بن مخلد الانصارى من قبل معاوية وتوفى فى ولايته سنة اثنتين
وستين بعد وفاة معاوية بسنتين فكانت ولايته خمس عشرة سنة وأربعة أشهر
ثم تولى سعيد بن يزيد بن علقمة الاسدى من أهل فلسطين من قبل يزيد بن
معاوية فقدم مستهل رمضان سنة اثنتين وستين الى ان عزل فى رجب سنة أربع
وستين فكانت ولايته سنة واحدة واحد عشر شهرا ثم تولى عبد الرحمن بن عقبة بن
جحدم من قبل سيدنا عبد الله ابن الزبير فوصل فى شعبان فاقام تسعة أشهر ثم تولى
عبد العزيز بن مروان من قبل أبيه فى رجب سنة خمس وستين فكانت ولايته
عشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوما ثم تولى عبد الله بن عبد الملك بن مروان
من قبل أبيه عبد الملك فى جمادى الآخرة سنة ثمانين وهو ابن سبع وعشرين
سنة وكانت ولايته أربع سنين وعشرة أيام ثم تولى قرة بن شريك العبسى من
قبل الوليد بن عبد الملك فى ربيع الاول سنة ست وتسعين واستخلف على الجند
عبد الملك بن رفاعة فكانت ولايته ست سنين الا اياما ثم تولى عبد الملك بن رفاعة
من قبل سليمان بن عبد الملك سنة ست وتسعين الى غاية صفر سنة تسع وتسعين
فكانت ولايته ثلاث سنين ثم تولى أيوب بن شرحبيل بن الصباح من قبل عمر بن عبد
العزيز فى ربيع الاول سنة تسع وتسعين ومات لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان
سنة احدى ومائة فكانت ولايته سنتين ونصفا ثم تولى بشر بن صفوان الكلبى
من قبل يزيد بن عبد الملك فى رمضان سنة احدى ومائة وفى ولايته استولت الروم
على تنيس فى شوال سنة اثنتين ومائة ثم تولى حنظلة بن صفوان وهو أخو بشر
المذكور باستخلاف من أخيه فاقره يزيد بن عبد الملك ولما بويع هشام بن عبد
الملك صرف حنظلة المذكور فى شوال سنة خمس ومائة فكانت ولايته ثلاث سنين
ثم تولى محمد بن عبد الملك بن مروان من قبل أخيه هشام فى شوال سنة خمس ومائة
فوقع الوباء بمصر فخرج منها ولم يلها الا نحوا من شهر ثم تولى الحر بن يوسف بن
يحيى بن الحكم من قبل عبد الملك فى ذى الحجة وفى ولايته رابط بدمياط ثلاثة أشهر
وصرف عن ولايته فى ذى الحجة سنة ثمان ومائة باستعفائه لمفاوضة بينه وبين عبد
الله بن الحبحاب فكانت ولايته ثلاث سنين ثم تولى الحفص بن الوليد الحضرمى
من قبل هشام بن عبد الملك ثم صرف بعد جمعتين يوم الاضحى بشكوى بن الحبحاب
ثم تولى عبد الملك بن رفاعة ثانيا فقدم فى المحرم سنة تسع ومائة ومات فى نصف
المحرم فكانت ولايته خمس عشرة ليلة ثم تولى الوليد بن رفاعة باستخلاف من أخيه
فاقره هشام بن عبد الملك فتوفى وهو وال فى جمادى الآخرة سنة سبع عشرة ومائة
فكانت ولايته تسع سنين وخمسة أشهر ثم تولى عبد الرحمن بن خالد باستخلاف من

حبلا فيه أجراس من
نحاس ثم وقف
الفلكية ينظرون
دخول الساعة الجيدة
والطالع السعيد
ليضعوا فيه الاساس
فقدر الله ان طائرا
حرك تلك الاجراس
فالقوا ما فى أيديهم
من الحجارة فى أساس
السور فصاحت عليهم
الفلكية القاهر فى
الطالع يعنون المريخ
فانه يسمى عندهم
القاهر فقال اعلموا
ان هذه المدينة أكثر
من يملكها الاتراك
وكان الامر كذلك
وبنى الجامع الازهر ثم
لما دخل المعز مصر
لم يعجبه ما بناه جوهر

الوليد فاقام سبعة أشهر ثم تولى حنظلة بن صفوان ثانيا من قبل هشام بن عبد الملك في المحرم سنة تسع عشرة ومائة فحصل بينه و بين القبط محاورة فبلغ ذلك هشام فصرفه عنها وولاه افريقية وخرج في ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائة فكانت جملة ولايته خمس سنين وشهرين ثم تولى حفص بن الوليد الحضرمي ثانيا من قبل هشام في شهر شعبان سنة اربع وعشرين ومائة ولما مات هشام استخلف من بعده ولد أخيه الوليد بن يزيد فاقام حفصا ثم صرف عنها في شوال سنة خمس وعشرين ومائة فكانت جملة تصرفه سنة واحدة وشهرين ثم تولى عيسى بن عطاء من قبل الوليد بن يزيد الى ان عزله مروان الاخير بن مروان الاول سنة ست وعشرين ومائة فكانت مدة ولايته خمسة أشهر ثم تولى حسان بن عتاهية من قبل مروان المذكور في المحرم وعزله في سنته ثم تولى حفص بن الوليد ثالثا على كره فاقام رجب وشعبان ثم عزل في المحرم سنة ثمان وعشرين ومائة ثم تولى حوثرة بن سهل بن عجلان الباهلي من قبل مروان المذكور في المحرم سنة ثمان وعشرين ومائة فاجتمع الجند على منعه فابى عليهم حفص فخافوا حوثرة وسالوه الامان فأمنهم ونزل ظاهر الفسطاط وقد اطمأنوا اليه فاخذ في طلب من كان سببا للفتنة فجمعوا له فضرب أعناقهم ثم صرف من ولايته في جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين ومائة وبعثه مروان الى العراق فقتل فكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر ثم تولى المغيرة بن عبد الله بن المغيرة من قبل مروان في شهر رجب سنة احدى وثلاثين ومائة وتوفي في جمادى الاولى سنة اثنتين وثلاثين ومائة فكانت جملة ولايته عشرة أشهر ثم تولى عبد الملك بن مروان من قبل مروان فكان آخر نواب دولة بني أمية وهي سنة احدى وثلاثين ومائة ولله البقاء

* (ثم جاءت الدولة العباسية سنة اثنتين وثلاثين ومائة) *

فكان أول نوابها بمصر صالح بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل أمير المؤمنين أبي العباس السفاح وقدم في المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة فقتل كثيرا من شيعة بني أمية وجهز طائفة منهم الى العراق فقتلوا ثم ورد كتاب من السفاح الى صالح المذكور بامارة فلسطين واستخلافه على مصر من يشاء ثم تولى أبو عون بن عبد الملك الجرجاني في مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائة فوقع وباء بمصر فهرب أبو عون من مصر واستخلف عكرمة بن عمرو وخرج الى دمياط سنة خمس وثلاثين ومائة ثم ورد كتاب من السفاح بولاية صالح بن علي ثانيا على مصر في ربيع الاول سنة ست وثلاثين ومائة ومات السفاح في ذي الحجة واستخلف أمير المؤمنين عبد الله المنصور فاقر صالحا على ولايته ثم صرف عنها فكانت جملة ولايته خمس سنوات ثم تولى أبو عون ثانيا من قبل المنصور في ربيع الاول سنة احدى وأربعين

القائد وعابه وقال لاي شيء لم تجعلها على البحر وكان قد سماها المنصورية أولا ثم لما بلغه ما وقع للفلكية غير الاسم وسماها القاهرة المعزية ولما استقر للمعز ملك مصر انفرد بها ولم يدخل تحت طاعة الخلفاء العباسية وقال أنا أفضل منهم لاني من ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثر المؤرخين يكذبونهم في ذلك ويقولون انهم أولاد الحسين بن محمد بن أحمد القداح وكان مجوسيا وقيل يهوديا وأمهم فاطمة بنت

ومائة ثم صرف عنها فكانت ولايته هذه ثلاث سنين وستة اشهر ثم تولى موسى بن كعب بن عيينة من قبل المنصور فى ربيع الآخر سنة احدى وأربعين ومائة فكانت ولايته ستة أشهر ثم تولى محمد بن الاشعث الخزاعى من قبل المنصور فى ذى الحجة سنة احدى وأربعين ومائة ثم صرف عنها فكانت ولايته ستة أشهر ثم تولى حميد بن قحطبة من قبل المنصور فدخل فى عشرين ألفا من الجند فى شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين ومائة ثم صرف فى ذى القعدة سنة ست وأربعين ومائة فكانت ولايته ثلاث سنوات وسبعة اشهر ثم تولى يزيد بن حاتم المهلب من قبل المنصور فى نصف القعدة سنة ست وأربعين ومائة وصرف عنها فى ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين ومائة فكانت ولايته سبع سنين وأربعة أشهر ثم تولى عبد الله بن عبد الرحمن من قبل المنصور فى ربيع الآخر وهو أول من خضب بالسواد وصرف عنها فى رمضان سنة أربع وخمسين ومائة فكانت ولايته سنتين وشهرين ثم تولى محمد بن عبد الرحمن بن معاوية باستخلاف من أخيه عبد الله فأقره المنصور ومات فى نصف شوال فكانت ولايته ثمانية أشهر ونصفا ثم تولى موسى بن على بن رباح باستخلاف من محمد بن عبد الرحمن ولما مات المنصور وبويع لولده محمد المهدى أقر موسى المذكور الى ذى الحجة سنة احدى وستين ومائة فكانت ولايته ست سنين وشهرين ثم تولى عيسى بن لقمان بن محمد الجمحى من قبل المهدى فى ذى الحجة سنة احدى وستين ومائة وصرف عنها فى جمادى الاولى سنة اثنتين وستين ومائة فكانت ولايته أربعة اشهر ثم تولى واضح مولى ابى جعفر من قبل المهدى فى جمادى الاولى سنة اثنتين وستين ومائة وصرف عنها فى رمضان من السنة المذكورة فكانت ولايته أربعة اشهر ثم تولى منصور بن زيد الرعينى وهو خال المهدى من قبل المهدى فى رمضان سنة اثنتين وستين ومائة وصرف فى نصف القعدة فكان مقامه شهرين وثلاثة أيام ثم تولى يحيى أبو داود من خراسان من قبل المهدى فى ذى الحجة سنة اثنتين وستين ومائة وكان أبو صالح كيامن أشد الناس واعظمهم هيبة واقدمهم على الحرب فمنع من غلق الدروب بالليل ومن غلق الحوانيت ومنع حراس الحمامات أن يجلسوا فيها وقال من ضاع له شئ فعلى أداؤه فكان الرجل يضع ثيابه فى الحمام ويقول يا أبا داود احرسها فاذا ضاعت يأتيه فيمهله يوما ثم يأتى بها ممن أخذها فكانت الامور على هذا المنوال واستمر الى المحرم سنة أربع وستين ومائة فكانت ولايته قريبا من سنتين ثم تولى ابراهيم بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس من قبل المهدى فى المحرم سنة خمس وستين ومائة وفى ولايته خرج دحية بن مصعب بن مروان بالصعيد ودعى لنفسه بالخلافة فتراخى ابراهيم ولم يحفل بامره حتى ملك عامة الصعيد فسخط عليه المهدى وعزله عزلا

عبيد اليهودى وخلافتهم باطلة لانهم قاموا والخلافة العباسية قائمة ببغداد ولا تصح البيعة بالخلافة لامامين فى وقت واحد ومبدأ ظهورهم بالمغرب المهدى بالله عبيد الله فى المهدية تولى بالمغرب خمسة وعشرين سنة وثلاثة أشهر ثم القائم بامر الله محمد تولى المغرب أيضا ثنتى عشرة سنة وسبعة أشهر ثم المنصور اسمعيل صاحب أفريقية تولى بالمغرب فأقام اثنتين وثلاثين سنة وأولهم بمصر المعز لدين الله تميم معد بن

قبيحا فى ذى الحجة سنة سبع وستين ومائة فكانت ولايته ثلاث سنين ثم تولى موسى ابن مصعب من قبل المهدى فى ذى الحجة سنة سبع وستين ومائة فتوجه بعسكره الى بلاد الحوف لقتالهم فلما التقوا انهزم أهل مصر باجمعهم وقتلوه من غير ان يتكلم وكان قتله فى شهر شوّال سنة ثمان وستين ومائة فكانت ولايته عشرة أشهر وكان ظالما غاشما سمعه الليث يقرأ فى خطبته انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها فقال الليث اللهم لا تمقتنا ثم تولى عصامة بن عمرو باستخلاف موسى بن مصعب وبعث الى دحية جيشا مع أخيه بكار فحارب يوسف ابن نصر وهو على جيش دحية فتطاعنا فوضع يوسف الرمح فى خاصرة بكار ووضع بكار الرمح فى خاصرة يوسف فقتلا معا ورجع الجيشان منهزمين واستمرا الى سلخ المحرم سنة تسع وستين ومائة ثم تولى على بن سنان بن على من قبل الهادى سنة تسع وستين ومائة ولما مات الهادى واستخلف هرون الرشيد أقر على بن يوسف المذكور فاظهر الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومنع الملاهى والخمور والكنائس المحدثة بمصر فبذلت النصارى فى عدم هدمها ما يزيد على خمسين ألف دينار فلم يقبل وكان كثير الصدقات فاثنت الناس عليه خيرا بل اشاعوا انه يصلح للخلافة فسخط عليه هرون وعزله فى ربيع الاوّل سنة احدى وسبعين ومائة ثم تولى عيسى بن موسى العباسى من قبل الرشيد فاذن للنصارى فى بناء الكنائس التى هدمها على بن سنان فبنيت بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن ابى لهيعة ثم صرف عن مصر سنة اثنتين وسبعين ومائة فكانت ولايته سنة واحدة وخمسة أشهر ونصف ثم تولى مسلمة بن يحيى البجلى من خراسان من قبل الرشيد ثم صرف عنها فى شعبان سنة ثلاث وسبعين ومائة فكانت ولايته أحد عشر شهرا ثم تولى محمد بن زهير الازدى من قبل الرشيد فى شعبان المذكور فثار عليه الجند ولم يستقم حاله فصرف عنها فى غاية ذى الحجة سنة ثلاث وسبعين ومائة فكانت ولايته خمسة أشهر ثم تولى داود بن يزيد بن حاتم المهلبى وقدم هو وابراهيم لاخراج الجند الذين قاموا على محمد الازدى فدخلا مصر فى المحرم سنة أربع وسبعين ومائة فاخرجا العسكر القديم الى الغرب واستقام الحال وسكنت الفتنة ثم صرف داود المذكور عن ولايته فى المحرم سنة خمس وسبعين ومائة فكانت ولايته سنة ونصفا ثم تولى موسى بن عيسى العباسى من قبل الرشيد فى شهر صفر سنة خمس وسبعين ومائة وصرف فى شهر صفر سنة ست وسبعين ومائة فكانت ولايته سنة واحدة ثم تولى ابراهيم بن صالح ثانيا من قبل الرشيد فى غرة ربيع الاوّل سنة ست وسبعين ومائة وتوفى فى ولايته فكان مقامه بمصر شهرين وثمانية عشر يوما وقام بعده بالامر ابنه صالح مع صاحب شرطته خالد بن يزيد ثم تولى عبد الله بن المسيب من قبل الرشيد سنة ست وسبعين فكشف أمر الخراج

المنصور بن القائم بامر الله بن المهدى صاحب المغرب بويع له بالمغرب بعد موت أبيه المنصور وكان رافضيا يبغض الصحابة ويسبهم يوم الجمعة على المنبر الا أنه كان عاقلا فاضلا أديبا حاذقا وفيه عدل للرعية وكانت مدة ولايته بمصر أربع سنين وشهرا ويومين (وتولى من بعده ولده العزيز بالله نزار) بويع له بالخلافة بعد موت أبيه المعز سنة خمس وستين وثلاثمائة وكان جوهر القائد يدبر له المملكة

وزاد على المزارعين زيادة أجحفت بهم فخرج عليه أهل الحوف فقاتلهم فقتل كثير من أصحابه فكتب الى الرشيد بذلك فجهز جيشا عظيما وبعثه الى الحوف فتلقوه بالطاعة وأذعنوا له وقاموا بالخراج كله ثم صرف عبد الله المذكور فى رجب سنة ثمان وسبعين ومائة فكانت ولايته سنتين وسبعة أشهر ثم تولى هرثمة بن أعين من قبل الرشيد فى شهر رمضان سنة ثمان وسبعين ومائة فأشار عليه الرشيد بالمسير الى افريقية فكان مقامه شهرين ونصفا ثم تولى عبد الله بن صالح العباسى من قبل الرشيد فلم يدخل مصر واستخلف عبد الله بن المسيب وصرف فى سلخ سنة ثمان وسبعين ومائة فكانت مدته شهرا واحدا ونصفا ثم تولى عبد الله بن المهدى من قبل أخيه الرشيد فى المحرم سنة تسع وسبعين ومائة فاستخلف ابن المسيب وصرف فى رمضان فكانت ولايته تسعة أشهر ثم تولى عيسى بن موسى ثالث مرة من قبل الرشيد فأرسل ابنه يحيى خليفة عنه فى رمضان سنة تسع وسبعين ومائة وصرف فى جمادى الآخرة سنة ثمانين ومائة فكانت ولايته تسعة اشهر ثم تولى عبد الله بن المهدى ثانيا من قبل أخيه الرشيد فقدم داود بن حباسة خليفة عنه فى جمادى الآخرة سنة ثمانين ومائة وصرف فى رمضان سنة احدى وثمانين ومائة فكانت ولايته سنة واحدة وثلاثة اشهر ثم تولى اسمعيل بن صالح العباسى من قبل الرشيد فى سابع رمضان المذكور فاستخلف عون بن وهب الخزاعى فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين ومائة فكانت ولايته تسعة اشهر ثم تولى اسمعيل بن عيسى العباسى سنة اثنتين وثمانين ومائة وصرف فى رمضان من السنة المذكورة فكانت مدته ثلاثة شهور ثم تولى الليث بن فضل من أهل بيروت من قبل الرشيد فى سابع رمضان من السنة المذكورة وقدم مصر فى شوال فجاءه المال والهدايا والتحف واستخلف أخاه الفضل وتوجه بالمال والهدايا الى الرشيد ثم عاد وتوجه ثانيا بالمال واستخلف هاشم بن عبد الله وكلما اغلق سنة وخرج من حسابها توجه بالمال الى الرشيد ومعه الحساب ثم صرف عن مصر فى جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين ومائة فكانت ولايته أربع سنين وسبعة أشهر ثم تولى أحمد بن اسمعيل العباسى من قبل الرشيد فى جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين ومائة ثم صرف فى رمضان سنة تسع وثمانين ومائة فكانت ولايته سنتين وشهرا ونصفا ثم تولى عبد الله بن محمد ابن ابراهيم العباسى من قبل الرشيد فى شوال سنة تسع وصرف فى شعبان سنة تسعين ومائة فكانت ولايته عشرة أشهر ثم تولى الحسين بن جميل من قبل الرشيد فى رمضان سنة تسعين ومائة وصرف فى ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين ومائة فكانت مدة ولايته سبعة أشهر ثم تولى دلهم الكلبى من قبل الرشيد فى ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين ومائة وصرف فى صفر سنة ثلاث وتسعين ومائة فكانت

كما كان فى زمن والده فأقام احدى وعشرين سنة وتوفى فى حمام بلبيس سنة ست وثمانين وثلثمائة (وتولى الحاكم بأمر الله) أبو على المنصور بن العزيز كان شر الخليقة لم يلى مصر بعد فرعون أشر منه رام أن يدعى الالوهية كما ادعاها فرعون فأمر الرعية اذا ذكر الخطيب اسمه على المنبر ان يقوموا اعظاما لذكره واحتراما لاسمه فكان ذلك فى سائر ممالكه حتى فى الحرمين الشريفين وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا كثير

ولايته عشرة أشهر ثم تولى الحسن التحتاح من قبل الرشيد فى ربيع الاول سنة
ثلاث وتسعين ومائة فمات الرشيد واستخلف ابنه محمد الامين فثار الجند ووقعت
فتنة عظيمة فجهز الحسن مال مصر فوثب أهل الرملة لاخذه فبلغ الحسن فسار
من طريق الحجاز لفساد طريق الشأم وكان سيره فى ربيع الاول سنة أربع
وتسعين ومائة فكانت مدة ولايته سنة واحدة ثم تولى الحاتم بن هو من قبل الامين
فى ربيع الثانى سنة أربع وتسعين ومائة وصرف فى جمادى الآخرة سنة خمس
وتسعين ومائة فكانت ولايته سنة واحدة وخمسة أشهر ثم تولى حاتم الاشعث
الطائى من قبل الامين وكان لينا فلما حدثت فتنة الامين والمامون قام السرى بن
الحكم عصبيا للمأمون ودعا الناس الى خلع الامين فاجابوه وبايعوه للمامون لثمان
بقين من جمادى الاولى سنة ست وتسعين ومائة واخرجوا حاتما الاشعث فكانت
ولايته سنة واحدة ثم تولى عبادة بن محمد بن حسان بن أبى نصر من قبل المامون
فى رجب سنة ست وتسعين ومائه فبلغ الامين ما كان بمصر فكتب الى ربيعة بن قيس
رئيس الحوف بولاية مصر وكتب الى جماعة تعاونه ببيعة الامين وخلع المامون
ولما قتل الامين صرف عبادة فى شهر صفر سنة ثمان وتسعين ومائة فكانت ولايته
سنة وسبعة أشهر ثم تولى المطلب بن عبد الله الخزاعى من قبل المامون فى ربيع
الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائة ثم صرف فى شوال فكانت ولايته تسعة
أشهر ثم تولى العباس بن موسى العباسى من قبل المامون فى القعدة سنة ثمان
وتسعين ومائة وعزل سنة تسع وتسعين ومائة ثم تولى المطلب ثانيا من قبل المأمون
فى المحرم سنة مائتين وعزل فى شعبان من السنة المذكورة ثم تولى السرى بن
الحكم من أهل بلخ من قبل المأمون فى مستهل رمضان سنة مائتين وتوفى
السرى المذكور سنة أربع ومائتين وهى السنة التى مات بها الشافعى رضى الله
عنه ثم تولى محمد بن السرى المذكور من قبل المأمون وتوفى فى شعبان سنة ست
ومائتين فكانت ولايته أربعة عشر شهرا ثم تولى عبيد الله بن السرى باجماع من
الجند وعزله عبيد الله بن طاهر من قبل المأمون فى ربيع الآخر سنة احدى
عشرة ومائتين ثم تولى عيسى بن يزيد الجلودى باستخلاف عبد الله بن طاهر الى
سابع عشر القعدة سنة ثلاث عشرة ومائتين ثم تولى الامير أبو اسحق بن
هرون الرشيد وهو المعتصم فاقر موسى على الصلاة فقط وجعل صالح بن شيراز
على الخراج فظلم الناس فحاربوه وقتلوا أصحابه فى صفر سنة أربع عشرة ومائتين
ثم تولى عمر بن الوليد التميمى باستخلاف أبى اسحق بن هرون الرشيد فخرج
لقتال الحوف فى ربيع الآخر سنة أربع عشرة ومائتين فكانت ولايته شهرين
ثم تولى عيسى الجلودى ثانيا باستخلاف أبى اسحق بن هرون الرشيد فحارب أهل

التلون فى أقواله وأفعاله وله أحكام مشهورة يمجها صاحب العقل السليم والطبع المستقيم وقبائح ينكرها العرف والشرع القويم حتى انه تعدى قهره الى أخته وأراد أن يفعل بها الفاحشة فعملت على قتله فركب ليلة الى الجبل المقطم ينظر فى النجوم فأتاه عبدان فقتلاه وحملاه الى أخته ليلا فدفنته فى دارها وذلك سنة احدى وأربعمائة فتصرف خمسا وعشرين سنة وشهرا واحدا وبنى الجامع المعروف به الكائن بالقاهرة

الحوف بالمطرية ثم انهزم فاقبل أبو اسحق فى أربعة آلاف من أتراكه فقاتل أهل الحوف وقتل اكابرهم وخرج الى الشام غرة المحرم سنة خمس عشرة ومائتين فى اتراكه ومعه الاسارى ثم تولى عبدويه بن جبلة من قبل أبى اسحق فاستمر الى غاية سنة خمس عشرة ومائتين وتوجه الى برقه ثم تولى عيسى بن منصور الرافعى من قبل أبى اسحق المذكور فى أول سنة ست عشرة ومائتين فاختلف عليه عرب مصر وقبطها فى جمادى الاولى من السنة المذكورة وخلعوا الطاعة فقاتلهم وقتل منهم جماعة فكانت حروبا عظيمة الى ان قدم عبد الله المأمون الى مصر سنة سبع عشرة ومائتين فسخط على عيسى وحل لواءه ونسب هذه الفتنة اليه ثم ان المأمون جهز الجيوش لاهل الفساد وسبى منهم من سبى وقتل منهم من قتل وان المأمون أراد الوقوف على حقيقة الاهرام ففتح ثلمة من الهرم الكبير الى ان انتهى الى عشرين ذراعا فوجد مطهرة فيها ذهب مضروب وزن كل دينار أوقيتان من أواقينا وكانت ألف دينار فتعجب المأمون من جودة ذلك الذهب وحسن حمرته وقال ارفعوا الى حساب ما انفقتموه على هذه الثلمة فرفعوه فوجدوه بازاء ذلك المال لايزيد ولا ينقص فتعجب من ذلك غاية العجب وقال كان هؤلاء القوم بمنزلة لاندركها نحن ولا أمثالنا ثم رحل المأمون لثمان عشرة ليلة من صفر سنة سبع عشرة ومائتين قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف فى أخبار مصر وعجائبها ان سوريد أحد ملوك مصر قبل الطوفان هو الذى بنى الهرمين الكبيرين العظيمين المنسوبين الى شداد بن عاد وسبب بنائهما انه قبل الطوفان بثلثمائة عام رأى سوريد فى منامه كان الارض انقلبت باهلها وكان الناس قد هربوا على وجوههم وكان الكواكب تتساقط ويصدم بعضها بعضا باصوات هائلة فراعه ذلك ولم يذكره لاحد وعلم انه سيحدث أمر عظيم ثم رأى بعد ذلك بايام ان الكواكب الثابتة نزلت الى الارض فى صورة طيور بيض وكانها تخطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين وكان الكواكب المنيرة صارت مظلمة مكسوفة فانتبه فزعا مرعوبا فامر عند ذلك بعمل الاهرام ولما شرع فى بنائها أمر بقطع الاسطوانات العظام واستخراج الرصاص من أرض المغرب واحضار الصخور من ناحية اسوان فبنى بها أساس الاهرام الثلاثة الشرقى والغربى والملون وكانوا يعدون البلاطة وينقبونها ويجعلون بوسطها قضيبا من حديد قائما ويركبون عليها بلاطة أخرى منقوبة ويدخلون القضيب فيها ثم يذاب الرصاص ويصب فى القضيب حول البلاطة الى ان كملت وجعل ارتفاع كل واحد من الاهرام مائة ذراع بالذراع الملكى وهو خمسة أذرع بذراعنا الآن وجعل طول كل واحد من جميع جهاته مائة ذراع بذراع العمل ولما فرغت كساها ديباجا ملونا من أسفلها الى أعلاها وأنشد بعضهم

فمابين بابى النصر والفتوح ولما بناه قصد قطع الخطبة بالجامع الازهر فقدر الله انه ماخطب به الا لولده من بعده (وتولى من بعده ابنه) أبو الظاهر لدين الله أبو الحسن على بن الحاكم وهو الرابع من الخلفاء العبيدية الفاطمية وكان عمره ست عشرة سنة فاقام مثلها وسبعة اشهر وفعل أفعالا تقرب من أفعال والده ومات يوم الاحد سنة سبع وعشرين واربعمائة (وتولى من بعده أبو أحمد المستنصر) بالله معد ابن الظاهر فاقام ستين

بعينيك هل أبصرت أعجب منظر * على طول ما أبصرت من هرمى مصر
أنافا بأكناف السماء وأشرفا * على الجو اشراف السماك على النسر

(وقال آخر)

خليلى ماتحت السماء بنية * تماثل فى اتقانها هرمى مصر
بناء يخاف الدهر منه وكل ما * على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر

وذكر القبط فى كتبهم ان عليها كتابة منقوشة باليونانى تفسيرها بالعربية اناسوريد الملك بنيت هذه الاهرام فى وقت كذا وكذا واتممت بناءها فى ست سنين فمن أتى بعدى وزعم انه ملك مثلى فليهدمها فى ستمائة سنة وقد علم ان الهدم أهون من البناء وأنا كسوتها عند فراغها بالديباج فليكسها بالحصر رجعنا الى ما نحن بصدده ثم ان المأمون ولى مصر بن عبد الله الصفدى المدعو كيدر ومات المأمون سنة ثمان عشرة ومائتين واستخلف المعتصم فاقر كيدر المذكور ثم مات كيدر المذكور فى ربيع الآخر سنة تسع عشرة ومائتين بعد ان استخلف ابنه المظفر ثم تولى ابن أبى العباس من قبل المعتصم فى مستهل رمضان سنة تسع عشرة ومائتين فكانت ولايته سنتين وأربعة أشهر ثم تولى كيدر بن عبد الله الصفدى من قبل المعتصم ولما مات المعتصم وبويع للواثق اقره الى شهر الحجة سنة ثمان وعشرين ومائتين ثم تولى عيسى بن منصور ثانيا من قبل الواثق سنة تسع وعشرين ومائتين ولما بويع للمتوكل صرف عيسى المذكور فى شهر ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ثم تولى منصور بن المتوكل من قبل أبيه المتوكل وضم اليه المشرق والمغرب واستمر الى سنة احدى وأربعين ومائتين فكانت مدته سبع سنوات ثم تولى يزيد بن عبد الله من قبل المتوكل فدخل مصر سنة اثنتين وأربعين ومائتين وهو الذى بنى المقياس الموجود الآن ولما مات المتوكل وبويع لمحمد المنتصر أقر يزيد المذكور ولما مات المنتصر وبويع للمعتز أقر يزيد المذكور وصرف عنها سنة اثنتين وخمسين ومائتين فكانت ولايته عشر سنوات ثم تولى أحمد بن مزاحم من قبل المعتز واستمر الى سنة أربع وخمسين ومائتين

سنة بتقديم السين المهملة على المثناة الفوقية وأربعة أشهر ولم يقم هذه المدة خليفة ولا ملك فى الاسلام قبله وحصل فى مدته غلاء عظيم لم يعهد مثله الا ما كان فى زمن يوسف عليه السلام فكث سبع سنين حتى اكل الناس بعضهم بعضا وبيع الرغيف الواحد بخمسين دينارا وخرجت امرأة بعقد جواهر وطلبت عوضه مد بر فلم تجد فألقته ومانت جوعا فلم يوجد من ياخذه وتوفى المستنصر سنة سبع وثمانين وأربعمائة وبعد موته صار

(الدولة الطولونية)

أولهم أحمد بن طولون تولى من قبل المعتز فى شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين ولما تولى مصر كان على خراجها أحمد بن المبرد وهو من دهاة الناس وشياطين الكتاب أهدى الى أحمد بن طولون هدايا قيمتها عشرة آلاف دينار وكان ابن طولون قد رأى عند أحمد بن المبرد مائة غلام قد انتخبهم وصيرهم عدة له وكان لهم حسن خلق وبأس شديد وعليهم أقبية ومناطق كبار عراض وبأيديهم مقارع غلاظ على طرف كل مقرعة مقمعة من فضة وكانوا يقفون بين يديه فى حافتى مجلسه فاذا

ركب ركبوا فى صدور الناس بين يديه فتصير له هيبة عظيمة فى قلوب الناس فتفطن ابن المبرد لقصد ابن طولون وقال من كانت هذه همته لا يؤمن على طرف من الاطراف نخافه وكره المقام معه بمصر واتفق مع سفيان الخادم صاحب أحمد ابن المبرد على مكاتبة الخليفة بازالة أحمد بن طولون فلم تكن غير أيام حتى بعث أحمد بن طولون الى أحمد بن المبرد يقول له قد كنت أعزك الله أهديت لنا هدية وقع الاستغناء عنها فرددناها عليك توفيرا ونحب أن تجعل العوض عنها الغلمان الذين رأيتهم بين يديك فانا اليهم أحوج منك فقال ابن المبرد لما بلغته الرسالة هذه أخرى أعظم مما تقدم ولم يجد له بدا من بعثهم اليه فتحولت هيبة أحمد بن المبرد الى احمد بن طولون ونقصت هيبة ابن المبرد بمفارقة الغلمان فكتب ابن المبرد الى الخليفة يحرضه على عزل ابن طولون فبلغه ذلك فكتم ذلك فى نفسه ولم يبده واتفق موت المعتز فى رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وأقام المهدى بالله ابن الواثق فاقر أحمد بن طولون وزاده أعمالا على مصر من جملتها الاسكندرية وتوجه ابن طولون الى الاسكندرية وتسلمها ولم يزل يستأصل الامور شيئا فشيئا الى ان قويت شوكته وعظمت عساكره وتغلب وصار سلطانا بمصر وتحوّل من دار النيابة بقصر الشمع وبنى بناء بين مصر وجامعه وسماه القطائع وهو أوّل من تسلطن بمصر وكان حكمه بمصر والشام والفرات والمغرب وكان يشتغل بالعلم والحديث وصرف على الجامع المعروف به الآن مائة ألف وعشرين ألف دينار والنفقة برسم الصدقة كل يوم ألف دينار ورتب للعلماء وأرباب البيوت كل شهر عشرة آلاف دينار ومما اتفق انه لما تساقطت النجوم فى أيامه راعه ذلك فاحضر من عنده من المنجمين والعلماء وسألهم فما أجابوا بشئ فدخل الجمل المصرى الشاعر وهم فى الحديث فانشد

قالوا تساقطت النجو * م لحادث فظ عسير
فاجبت عند مقالهم * بجواب محتنك خبير
هذى النجوم الساقطا * ت رجوم أعداء الامير

فتفاءل ابن طولون واستبشر وأمر له بخلعة سنية وصلة وقال للجماعة أف لكم أما كان فيكم من يحسن أن يقول مثل هذا وتوفى أحمد بن طولون ليلة الاحد لعشر بن خلون من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين ودفن خارج باب القرافة وكانت مدة سلطنته عشر بن سنة وشهر بن وخلف ثلاثة وثلاثين ولدا منهم سبعة ذكور وخلف من الذهب عشرة آلاف ألف دينار ومن المماليك عشرة آلاف ومن الغلمان أربعة وعشرين ألفا ومن الخيل عشرة آلاف ومن البغال والحمير ستة آلاف ومن الجمال عشرة آلاف ومن المراكب الحربية مائة مركب قيل انه رؤى فى

التصرف فى الامور لوزرائهم ولم يبق للفواطم من الخلافة سوى الاسم (وتولى من بعده المستعلى بالله) أبو القاسم ولد المستنصر المذكور فاقام سبع سنين وتوفى سنة خمس وتسعين وأربعمائة (وتولى من بعده الآمر باحكام الله) أبو على المنصور بن المستعلى تولى وعمره خمس سنين فاقام تسعا وعشرين سنة وسبعة أشهر الى أن قتل فى الروضة سنة أربع وعشرين وخمسمائة وكان رافضيا خبيثا فاسقا ظالما جبارا متظاهرا بالمنكرات فكانت مدة ولايته تسعا وعشرين سنة وشهرين (وتولى من بعده

المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال انما البلاء على من ظلم من لا ناصر له الا الله وما على رؤساء الدنيا أشد من الحجاب لطالب لانصاف وقال بعضهم كنت أرى شيخا يقرأ على قبره ثم تركه فسئل عن ذلك فقال كان له علينا بعض احسان فأحببت أن أصله بالقرآن فأتاني في المنام وقال لا تقرأ على شيئا فانه لا تمر آية الا قيل لي أما سمعت هذه فاقول لي والله تعالى أعلم * (ثم تولى بعده ولده خارويه وبايعه الجند) * يوم الاحد لعشر ين خلون من ذي القعدة سنة سبعين ومائتين فاقتفى ما كان يفعله والده من الخيرات والصدقات والمأكولات والرفاهية والهيبة وزاد على ذلك وأخذ الميدان وجعله كله بستانا وزرع فيه أنواع الرياحين وأصناف الشجر حكى انه شكى الى طبيبه كثرة السهر فاشار عليه بالتكبيس فانف وقال لا أقدر على وضع يد أحد على بدني فقال له اصنع لك بركة طولها عشرون ذراعا في عرض عشرين واملأها من الزئبق فانفق في ذلك أموالا عظيمة وجعل في أركان البركة سككا من فضة وجعل في السكك زنانير من حرير (٣) محكمة الصنعة وجعل فراشا من أدم يحشى بالريح حتى ينتفخ وينام على الفرش فصار يرمى ويتحرك بحركة الزئبق مادام عليه فكانت هذه البركة من أعظم ما سمع بها من همم الملوك وكان يرى لها في الليالي المقمرة منظر عجيب اذا تألف القمر بنور الزئبق ولقد أقام الناس بعد خراب البركة مدة يحفرون لاجل أخذ الزئبق من شقوق البركة ويبيعونه وبنى أيضا في داره دارا للسباع وجعل في كل بيت سبعا ولبوة وعلى تلك البيوت أبواب تفتح من أعلاها وكل بيت مفروش بالرمل وفي جانب كل بيت حوض من رخام يصب فيه الماء وكان من جملة هذه السباع سبع أزرق العينين يقال له زريق وقد أنس بخارويه وصار مطلقا بالدار لا يؤذى أحدا فاذا نصب خارويه مائدته أقبل زريق معها ووقف على يديه فيرمى اليه بدجاجة أو لحم أو غير ذلك مما على المائدة فيأكله وكان له لبوة لم تأنس كما أنس فكانت في مقصورة ولها وقت معلوم يجتمع معها فاذا نام خارويه قام زريق يحرسه فاذا نام على السرير رابعه زريق مادام نائما وان كان على الارض أقعى قريبا منه وينظر لمن يدخل أو يقصد خارويه ولا يغفل عن ذلك لحظة واحدة وكان قد ألف ذلك وكان في عنق زريق طوق من ذهب وكان لا يقدر أحد يدنو من خارويه مادام نائما لمراعاة زريق له وحراسته حتى أراد الله انفاذ قضائه وقدره في خارويه لما كان بدمشق وزريق بمصر فقتل اذ لا يغنى حذر من قدر ومما أفاده الكمال الدميري في حياة الحيوان ان للسبع أسماء كثيرة وكنى والمتكلمون على طبائع الحيوان يقولون ان الانثى لا تضع الا جروا واحدا فتضعه لحمة لا حس فيه ولا حركة فتحرسه ثلاثة أيام ثم يأتي أبوه بعد ذلك فينفخ فيه مرة بعد مرة فيتحرك ويتنفس ويتشكل ثم تأتي أمه فترضعه ولا يفتح

(٣) وجد في نسخة بعد قوله محكمة الصنعة وجعل أربع قرب منفوخة مربوطة أفواهها وركب عليها السرير وفرشوا فوقه وصار ينام عليه فجعل السرير يتحرك بحركة الزئبق وهذا مما يجلب النوم اه

الحافظ لدين الله عبد المجيد) فاقام تسع عشرة سنة وتوفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة (وتولى من بعده ولده الظافر بأعداء الله اسمعيل) فاقام أربع سنين وسبعة أشهر الى ان قتل بباب الزهومة سنة تسع وأربعين وخمسمائة وهو الذي عمر جامع الفكهانيين بالشوايين (وتولى من بعده الفائز عيسى بن الظافر وعمره خمس سنين) فاقام ست

عينيه الا بعد سبعة أيام من تشكله فاذا مضت عليه ستة أشهر اكتسب التعليم وله صبر على الجوع وقلة الحاجة الى الماء ما ليس لغيره من الحيوان ولا يأكل من فريسة غيره واذا شبع من فريسته تركها ولم يعد اليها ولم يشرب من ماء ولغ فيه الكلب ومع افراط شجاعته يفر من صوت الديك ونقر الطشت ومن السنور ويتحير عند رؤية النار ومتى وضع جلده على شئ من جلود السباع تساقط شعرها ومن علق عليه قطعة من جلده بشعرها أمن من الصرع قبل البلوغ فان أصابه الصرع بعده لم ينفعه ومن لطخ بشحمه جميع بدنه هربت منه السباع ولم ينله مكروه واذا أحرق شعره فى موضع هربت منه سائر السباع ولحمه ينفع الفالج واذا وضعت قطعة من جلده فى صندوق مع ثياب لم يصبها سوس ولا أرضة ومما يناسب ما تقدم من حراسة السبع ان شخصا مغربيا أخبرني شفاها فى سنة ثلاثين وألف ان شخصا من قرية من قرى جزائر الغرب ذكر له ان شخصا من أقاربه اجتاز ببعض الاودية فرأى جرو سبع مزرور العينين قدر القط فالتقطه وجاء به الى منزله وكانت زوجته مرضعة ومعها ولد فالقمت الجرو ثديها فرضعه واستأنس بها فصار الولد والجرو كالتوأمين ولما كبر الولد وانتشى وبقى له حركة فى المشى والدخول والخروج فكان الجرو يتبع الولد أينما سار وأينما نام ينام بازائه واذا سرح بغنمه يتبعه ويراعيه ويحرسه اذا نام الى أن صار الولد رجلا والجرو سبعا فقدر الله أن الولد عشق بنتا من بنات قرية قريبة لقريته فكان يتوجه لها ليلا وهو راكب السبع واذا اقترب من القرية التى فيها البنت يقول للسبع اجلس ههنا حتى أقضى مرادى وأعود اليك فيجلس السبع خارج القرية الى أن يعود اليه الولد فاتفق ان أهل البيت فطنوا بالولد المذكور فقبضوا عليه وقتلوه فاقام السبع ينتظره الى ان طلعت الشمس فلم يحضر فظن السبع أن الولد توجه الى أمه فكر راجعا الى منزل الولد فلم يجده فقالت أم الولد للسبع يا ميشوم أين صاحبك فذرفت عيناه بالدموع وكر راجعا على أثره للقرية التى كان بها الولد فقتل من أهلها فى ساعة واحدة ما يزيد على عشرين نفرا وكلما دخل السبع منزل الولد يجد امه تبكى فيعود الى القرية ويقتل من أهلها من يظفر به الى ان قتل جملة من أهلها ثم ان الذى بقى من القرية شكوا أمرهم لحاكم الولاية فاستشار الناس فى قتله فاشاروا عليه بانه لا يمكن قتله الا ان تحضر به أم الولد ويستأنس بها فاذا استأنس بها يضرب برصاصة فيقتل ففعل به ذلك وقتل السبع بهذه الحيلة رجعنا الى ما نحن بصدده من أمر خارويه فانه لما تكامل عزه وانتهى أمره توجه الى دمشق فقتل بها على فراشه مذبوحا ذبحه بعض جواريه فى ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وحمل فى صندوق الى مصر وكان له يوم عظيم ومن كلام الحكمة ان بطانة الرجل

سنين ونصفا ومات سنة خمس وخمسين وخمسمائة (وتولى من بعده العاضد عبد الله بن يوسف الحافظ) فاقام أحد عشر سنة وستة أشهر وخلع ومات سنة سبع وستين وخمسمائة وبموته انقطعت دولة الفاطميين ومدة تصرفهم مائتا سنة قرنان سنين وخمسة أشهر وقد طهر الله منهم البلاد وأراح منهم العباد (ثم جاءت الدولة الايوبية والكردية السنية أصحاب الفتوحات الذين جددوا الخطبة للعباسية وهم اكراد

واهله اذا خانوه فسد حاله فكانت ولايته اثنتى عشرة سنة وثمانية عشر يوما والله سبحانه أعلم (ثم تولى أبو العساكر بن خارويه) فى عاشر القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين بدمشق فسار الى مصر واشتمل على أمور منكرة وقتل فى جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين ومائتين فكانت ولايته ثمانية أشهر واثنى عشر يوما * (ثم تولى أبو موسى هرون بن خارويه) * فابتدأ باشتغاله باللهو واللذات فاجتمع عماه شيبان وعدى ابنا أحمد بن طولون على قتله فدخلا عليه ليلة الاحد عاشر صفر سنة احدى وتسعين ومائتين فقتلاه وكان سنه اثنتين وعشرين سنة وولايته ثمانية سنين وثمانية اشهر * (ثم تولى أبو المغازى شيبان بن أحمد) * ابن طولون فى عاشر صفر سنة اثنتين وتسعين ومائتين فانكر عليه قواد هرون بن خارويه وخالفوا شيبان وبعثوا الى محمد بن سليمان كاتب لؤلؤ غلام أحمد بن طولون فجاء الى مصر فى عسكر جرار فخاف شيبان وطلب الامان فامنه محمد بن سليمان وقبض عليه فى ثامن ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين ومائتين فكانت ولايته اثنتى عشر يوما ودخل محمد بن سليمان فى أوائل ربيع الاول المذكور فالقى النار فى القطائع ونهب أصحاب الفسطاط وكسر السجن وأخرج من فيه واستباح الحريم وافتض الابكار وساق النساء وفعل كل قبيح وأخرج بقية أولاد أحمد بن طولون وقوادهم فى اهانة وذلة ولم يبق منهم أحد وخلت منهم الديار وآلوا الى البوار فكانت مدة الدولة الطولونية سبعة وثلاثين سنة وسبعة أشهر وعشرين يوما فسبحان المعز المذل ولما خربت القطائع أنشد ابن هشام يقول

يا منزلا لبنى طولون قد دثرا * سقاك صوب الغوادى القطر والمطرا
بالله عندك علم من أحبتنا * أم هل سمعت لهم من بعدنا خبرا

ثم عادت الدولة العباسية بمصر فى خلافة المكتفى وفى ذلك يقول أحمد بن محمد

الحمد لله اقرارا وهبا * قد كان بالامس شعب الحى فانشعبا
الله أصدق هذا الفتح لا كذب * فسوء عاقبة حقا لمن كذبا
فتح به فتح الدنيا محمدها * وفرج الظلم والاظلام والكربا
لما أطال بنو طولون خطبهمو * بين الخطوب وعافت منهم الخطبا
هارت بهارون من ذكراك بقعته * وشتت الشمل شيبان وما رعبا
فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم * كانها من زمان غابر ذهبا

ثم تولى عيسى النوشرى من قبل المكتفى وقدم الى مصر فى سابع جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين ومائتين فتصرف خمس سنين وشهرين ونصفا الى أن توفى بمصر وحمل الى بيت المقدس ودفن به فى شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين ثم تولى تكين الحرورى من قبل المقتدى فى حادى عشر شوال سنة سبع وتسعين ومائتين وفى

وكانوا فى خدمة زنكى ثم فى خدمة نور الدين الشهيد وهو الذى أرسلهم الى مصر فأولهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب حضر مصر مع نور الدين الشهيد لما أرسل له العاضد الفاطمى يستعين به على الافرنج الذين حضروا الى مصر وأخذوا مدينة بلبيس وقتلوا وأسروا ثم راموا أخذ القاهرة فأمر شاور الوزير بحرق مصر والنقلة الى القاهرة فالتهبت النار فيها أربعة وخمسين يوما ثم لما توجه نور الدين الشهيد من الشام هرب الافرنج

ولايته حباسة بن يوسف من قبل عبد الله الفاطمى صاحب أفريقية واستولى
على برقة ثم سار الى الاسكندرية فى زيادة عن مائة ألف وذلك فى المحرم سنة اثنتين
وثلثمائة فقدمت العساكر من العراق مددا لتكين وبرزت العساكر فكانت
واقعة حباسة مشهورة قتل فيها آلاف من الناس ورد حباسة ولم يظفر بمراده
فكانت مدة تصرف تكين خمس سنين وشهرين وعزل آخر سنة اثنتين وثلثمائة ثم
تولى أبو الحسن زنكى الاعور الرومى من قبل المقتدر فى ثانى عشر صفر سنة ثلاث
وثلثمائة ثم ان المهدى صاحب أفريقية سير عسكرا صحبة أبى القاسم فدخل
الاسكندرية فى ثامن صفر سنة سبع وثلثمائة وفر الناس الى مصر برا وبحرا وخرج
زنكى الاعور والجند الى الجيزة وحفروا خندقا على العسكر فمرض زنكى ومات
فكانت مدة تصرفه أربع سنين وشهرا ودفن فى تاسع ربيع الاول سنة سبع
وثلثمائة ثم تولى تكين ثانيا فنزل الجيزة وحفر خندقا ثانيا وأقبلت مراكب الغرب
فظفر بها وقدم مؤنس الخادم من بغداد فى نحو ثلثمائة ألف فوقع بينه وبين
أصحاب المهدى حروب بالفيوم واسكندرية ورجع أبو القاسم تابع المهدى الى
برقة وأقام تكين سنة واحدة وشهرا ثم تولى هلال بن بدر من قبل المقتدى فبعث
الجند على هلال وكثر النهب والقتل والفساد بمصر فصرف عنها فى ربيع
الآخر سنة احدى عشرة وثلثمائة ثم تولى أحمد بن كيغلغ من قبل المقتدى فى
رجب سنة احدى عشرة وثلثمائة وعزل فى القعدة ثم تولى تكين ثالثا من قبل
المقتدى فى المحرم سنة اثنتى عشرة وثلثمائة فقتل المقتدى فى شوّال سنة عشرين
وثلثمائة وبويع لابى المنصور القاهر فأقر تكين الى أن توفى سنة احدى وعشرين
وثلثمائة وحمل الى بيت المقدس ودفن به فكانت ولايته تسع سنين وشهرا ثم تولى
الاخشيد واسمه محمد بن طنج الفرغانى المدعو أبا بكر من قبل القاهر فمكث اثنتين
وثلاثين يوما ثم تولى أحمد بن كيغلغ ثانيا من قبل القاهر فى شوّال سنة احدى
وعشرين وثلثمائة فأقام سنة واحدة وبويع للراضى بالله والله تعالى أعلم

(ذكر الدولة الاخشيدية)

ثم ان الاخشيد تغلب وأخذها قهرا عن الراضى فى سنة أربع وعشرين وثلثمائة
وقدم أبو الفتح بن جعفر بالخلع للاخشيد ووقع حروب انهزم بها اتباع أبى الفتح
الى برقة وساروا الى القائم بامر الله محمد بن المهدى بالمغرب وحضوه على أخذ مصر
ثم ورد كتاب من بغداد الى الاخشيد بالزيادة فى اسمه ودعى له بذلك على المنبر فى
رمضان سنة سبع وعشرين وثلثمائة ولما بويع للمتقى أقر الاخشيد ولما خلع
المتقى وبويع للمستكفى ودعى الطائع فأقر الاخشيد وتوفى الاخشيد فى
ثالث عشر الحجة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة فمدته احدى عشرة سنة وثلاثة أشهر والله

لما سمعوا اصواته وقتل الوزير شاور لانه كان الذى أطمع الافرنج فى المسلمين وأقام العاضد مقامه وزيرا ومات فأقام مقامه فى الوزارة يوسف صلاح الدين ولقبه بالملك الناصر فقام بالسلطنة أتم قيام وأجلى الافرنج من أرض مصر واستمر وزيرا للعاضد الى ان مات فتولى صلاح الدين السلطنة واستولى على قصر الفواطم بخزائنه فوجد فيه من الاموال مالا يحصى وشرع فى نصر أهل السنة وتوهين أهل البدعة

أعلم (ثم تولى أبو القاسم أحمد ولد الاخشيد) من قبل المطيع والكلام لكافور الاخشيدي وفي سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة وقع حريق بمصر في سوق البزازين وقيسارية العسل ودخل الليل والنار على حالها لم تتغير وبات الناس على خطر عظيم فركب كافور وأمر بالقداء من جاء بقربة أو كوز فله درهم فكان مبلغ ماصرف عشرة آلاف درهم وكان جملة ما احترق غير البضائع والاقمشة ألف وسبعمائة دار فأقام أبو القاسم أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وتوفي في ذي القعدة سنة تسع وأربعين وثلثمائة (ثم تولى أبو الحسن علي ولد الاخشيد) فأقام خمس سنين وشهرين والكلام لكافور الاخشيدي (ثم تولى كافور المكنى بابي المسك) الاخشيدي وكان خصيا اسود بيع بثمانية عشر دينارا وقد سبقت له من الله السعادة كما قيل في المعنى

واذا السعادة صادفت عبد الشرا * نفذت على ساداته أحكامه

تولى في صفر الخير سنة خمس وخمسين وثلثمائة وكان يعطي العطاء الجزيل حتى اتفق انه وقع في أيامه زلزلة فدخل محمد بن عاصم الشاعر فانشد قصيدته التي منها

مازلزلت مصر من سوء يراد بها * لكنها رقصت من عدله فرحا

فاجازه بالف دينار ومما اتفق أيضا ان رجلا دخل على كافور ودعا له فقال في دعائه أدام الله أيام مولانا وكسر الميم في أيام فتحدث جماعة من الحاضرين في ذلك وعابوه فقام رجل من وسط القوم وأنشد مرتجلا

لاغروان لحن الداعي لسيدنا * أوغص من دهش بالريق أو بهر

فتلك هيبة جاب جلالتها * بين الاديب وبين الفتح بالحصر

وان يكن خفض الايام من غلط * في موضع النصب لاعن قلة النظر

فقد تفاءلت من هذا لسيدنا * والفال نؤثره عن سيد البشر

بان أيامه خفض بلا نصب * وان أوقاته صفو بلا كدر

فاجازه كافور بجائزة عظيمة وهذه الجوائز التي حثت أحمد بن الحسين المتنبي الى المجيء الى كافور وقد مدحه أبو الطيب فقال

واخلاق كافور اذا ماشئت مدحه * وان لم تشأ تملي علي فاكتب

ذكر صاحب القاموس ان المتنبي خرج الى بني كلب وادعى انه حسني ثم ادعى النبوة فشهد عليه بالشام وحبس دهرا ثم استتيب وأطلق وكان المتنبي مع كثرة ماله وأخذه الجوائز العظيمة على جانب عظيم من البخل وكان يقف بين يدي كافور بخفين ومنطقة ويحضر سماطه ويجيء بصحبته غلام اسود ومعه قدور خزف يأخذ فيها فضلات الطعام حكى عنه انه طلب نداما ليعمل له جبابا فاقام عنده سبعة أيام فاعطاه سبعة قراريط من دينار فصعب عليه ذلك فقال له كم ظننت اني اعطيك فقال سبعة دنانير فقال المتنبي والله لو وضعت رجلا على طور

والانتقام من الروافض وكانوا أكثر من في أرض مصر يومئذ وعزل قضاة مصر لانهم كانوا [illegible] الاذان [illegible] العمل [illegible] وأول [illegible] سنة [illegible] وستين وخمسمائة ثم تحركت [illegible] الغز والافرنج [illegible] الله تعالى منهم ويسر فتح بلاد الشام [illegible] وفتح بيت المقدس سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة بعد استيلاء الافرنج عليه وعلى الخليل [illegible] وسبعين سنة وهدم ما أحدثوه من الكنائس وبنى

زيتا ورجلا على طورسينا وتناولت قوس قزح وقائمة العرش وندفت قطن الغمام على جباه الملائكة ما أعطيتك دينارا فضلا عن أن أعطيك سبعة دنانير وان المتنبى طالما امتدح كافورا بقصائد طنانة فمن غرر قصائده

فجاءت به انسان عين زمانه * وخلت عيونا خلفها وأماقيا
قواصد كافور توارك غيره * ومن ورد البحر استقل السواقيا

فاجازه كافور بجوائز عظيمة ومما اتفق ان المتنبى دخل على كافور فى وقت من الاوقات وطلب منه شيئا وكان الوقت غير لايق للطلب فحصل من كافور تراخ وتغافل فخرج من عنده مغضبا وهجاه فقال

من علم الاسود المخصى مكرمة * أباؤه السود أم أجداده الصيد
وذاك ان الفحول البيض عاجزة * عن الجميل فكيف الخصية السود
العبد ليس بحر صالح وأخ * لوانه فى ثياب الحر مولود
لاتشترى العبد الا والعصى معه * ان العبيد مناحيس مناكيد

روى عن وهب بن منبه انه قال اذا سمعت الرجل يمدحك بما ليس فيك فلا تامنه ان يذمك بما ليس فيك ومن عجيب ما اتفق للمتنبى مع عبد اسود لسعيد بن مهنا وهو ان العبد جاء الى عطار يطلب منه بضائع وكان المتنبى جالسا بحانوت العطار المذكور فقال العبد * هاذى البيضه فافل * وبذى البيضة حمضا فقال له المتنبى عبد من أنت فقال انى عبد سعيد وسعيد بن مهنا ثم ان العبد سأل العطار عن المتكلم وقال من هذا فقال له هذا المتنبى الشاعر فتقرب منه وقال

يانسمة الصك هبى * على قفا المتنبى
ويا قفاه تدانى * حتى تصير بقربى
وراحتى اصفعاه * طرطق وطرطق طبى
ان كنت أنت نبى * فالقرد لاشك ربى

فلم يجبه المتنبى وقال للعطار ان هذا العبد يموت بعد ثلاثة أيام لشدة حذقه فكان الامر كذلك رجعنا الى ما نحن بصدده من أخبار كافور حكى عنه انه كان جالسا فى بعض الايام على تخت ملكه وأرباب دولته وخدمه واقفون بين يديه فسمع سماعا باآلات مطربة وايقاع منسجم فحرك كتفه على ايقاع السماع ففطن به أرباب الدولة نخشى من انتقادهم عليه فاتخذها عادة الى ان مات ولا عجب فى ذلك فقد قيل لونزل زنجى من السماء لنزل على الايقاع وقيل اكلت السودان لحوم القردة فاورثهم الرقص والغالب على السودان من رجال ونساء التخلع والتصنع فى حركاتهم وجمعياتهم وعلى الخصوص اجتماعهم فى الافراح والزفاف ورقصهم على طبلهم وطنبورهم وذلك مستمر الى الآن بمصر من الجامع الصغير

موضع كنيسة منها مدرسة للشافعية وكان يقصدهم لكونه كان شافعيا وأبطل المكوس والمظالم وأخلى ما بين الشام ومصر من الافرنج ثم افتتح الحجاز واليمن وتسلم دمشق بعد موت نور الدين وفتح عسكره طرابلس الغرب وبرقة وتونس وخطب بها لبنى العباس وصار سلطان مصر والشام والحجاز واليمن والمغرب ولم يل مصر بعد الصحابة مثله كانت مجالسه منزهة عن اللغو والهزل كثير الذكر

قال صلى الله عليه وسلم اشتروا الرقيق وشاركوهم فى أرزاقهم وإياكم والزنج فانهم قصيرة أعمارهم قليلة أرزاقهم قال الشارح الاسود اغا هو لبطنه ان جاع سرق وان شبع فسق وقال جالينوس اختصت السود بعشر خصال تفلفل الشعر وخفة اللحا وفتح المنخرين وغلظ الشفتين وحدة الاسنان ونتن الجلد وسواد اللون وتشقق الكعاب وطول الذكر وكثرة الطرب ومدة تصرف كافور سنتان واربعة اشهر وتوفى فى عشرى جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثلثمائة ودفن بالقرافة وله قبر مشهور والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب *(ثم تولى أبو الفوارس أحمد بن على الاخشيدى)* وعمره اثنتا عشرة سنة فاقام سنة واحدة وزالت دولة الاخشيدية وكان مدة تصرفهم اربعا وثلاثين سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما

(الباب الخامس فى دولة الفواطم ويقال لهم العبيديون)

واختلف المؤرخون فى نسبهم وهم ينتسبون الى فاطمة الزهراء رضى الله عنها وطعنوا فيهم بانهم من أولاد الحسين بن محمد بن أحمد القداح وكان القداح مجوسيا وكان ابتداء ظهورهم عبيد الله بن المهدى وثانيهم المنصور وثالثهم المعز لدين الله وهو الذى انتقل من بلاد الغرب الى مصر وملكها من الاخشيديين وكان السبب فى ملكها انه لما مات كافور جهز جوهرا القائد بعسكر عظيم ومعه ألف حمل من السلاح ومن الخيل ما لا يوصف فملك مصر ذكر المقريزى فى خططه ان مصر قبل ان ينقل كرسى الامارة منها كان بها من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد وثمانية آلاف شارع مسلوك وألف ومائة وسبعون حماما وان حمام جنادة بالقرافة كان لا يتوصل اليه الا بعد عناء شديد من الزحام وكان قبالته فى كل يوم خمسمائة درهم وكان بها من الجهة الشرقية حمام من بناء الروم فدخله شخص وطلب صانعا يخدمه فلم يجد صانعا متفرغا وكان مع كل صانع اثنان أو ثلاثة فسأل كم فيها من صانع فاخبران بها سبعين صانعا أقل صانع معه ثلاثة سوى من قضى حاجته وخرج ثم طاف غيره فلم يجد من يخدمه الا بعد أربع حمامات وقيل ان الاسطال الذهب التى كانت تدلى من الطاقات المطلة على النيل وعلأ بها كان عدتها ستة عشر ألف سطل ولا يخفى ما مضى عليها الآن من الخراب ودثور الاماكن وان ماء النيل لا يتوصل الى الاماكن المطلة على النيل الا أوان الزيادة فسبحان الحى الذى لا يزال ملكه لا اله الا هو وان جوهرا القائد لما انتظم حاله ضاقت مصر بالجند والرعية فاختط سور القاهرة وبنى بها القصور وسماها المنصورية فلما قدم المعز الى مصر من القيروان غير اسمها وسماها القاهرة والسبب فى ذلك ان جوهرا القائد لما أراد رمى أساس السور جمع المنجمين وأمرهم أن يختاروا طالعا لحفر

محافظا على الصلوات فى الجماعة وما وجبت عليه زكاة لان الجهاد وصدقة التطوع استغرقا أمواله كلها ورحل بولديه العزيز والافضل لسماع الحديث من السلفى بالاسكندرية وهذا لم يعهد لسلطان من زمن هرون الرشيد فانه رحل بولديه الامين والمأمون لسماع الموطا من مالك بالمدينة وفى زمنه جاءت الافرنج الى ثغر دمياط بمائتى مركب مملوءة بالعساكر فسار اليهم صلاح الدين

الاساس وطالعا لرمى الحجارة فعملوا قوائم من خشب بعدما حفروا الاساس بين القائمة والقائمة حبل فيه أجراس وأمروا البنائين حال تحرك الاجراس أن يرموا مابايديهم من الطين والحجارة فوقف المنجمون لتحرير هذه الساعة وأخذ الطالع فاتفق وقوع غراب على خشبة من ذلك الخشب فظن الموكلون بالاجراس ان المنجمين حركوها فالقوا ما بأيديهم من الحجارة والطين فى الاساس فصاح المنجمون لالا القاهر فى الطالع فمضى ذلك وفاتهم ماطلبوه وكان الغرض أن يختاروا طالعا لايخرج البلد عن نسلهم فوقع ان المريخ كان فى الطالع وهو يسمى عند المنجمين القاهر فعلم ان الاتراك لابدأن يملكوا هذه البلدة وأقاموها فسماها القاهرة وغيراسمها الاول وبابى الله الا ما أرادوان جوهرا القائد دبر أرض مصر أربع سنين وبنى الجامع الازهر وكان نهاية بنائه فى سابع رمضان سنة احدى وستين وثلثمائة وتوفى المعز سابع ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة ودفن فى قصره بالقاهرة وكان أحضر صحبته توابيت آبائه واجداده ودفنهم فى قصره فمدة تصرفه فى القاهرة ثلاث سنوات والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى المعز أبو المنصور نزار بن المعز) فاقام احدى وعشرين سنة ونصفا وتوفى فى حمام بلبيس سنة ست وثمانين وثلثمائة والله أعلم ثم تولى الحاكم بامر الله أبو على المنصور وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا وكان يروم ان يدعى الالوهية كما ادعاها فرعون قال الشيخ عماد الدين بن كثير فى تاريخه كان الحاكم أمر الرعية اذا ذكر الخطيب اسمه على المنبر أن تقوم على أقدامهم صفوفا اعظاما لذكره المنحوس وكان يفعل ذلك فى سائر الممالك حتى فى الحرمين الشريفين وكانت أموره متضادة لانه كان عنده شجاعة وأقدام وجبن وأحجام ومحبة للعلماء وانتقام من العلماء وميل الى أهل الصلاح وقتلهم وكان عنده السخاء ويبخل بالقليل وقتل من العلماء مالا يحصى وأمر بسب الصحابة ومنع صلاة التراويح مدة ثم أباحها وكان يعمل الحسبة بنفسه فيدور فى الاسواق على حماره فمن وجده من البياعين وزن بخسا أوغش فى صنعته أمر عبدا أسود معه يقال له مسعود أن يفعل به الفاحشة العظمى فى وسط السوق وأمر أن يعلق فى أعناق النصارى الصلبان وأن يكون طول الصليب ذراعا وزنته خمسة أرطال وأمر أن يجعل فى أعناق اليهود الاجراس اذا دخلوا الحمام ليعرفوا من المسلمين وان يلبسوا العمائم السود وصنف له بعض الباطنية كتابا وكتب فيه ان روح آدم انتقلت الى علي وان روح على انتقلت الى الحاكم وقرئ هذا الكتاب فى الجامع الازهر بالقاهرة فقصد الناس قتل مؤلفه فسيره الحاكم الى جبال الشام واستمال الناس اليه وأعطاهم المال وأباح لهم الخمور والزنا حتى ان جماعة الى الآن يعتقدون رجوع الحاكم ولابدان يعود ويملأ الارض وتلك

بعساكر كثيرة من مصر وقاتلهم فانهزموا ورجعوا الى بلادهم وكانت مدة ولايته اثنتين وعشرين سنة وشهرين وتوفى سنة تسع وثمانين وخمسمائة بمحروسة دمشق وعمره سبع وخمسون سنة وقبره بها ظاهر يزار (ثم تولى من بعده ولده عثمان) وأعطيت دمشق لاخيه الملك الافضل على وحلب لاخيه غياث الدين غازى فأقام عثمان خمس سنين وعشرة أشهر ومات سنة خمس وتسعين وستمائة ودفن بداره فى القاهرة ثم نقل لتربة الامام

خيالات كاذبة وظنون فاسدة والكتاب بجمال الدروز الى الآن ذكر الامام الحافظ شمس الدين الذهبي في تاريخه ان الحاكم لما زاد ظلمه عن له ان يدعى الربوبية فادعى علم المغيبات فكان اذا صعد المنبر يقول فلان فعل في بيته كذا وكذا وأكل كذا وكذا او كان ذلك باتفاق اعتمده مع العجائز اللواتي يدخلن بيوت الامراء وغيرهم فرفعت اليه في أثناء ذلك رقعة مكتوب فيها

بالجور والظلم قد رضينا * وليس بالكفر والحماقه
ان كنت أوتيت علم غيب * بين لنا صاحب البطاقه

فلما رآها سكت عن الكلام في المغيبات وكان هو وأسلافه بمصر يدعون الشرف ويريدون بذلك الافتخار على بني العباس خلفاء بغداد ويقولون أبونا على وأمنا فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم وكان الحاكم يقول ذلك على المنبر وكانت الرقاع ترفع اليه وهو على المنبر فرفعت اليه رقعة فيها مكتوب

انا سمعنا نسبا منكرا * يتلى على السامع في الجامع
ان كنت فيما قلته صادقا * فصف لنا نفسك كالطابع
أو كان حقا كل ما تدعى * فاعدد لنا بعد الاب السابع
أو فدع الاشياء مستورة * وادخل بنا في النسب الواسع

فرماها من يده ولم ينتسب فيما بعد أقول وما عليه بعض الناس الآن وقبل الآن من الدخول في الانساب الشريفة والانتفاء من الانساب الخبيثة هذا مما لا يحتاج في دعواه الى بينة وقد شاهدنا كثيرا من الناس ممن هو ليس بشريف ولا أخذ الشرف لا عن أبيه ولا عن جده قد ادعوا الشرف وعلقوا على رؤسهم العصائب الخضر بل العمائم الخضر فقويت شوكتهم وزادت شرتهم وصار كل منهم يقول أنا من أبناء الرسول يقصدون بذلك الرفعة وهم في الحقيقة موضوعون فانا لله وانا اليه راجعون وفي المعنى

فتى لما رأى الانساب فخرا * تناول غير نسبة والديه
ويرضى ان يقال له شريف * ومن يرضى اذا كذبوا عليه

روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر بالله من تبرأ من نسب وان دق وادعى نسبا لا يعرف رواه أحمد والطبراني في الصغير وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادعى الى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادعى الى غير أبيه أو تولى غير مواليه لعنه الله والملائكة والناس أجمعون رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه وعن أنس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه

الشافعي قبل بناء القبة ثم تولى من بعده (الملك المنصور محمد بن عثمان) وهو الثالث من ملوك بني أيوب فأقام سنة واحدة وشهرين وعزل لصغره فانه ولي وعمره تسع سنين ثم وضع في السجن بقلعة الجبل حتى مات (وتولى من بعده عم أبيه أبو بكر ابن أيوب) سنة ست وتسعين وخمسمائة وهي السنة التي ولد فيها سيدي أحمد البدوي رضى الله تعالى عنه ولقب بالملك العادل ودعى له ولولده الكامل في الخطبة وفي زمنه

وسلم يقول من ادعى الى غير أبيه أو انتمى الى غير مواليه فعليه لعنة الله المتتابعة الى يوم القيامة وعن أبي بكر الصديق رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادعى نسبا لا يعرف كفر بالله ومن تبرأ من نسب وان دق كفر بالله رواه الطبراني في الاوسط ولولا خوف الاطالة في هذه العجالة لبسطت القول الى الغاية وفيما أوردناه كفاية والله أعلم وفى سنة ثمان واربعمائة ظهرت سمكة بدمياط طولها مائتان وستون ذراعا وعرضها مائة ذراع وكانت جميرالمح تدخل فى فيها محملة فتفرغ وتخرج ووقف خمسة رجال ومعهم المجاريف يجرفون الشحم من جوفها ويناولونه الناس وأقام أهل تلك النواحى مدة يأكلون من لحمها ذكر ذلك المقريزى فى خططه عند ذكر دمياط أقول اذا ضربت عرض هذه السمكة فى طولها بطريق المساحة فتبلغ ما قدره ستة وعشرون ألف ذراع فيكون ذلك ستة أميال ونصفا فان الثلاثة أميال فرسخ والميل ألف ذراع والبريد أربعة فراسخ فيكون طولها ثلاثة أرباع بريد فسبحان الخالق المصور لا اله الا هو وحكى انه كان فى زمن الحاكم بمصر رجل يسمى وردان وكان جزارا متعيشا بلحم الضأن وكان كل يوم تأتيه امرأة بدينار مصرى يقارب زنته دينارين ونصفا وتقول له أعطنى خروفا وتحضر معها حمالا بقفص فتأخذه وتروح الى ثانى يوم تأتى وتاخذ خروفا فكان كل يوم يكتسب منها دينارا فاقامت مدة طويلة على ذلك ففكر وردان ذات يوم فى أمرها وقال هذه امرأة كل يوم تشترى منى بدينار ما غلطت يوما بدراهم هذا أمر عجيب فسأل وردان الحمال فى غيبة المرأة فقال له انت كل يوم تروح مع هذه المرأة الى أين فقال له أنا فى غاية العجب منها كل يوم تحملنى الخروف من عندك وتشترى الحوائج والفاكهة والنقل والشمع بدينار آخر وتاخذ من شخص نصرانى مروقتين نبيذ وتعطيه دينارا وتحملنى الجميع الى بساتين الوزير ثم تعصب عينى بحيث انى لا أنظر موضع قدمى وتاخذ بيدى فما أعرف أين تذهب بى ثم تقول لى حط هنا وعندها قفص آخر فتعطينى الفارغ وتعود تمسك يدى الى الموضع الذى شدت عينى بالعصابة فيه فتحلها وتعطينى عشرة دراهم فقلت له الله يكون فى عونها وقد تزايد عندى الفكرة والوسواس وبت فى قلق عظيم فلما أصبحت أتتنى على العادة وأعطتنى الدينار وأخذت الخروف وحملته للحمال وراحت فاوصيت صبى على الدكان وتبعتها بحيث لا ترانى وأنا أعاينها الى ان خرجت من مصر وأنا أتوارى خلفها الى ان وصلت الى بساتين الوزير فاختفيت حتى شدت عينى الحمال وتبعتها من مكان الى مكان الى ان وصلت الجبل فوصلت الى مكان فيه حجر كبير وحطت عن الحمال وصبرت الى ان عادت بالحمال ورجعت فنزعت جميع ما كان بالقفص وغابت ساعة فاتيت ذلك الحجر فوجدته محاذيا بالطابق

انتقلت السلطنة من دار الوزارة بالدرب الاصفر الى قلعة الجبل فى سنة أربع وستمائة واول من سكنها الكامل نائبا عن أبيه ثم توفى العادل سنة خمس عشرة وستمائة فكانت مدته تسع عشرة سنة واربعين يوما (وتولى من بعده ولده الكامل أبو الفتح ناصر الدين محمد) فعمر قبة الامام الشافعى والمدرسة التى بين القصرين المعروفة بالكاملية واقام عشرين سنة وشهرين وتوفى سنة خمس وثلاثين وستمائة ودفن بدمشق وتولى

نحاس مفتوح ودرج داخله فنزلت الى تلك الدرج قليلا قليلا فوصلت الى دهليز طويل فمشيت فيه وهو كثير النور حتى رأيت صفة باب قاعة فارتكنت فى زوايا الباب فوجدت صفة بها سلالم خارج باب القاعة فتعلقت بها فوجدت صفة صغيرة بها طاقات تشرف على القاعة فتسلت على القاعة فوجدت المرأة قد أخذت الخروف وقطعت منه أطايبه وعملته فى قدر ورمت الباقى الى دب كبير عظيم الخلقة فاكله عن آخره وهى تطبخ فلما فرغت أكلت كفايتها ومدت الفاكهة والنقل ووضعت النبيذ وصارت تشرب بقدح بلور وتسقى الدب بطاسة من ذهب حتى انتشت فنزعت لباسها ونامت فقام اليها الدب فواقعها وهى تعاطيه من أحسن ما يكون لبنى آدم من الغنج والشهيق حتى أفرغ وجلس ثم وثب عليها ولم يزل كذلك حتى واقعها عشر مرات ووقع ووقعت وهما مغشيان عليهما لا يتحركان فقلت هذا وقتى وايش انتظر فنزلت ومعى سكين تبرى العظم فوجدتهما لا يضرب لهما عرق لما قد نالهما من الشدة فلم افتر دون ان جعلت السكين فى نحر الدب واتكيت عليه ففصلت راسه عن بدنه فبقى له شخير قلب المكان فانتبهت المرأة مرعوبة فرأت الدب مذبوحا وأنا واقف والسكين بيدى فزعقت زعقة ظننت ان روحها قد خرجت وقالت ياوردان هذا جزاء الاحسان فقلت لها ياعدوة نفسها عدمت الرجال حتى تفعلى هذا الفعل الذميم فاطرقت الى الارض لا ترد جوابا وتاملت الدب وقد نزعت رأسه فقالت ياوردان اما خير لك ان تسمع الذى أقول لك ويكون سبب سلامتك وغناك الى آخر الدهر او اهلاكك فقلت قولى قالت تذبحنى كما ذبحت هذا الدب وخذ من هذا الكنز حاجتك وروح فقلت لها أنا خير من هذا الدب فارجعى الى الله وتوبى وأنا اتزوج بك ونعيش باقى عمرنا بهذا الكنز فقالت ياوردان ان هذا بعده ما بقيت أعيش بعده والله لئن لم تذبحنى لاتلفن روحك فلا تراجعنى تتلف والسلام فقلت الى سقر وجذبتها بشعرها فذبحتها ووجدت من الذهب والفصوص واللؤلؤ والجواهر ما لا يقدر عليه أحد فاخذت قفص الحمال ووضعت فيه من الجواهر واليواقيت والذهب ما أطيق حمله وسترته بقماشى الذى كان على وطلعت ولم أزل سائرا الى باب مصر واذا بعشرة من رسل الحاكم والحاكم معهم فقال ياوردان قلت لبيك قال قتلت الدب والمرأة قلت نعم قال حط عن رأسك وطب قلبك فلك هذا لا ينازعك فيه أحد فوضعت القفص بين يديه فكشفه وراه وقال حدثنى حتى كانى حاضر فحدثته بجميع ما جرى وهو يقول صدقت ثم قال ياوردان قم سلم الى الكنز فاتيت به اليه فوجدت الطابق مغلقا فقال الحاكم شله ياوردان فقلت والله لا أطيقه فقال ياوردان ان هذا الكنز لا يقدر أن يفتحه أحد غيرك فهو باسمك يفتح قال فتقدمت

من بعده ولده (العادل أبو بكر) وعمره ثمان عشرة سنة فاقام سنة وشهرين وأياما وقيل أكثر ثم خلع وسجن سنة تسع وثلاثين وستمائة وقتل بعد ذلك ودفن عند الامام الشافعى (وتولى من بعده أخوه الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل) فاقام عشر سنين الا أربعة أشهر وبنى المدارس الاربعة بين القصرين وعمر قلعة بالروضة واشترى ألف مملوك واسكنهم بها وسماهم المماليك البحرية وهو الذى أكثر من شراء الترك وعتقهم

اليه وسميت الله تعالى ومددت يدى الى الطارق فانشال أخف ما يكون فقال الحاكم انزل وأطلع ما فيه فانه لا ينزله الا من هو باسمه وهذا على اسمك من حين وضع وقتل هؤلاء على يديك وهو مؤرخ عندى وكنت أنتظره حتى وقع قال وردان فنزلت فنقلت له جميع ما فى الكنز ودعى بالدواب وحمله وأعطانى قفصى بما فيه فأخذته وعمرت به السوق المعروف بسوق وردان وعاش وردان فى أرغد عيش وهذا اتفاق عجيب روى عن محمد بن يوسف بن يعقوب الكندى ان أبا عبيدة وردان مولى عمرو بن العاص كان روميا يقال انه من سبى أصبهان ويقال انه من روم أرمينية ويقال من روم الشأم ويقال من روم ترابلس الغرب حضر فتح مصر واختط دار عمر بن مروان واختط له دارا فى الفضاء وعمر بجانبها سوقا وعرف به فسار السوق يعرف بسوق وردان ومما يحكى عن الاصمعى انه قال كان عمرو بن العاص ذات يوم عند معاوية ومعه وردان مولاه فقال معاوية لعمرو ما بقى من لذتك يا أبا عبد الله قال محادثة أخ صديق مأمون على الاسرار ثم أقبل على وردان فقال وأنت يا أبا عثمان ما بقى من لذتك قال المتظرف وجه كريم أصابته نكبة فاصطنعت له فيها يدا حسنة فقال معاوية أنا أولى منك بذلك وقتل وردان بالبرلس سنة ثلاث وخمسين قتلته الروم فى خلافة معاوية بن أبى سفيان وعقبه بمصر ولعل وردان الجزار صاحب الكنز المتقدم ذكره من عقب وردان مولى عمرو بن العاص والله أعلم ذكر فى حياة الحيوان ان الدب يحب العزلة اذا جاء الشتاء ولا يخرج حتى يطيب الهواء واذا جاع مص يديه ورجليه فيندفع عنه الجوع ويخرج فى الربيع أسمن مما كان وفى طبعه فطنة عجيبة لقبول التاديب لكنه لا يطيع معلمه الا بعنف وضرب شديد ومن خواصه انه اذا ألقى نابه فى لبن المرأة المرضع وسقى للصبى نبتت أسنانه بسهولة وشحمه يزيل البرص طلاء واذا اكتحل بمرارته مع ماء الرازيانج وهو الشمار أذهب ظلمة البصر واذا حشى بشحمه الباسور نفعه قيل كان لبعض السلاطين ابنة أحبت عبدا اسود فافتض بكارتها وولعت بالنكاح فكانت لا تصبر عنه ساعة واحدة فشكت أمرها لبعض القهرمانات فاخبرتها بان لا شئ ينكح أكثر من القرد فاتفق ان جاء قراد تحت طاقتها بقرد كبير فاسفرت عن وجهها ونظرت الى القرد وغمزته بعينها فقطع وثاقه وطلع لها فاخبأته فى مكان عندها وصار معها ليلا ونهارا على أكل وشرب ونكاح ففطن أبوها بذلك وأراد قتلها فتزيت بزى المماليك وركبت فرسا وأخذت لها بغلا وحملته من الذهب والمعادن ما لا يوصف وحملت القرد معها الى أن وصلت الى مصر فنزلت فى بعض بيوت بالصحراء وصارت كل يوم تشترى من شاب جزار لحما لكن لا تاتيه الا بعد الظهر وهى مصفرة الوجه فقال

وتأميرهم وفى أيامه فى سنة سبع وأربعين هجمت الافرنج على دمياط فهرب من كان فيها وملكوها والملك الصالح مقيم بالمنصورة وقاتلهم فادركه أجله ومات فاخفت جاريته شجرة الدر موته وصارت تعلم بعلامته سرا وحمل من المنصورة الى القاهرة ودفن بقبة بنيت له بجوار مدرسته وساست شجرة الدر الناس أحسن سياسة وأعلمت أعيان الأمراء فارسلوا الى ابنه توران شاه واحضروه وكان بديار بكر فملكوه فركب فى عصائب

الجزار لابد لهذا الشاب من أمر فتبعه من حيث لايراه وهو يتوارى من محل الى محل الى أن وصل الى مكانه الذى بالصحراء فتسلق عليه من بعض جهاته فلما استقر الشاب بمكانه أوقد النار وطبخ اللحم وأكل منه كفايته وقدم الباقى لقرد كان معه فأكل القرد كفايته ثم ان الشاب نزع ثيابه ولبس ثيابا أخر مما يكون من ملابس النساء قال الجزار فعلمت انها أنثى ثم انها أحضرت خمرا وشربت منه وسقت القرد الى أن انتشيا وبعد ذلك اضطجعت للقرد فواقعها نحو عشر مرات حتى غشى عليها ثم ان القرد أسبل عليها ملاءة حرير وذهب الى محله ثم ان الجزار نزل الى وسط المكان فلما أحس به القرد أراد افتراسه فبادره بسكين كانت معه فقد كرشه فانتبهت الصبية فزعة مرعوبة فرأت القرد على هذه الحالة فصرخت صرخة كادت أن تزهق روحها ثم أفاقت وقالت للجزار ما حملك على ذلك لكن بالله عليك الا ما ألحقتنى به قال الجزار فلازلت ألاطفها وأضمن لها ان أقوم بما قام به القرد من كثرة النكاح الى أن سكن روعها وتزوجت بها وأقمت معها مدة فما صبرت على ذلك فشكوت أمرى لبعض العجائز وذكرت لها ما كان من أمرها فالتزمت لى بتدبير هذا الامر وقالت ائتنى بقدر واملأها من الخل البكر ورطل من عود القرح فاحضرت لها ما طلبته ثم علقت القدر على النار وألقت العود القرح على الخل الذى بالقدر وغلت تلك القدر غليانا قويا ثم أمرتنى بنكاح الصبية فنكحتها الى أن غشى عليها فحملتها العجوز وهى لاتشعر وجعلت فرجها على فم القدر فصعد دخانه الى داخل فرجها فنزل من فرجها شئ فى القدر سمع له حس ثم بعد ذلك نزل شئ آخر من فرجها فاذا هما دودتان احداهما سوداء والاخرى صفراء فقالت العجوز الدودة الاولى تربت من العبد والاخرى من القرد فلما أفاقت من غشوتها مكثت مدة لم تطلب النكاح فاعلمتها بالقضية وصرف الله عنها تلك الحالة ومكث الجزار معها فى أرغد عيش وأحسن معيشه واتخذت الصبية العجوز مقام والدتها ذكر فى حياة الحيوان ان القرد حيوان ذكى سريع الفهم وان ملك النوبة أهدى الى المتوكل قردا خياطا وآخر صائغا وهذا الحيوان شبيه بالانسان فى غالب حالاته فانه يضحك ويطرب ويتناول الشئ بيده ويقبل التلقين والتعليم ويألف الناس وله غيرة على الاناث وفى عجائب المخلوقات من تصبح بقرد عشرة ايام أتاه السرور ولا يكاد يحزن واتسع رزقه وأحبه الناس حبا شديدا ذكر القاضى ناصر الدين البيضاوى فى تفسيره فى قوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين روى ان الناهين لما أيسوا من اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم أحد من المعتدين فقالوا ان لهم لشأنا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا أنسابهم لكن

الملك وقاتل الافرنج وكسرهم وقتل منهم ثلاثين ألفا وأسر الفرانسيس ملك الافرنج وحبس مقيدا ووكل بحفظه طواشى يقال له صبيح وبقى أسيرا الى ولاية شجرة الدر فاتفقت مع الامراء على اطلاقه بشرط ان يردوا دمياط الى المسلمين ويعطوا ثمانية آلاف دينار عوضا عما نهب من دمياط ويطلقوا أسرى المسلمين التى بايديهم ففعلوا وأقام توران شاه فى المملكة شهرين ثم قتل وتولت من بعده شجرة الدر أم خليل سرية الملك

القردة عرفتهم فعلت تأتى الى أقاربهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاثة أيام (ويحكى) ان بعض الناس دخل على شخص ولى الوزارة فاظهر سرورا مفرطا حتى رقص وصفق بيديه ايهاما لغاية الفرح عليه فامر ذلك الوزير باخراجه واهانته فقال له بعض جلسائه ما جنيته فقال انما أراد قولهم * وارقص للقرد فى دولته * قال بعضهم

وارقص لقرد السوء فى زمانه * ودارهِ مادمت فى مكانه

ذكر فى كتاب رجوع الشيخ الى صباه اذا كان القمر فى الميزان يؤخذ فص كهرباء وزنه تسع عشرة شعيرة وينقش عليه صورة قرد جالس على قرا فيصه ماسك أحليله بيده الشمال وينقش حوله هذه الاحرف النارية وهى اه ط م ف ش ذ ثم يجعل الفص تحت لسانه عند الجماع فانه يرى عجبا من قوة الجماع * (وحكى) * فيه عن بعض الملوك أنه كان عنده ثلثمائة وستون جارية وكان لكل واحدة منهن يوم فى السنة قال فحضرن عنده ذات يوم باجمعهن وكان يوم عيد فصف الجميع بين يديه واستدعى بالشراب فشرب وسكر فغنى من جواريه من غنى ورقص من رقص وطاب المجلس فقال الملك لجواريه ويحكن تمنى على منكن كل واحدة ما فى نفسها بالغها مرادها فتمنت كل واحدة ما فى نفسها ما خلا واحدة منهن فانها قالت أيها الملك لا تقدر على ما أتمنى فاغتاظ الملك وقال تمنى قالت تمنيت عليك أن أشبع نكاحا قال فغضب الملك غضبا شديدا وأمر كل من فى القصر من الغلمان والمماليك ان يجامعها وكان عدة من جامعها ألف رجل ولم تشبع فاستدعى بعض الحكماء وقص عليه قصة الجارية فقال أيها الملك اقتل هذه الجارية والا أفسدت أهل بيتك فان هذه قد انعكست أحشاؤها فلو نكحت مدة حياتها ما شبعت ولا رويت وأكثر ما يعرض ذلك للجوار الروميات والنساء التى أعينهن زرق فانهن يحببن النكاح ذكر البيضاوى فى تفسيره فى سورة طه عند قوله تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة أسوأ ألوان العين وابغضها الى العرب لان الروم كانوا أعداءهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا فى العدو اسود الكبد أزرق العين (قيل) لمعافاة الاعرابية كم تعشقين فقالت

ثلاثون ألفا كل يوم أحبهم * وما فى فؤادى منهم واحد يبقى

قيل ان سقراط خرج مسافرا فرأى امرأة قد أخرجت معه فقال أما أنا فقد عرفت القرين فما بال هذه قالوا زنت وهى محصنة قال الآن قد جرتم فى القضية قالوا وكيف ذلك قال ليس العجب للمرأة كيف تزنى وانما العجب أن تعف لانها مخلوقة بطباع الشهوة (قال بعض الحكماء) ان الرجل كلما طعن فى السن ضعفت حركته وبطلت شهوته وعز نكاحه وقال جالينوس المرأة مخلوقة بخلاف طبع الرجل

الصالح الحسن سيرتها وجودة تدبيرها ودعى لها على المنبر بعد الدعاء للخليفة العباسى ونقش اسمها على الدراهم والدنانير ولم يل مصر فى الاسلام امرأة قبلها فاقامت فى المملكة ثلاثة أشهر ثم عزلت نفسها وتولى الملك الاشرف موسى بن الملك الكامل وكان يخطب له وللمعز أيبك التركمانى معا على المنابر لانه كان تولى قبله بخمسة أيام فقال الناس لابد من سلطان غير هذا يكون من بنى أيوب فارسلوا الى الاشرف واحضروه وسلطنوه

وقال غيره المرأة كلما طعنت فى السن تزايدت شهوتها وطلبت النكاح للذتها وقيل ان جماعة من اللصوص دخلوا بيتا يعتقدون ان فيه كسبا فلما دخلوا لم يجدوا شيئا سوى شيخ وعجوز وشاة مربوطة بالدار فندموا على عبورهم وقعدوا يتشاورون فيما يفعلون وقد خاب أملهم فقال بعضهم لبعض نذهب لغير هذا المكان ام كيف يكون العمل قال بعضهم نذبح هذا الشيخ والشاة ونشوى لحمها وناكله وننكح هذه العجوز باجمعنا الى وقت السحر هذا والشيخ والعجوز يسمعان كلامهم فقال الشيخ للعجوز سمعت ماقالوا قالت نعم قال وكيف يكون العمل قالت نصبر يارجل لقضاء الله تعالى قال أما أنت فتصبرين لمصلحتك وأنا والشاة ياعجوز النحس مانصبر قال فضحك اللصوص وخرجوا وتركوهما فانظر الى هذه العجوز من شدة شهوتها للنكاح لم تكترث بذبح زوجها ولا أشغلها ذلك عن بلوغ وطرها (قيل) تفاخرت قينة وعشيقها فقالت القينة حرى أنعم من كفى واحر من خفى أبيض نقى شفاف عريض السواعد والاكتاف أفطس أملس حامى نامى أصلع أفرع مؤاف من جنسين فردته الواحدة قدر ركبتين يمص الاير أنعم من لفة جوبر كافورى صرار ضيق دافئ عصار أكبر من عمامة قاضى قد ملأ ما بين افخاذى من عظمه فج سيقانى ومن قوة حركتى تحتك تطابق ماتلقانى مقبقب سمين غليظ الحافات قد جمع صفات السبع كافات يمص مص الكاس أحر وأحمى من كانون الهراس أدفأ من كساء فى زمن الشتاء فقال العشيق قد كشفت عن مكنون سرك واحسنت لكن حسبت شيا وغابت عنك أشياء أما تعلمين ان لى ايرا ماسعه حلق الزير أقوى من زنار وأطول من أشبار وأعظم من فيشلة حمار مجرد الراس يسد الانفاس كانه متراس قوى العروق يسد الحروق كان مجراه بوق وسع عشرين فولة مبلولة ان قام وصل الى السحاب وخرق الثياب ومرق من الباب كانه الاسد الوثاب ان حل هد وان دخل سد يخرج كما عبر ولا عند انتزاعه ينكسر شديد الرهزه يقوم من غمزه أطول من دكشاب ينفض شهوته مثل النشاب سالم من جميع العلل والآفات قد جمع صفات العشر كافات كما قال الشاعر

أنذ لىرياسامى حين يقتنا * ورأسك عن ذراعى مازول
وايرى كالعمود له عروق * تعرض فى قفاه وتستطيل

والعشر كافات كف وكوع وكوسوع وكتف وكاهل وكفل وكبد وكلى وكعب وكمرة (وفى المعنى مواليا) ايش قلت فى كس أنعم من فرا السمور احمر مورد يحاكى الجمر من البلور ضيق وعنده حراره تشبه التنور سالم من الشعر والعرعور والزنبور (الجواب) ايش قلت فى زب سميته عمود النور يصلح لهذا الذى أنعم من السمور ان قلت جاروف كان جاروف له التنور وان

ولم يعزلوا أيبك بل كانا شريكين وكان آخر الدولة الكردية الايوبية ومدة ولايتهم احدى وثمانون سنة ثم جاءت الدولة التركية مماليك الاكراد فى حدود خمسين وستمائة فاولهم المعز عز الدين أيبك التركمانى الصالحى فاقام ست سنين وتزوج شجرة الدر ثم تزوج بنت صاحب الموصل فغارت شجرة الدر فقتلته فى شهر ربيع الاول سنة خمس وخمسين وستمائة ثم حدثت أمور أدت الى قتلها فقتلت بايدى مماليك المعز وهو الذى بنى المدرسة المعزية

كان رصاع بكن رصاع للزنبور ومما يدل على قوة شهوة النساء ان الجارية يربيها أبوها صغيرة ويصونها كبيرة ولا تراعى هذه الحقوق مع وجود عقلها بل انها تختار من تريد لشهوتها وتصطفيه على أبيها للذتها وهى تعلم فرض حقوق الوالدين وكثير ممن تربت فى النعم الجليلة والعطايا الجزيلة تركت ذلك ونسيت الاوطان وسافرت البلدان ونكست العمائم وتجرأت على العظائم والقت نفسها للقتل كل ذلك متابعة لشهوتها وانها تتجمل بالحلى والطيب فتضع نفسها للنتن الوسخ الذفر القذر فترمى نفسها عليه وهذا مشاهد فى زماننا هذا فنسال الله العزيز الغفار الحليم الستار ان يسترنا فى ذريتنا انه على ما يشاء قدير ولقد أنصف من قال

احب بنتى بكل جهدى * تكون بنتى فى قعر لحدى

(وقال آخر)

أود بان بنتى باصحابى * تكون غدا ممددة بلحدى
وما هو بغضة فيها ولكن * مخافة ان تقاسى الذل بعدى
اذا عاشت وفاز بها اللئيم * فيلعن والدى ويسب جدى
وان يظفر بها رجل غنى * يرانى عنده فى زى عبدى
وان يك زوجها رجلا فقيرا * فيدفعها ويبقى الهم عندى
وان وافاه فى الآجال قصر * تجئ بعسكر من غير جندى
سألت الله يأخذها قريبا * وان كانت أعز الناس عندى

عدنا الى ما نحن بصدده من أمر الحاكم فلما أراد الله سبحانه وتعالى هلاك الحاكم وكان السبب فى ذلك انه أراد قتل أخته ستة الملوك وهم أن يرسل لها القوابل فانه بلغه ازالة بكارتها وقال لبعض قهرماناتها سمعت انكن تجمعن الجموع ويدخل اليكن الرجال ولا بد من قتلكن جميعا وكرر هذا القول فعلمت أخته أنه يقتلها لا محالة فاخذت فى تدبير الحيلة والعمل فى قتل أخيها وخرجت ليلا وأتت الى دار الامير يوسف سيف الدولة بن دواس وكان الحاكم قد عزم على قتله فدخلت عليه خفية واختلت به فعظمها واكرمها فقالت له أنت تعلم ما جرى من أخى فى سفك الدماء وقتل وجوه الدولة وقد صمم على قتلى وقتلك فقال لها كيف الحيلة فى قتله فقالت الراى عندى ان تجهز له رجالا يقتلونه عند خروجه الى حلوان فانه ينفرد بنفسه وأنت تكون المدبر لدولة ولده فاتفقا على ذلك ومضت الى قصرها فلما كان صبيحة النهار وخرج الحاكم على عادته وانفرد بنفسه فى الجبل المقطم وكان سيف الدولة قد أحضر له عشرة عبيد وأعطى كل واحد منهم خمسمائة دينار وعرفهم كيف يقتلونه فسبقوا الى الجبل وكمنوا فيه فلما أقبل خرجوا عليه

بر حبة الحناء وفى أيامه ظهرت النار بالمدينة المنورة وسارت هكذا وهكذا كانها الجبال واستمرت أكثر من شهر واحترق منها المسجد النبوى وكان صلى الله عليه وسلم أخبر عن ظهورها والماصفا الوقت لايبك وكثرت عساكره قبض على شريكه فى السلطنة وسجنه بالقلعة وانفرد وحده وكانت مدة ملكه سبع سنين ومدة شريكه سنة وشهرا (ثم تولى من بعده ولده الملك المنصور نور الدين على) الثانى من ملوك الترك وكان عمره نحو

وقتلوه بالقرب من حلوان فخرج الناس على عادتهم يلتمسون رجوعه ومعهم دواب الموكب فلم يأت ففعلوا ذلك سبعة أيام ثم خرجوا ثامن يوم فى طلبه فبينما هم كذلك اذ أبصروا حماره الاشهب المدعو بالقمر قد قطعت يداه وعليه سرجه ولجامه فاتبعوا أثره الى ان انتهى الى القصبة التى شرقى حلوان فنزل رجل فوجد ثيابه وهى مزرورة وفيها آثار السكاكين وكان ذلك فى سادس شوال سنة احدى عشرة واربعمائة وتصرف خمسا وعشرين سنة وشهرا وبنى فى مصر الجامع المعروف به الكائن بالقاهرة فيما بين بابى النصر والفتوح وهو الموجود الآن ولما بناه قصد قطع الخطبة من الجامع الازهر فقدر الله انه لم يخطب فيه الا ولده وأنشد بعض الادباء مواليا فى الجامع المذكور فقال

جامع الحاكم اسمع قول ياسامع * انا الذى قد ظهر نورى يضى لامع
لوئل الذكر انى للعدا قامع * والنصر والفتح عمرى بينهم جامع

(ثم تولى الظاهر أبو الحسن على بن الحاكم) فأقام خمس عشرة سنة وثمانية شهور وتوفى بالقنطرة بتكة القس سنة سبع وعشرين واربعمائة (ثم تولى المستنصر بالله أبو تميم بن الظاهر) فاقام سنة واربعة اشهر وفى زمنه سنة سبع وخمسين واربعمائة حصل بمصر غلاء شديد وعم مع الغلاء وباء شديد فاقام سبع سنين والنيل يمد وينزل فلم يوجد من يزرع وانقطعت الطرقات برا وبحرا وآل الامر الى ان بيع الرغيف من الخبز الذى وزنه رطل باربعة عشر درهما وبيع الاردب القمح بثمانين دينارا واكلت الناس الكلاب والقطط ثم تزايد الحال الى ان اكلت الناس بعضهم بعضا ذكر ذلك المقريزى فى خططه ثم توفى المستنصر فى شهر ذى الحجة سنة سبع وثمانين واربعمائة وفى أيامه فى سنة خمس وثمانين واربعمائة بنى أمير الجيوش بدر الجمالى الارمنى باب زويلة الموجود الآن (ثم تولى المستعلى بالله أبو القاسم أحمد بن المستنصر) وكان الكلام فى مملكته للافضل أمير الجيوش ابن البدر الجمالى المذكور وهو الذى بنى الجيوشى بسفح المقطم وبنى جامع الجيزة وكان المستعلى سنيا وفى أيامه أخذت الافرنج بيت المقدس فى ضحوة يوم الجمعة سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة وكانت مدة المستعلى سبع سنين وتوفى سنة خمس وتسعين واربعمائة (ثم تولى الآمر باحكام الله أبو على المنصور بن المستعلى) وفى أيامه بنى الجامع الاقمر فكانت مدته تسعا وعشرين سنة وثمانية أشهر الى ان قتل بالجيزة سنة أربع وعشرين وخمسمائة (ثم تولى الحافظ لدين الله عبد المجيد) فاقام تسع عشرة سنة وسبعة اشهر وتوفى سنة اربع واربعين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الظافر باعداء الله اسماعيل بن الحافظ) وفى أيامه عمر الجامع المعروف بالفاكهانى داخل باب زويلة الموجود الآن وهو عامر

خمس عشرة سنة فاقام سنتين وثمانية اشهر ثم حبس وأمر قطز المعزى لصغره وعدم صلاحيته لقتال التتار وتملك مكانه ولقب بالملك المظفر قطز المعزى فلم يلبث ان جاء رجل وبيده كتاب فيه من ملك الملوك شرقا وغربا الخاقان العظيم هلاكوخان ووصف نفسه باوصاف عظيمة وسطوة شديدة وفيه يا أهل مصر لا تقابلونى فانه ليس لكم قدرة على ملاقاتى فصونوا دماءكم ولا تكونوا مثل أهل بغداد وأهل حلب وغيرهم وقد كان

مقام الشعائر الاسلامية قيل ان السبب فى عمارته ان محله كان مجزرة يذبح فيها الاغنام وبوسط المجزرة حفرة يجتمع فيها ماء من غسالة الذبائح وكان لامير من أمراء الظافر بيت مجاور للمجزرة المذكورة وبه محل مشرف على تلك المجزرة فجاء جزار بخروفين فذبح الاول وشرع يذبح الثانى فطرق طارق باب المجزرة فوضع الجزار سكينه عند الخروف الذى لم يذبح وتوجه للباب ينظر طارقه فأخذ الخروف السكين بفمه وألقاها فى بركة الماء فاتفق ان الامير رب البيت المذكور كان جالسا بالمكان المشرف على المجزرة وهو ينظر أخذ الخروف السكين والقاءها فى الماء فلما جاء الجزار لم يجد سكينه فاراد ان يذبح الخروف بسكين كانت معه فقال له الامير أمسك يدك ولا تذبح الخروف فتوجه الامير الى الظافر وأخبره بذلك فتعجب ثم استأذنه فى عمارة المجزرة جامعا فاذن له فعمره فكانت مدة تصرف الظافر أربع سنين وسبعة أشهر الى ان قتل بدار الوزارة المعروفة بالسيوفية الموجودة الآن بباب الزهومة سنة تسع واربعين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (ثم تولى الفائز عيسى بن الظافر باعداء الله) وعمره خمس سنوات وفى أيامه تولى الوزارة الملك الصالح صلاح بن أزبك الذى بنى الجامع خارج باب زويلة فاقام الفائز ست سنوات ونصفا ومات سابع رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (ثم تولى العاضد عبد الله بن يوسف الحافظ) فاقام احدى عشرة سنة وستة أشهر وخلع ومات فى حادى عشر المحرم سنة ستة وستين وخمسمائة وبموته انقطعت دولة الفاطميين كما انقطعت دولة من قبلهم ومدة تصرفهم بمصر مائتا سنة وثمان سنين وخمسة أشهر ولله در القائل

وبادوا جميعا فلا مخبر * وماتوا جميعا وصح الخبر
فمن كان ذا عبرة فليكن * فطينا فنى من مضى معتبر

(الباب السادس فى الدولة الايوبية السنية أصحاب الفتوحات أولهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب)

وكان سلطانا مهابا منّ الله عليه بالفتوحات ومكنه من الكفار الفجار ومن أعظم فتوحاته بيت المقدس فتحه يوم الجمعة ثالث عشر رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة بعد ان استولت الافرنج عليه احدى وتسعين سنة ومنها فتح الشام كلها واستنقاذها من أيدى الافرنج ذكر صاحب الانس الجليل فى فضل الخليل ان السلطان صلاح الدين لما فتح حلب مدحه محيي الدين زكريا قاضى دمشق بقصيدة منها

وفتحكم حلبا بالسيف فى صفر * مبشر بفتوح القدس فى رجب

فكان كما قيل وهذا اتفاق عجيب ثم ان السلطان صلاح الدين بنى خانقاه سعيد

قد قتل من تلك البلاد خلائق لا تحصى وقتل الخليفة المستعصم بالله ببغداد كما مر فلما سمع الملك المظفر قطز هذه الالفاظ عسر عليه ذلك ثم جاء الخبر بأن التتار قد وصلوا البلاد الشامية وجاء أهلها الى مصر يطلبون النجدة وأراد قطز أن يأخذ من الناس شيأ يستعين به على قتالهم فجمع العلماء وحضر الشيخ عز الدين بن عبد السلام فقال لا يجوز أن يؤخذ من الرعية شئ حتى لا يبقى فى بيت المال شئ وتبيعوا أموالكم من المواشى والآلات

السعد اء وقلعة الجبل و بئر الحلزون وسور باب الوزير والمدرسة التي بجوار تربة الامام الشافعي وسور باب البحر وسواقي القلعة وله الخيرات الكثيرة الى يومنا هذا وفي أيامه ظهر باليمن خارجي استولى على بلاد اليمن وكان يدعى مذهب القرامطة وينتمي الى صاحب مصر الفاطمي و يستتر بالاسلام فقتل خلقا كثيرا وشق بطون الحوامل وذبح الاطفال فمات وملك ولده بعده ففعل أشد ما فعل أبوه و بنى على قبر أبيه قبة عظيمة صفح حيطانها بالذهب والجوهر وعلق بها قناديل الذهب والستور الحرير التي لم يعمل في الدنيا مثلها ومنع أهل اليمن من الحج الى الكعبة وأمرهم بالحج الى القبة وكانوا يحملون اليها من الاموال في كل سنة مالا يحصى و يطوفون بها ومن لم يحمل شيأ قتله واقام على الفسق والفجور وذبح الاطفال وسبي النساء وسفك الدماء فكاتب أهل اليمن السلطان صلاح الدين يوسف فسير اليه أخاه شمس الدولة ففتح اليمن وقتل الخارجي وكان اسمه عبد الله بن المهدي وهدم القبة وأخذ ما فيها من الاموال والجواهر فكان جملة ما أخذه سبعمائة جمل ونبش القبر وأخرج عظام الخارجي واحرقها (حكى) الشيخ عماد الدين في تاريخه البداية والنهاية ان السلطان صلاح الدين بن أيوب لما استعرض حواصل القصرين بعد وفاة العاضد وانقراض دولة الفواطم وجد بالحواصل أمتعة وآلات وملابس وثيابا فاخرة وشيأ باهرا وأمراها ثلا من جملة ذلك طبل اذا ضرب عليه صاحب القولنج خرج منه ريح الى ان يتصرف مايجده من القولنج و يزول عنه في الحال فاتفق ان بعض الاكراد أخذه في يده ولم يدر ما شأنه فلما ضرب عليه ضرطا فالقاه من يده فانكسر وبطل أمره وتوفي السلطان صلاح الدين في سابع صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة فكانت مدة تصرفه اثنتين وعشرين سنة وشهرين (ثم تولى الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان) فتصرف في الملك خمس سنين وعشرة أيام وتوفي في المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة ودفن بداره بالقاهرة ثم نقل الى تربة الامام الشافعي قبل بناء القبة ومما يحكى ان الملك العزيز كان يميل الى القاضي الفاضل في حياة أبيه فاتفق ان العزيز هوى قينة شغلته عن مصالحه فبلغ ذلك والده فأمره بتركها ومنعها منه فشق ذلك عليه فلما طال ذلك بينما أرسلت له مع بعض الخدام قطعة عنبر مبرومة فكسرها فوجد فيها زرا من ذهب فلم يفهم المقصود فاطلع القاضي الفاضل على ذلك فأنشد يقول

أهدت لك العنبر في جوفه * زر من التبر رقيق اللحام

فالزر والعنبر تفسيره * زره كذا مختفيا في الظلام

وفي زمن العزيز قدم ابن عنبر الشاعر من عند الملك العزيز سيف الدين بن شادي ملك اليمن وقد أجزل صلته عندما وفد عليه فلما قدم الى مصر بما قدم من المتجر

ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه فاتفق أنه اخذ من كل رأس دينارا وأخذ من الاملاك اجرة شهرين ومن الغيطان كذلك فكان جملة ماجمعه ستمائة ألف دينار ثم جمع الامراء والعساكر والعربان وخلقا لاتعد ولاتحصى وصرف عليهم الجوامك وخرج في آخر شعبان سنة ثمان وخمسين وستمائة وجد في السير الى ان وصل عين جالوت من أرض كنعان فالتقى مع التتار هناك ووقع بينهم القتال فقتل منهم خلق كثير

طالبوه بالزكاة فقال

ما كل ما يتسمى بالعزيز لها * أهلا ولا كل برق سحبه غدقه
بين العزيزين فرق فى فعالهما * هذاك يعطى وهذا يأخذ الصدقه

(ثم تولى الملك الافضل) نور الدين على بن السلطان صلاح الدين يوسف وكان متماد باحسن الصورة قل ان عاقب على ذنب يكتب الخط الحسن وله المناقب الجميلة وهو أكبر اخوته ماصفا له الدهر ولاهناه بالملك ثم تعصب عليه عمه العادل أبو بكر واخوه عثمان فاخرجاه من دمشق وفى ذلك كتب الى الناصر ببغداد يقول

مولاى ان أبا بكر وصاحبه * عثمان قد غصبا بالسيف حق على
وهو الذى كان قد ولاه والده * عليهما واستقام الامر حين ولى
نخالفاه وحلا عقد بيعته * والامر بينهما والنقض غير خلى
فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقى * من الاواخر مالاقى من الاول

فكتب اليه الناصر الجواب يقول فيه

وافى كتابك يا ابن يوسف معلما * بالصدق يخبران أصلك طاهر
غصبوا عليا حقه اذلم يكن * بعد النبى له بيثرب ناصر
فاصبر فان غدا على جزاؤهم * وابشر فناصرك الامام الناصر

فلم ينصره بل توفى الافضل فجأة رحمه الله تعالى فاقام سنة وشهرين وتوفى حادى عشر شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة ومن كلام الملك الافضل على فى المعنى

اما آن للسعد الذى أناطالب * لادراكه يومابرى وهوطالبى
الاهل برينى الدهر أبدى شيعتى * تمكن يومامن نواصى القواضب

(وفى المعنى)

أقول لدهر قد توالت صروفه * أليس لهذا يازمان زوال
فقال اصطبر كم دولة قد تغيرت * لكل زمان دولة ورجال

ومن كلام القاضى الفاضل وانا على دفع الايام وهى تدافعنى ولسان الليالى وهى تخالفنى

(مفرد بعده)

قالوا نزلت فقلت الدهر اقسم بى * لاوجه للرفع فى المجرور بالقسم

(ثم تولى الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب) ودعى له ولولده الكامل فى الخطبة وفى أيامه انتقلت السلطنة من دار الوزارة بالدرب الاصفر الى قلعة الجبل فى سنة أربع وستمائة وأول من سكنها الكامل نائبا عن أبيه احدى عشرة سنة ثم توفى العادل فى جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة فكانت مدته تسع عشرة سنة وأربعين يوما والله أعلم (ثم تولى الملك الكامل) أبو الفتح ناصر الدين محمد فعمر قبة

وانكسر هلاكو ومن معه من التتار وهربوا ثم رجعوا وا قتتلوا حتى قتل منهم النصف ورجعوا ادبارهم وغنم المسلمون منهم غنائم عظيمة وكان بيبرس عين أعيان دولة الملك قطز وقد ساق وراء التتار الى حلب وطردهم عن البلاد ووعده السلطان بحلب ثم رجع فى ذلك فتأثر بيبرس ووقعت الوحشة بينهما فاضمر كل لصاحبه الشر فاتفق بيبرس مع جماعة من الامراء وقتلوا المظفر فى الطريق بين الغزالى والصالحية فعظم على

الشافعي والمسدرسة التي بين القصرين المعروفة بالكاملية قال نور الدين بن المشرف ان صاحب حصن حيفا الماحاة الشتاء ببروده وهجم عليه بخيله وجنوده وقوس الشتاء يرشق بسهام القطر من جودها والريح يزمر كلما دقت طبول الرعد من جوها والثلج قد نتف ريشه وجعل الارض فراشه والجليد قد أذاب الاجسام وماذاب وكلما مالت الشمس توارت بالحجاب وبيته فارغ من المشارب والمآكل وقال يشكو حاله للملك الكامل

أحن الى الارز المفلفل بالتبل * ويشتاق قلبي للبسائس بالعسل
وارتاح ان هبت رياح شرائح * وان حضر اللحم السمين فلا تسل
وان قدموا نحوى خروفا من الشوى * ترى وقعتى فيه ولا وقعة الجمل
اشمر عن كف بخمس أصابع * وابعثه فيه الى أينما وصل
أميل على الاطراف ميلة هاشم * وأنزل فى الاضلاع مع كل من نزل
وأعمل فى الكشكا اذا ازداد دهنها * ويافوز من حيا على خير ذا العمل
وأى فتى يشرى الدجاج أزوره * هو المشترى لكن يصادفه زحل
ورقاصة فى الصحن تطربنى اذا * تجلت لنا من غارق السمن والعسل
ولوزينج مثل البروق قروصه * وكم من هلال فى المشبك يا أمل
وان يخبيص الريح جزتم فبالغوا * تجده صب فى هواه قد انصطل
فلو سلبت عقلى مشوشة الشتا * وأما طعام الكشك مالى به قبل
سكنت بظل الكهف والبرد حائر * فياليت شمس الافق عادت الى الحمل
وكم نظرة منها أروم تقول ان * تراني لهذا الفضل وانظر الى الجبل
ومالى سوى ملك يسابق فعله * مقالى وما من قال شيأ كمن فعل
فان رمت ماترجو وتبليغ مقصد * أتاك الذى ترجو وقصدك قد حصل
وأما ارتداد الشمس لست بيوشع * ترد اليه الشمس يوما كما فعل

وفى زمنه فى شهر شوال سنة أربع وعشرين وستمائة أحضرت من الاسكندرية امرأة خلقت من غير يدين وفى موضع ثديها مثل الحلمتين فجىء بها بين يدى الوزير رضوان فعرفته انها تعمل برجليها ما تعمله النساء بايديهن من خط ورقم وغير ذلك فاحضر لها دواة فتناولت برجلها اليسرى قلما فلم ترض شيأ من الاقلام المبرية التى أحضروها فاخذت السكين وبرت لنفسها قلما وشقته وقطته وأخذت ورقة فامسكتها برجلها اليسرى وكتبت باليمنى أحسن ماتكتبه الكتاب بيمينهم وناولت الرقعة للوزير فاذا فيها السؤال بالزيادة فى راتبها فزادها وأعادها الى بلدها وقد أخبرني شخص ان لها قبرا مشهورا بالاسكندرية يزار وهو موجود الآن بباب رشيد على يمين الداخل ويعرف بمقام بنت خداوردى ولها أوقاف

الناس قتله لحصول النصرة على يده وذلك سنة ثمان وخمسين وستمائة ثم تولى من بعده الملك الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس العلائى البندقدارى الصالحى صاحب الفتوحات وهو الرابع من ملوك الترك أصله تركى اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب وأعتقه ولازالت الاقدار تساعده حتى وصل الى ماوصل وكان ملكا شجاعا مقداما يباشر الحروب بنفسه له الوقائع الهائلة مع التتار ثم الافرنج

واطيان ويصرف لهامن ديوان الاسكندرية فى كل سنة ثلاثة آلاف نصف فضة ذكرابن كثير وغيره انه كان بطرابلس بنت تسمى نفيسة تزوجت بثلاثة ازواج وهم لا يقدرون على افتضاض بكارتها وظنوا ان بها رتقا فلما بلغت خمس عشرة سنة غار ثديا ها ثم جعل يخرج من محل الفرج شئ قليلا قليلا الى أن برز منه ذكر قدر الاصبع وانثيان وكتب بذلك محضر وقد ذكر الشيخ محمد الدماميني فى كتابه عين الحياة قال كان لنا جار له بنت اسمها صفية بلغت من العمر خمس عشرة سنة ثم طلع لها ذكر ونبتت لها لحية فكان لها فرج ذكر وفرج امرأة ومما شاهدناه ان بمنف شخصا بدعى الشيخ عمر المعروف بابى ديه يقرأ القرآن و يحفظه حفظا جيدا ويؤدب الاطفال وله يدان طول كل يد شبر ونهاية ما يبلغ بهما من جسده وجهه وصدره وأما سنحاؤه فباحدى رجليه ورزقه الله ولدين أحدهما يداه مثل يدى أبيه والثانى بلا يدين وهم موجودون الى الآن وكل من شاهدهم يحنن عليهم بالصدقات و يتعجب من صنع الله تعالى فاقام الكامل عشرين سنة وشهرين وتوفى فى رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة ودفن بمدينة دمشق * (ثم تولى الملك العادل أبو بكر ولد الكامل) * قيل ان عبد الله بن طاهر كان هو و بعض الزهاد بايوان العادل فقال عبد الله للزاهد كم تبقى هذه الدولة فينا وتدوم بيننا فقال مادام بساط العدل فى هذا الايوان ثم تلى قوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ذكر الشيخ أحمد بن عبد السلام المنوفى فى كتابه النصيحة بما أبدته القريحة قال رأيت فى كتاب آدب القضاء لابن أبى الدنيا اتفق لقاضى القضاة شرف الدين محمد بن عين الدولة لما تولى القضاء بالديار المصرية فيما حكاه السبكى فى طبقاته ان الملك العادل شهد عنده وهو فى دست ملكه فى واقعة مرارا والقاضى يسوف فى قبولها ففطن العادل لذلك فقال له هل تقبلنى ام لا فقال لا أقبلك وكيف أقبلك وفلانة تطلع اليك بجنكها كل ليلة وتنزل ثانى يوم سكرى على أيدى الجوارى وتنزل فلانة من عندك انحس مما نزلت الاولى فتناوله الملك العادل بكلمة شتم فردها عليه فى وجهه ثم عزله ونزل الى بيته معزولا نخشى العادل عن رد شهادته بسبب فسقه وخشى ان يذكر ذلك عند الملوك ووجوه الناس فنزل بنفسه الى منزل القاضى وترضاه وأعاده الى القضاء وذكر أيضا فى كتاب النصيحة المذكور ان عبد الصمد الدمشقى ناب فى القضاء عن ابن عصرون بدمشق ثم تولى قضاء دمشق استقلالا وانه تداعى لديه خصمان فجاء أحدهما بكتاب العادل بالوصية عليه فلم يفتحه وظهر الحق لخصم حامل الكتاب فقضى له ثم فتح الكتاب وقرأه ورمى به الى حامله وقال كتاب الله قد حكم على حامل الكتاب فبلغ العادل ذلك فقال صدق كتاب الله أولى من كتابى وذكر القطبى فى اعلامه ان الامام

وهو الذى بنى المدرسة بالقاهرة تجاه البيمارستان عام اثنتين وستين وستمائة والجامع الكبير بالحسينية سنة خمس وستين وستمائة وتم فى سنة سبع وهو الآن أعنى سنة ثلاث عشرة بعد المائتين والالف واقعة للافرنج اختاروه لصلابته واتقان بنائه وقطعوا ما حوله من الاشجار وهدموا البنيان الذى حول الاشجار فلا حول ولا قوة الا بالله وبنى أيضا قناطر أبى المنجى بالقليوبية وقناطر السباع بطريق مصر وغير

العالم أبو خازم بالخاء المعجمة والزاء وهو من أكابر العلماء أهل الدين والتقوى كان قاضيا فمن بعض ورعه فى الدين ان شخصا انكسر عليه مال كثير وثبت ذلك عند القاضى المذكور فأمر بتوزيع ماله على غرمائه بالمحاصة وكان قد انكسر على المديون مال للخليفة المعتضد فارسل المعتضد الى القاضى المذكور يقول أشركنى مع غرماء هذا المديون بالمحاصة فان لى أيضا مالا بذمته فاجعلنى كاحد غرمائه فقال أبو خازم لا أحكم لمدع بدون بينة عادلة فأرسل وكيلا وبينة أرضاها لتكون باسوة غرماء هذا المديون فأحكم لك بعد سماع الدعوى والبينة سرا وجهرا فاقام المعتضد شهوده ليشهدوا عند القاضى وكانوا من اكابر أمرائه فما حضر أحد منهم خوفا من رد شهاداتهم فاعجب المعتضد بديانة القاضى المذكور وثباته على الحق وتصميمه على ذلك وقد روى ان قوما قدموا خصما لهم الى الحاكم فقالوا لنا عليه مال فقال صدقوا أيها القاضى سلهم المهلة الى أن أبيع ما كان لى من عقار ورقيق وابل وشياه فقالوا كذب اعزك الله ليس له شئ واغا بدا هنناه ذلك فقال أيها الحاكم قد شهدوا بالاعسار فخلى سبيله أقول وفى زماننا هذا اذا كان شخص عليه ديون ثابتة لاناس وله موجود وعليه شئ من المال الميرى يقدم المال الميرى بالوفاء ولا يشترطون ثبوته عند قاض بل يكتفون بقول كتبة الديوان فالحكم لله العلى الكبير (حكى) صاحب النكت اللطيفة ان العباس بن المعلى الكاتب كتب الى القاضى محمد بن عبد الرحمن البغدادى المعروف بابن قريعة ووفاته سنة سبع وستين وثلثمائة ما يقول القاضى فى يهودى زنا بنصرانية فولدت ولدا جسمه للبشر ووجهه للبقر وقد قبض عليهما فماذا يقول القاضى فيهما فكتب له الجواب هذا من اكبر الشهود على الملاعين اليهود فانهم أشربوا حب العجل فى صدورهم حتى خرج من أيورهم وأرى ان يناط هذا اليهودى براس العجل ويصلب على عنق النصرانية الساق مع الرجل ويسحبان على الارض وينادى عليهما ظلمات بعضها فوق بعض قيل ان امرأة شكت زوجها الى القاضى من كثرة النكاح فساله عن ذلك فقال تكف ضرسها واكف ايرى عن كسها أترانى أعلف ولا اركب وحكى ان رجلا شكى امرأته الى القاضى من كثرة شعرها وطول عانتها فنتفتها وكتبت اليه تقول

فديتك سهلت السبيل الذى اشتكى * جوادك فيك للعفاو خشونته
فان كنت تهوى ان تزور جنابنا * فلاتبط عنا فالهلال ابن ليلته

وحيث انجر الكلام فى ذكر من ولى القضا ولم يخش فى الله لومة لائم وبالحق قضا فلا بأس بايراد نبذة مفيدة فى عناية تعظ بها من على هذه الوظيفة لعل ان يسلك أعدل المسالك مراقبا لقوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم

ذلك من قلاع وحصون وقناطر وخانات بالشام وغيرها وأكمل عمارة المسجد النبوى من الحريق وحج سنة سبع وستين وستمائة وغسل الكعبة بيده بماء الورد وله فتوحات كثيرة فتح النوبة ودنقلة ولم تفتح قبله مع كثرة غزو الخلفاء والسلاطين لها وملك الروم وجلس بقيسارية ولبس التاج وضرب باسمه الدراهم والدنانير وجدد عمارة الجامع الازهر بعد أن خرب وانقطعت منه الخطبة مدة طويلة فأعادها

الظالمون

الظالمون أقول وبالله التوفيق من ولى القضاء التى نفسه فى بحر عميق وصار فيه كالغريق وفى المعنى

ترجوا النجاة ولم تسلك مسالكها * انّ السفينة لا تجرى على اليبس

قال صلى الله عليه وسلم لا قدست أمة لا يقضى فيها بالحق وقال صلى الله عليه وسلم من ولى القضاء فقد ذبح بغير سكين قال العلامة ابن الرفعة كناية عن شدة الالم فان الذبح بالسكين فيه سرعة وبغيرها تعذيب روى الامام الحافظ من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بالقاضى يوم القيامة فيلقى من الهول قبل الحساب ما يودّ انه لم يقض بين اثنين فى تمرة ذكر الكمال الدميرى فى حياة الحيوان عند ذكر البقرة كانت القضاة فى بنى اسرائيل ثلاثة فمات أحدهم فولوا غيره مكانه فبعث الله ملكا يمتحنه فوجد رجلا يسقى بقرة على ماء وخلفها عجلة فدعاها الملك وهو راكب فرسا فتبعتها العجلة فتخاصما فقالا بيننا القاضى فتوجها الى القاضى الاول فدفع الملك اليه درّة كانت معه وقال له احكم بأن العجلة لى فقال القاضى كيف أحكم بذلك قال أرسل الفرس والبقرة والعجلة فان تبعت الفرس فهى لى فتبعتها فحكم له بها فلم يرض صاحب البقرة فأتيا القاضى الثانى فحكم له بذلك وأخذ الدرّة وأتيا القاضى الثالث فدفع اليه الدرّة وقال احكم بيننا فقال انى حائض فقال الملك سبحان الله أيحيض الذكر فقال القاضى سبحان الله أتلد الفرس بقرة وحكم بها لصاحبها وهؤلاء كما قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قاضيان فى النار وقاض فى الجنة قال الشاعر

قضى بهدم الكنيس قاض * وقد قضى بالعمار ثان

وفى رواة الحديث قالوا * فى الحشر قاض وقاضيان

(ولبعضهم فى المعنى)

ولما ان وليت وصرت قاض * وفاض الظلم من كفيك فيضا

ذبحت بغير سكين وانا * لنرجوا الذبح بالسكين أيضا

(ولبعضهم)

قضاة الدهر قد ضلوا * فقد بانت خسارتهم

فباعوا الدين بالدنيا * فما ربحت تجارتهم

(ولبعضهم)

قضاة زماننا صاروا لصوصا * عموما فى البرية لا خصوصا

يرون الغنم أموال اليتامى * كانهم نوقة لوافيها نصوصا

فنخشى منهم واذ صافحونا * يسلوا من أناملنا الفصوصا

(ولبعضهم يهجو قاضيا جاهلا متكبرا)

كما كانت وله صدقات وأوقاف كثيرة ولما خرج الى قتال التتار بالشام استفتى العلماء فى أخذ أموال من الرعية فافتوه الا النووى فانه امتنع وكلمه كلاما شديدا فغضب منه وأمره بالخروج من الشام فخرج الى بلده نوى ثم رسم برجوعه فامتنع وقال لا أدخلها والظاهر بها فمات الظاهر بعد شهر سنة ست وسبعين وستمائة بدمشق وفى أيامه انتقلت الخلافة الى الديار المصرية فكان أوّل خليفة بمصر المستنصر ووصل الى

الا قل لمن قد طيشته رياسة * رويدا ومهلا فيك قد غلط الدهر
ركبت بلا أصل ولا طيب عنصر * حكمت بلا علم فهذا هو الكفر
تأن براجع دهرنا فيك ما مضى * فاسدت الاوالزمان به سكر

كتب بعض الافاضل الى بعض القضاة قد فشت المعاصى ووصل الاذى للدانى والقاصى وتعاظم الباطل وأصبح وجه الحق عاطل وأكلت الرشوات وحكم بالشهوات وعرى الاكثر من لباس تقواه وباع دينه بدنياه ولبعضهم

عندى حديث ظريف * لمن به يتغنى
فى قاضيين يعزى * هذا وهذا يهنا
وذا يقول غصبنا * وذا يقول استرحنا
ويكذبان جميعا * ومن يصدق منا

ولبعضهم فى قاض بان فى ولايته فعزلوه

عزلوه لما خانهم * فغدا كئيبا مدنفا
ويقول لم أحزن لذا * لولم أكن متأسفا
قالوا كذبت لقد ندمت * وقد حزنت مصحفا أى خزيت

فينبغى لمن ابتلى بالقضاء والحكم بين العباد أن يكون عاقلا عفيفا مرضيا يغلب خيره على شره فان الحكم مبنى على ميزان الاعتدال فى رجح أومال تلفت به نفس أومال وان القاضى اذا كان أمره نافذ الاحكام الشرعية بين الرعية تصير أحواله مرضية واذا كان أمره غير نافذ فى رعيته وهن أمره وتلاشى حكمه ومنشأ هذا انطواؤه على الطمع وقد كان السلف الصالح يمتنعون من الدخول فى القضاء مع تأهلهم وورعهم ومراقبتهم لله خوفا مما عساه ان يحصل من هفوة ونحوها

قضاة زماننا احتجوا بعلم * ومالهم على ذاك اجتماع
وأضحى العلم منفردا ينادى * أضاعونى وأى فتى أضاعوا

ومن المصائب العجيبة استنابة الجهلة بالارياف فى القضاء فيقضون بين الناس بما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ومن ذلك ما يأخذون من الرشوة جهرا من غير نكير ولا يكتفون منها باليسير ثم يقدمون على ابطال الحقوق البينة ولا يلتفتون للذى معه الحق وان تمسك بقيام البينة واعلم ان اثم ما يفعلونه يكتب فى صحائف من فوض الامر اليهم وان كثيرا من أرباب الدنيا الذين يسعون للناس فى الولايات لاغراض دنيوية يكتب فى صحائفهم كل السيئات التى يفعلها من يسعون له وما يترتب عليه الى يوم القيامة وقد كتب الشيخ ولى الدين العراقى فى وصية الى نوابه كتبا فيها اعلموا معاشر النواب ان من ولى أمرا فعليه بالتقوى فى السر والنجوى وليحضر كل منكم قرب أجله ووقوفه بين يدى الله عز وجل

مسؤلا

مصر فى سنة تسع وخمسين وستمائة فاجتمع بالملك الظاهر بيبرس وأثبت نسبه عند قضاة الشرع وبايعه بالخلافة وأجرى عليه نفقة وليس له من الامر الا اسم الخليفة وأولاده من بعده على هذا المنوال ويأتون الى السلطان الذى يريدون توليته ويقولون وليناك السلطنة هكذا كانوا بالقاب الخلفاء واحدا بعد واحد وكانت سلاطين الاقاليم تتبرك بهم ويرسلون اليهم احيانا يطلبون السلطنة باللسان فيكتبون لهم تقليدا وكان آخر الخلفاء بمصر أبو عبد الله محمد

مسؤلا عن عمله فيا خجلة المقصر ولو غفرله ويا ندامته اذا وجد اعماله محصاة محصلة واجتنبوا أخذ المال من غير حله فما تساوى لذة الانتفاع غضب الله من أجله فقد بلغنا ان الدانق وهو سدس الدرهم اذا أخذ من غير وجه أخذت فيه يوم القيامة سبعمائة صلاة مقبولة واحذروا ظلم اليتيم واسلكوا الطريق المستقيم فقد قمت بما وجب من النصيحة فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد وقد حصل الاكتفاء بما ذكرناه وفقنا الله لجميع الطاعات ووقانا جميع الآفات بمنه وكرمه انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير رجعنا الى ما نحن بصدده من أمر العادل فانه تصرف سنتين وثلاثة أشهر وخلع فى القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة والله سبحانه وتعالى أعلم * (ثم تولى الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل) * وفى ولايته أرسل له براش الذى يقال له زيدا فرنس كتابا يذكر فيه أما بعد فانه لا يخفى عليك ان عندنا خزائن الاندلس وما يحملون الينا من الاموال والهدايا ونحن نسوقهم سوق البقر ونقتل منهم الرجال ونرمل النساء ونستأثر بالبنات والصبيان ونخلى منهم الديار وانا قد أبديت لك الكفاية وبذلت لك النصيحة الى الغاية والنهاية فلو حلفت لى بكل الايمان ودخلت على بالقسس والرهبان وحملت الشمع قدامى طاعة للصلبان لكنت واصلا اليك وقاتلك فى اعز البقاع عليك فاما ان تكون البلاد لى فيا هدية حصلت فى يدى واما ان تكون البلاد لك والغلبة على ويدك اليمنى ممتدة الى وقد عرفتك وعرفت ما قلته لك وحذرتك من عساكر حضرت فى طاعتى تملأ السهل والجبل وعددهم كعدد الحصى وهم مرسلون اليك باسياف القضاء فلما قرأ الصالح كتاب افرنس بكى واسترجع وأمر القاضى شهاب الدين محمد بن زهيران يكتب الجواب فكتب بسم الله الرحمن الرحيم وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه أما بعد فقد ورد كتابك وأنت تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدد أبطالك ونحن أرباب السيوف وما قتل منا قرن الا جددناه ولا بغى علينا باغ الا دمرناه فلو رأت عينك أيها المغرور حد سيوفنا وعظم حروبنا وفتحنا منكم الحصون والسواحل وتخريبنا منكم الاواخر والاوائل لكان لك ان تعض على أناملك بالندم ولابد ان تزل بك القدم من يوم أوله لنا وآخره عليك فهنالك تسىء الظنون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون فاذا قرأت كتابى هذا فتكون منه على أول سورة النحل أتى أمر الله فلا تستعجلوه وتكون أيضا على آخر سورة ص ولتعلمن نبأه بعد حين ونعود الى قوله تعالى وهو أصدق القائلين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقول الحكماء الباغى له مصرع وبغيك يصرعك والى البلاء يسلمك وكان الامر كذلك فلما وصل الكتاب الى زيدا فرنس بادر فورا

ابن يعقوب ولقب بالمتوكل والمادخلت الدولة العثمانية وافتتحت مصر أخذ المرحوم السلطان سليم فاتح مصر الخليفة المذكور متبركا به فلما توفى السلطان سليم عاد الى مصر واستمر بها الى أن توفى بها سنة خمسين وتسعمائة فى زمن المرحوم داود باشا وبموته انقطعت الخلافة العباسية فرحم الله تلك الارواح الطاهرة ومتعها بالنظر الى وجهه الكريم فى الدار الآخرة وبعد ان توفى السلطان

بالحضور الى دمياط بعساكره وضربوا خيامهم فاستقبلهم المسلمون وتحاربوا معهم فاستشهد يومئذ الامير نجم الدين والامير حسام الدين ازبك فلما أمسى الليل رحل الامير فخر الدين بعساكر الاسلام الى جهة طناح فخاف من كان فى دمياط وخرجوا منها على وجوههم وتركوا المدينة خالية من الناس ولحقوا بالعساكر وهم حفاة عرايا بمن معهم من النساء والاولاد فشنعوا على الامير فخر الدين وعدوا جميع ما نزل بالمسلمين من البلاء بسبب هزيمته فان دمياط كانت مشحونة بالمقاتلة والازواد والاسلحة وغيرها ولما أصبح الصباح قصد الافرنج دمياط فاذا أبواب المدينة مفتحة ولا أحد بها فظنوا ان ذلك مكيدة فلما تحققوا اخلوها وان خلوها من غير مانع استولوا على مابها من الاسلحة والاقوات فانزعج الناس فى مصر انزعاجا عظيما وكل ذلك مع شدة مرض السلطان الملك الصالح نجم الدين وعدم حركته وقد اشتد حنقه على الامير فخر الدين فامر بشنق من كان فى دمياط من الامراء والمقاتلين فشنق منهم فى ساعة واحدة زمايد على خمسين أميرا ويقال ان شنقهم كان بفتوى من العلماء فانتقل الملك الصالح الى المنصورة بعد ان سورها وشرع العسكر فى تجديد الابنية هناك وقدمت المراكب تجاه المنصورة وفيها الاسلحة والعدد فلما كانت ليلة الاحد لاربع عشرة ليلة مضت من شعبان سنة سبع واربعين وستمائة مات الملك الصالح بالمنصورة فلم يظهر موته وحمل فى تابوت الى القلعة فان شجرة الدر زوجة الملك الصالح لما مات أحضرت الامير فخر الدين والطواشى جمال الدين محسن فاعلمتهما بموته فكتما ذلك خوفا من الافرنج فارسل الامير فخر الدين الى الملك المعظم توران شاه وهو بحصن كيفا لاحضاره وكانت العلامات تخرج من الدهاليز السلطانية بالمنصورة الى سائر الممالك الاسلامية المصرية فلما علم الافرنج بموت الملك الصالح خرجوا من دمياط بفارسهم وراجلهم ومراكبهم تحاربهم فى البحر حتى نزلوا فارسكور فارسل المسلمون كتابا الى القاهرة فقرئ على منبر الجامع الازهر يوم الجمعة انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وفيه مواعظ وحث على الجهاد فارتجت مصر والقاهرة وظواهرهما بالبكاء والعويل وايقن الناس باستيلاء الافرنج على البلاد لخلو الوقت من ملك يقوم بالامر فخرج الناس من مصر والقاهرة وسائر الاعمال فاجتمع عالم عظيم ونزل الافرنج شارمساح والبرمون ووصلوا تجاه المنصورة ونصبوا المجانيق على المسلمين وصارت مراكبهم بازائهم فى البحر والتحم القتال وكان فى البحر بعض مخائض فدل من لادين له الافرنج عليها فركبوا سحرا فلم يشعر المسلمون الا وقد هجم عليهم الافرنج وكان الامير فخر الدين قد دخل الحمام فاتاه الخبران الافرنج قد هجموا على المسلمين فركب دهشانا واخذ يحرض

بيبرس المذكور سنة سبعمائة وستة وسبعين تولى من بعده ولده (محمد بركة خان) وكان سنه ثمان عشرة سنة وكان أبوه عقد له الولاية فى حياته ولقبه بالملك السعيد واستنابه على مصر أيام سفره واستقل بالسلطنة بعد أبيه الى سنة ثمان وسبعين فاختلف عليه الامراء وقاتلوه فخلع نفسه من السلطنة واشهد بذلك ثم ذهب الى الكرك ومات بها سنة ثمان وسبعين وستمائة فكانت مدة اقامته سنتين وثمانية أشهر وتولى من بعده أخوه

المسلمين على القتال فاستشهد الامير فخر الدين ووصل ريدافرنس الى باب القصر السلطاني ولم يبق الا أن يملكه فاذن الله تعالى ان طائفة من المماليك البحرية الذين استخدمهم الملك الصالح ومن جملتهم الملك الظاهر بيبرس البندقداري حملوا على الفرنج حملة صدقوا بها اللقاء حتى أزالوهم عن مواقفهم فانهزموا وبلغت عدة من قتل من الفرنج الخيالة في هذه النوبة ألف وخمسمائة فارس وهذه الواقعة كانت بين الازقة والدروب ولولا ضيق المجال لما أنفلت من الفرنج أحد وفي أثناء هذه المدة حضر السلطان المعظم توران شاه واستقر بقصر المنصورة فاحاط بالفرنج وظفر منهم باثنتين وخمسين مركبا وقتل واسر ألف رجل وانقطعت الميرة عن الفرنج وقد أحاط المسلمون بالفرنج وقتل وأسر منهم كثير والذين نجوا من القتل تركوا خيامهم وأموالهم وقصدوا دمياط هاربين ومازال السيف يعمل في ادبارهم وقد حل بهم الخزي والويل حتى قتل منهم ما ينوف على ثلاثين ألفا غير الذي القى نفسه في البحر وأما الاسارى فحدث عن البحر ولا حرج ونهب المسلمون من أموالهم ودوابهم وذخائرهم مالا يحصى والتجأ الفرنسيس الى المنية المجاورة لدمياط بمن بقي معه واستسلموا للقتل وسالوا الامان فامنهم السلطان المعظم ونزلوا مشاة حفاة وسيقوا الى المنصورة وقيد ريدافرنس واعتقل بالدار التي كان بها القاضي فخر الدين بن لقمان كاتب الانشاء ووكل به الطواشي صبيح واعتقل معه أخوه وزوجته ومن بقي معه من أصحابه ولما انهزم الفرانسيس سقطت قلنسوته عن رأسه وهم يسمونها غفارية وكانت من قطيفة حمراء بفرو سنجاب فاخذها الامير جمال الدين بن يغمر فلبسها فقال الشيخ نجم الدين بن اسرائيل

وغفارية الفرنسيس لما * قد أتتنا لسيد الامراء
كبياض القرطاس لونا ولكن * صبغتها سيوفنا بالدماء

وتسلم المسلمون دمياط ورفع العلم السلطاني على سورها واعلن فيها كلمة التوحيد والاسلام وشهادة الحق بعد ان اقامت في يد الفرنج أحد عشر شهرا وسبعة أيام وافرج عن الفرانسيس واخيه وزوجته ومن بقي معهم وتوجهوا الى بلادهم وفي ذلك يقول جمال الدين ابن مطروح

قل للفرنسيس اذا جئته * مقال صدق من وزير نصيح
أتيت مصرا تبتغي ملكها * تحسب ان الزمر والطبل ريح
فساقك الدهر الى أدهم * ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل أصحابك أودعتهم * بسوء تدبيرك بطن الضريح
خمسون ألفا لا يرى منهمو * الا قتيل أو أسير أو جريح
وفقك الله لامثالها * لعل عيسى منكمو يستريح

(بدر الدين الملك العادل سلامش) وكان يسمى ابن البدوية فأقام خمسة أشهر ثم جاءت الدولة القلاوونية الصالحية وهي من الدولة التركية المتقدمة فاولهم (الملك المنصور أبو المعالي قلاوون الصالحي النجمي) وقيل له الالفي لانه اشترى بالف دينار فأقام احدى عشرة سنة وعشرة أشهر وتوفي بالقرب من المطرية سنة تسع وثمانين وستمائة وهو الذي بنى البيمارستان وجعله مباحا للفقير والامير والمدرسة

ان كان باباكم بذا راضيا * فرب غش قد أتى من نصيح
قل لهم ان اضمروا عودة * لاخذ ثار أولعقد صحيح
دار ابن لقمان على عهدها * والقيد باق والطواشى صبيح

فقدر الله تعالى أن الفرانسيس بعد خلاصه من هذه الواقعة جمع عدة جموع وقصد تونس وأخذ يحاصرها فقال له شاب من أهل تونس يقال له أحمد بن اسمعيل الزيات

يافرنسيس هذه أخت مصر * فتاهب لما اليه تصير
لك فيها دار ابن لقمان قبر * وطواشيك منكر ونكير

وكان هذا فالاحسنا فهلك الفرانسيس على محاصرة تونس وكفى الله المؤمنين القتال فكانت مدة الصالح بمصر عشرين سنة وعشرة أشهر وتوفى بالمنصورة وحمل الى القاهرة كما تقدم ودفن بقبة بنيت له بجوار المدرستين والملك الصالح هو الذى بنى قلعة الروضة وأقام بها جندا وسماهم المماليك البحرية ومقدمهم الفارس قطاى وبنى قنطرة باسد والمدرسة التى بين القصرين التى هى محكمة الآن والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الملك المعظم توران شاه بن الملك الصالح) ووصل الى المنصورة فى سابع عشر ذى القعدة سنة سبع وأربعين وستمائة وقتل بعد شهرين فى محرم سنة ثمان وأربعين وستمائة وكان السبب فى قتله انه أخذ يهدد زوجة أبيه شجرة الدر ويطالبها بمال أبيه فخافت وكاتبت مماليك الملك الصالح وأخذت تحرضهم عليه وكان الملك المعظم فيه هوج وخفة وميل على العكوف بملاذه فنفرت منه النفوس وأخذ فى ابعاد مماليك أبيه وكان اذا سكر أوقد الشموع وضرب رؤسها بالسيف وقال هكذا أفعل بالمماليك البحرية فاتفقوا على قتله فدخلوا عليه وفى أيديهم السيوف مجردة فهرب الى برج خشب كان فى خيمته التى نصبها على شاطئ بحر النيل فادركوه وضربوه بالسيوف فدخل البرج وأغلق بابه فاطلقوا النار فى البرج وهو يقول ما أريد ملككم دعونى أرجع الى الحصن يامسلمين فلم يجبه أحد فخرج ورمى نفسه فى البحر فاخرجوه وقطعوه بالسيوف فمات قتيلا غريقا حريقا وترك على ساحل البحر ثلاثة أيام ثم دفن بعد ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولت شجرة الدر سرية الملك الصالح باتفاق من الامراء وحلفوا لها واستحلفوا جميع العساكر المصرية والشامية ورتبوا الامير عز الدين ايبك التركمانى على العساكر فاقامت ثلاثة شهور الى أن خلعت فى ربيع الاول سنة ثمان وأربعين وستمائة وكانت آخر الدولة الايوبية ومدة ولايتهم اثنان وثمانون سنة وأربعة أشهر خارجا عما تخلل فى المدة وهو سنة وثمان شهور ولله در القائل

المنصورة التى دفن بها اولاده وله الفتوحات بساحل البحر الرومى منها طرابلس وكانت بايدى الافرنج من سنة ثلاث وخمسمائة وعكا وبيروت وصيدا وغير ذلك وبلغت مماليكه اثنى عشر ألفا وفى أيامه وصل عسكر التتار الى الشام وحصل الرجف والخوف فالتقاهم بعساكره وهزمهم شر هزيمة وحصلت مقتلة عظيمة ثم وقع الصلح مع التتار بعد أمور طويلة وتولى من بعده ابنه الاشرف خليل فاقام ثلاث سنين وشهرين

كانوا ابوثا لايرام حماهم * فى كل ملحمة وكل هياج
فانظر الى آثارهم تلقى لهم * علما بكل ثنية وفجاج
فعليهم ماعشت لاأدع البكا * مع كل ذى نظر وطرف ساج

وما أظرف قول القاضى الفاضل فى ذكر الدولة الايوبية ان الذهب الابريز لم تدخل عليه آفة وأنتم يابنى أيوب أيديكم آفة الاموال كما أن سيوفكم آفة الرجال فلو ملكتم الدهر لاستطبتم لياليه أداهم وقلدتم أيامه صوارم وأفنيتم شموسه وأقماره فى الهبات دنانير ودراهم فأيامكم اعراس ومآتم فيها على الاموال مآتم والجود فى أيديكم خواتم ونفس حاتم تحت نقش ذلك الخاتم رحمة الله تعالى عليهم أجمعين

* (الباب السابع فى الدولة التركية المعروفين بالمماليك البحرية) *

كان ابتداؤها فى ربيع الاول سنة ثمان واربعين وستمائة أولهم الملك المعز ايبك التركمانى الصالحى أقام سنتين وأحد عشر شهرا الى أن قتل فى ربيع الاول سنة خمسين وستمائة وكان السبب فى قتله انه لما تزوج بشجرة الدر وكان مملوك زوجها الملك الصالح وخلعت نفسها من المملكة وسلمتها اليه خطب عليها بنت بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فبلغ شجرة الدر ذلك فأخذها ما يأخذ النساء من الغيرة فتغيرت عليه وتغير عليها وكرهها لانها كانت تمن عليه بانها ملكته مصر وسلمت اليه الخزائن والاموال وكانت تتصرف فى مملكته وتامر وتنهى ومنعته من الاجتماع بزوجته التى هى أم ولده نور الدين حتى ألزمته بطلاقها ولما تمكن الغيظ منه نزل الى فناطر اللوق وأقام بها أياما فبعثت اليه من حلف عليه وتلطف به وسكن غيظه فطلع الى القلعة وكانت قد أعدت له من يقتله اذا صعد اليها فلما صعد اليها ودخل الحمام ليلا فدخلت عليه ومعها خمس من الخدم فاخذ بعضهم بانثييه وبعضهم بخناقه فاستغاث بشجرة الدر فقالت لهم اتركوه فاغلظوا فى القول عليها فقالت اتركوه فقالوا امتى تركناه لايبقى علينا ولا عليك ثم قتلوه فتولى بعده ولده نور الدين المنصور فقبض على شجرة الدر ودخل بها على أمه فقتلتها الجوارى بالقباقيب ورماها فى الخندق وهى عريانة على باب القلعة وبعد أيام دفنت فى التربة التى كانت قد أعدتها لنفسها فالدهر قد جازاها من جنس العمل لانها سعت فى قتل الملك المعظم فقتل غريقا حريقا كما تقدم وترك ثلاثة أيام على شاطئ البحر فكذلك قتلت ورميت فى الخندق وهى عريانة قال الله تعالى من يعمل سوأ يجز به وقال الشاعر

من يحتفر حفرة يوما يصير لها * فان حفرت فوسع حين تحتفر

والله تعالى أعلم (ثم تولى الملك المنصور نور الدين على بن الملك المعز) فاقام سنة واحدة

ومات سنة ثلاث وتسعين وستمائة ودفن بمدرسته التى أنشاها بجوار مشهد السيدة نفيسه وقد خربها الافرنج سنة أربع عشرة ومائتين بعد الالف وفى أيامه توجه فحاصر عكا وفتحها وفتح غالب سواحل الشام وافتتح قلاع الروم بهسنا ومرعش وفتح حصن صور المسمى الآن بحصن منصور وكان من أحصن الاماكن بحيث عجز عنه السلطان صلاح الدين ومن يومئذ قطع دابر الافرنج من سواحل الشام وصار

وثمان شهور الى أن أمسك وقتل بعين جالوت فى رابع عشر ذى القعدة سنة خمس وخمسين وستمائة والله أعلم (ثم تولى الملك المظفر قطز المعزى) وفى أيامه قطعت التتار الفرات ووصلوا الى حلب وبذلوا السيف فيها ثم وصلوا الى دمشق قال سبط ابن الجوزى أول ظهور التتار سنة خمس وعشرين وستمائة فاخذوا بخارى وسمرقند وقتلوا أهلها وحاصروا خوارزم شاه ثم بعد ذلك عبروا النهر فلم يجدوا أحدا فى وجوههم فابادوا البلاد قتلا وسبيا وساقوا الى أن وصلوا الى همدان وقزوين فى تلك السنة وقد ملكوا أكثر المعمور من الارض وأحسنه وأعزه فى سنة ولم يبق أحد فى البلاد التى لم يطؤها الا وهو خائف يترقب وصولهم ثم انهم لم يحتاجوا الى ميرة فانهم معهم الاغنام والبقر والخيل يأكلون لحومها لا غير أما خيلهم فانها تحفر الارض بحوافرها وتأكل عروق النبات ولا تعلف الشعير واما ديانتهم فانهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرمون شيأ ويأكلون جميع الدواب وبنى آدم ولا يعرفون نكاحا بل المرأة يأتيها غير واحد ولما دخلت سنة ست وخمسين وستمائة وصل التتار الى بغداد فى مائتى ألف يقدمهم هلاكو فدخلوا بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم كما ذكرنا ذلك سابقا فى محله ثم لما دخلت سنة ثمان وخمسين وستمائة والوقت بلا خليفة وقطعوا الفرات ووصلوا الى دمشق كما تقدم أرسل هلاكو كتابا الى الملك المظفر يذكر فيه نحن جنود الله ننتقم ممن عصى وتجبر وطغى وتكبر وبامر الله ما ائتمر ونحن قد أهلكنا البلاد وآذينا العباد وقتلنا النساء والاولاد فيا أيها الباقون أنتم بمن مضى لاحقون ويا أيها الغافلون أنتم اليهم تساقون ونحن جيوش الهلكة لا جيوش المملكة مقصودنا الانتقام وملكنا لا يرام ونزيلنا لا يضام وعدلنا فى ملكنا قد اشتهر ومن سيوفنا يا ابن المعز أين المفر وفى المعنى

أين المفر ولا مفر لهارب * ولنا البسيطان الثرى والماء
ذلت لهيبتنا الاسود وأصبحت * فى قبضتى الامراء والخلفاء

ولما وصل الكتاب الى دمشق أقبل المظفر بالجيوش وشاليشه بيد بيبرس البندقدارى فالتقوا هم والتتار عند عين جالوت ووقع بينهم حرب شديد فهزم التتار شر هزيمة وانتصر المسلمون ولله الحمد والمنة وقتل من التتار مقتلة عظيمة وولوا الادبار وتبعهم العسكر يقتلون وينهبون وطمع الناس فيهم يتخطفون وساق بيبرس وراء التتار الى بلاد حلب وطردهم من البلاد ثم ان الملك المظفر وعد بيبرس بحلب ثم رجع عن ذلك فتأثر بيبرس من ذلك وكان ذلك سببا للوحشة بينه وبين المظفر فاتفق بيبرس وجماعة من الامراء على قتل المظفر فقتلوه فى الطريق فى سادس عشرى ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة ودفن بالقصير بارض الشام فكانت

أمرهم فى ادبار فالله تعالى يرحمه رحمة واسعة * وولى بعده أخوه (الملك القاهر الذى كان بيدر) نائبا عنه فاقام يوما واحدا وقتل وولى بعده أخوه الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ثلاث تسعين وستمائه فاقام سنة واحدة ثم خلع لصغره فانه كان ابن تسع سنين وولى بعده نائبه المنصور حسام الدين لاجين المنصورى ثم قتل سنة ثمان وتسعين وستمائه فاقام سنتين وعاد السلطان محمد بن قلاوون الى السلطنة

مدته احد عشر شهرا وسبعة عشر يوما والله سبحانه وتعالى أعلم

(ثم تولى الملك الظاهر بيبرس العلائى) البندقدارى الصالحى صاحب الفتوحات والهمم العلية والشيم الزكية والاخلاق المرضية ومن أثر خيراته انه أنشأ المدرسة التى بين القصرين تجاه البيمارستان والجامع الذى بالحسينية وقناطر ابى المنجى بالقرب من قليوب وغير ذلك * ومما يحكى عنه انه بلغه ان الشريف محمد بن تمى بن سعيد حاكم مكة والمدينة المنورة حصل منه ظلم للتجار والحجاج والمجاورين والواردين الى الحرمين الشريفين وتجاوز الامور وخرج عن الحد فكتب اليه أما بعد فان الحسنة فى نفسها حسنة وهى من بيت النبوة أحسن والسيئة فى نفسها سيئة وهى من بيت النبوة أقبح وقد بلغنا عنك أيها السيد انك بدلت حرم الله بعد الامن بالخيفة وفعلت ما يحمر الوجه ويسود الصحيفة فكيف تفعلون القبيح وجدك الحسن وتضيع الفرض ومن بيتكم عرفت الفروض والسنن وتقاتل حيث لا تكون فتنة وأنت من أهل الكرم وساكن الحرم فكيف آويت المجرم واسفكت دم المحرم ومن يهن الله فما له من مكرم فان لم تقف عند حدك أغمد نافيك سيف جدك والسلام فكتب اليه الجواب اما بعد فان المملوك معترف بذنبه تائب الى ربه فان آخذت فانت الاقوى وان تعفوا اقرب للتقوى حكى ان الملك الظاهر بيبرس لما عرض عليه الامير بدر الدين بيليك الخازندار ليشتريه قال التاجر ياخوند هو يكتب ويقرأ فاحضر له دواة وقلما وورقة ليكتب شيئا يراه فكتب

لولا الضرورة ما فارقتكم أبدا * ولا تنقلت من ناس الى ناس

فاعجبه الاستشهاد بهذا البيت ورغب فى شرائه وحكى ان انسانا رفع قصة الى الصاحب كمال الدين بن العديم فاعجبه خطها فامسكها وقال لرافعها هذا خطك قال لا ولكن حضرت الى باب مولانا فوجدت بعض مماليكه فكتبها لى فقال على به فلما حضر وجده مملوكه الذى كان يحمل نعله وكان عنده فى حالة غير مرضية فقال له هذا خطك قال نعم قال هذه طريقتى فمن ذا الذى أوقفك عليها قال يا مولاى كنت اذا وقعت لاحد على قصة أخذتها منه وسألته المهلة على حتى اكتب على طريقتها سطرين أو ثلاثة فأمره ان يكتب بين يديه ليراه فكتب يقول

وما تنفع الآداب والعلم والحجا * وصاحبها عند الكمال يموت

فكان اعجاب الصاحب بالاستشهاد اكثر من الخط فرفع منزلته (تنبيه) لا يخفى ما فى هذا البيت الذى تمثل به المملوك من التورية التى من أنواع البديع والتمثيل أيضا لما فيه من المعنى ومطابقة اللفظ كانه يقول ان الله من على بحسن الخط بان ضاهيت سيدى فى كتابته التى صار بها رئيسا فى زمانه وانا عنده غير محظوظ

ثانيا سنة سبعمائة فأقام سبع سنين ثم حصل بينه وبين العسكر وحشة فخلع نفسه وذهب الى الكرك وفى مبدا ولايته سنة تسع وتسعين وستمائة قدم غازان ملك التتار فى مائة ألف الى دمشق فخرج الناصر الى قتاله فى نحو عشرين ألفا فانهزم عسكر الناصر وقتل جماعة من الامراء وملك غازان دمشق ما خلا قلعتها وخطب له بها وحصل لاهلها من التتار المشقة العظيمة ثم أخذ الناصر فى التجهيز لقتالهم لان ابن تيمية جاءه على البريد وحثه

كانى ميت عند الكمال ويقال الناس فى ذلك على ثلاثة أقسام قسم أعطى حظا لاخطا وقسم أعطى خطا لاحظا وقسم أعطى خطا وحظا

لاتحسبن بان الخط يسعدنى * ولافصاحة شعر الحاتم الطائى
بل انما أنا محتاج لواحدة * لنقل نقطة حرف الخاء للطاء

(فائدة) قال الفخر الرازى حد البلاغة بلوغ الرجل بعبارته كان مايقول فى قلبه مع الاحتراز عن الايجاز المخل والتطويل الممل وقيل البليغ من يحول الكلام على حسب الامانى ويحفظ الالفاظ على تردد المعانى ويقال الكتابة صناعة شريفة تجلس الحقير بمجالس الملوك وهى آلة قانونية تحملها آلة جسمانية تضعف بالترك وتقوى بالادمان قال على كرم الله وجهه عليكم بحسن الخط فانه من مفاتيح الرزق وقيل ماحسن خط انسان الاوطلب الرياسة وماحسن صوت انسان الاوطاب الشحاذه (فائدة) لاباس بذكرها عند الاحتياج اليها وهى قال المنصورى فى اعتبار علامات المماليك والجوار عند المشترى تدل على أسقام ظاهرة وباطنة وعلى أحوال فى الجماع من النساء وهو نوع تام من أنواع الفراسة محتاج اليه جدا احذر اللون الاصفر فانه يدل على علة فى الكبد والطحال أو المعدة أو يكون له بواسير تنزف الدم احذر الكرز الرقيق البياض أو الرقيق السواد والمخالف للون البدن كله فانه قد يكون مبادى بهق أو برص لم يستحكم احذر الخشونة الخفيفة التى تراها فى موضع من البدن فانه ربما يكون مبادى قوباء ولم تستحكم احذر أيضا الشامة وشبهها أو ماتراه فى البدن كالكى أو الوسم فانه ربما يكون على موضع برص واذا أشكل عليك شئ منه فادخل بالمملوك الحمام وادلك ذلك الوسم أو الشامة بالاشنان والبورق والخل فانه يتبين لك أمره احذر كدرة بياض العين وظلمتها فانها ينذران بالجذام احذر الصفرة فى العين فانها دالة على رداءة الكبد وان كان فى العين عروق ظاهرة دلت على السبل احذر غلظ الاجفان وبطء حركتها فانه ربما كان مبادى جرب فيها احذر عظم الانف واعوجاجه فانه ربما دل على نواسير فى داخله فانظر فيها فى الشمس وربما سال منها رطوبة عند الغمز تدل على نواسير احذر قلة أشفار العيون وقلة شعر الحاجبين فانه دال على الجذام واعتبر حال الانفاس والنكهة من الفم والانف فانه ربما دل على البخر واعتبر حال الاسنان فان القوى منها طويل البقاء دال على العمر وعلى صحة البدن وقوة الدماغ وبالعكس واعتبر وضعها فى مغارسها فان كانت تدمى أو فيها خال فى اصطفافها وكذلك رائحة النكهة فاحذره واحذر ماتركب بعضها من القلح كاللون الاخضر والاصفر والاسود وشبيه الحرق بالنار فانه يدل على فساد المعدة والنكهة احذر أيضا من

على ذلك نفرح اليهم وهزمهم ومن يومئذ انكسر شرهم وصار أمرهم فى ادبار ولما ذهب الى الكرك ولى مكانه السلطان بيبرس [illegible] شنكير فاقام سنتين ثم عاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ثانيا الى مصر من الكرك وهى التولية الثالثة وكان بيبرس قد هرب الى الصعيد ثم هرب منه الى جهة الشام فاحضره الناصر وخنقه ودفن بمدرسته البيبرسية بالدرب الاصفر داخل باب النصر واستمر الملك الناصر فى السلطنة وتمكن منها

قلة صبغ الشفتين أو بياض لون اللسان وغلظه أو تغير لون عقبه أو خضرة أو سواد يسير فانه منذر بمرض قريب أو بان الكبد ضعيف والطحال معتل احذر النتوء فى البطن والمكان الموجع منه والمؤلم عند الغزلة فانه يدل على مرض فى المعدة أو فيها احذر النتوء فى العنق وان كان صغيرا أو أثر قرحة فيه فانه يدل على أن يكون هناك خناز يروغد داو نتوء يتولد منه بسرعة ولا بأس أن تامر المملوك أن يجرى شوطا ثم تتفقد المشى منه هل فيه ربو أو سعال ثم تتفقد حال مفاصله فى سلامتها للحركات وتتفقد الساق منه هل فيه عروق ثخان كبار واسعة فانه ربما يدل على داء الفيل أو عرق النساء واعتبر ضعف العصب وقلة الجلد والرعشة عند الاعمال القوية والضعف عند الجماع والاسترخاء بعد شرب الماء البارد واعتبر لطافة المفاصل ورقة الاوتار ورقة الجلد والبشرة فانك تنتفع بهذه العلامات فى اقتناء المماليك نفعا جيدا (القول فى اعتبار أحوال الجوار) بعلامات تدل على أحوال مستورة (منها) اذا كان فم المرأة واسعا كان فرجها واسعا واذا كان ضيقا كان مثله واذا كان مدورا كان كذلك واذا كانت كبيرة الارنبة من الانف غليظة الشفتين كانت غليظة حافتى الفرج وان كان لسانها شديد الحمرة كان فرجها شديد الرطوبة وان كانت حدباء الانف فهى قليلة الرغبة فى النكاح وان كانت طويلة العنق فهى رابية الفرج قليلة نبات الشعر وان كانت كبيرة الوجه غليظة العنق دل ذلك على صغر العجز وصغر الفرج وضيقه وان كانت صغيرة الحنك كانت غليظة الفرج وان كان لحم ظاهر قدميها صلبا كانت عظيمة الفرج وان كانت نبيلة مكتنزة اللحم لليدين والقدمين تكون كثيرة الشبق لاصبر لها على النكاح وان كانت حارة المجس فى كل وقت حمراء الشفتين واللثة صلبة العجز فتكون شديدة الطلب للنكاح وان كانت حمراء اللون زرقاء العينين فتكون شديدة الشهوة وان كانت كثيرة الضحك خفيفة الروح سريعة الحركة فتكون قوية الشهوة للنكاح وان كانت كحلاء العينين مع كبرهما فتكون شديدة الغلمة ضيقة الفرج وان كانت كبيرة الاذنين صغيرة العجز فتكون عظيمة الفم وان كانت ناتئة العقبين الى ناحية الظهر دل على سعة الفرج وان كان لحم المرأة عبلا مترهلا ولونها أبيض بصفرة يسيرة والعين منها كالجامدة ليس عليها سرور ظاهر دل على رطوبة الفرج وبرودته واعلم أن النساء على ضروب ورتب سبعة ولكل ضرب ورتبة منزلة فى الشهوة لا يحصل لها كمال اللذة الا بها ولا تنقاد للرجل بالطاعة والمحبة وحفظه فى الغيبة الا بها وهن شحما وزلقة وجوفاء وقعراء وبجاء وفهواء وسكفاء فاما الشحماء فالعبلة الفرج مع صلابته وامتلائه شحما وهذه لا يكمل لها لذة الجماع الا بالذكر الطويل الذى يصل الى باب الرحم ومحل

وعمر مساجد ومدارس وفى أيامه انقطعت الخطبة باسم العباسيين والدعاء لهم على المنابر واكتفى باسم السلطان وكانت وفاته يوم الاربعاء تاسع عشر ذى الحجة سنة احدى وأربعين وسبعمائة ودفن عند والده بالقبة وكانت مدته الاخيرة اثنين وثلاثين عاما وسبعة أشهر ونصفا فصارت جملة ولايته أربعا وأربعين سنة وخمسة عشر يوما ولم يبلغ هذه المدة أحد من سلاطين مصر (وولى بعده ولده) الملك المنصور أبو بكر وكان

الولد بأعلى الفرج (سئل) عمر بن عثمان القاضي عن جارية اشتراها فقيل له كيف وجدتها فقال فيها خصلتان من الجنة البرد والسعة وذكر الهندي ان مقدار الذكر الطويل اثنا عشر أصبعا فما فوقها والوسط تسع أصابع فما فوقها والصغير ستة أصابع فما فوقها وأما الزلقة فهي مضمومة الفرج الى ما حوت جوانبه وهزل بعد سمنه ولا يحصل لها كمال اللذة الا بالذكر القصير الغليظ جدا وأما الجوفاء فهي منضمة أول عنق الفرج ومجوفة الداخل منه وهذه لا يكون لها لذة الجماع الا بالذكر الوسط الرأس بجوانب الفرج وأما القعراء فهي طويلة عنق الفرج بعيدة باب الرحم وهذه لا يوافقها الا الذكر الطويل المفرد دون غيره وأما البلجاء فهي التي فرجها معتدل يوافقها كل ما ذكرنا وأما الفهواء فهي واسعة الفرج يوافقها الذكر الطويل الغليظ والوسط كذلك وأما السكفا فهي الناتئ في فرجها عظمان يكادان يلتقيان في عنقه ويمنعان من الايلاج وهذه لا يوافقها الا الذكر الطويل الرقيق وقل ان تحمل الا وتموت عند الولادة قبل خروج الولد لضيق الفرج ومن أراد الاستلذاذ بالجماع فعليه بالقصيرة من النساء رجعنا الى ما نحن بصدده من أمر السلطان بيبرس فانه أقام في السلطنة سبع عشرة سنة وشهرين ونصفا ومات بالقصر بدمشق ودفن في سابع عشري محرم الحرام سنة ست وسبعين وستمائة * (ثم تولى الملك السعيد بركة ناصر الدين محمد بن الملك الظاهر بيبرس) * فتصرف سنتين وثلاثة شهور وكان الافرم نائبه في الامور ثم خلع وتوجه الى الكرك في سابع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وستمائة * (ثم تولى أخوه الملك العادل بدر الدين شلامش) * وعمره سبع سنين وكان يدعى له ولقلاوون وضربت السكة باسمهما فاقام مائة يوم وعزل في رجب سنة ثمان وسبعين وستمائة * (ثم تولى الملك المنصور أبو المعالي قلاوون الصالحي الالفي) * وهو الذي بنى البيمارستان بين القصرين بمصر والقبة التي دفن بها وله الفتوحات بساحل البحر الرومي منها طرابلس وبيروت وصيدا وغير ذلك ومما اتفق له أنه بعث سيف الدين عبد الله وكان من خيار جنده وعقلائهم وأفاضلهم بهدية الى ملك الغرب فلما رجع من عند ملك الغرب أخبر الملك المنصور قلاوون أنه لما كان مقيما عند سلطان الغرب جاءته رسالة من بعض ملوك الافرنج الكبار المعادين للمسلمين ان يشفع له في تزويج بنت بعض ملوك الفرنج لولده وكان والدها مهادنا لملك الغرب ومدعيا محبته وكان الملك المستشفع قبل ذلك معاديا للمسلمين ومؤذيا لهم ولكن حمله هوى ابنه على أن بعث الى ملك الغرب في ذلك فاحتاج الى ارسال رسول الى ملك الفرنج بسبب ذلك فقال لي تذهب في هذه القضية فتمنعت فقال لي هذه مصلحة فيها للمسلمين راحة وأرى انك تذهب فيها فلم يزل يلح علي حتى ذهبت فاديت

هي السيرة فخلع وقتل سنة اثنتين وأربعين وكانت مدة دولته شهرين وأياما (فولى بعده أخوه) السلطان كجك وعمره ست سنين فأقام ثمانية أشهر والامر في دولته الى قوصون وبشتك فخلعوه وتوفي بقوص بعد أربع سنين (وولى بعده أخوه أحمد) فاقام أربعين يوما ثم خلع وقتل سنة خمس وأربعين وسبعمائة (وولى الملك الصالح عماد الدين) اسمعيل أخوه فاقام ثلاث سنين وشهرين وخمسة عشر يوما وتوفي سنة ست

الرسالة الى ملك الفرنج وقضيت أربه وأقمت عند ملك الفرنج مدة فأعجبه حالى واحبنى حبا شديدا وعرض على المقام عنده مبقى على دينى دين الاسلام فقلت لاسبيل الى ذلك فأجازنى وأكرمنى فلما أردت الانصراف من عنده قال أريد ان اتحفك بامر عظيم لم يحصل لاحد من المسلمين مثله فتعجبت من ذلك وقلت من أين ذلك فأخرج لى صندوقا مصفحا بالذهب ففتحه وأخرج منه مقلمة من ذهب ففتحها فأخرج منها كتابا قد زال أكثر حروفه وقد ألصق عليه خرقة حرير وقال أتدرى ما هذا قلت لا قال هذا كتاب نبيكم الى جدى قيصر وما زلنا نتوارثه ملكا بعد ملك وكل ملك كان عنده حفظه وقد أوصانا أجدادنا أنه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا وهذه الوصية متلقاة عن جدنا قيصر فنحن نحفظ هذا الكتاب غاية الحفظ ونعظمه غاية التعظيم ونتبرك به ولا يعرف ذلك أحد من النصارى الا نحن ولولا عزتك وكرامتك وثقتى بعقلك ما أطلعتك عليه قال فأخذته وعظمته وتبركت به ولم يقدر على قراءته أحد لتقطع اجزاء حروفه من طول الزمان وبسبب هذه الرسالة كف الله شر هذا الملك المعادى للمسلمين فكانت مدة ولاية الملك المنصور قلاوون احدى عشرة سنة وشهرين ونصفا وتوفى بمنزله مسجد التبن بالقرب من المطرية عند خروجه على نية الجهاد فى سادس شهر ذى القعدة الحرام سنة سبع وثمانين وستمائة (ثم تولى الملك الاشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور قلاوون) قال محمد بن غانم فى الملك الاشرف خليل وفى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب

مليكان قد لقبا بالصلاح * فهذا خليل وذا يوسف
فيوسف لاشك فى فضله * ولكن خليل هو الأشرف

ومما يحكى عن الملك الاشرف خليل أنه كان جالسا فى بعض الايام والقراء يقرؤن القرآن وكان والده المنصور قلاوون محاصر الطرابلس فقال نصره الله فى هذه الساعة أخذت طرابلس فشاع هذا الخبر وذاع وملا الافواه والاسماع فلم يمض الا مسافة الطريق حتى وردت الاخبار بفتح طرابلس فى الساعة المذكورة وذلك الامر قد كشفه الله عن ذهنه وحكى القاضى محب الدين بن عبد الظاهر ان الشيخ شرف الدين البوصيرى رأى فى منامه قبل مسير الاشرف خليل الى حصار عكا قائلا يقول

قد أخذ المسلمون عكا * وأشبعوا الكافرين صكا
وساق سلطاننا عليهم * خيلا تدك الجبال دكا
واقسم الترك منذ سارت * لا يتركوا للفرنج ملكا

فاخبر بذلك جماعة شهدوا بصحة ذلك فسافر الاشرف فى أثناء ذلك ففتحها وفيه يقول

وأربعين وسبعمائة وعمره نحو العشرين سنة وهو الذى أوقف قريتين لكسوة الكعبة بيسوس وسندريس (وولى بعده أخوه الاشرف شعبان) فأقام سنة وشهرا وسبعة عشر يوما وقتل (وولى بعده السلطان حاجى أخوه) فأقام سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام ثم خلع وقتل وكان سيئ السيرة (وولى بعده أخوه السلطان حسن) ابن محمد بن قلاوون وعمره يومئذ احدى عشرة سنة فأقام ثلاث سنين وتسعة وخمسين يوما ثم خلع وحبس

القاضى محب الدين المذكور

يابنى الاصفر قد حل بكم * نقمة الله التى لا تنفصل
نزل الاشرف فى ساحتكم * فابشروا منه بصفع متصل

فاقام الاشرف خليل ثلاث سنين وشهرين وقتله مملوكه الامير سيف الدين بندار بالبحيرة فى ثالث عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة ونقل الى تربته التى أنشأها بجوار مشهد السيدة نفيسة (ثم تولى الملك الناصر محمد بن قلاوون) وعمره تسع سنين وخلع فى المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة (ثم تولى الملك العادل كتبغا المنصورى) واستقر لاجين نائبا فاقام سنتين وهرب الى الشام فى المحرم سنة ست وتسعين وستمائة والله تعالى أعلم ثم تولى الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى الذى كان نائبا فاقام سنتين وسبعة واربعين يوما وقتل فى القلعة حادى عشر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وستمائة ودفن بالقرافة ثم عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون ثانيا بعد ان تعطلت السلطنة أحدا وار بعين يوما الى أن حضر الى القلعة فى سادس جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وستمائة فاقام عشرين سنة ثم عزم على الحج فى شهر رمضان سنة ثمان وسبعمائة وعرج على الكرك وأرسل يخبر الامراء أنه أقام بها ورجع عن السلطنة لما قصرت يده فى مملكته بوجود سلار وبيبرس وكان ذلك تدبيرا منه وذلك فى شوال سنة ثمان وسبعمائة والله تعالى أعلم ثم تولى المظفر بيبرس جاشنكير المنصورى استدار الناصر محمد بن قلاوون ويعرف بالعثمانى فاقام أحد عشر شهرا وخلع نفسه وهرب الى الصعيد وهو الذى بنى البيبرسية بالدرب الاصفر ودفن بها وجدد جامع الحاكم بعد الزلزلة ومات فى سادس رمضان سنة ست عشرة وسبعمائة ووجد بعد موته ختمة شريفة مكتوبة بالذهب فى سبعة أجزاء فى قطع البغدادى كتبها له شرف الدين بن الوحيد بقلم الشعر وأخذ لها الليقة ذهب بالف وسبعمائة دينار وانفق عليها جملة أموال والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب ثم عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون ثالثا وجاء من الكرك قال الشاعر

الملك الناصر قد أقبلت * دولته تشرق كالشمس
عاد الى كرسيه مثل ما * عاد سليمان الى الكرسى

وان الملك الناصر عمر فى زمنه الجامع المعروف بالجديد بمصر القديمة بجوار المجراة وعمر جامعا بالقلعة وعمر المدرسة التى بين القصرين وسافر بالحج سنة تسع عشرة وسبعمائة وسافر أيضا بالحج سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وحفر الخليج الناصرى المتصل الى سرياقوس وعمر عليه القناطر وعمر قناطر الجيزة وله عمارات كثيرة من ميادين وقصور وغير ذلك (قيل) انه رأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم

بالقلعة (وولى فى محله أخوه صالح) وهو الثامن ممن تسلطن من أولاد الملك الناصر محمد قلاوون وأقام ثلاث سنين وثلاثة أشهر ثم عاد السلطان حسن سنة خمس وخمسين وسبعمائة فاقام ست سنين وسبعة أشهر وأياما وجملة مدته عشر سنين وأربعة أشهر وأيام وفى أيامه بنى جامع الامير شيخون وخانقاه الامير صرغتمش ومدرسة السلطان حسن بالرميلة بناها فى ثلاث سنين وأرصد لمصروفها كل يوم نحو ألف مثقال ذهبا

فأمره ببناء خانقاه تجاه سرياقوس وقال له هناك علامة بالرمل تهتدى بها فبادر فورا الى المحل المذكور فوجد العلامة فبنى هناك خانقاه وجعل بها محلات للمتزوجين ومحلات للعزاب وحمامين وبينهما بيمارستان ومدرسة عظيمة ووضع بها أربع عشرة ربعة ومن جملتها ربعة مكتوبة بالذهب المموه كتابة بالقلم المحقق بالتحرير والاتقان وكل حرف مشقر بالسواد الرقيق الذى لا قطع به ولا وصل وفاتحة كل سورة من ليقة مجدولة بالذهب وبآخر كل جزء كتبه وجدوله وذهبه وجلده محمد بن محمد الهمدانى وهى من مفردات الدهر وأجزاؤها ثلاثون جزأ ذكران مصرف كل جزء مائتا دينار والناس يأتون من الاقطار رؤيته فرحون عليها وقد شاهدتها مرارا وان الناس عمروا بجوار الخانقاه المذكور جوامع ومساجد وأسواقا وبيوتا وغير ذلك حتى صارت مدينة من مدائن مصر المشهورة وهى عامرة الى الآن ومما اتفق فى أيام الملك الناصر المشار اليه ان مغربيا كان جالسا بباب القلعة عند دسلار فحضر بعض كتاب النصارى بعمامة بيضاء فقام له المغربى وتوهم انه مسلم ثم ظهر انه نصرانى فدخل على الملك الناصر وفاوضه فى تغيير زى أهل الذمة ليمتاز المسلمون منهم فأمر أن تلبس النصارى الازرق واليهود الاصفر والسامرة الاحمر ليقل أذاهم ويعرف المجرمون بسيماهم ومات الملك الناصر يوم الاربعاء سابع عشر ذى الحجة سنة احدى وأربعين وسبعمائة ودفن مع والده بالقبة المنصورية فكان مدة ولايته فى الثلاث مرات أربعا وأربعين سنة وخمسة عشر يوما خارجا عما بين ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الملك المنصور أبو بكر) وهو أول أولاد الناصر محمد بن قلاوون فأقام شهرين وأياما وخلع سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة وقتل بقوص والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (ثم تولى الاشرف على كوجك بن الناصر محمد) وعمره ست سنوات فأقام ثلاثة شهور والامر فى دولته ودولة أخيه لقوصون ويشبك والله أعلم وتوفى بقوص (ثم تولى الملك الناصر أحمد بن الناصر محمد) وكان مقيما بالكرك فحضر الى مصر فى عاشر شوّال سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة فأقام ثلاثة شهور وخلع نفسه فى تاسع عشر المحرم سنة ثلاثة وأربعين وسبعمائة والله أعلم (ثم تولى الملك الصالح اسمعيل بن الناصر محمد) فأقام ثلاث سنين وشهرين وخمسة عشر يوما الى أن توفى فى رابع ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة والله أعلم (ثم تولى الملك الناصر شعبان بن الناصر محمد) فى ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة وفيه يقول جمال الدين بن نباته

طلعة سلطاننا تبدت * بطالع السعد فى طلوع

فاعجب لها كيف أبدت * هلال شعبان فى ربيع

فاتفق انه كان للسلطان شعبان أخ يدعى أمير حاج وكان محبوسا فجعل لاخيه

ثم تولى من بعده ابن أخيه الملك المنصور محمد حاجى فاقام سنتين وثلاثة أشهر وخلع سنة اربع وستين وحبس بالقلعة الى أن مات فى سنة احدى وثمانمائة (وولى بعده الاشرف شعبان بن السلطان حسن) فأقام أربع عشرة سنة ثم قتل وهو الذى أحدث العمامة الخضراء للاشراف ومكث الى سنة خمس وسبعين وسبعمائة وكان احداث العمامة الخضراء سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وفى تلك السنة كان ابتداء خروج

طعام يأكله فى الحبس وعمل للسلطان طعام ليأكله على تخت الملك فقدر الله سبحانه ان خلع السلطان شعبان وحبس مكان أخيه أمير حاج وجلس أمير حاج على تخت الملك فالمتولى أكل طعام المعزول والمعزول أكل طعام المتولى فمدة تصرف السلطان شعبان سنة وسبعة عشر يوما والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى السلطان أمير حاج) ولقب بالمظفر فاقام سنة واحدة وثلاثة أشهر وعشرة أيام وأمسك ومات فى ثانى عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة والله سبحانه أعلم (ثم تولى الملك الناصر أخو أمير حاج) فاقام ثلاث سنين وتسعة شهور وعشرة أيام وخلع فى ثالث عشرى جمادى الاولى سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الملك الصالح صلاح الدين) أخو الناصر حسن فاقام ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأمسك فى شهر شوّال سنة خمس وخمسين وسبعمائة والله أعلم (ثم عاد السلطان حسن ثانيا) وجلس على تخت السلطنة الشريفة وتمكن وتصرف وبنى مدرسته التى بالرميلة بمصر وهى من أحسن المدارس محكمة البناء ليس لها نظير وقد سمعت من بعض الافاضل ان السلطان حسنا لما تم بناء مدرسته المذكورة رتب لها وظائف لاقامة الشعائر الاسلامية ووقع الاتفاق أن السلطان حسنا يجلس بالمدرسة يفرق وظائفها لمستحقيها بحضرته وحصل التنبيه على يوم معلوم فجاء السلطان حسن صبيحة اليوم المذكور بعد ان فرشت المدرسة بالفرش الفاخرة وجلس السلطان بالمدرسة وجلس من له عادة بالجلوس وكان بازاء السلطان حسن فرجة وبجوارها وسادة متكئ عليها السلطان حسن فاتفق ان الشيخ الامام العلامة الهمام قوام الدين الاتقانى العجمى صاحب الاتقان فى فقه الحنفية والنهاية شرح الهداية وغير ذلك من التصانيف وكان فى زمنه أوحد الدهر باتفاق وشيخ الحنفية على العموم والاطلاق وكان حالة قدومه الى مصر فى صورة قرندلى وعلى رأسه طرطور فبلغه هذه الجمعية فبادر الى المدرسة ودخلها فرأى السلطان فى هذا المحفل العظيم فمازال يتخطى الرقاب الى أن جلس فى تلك الفرجة فنظر اليه السلطان حسن شزرا وقال له ما الفرق بينك وبين الحمار فقال هذه الوسادة فهابه السلطان وأمر من حضر من العلماء والافاضل أن يبحثوا معه فى علوم شتى فأجاد وأفاد وأخرست الالسن وفتحت الآذان لما أبداه من العلوم فأعجب به السلطان حسن وأنعم عليه بالمشيخة بمدرسته وتوجه السلطان حسن الى تخت ملكه وأمر ان يركبوا الشيخ قوام الدين المذكور على مركوب السلطان حسن بسرجه وعدته فركب ومشى أمامه أكابر الدولة من جملتهم الامير صرغتمش الى ان طلع الديوان فتعجب بعض من حضر من ذلك الموكب فقال الشيخ قوام الدين لا تعجبوا فى ذلك فقد مشى تحت ركابى سبع سلاطين من سلاطين العجم

الطاغية تيمورلنك الذى خرب البلاد وأباد العباد ثم تولى من بعده ولده على فأقام اربع سنين وشهورا وكان محجوبا لصغر سنه والكلام لبرقوق وتوفى سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة (وولى بعده أخوه السلطان صغير حاجى بن السلطان حسن) فأقام سنة وستة أشهر وكان عمره ست سنين وكان أمره لبرقوق كأخيه ثم خلع سنة أربع وثمانين وسبعمائة وانقرضت بموته دولة الاتراك ومن الغرائب انه قد ولى من ذرية الملك

فسبحان المنعم على عبيده ولقد احسن من قال فى المعنى

العلم يرفع بيتا لاعماد له * والجهل يخفض بيت العز والكرم

وفى أيام السلطان حسن بنى شيخون جامعه وخانقاه وبنى صرغتمش مدرسته وقرر الشيخ قوام الدين فى تدريسها وكان مدة تصرف السلطان حسن فى الولايتين عشر سنين وأربعة أشهر ثم أمسك وقتل عند مملوكه يلبغا فى شهر جمادى الاولى سنة اثنتين وستين وسبعمائة والله سبحانه أعلم (ثم تولى الملك المنصور ابن حاجى بن الناصر) محمد بن قلاوون فاقام سنتين وخمسة أشهر وخلع وأقام بالقلعة الى ان مات فى خامس شهر شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الملك الاشرف شعبان بن السلطان حسن) وهو الذى بنى الاشرفية برأس الصوة تجاه القلعة وهدم غالبها بعده فاقام أربع عشرة سنة وشهرين ونصفا ثم خلع وقتل فى خامس ذى القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وفى زمنه فى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة كان ابتداء خروج تيمورلنك وكان أصله من أبناء الفلاحين ونشأ يسرق ويقطع الطريق الى ان انضم الى خدمة خيل السلطان ومازال يترقى الى ان وصل ماوصل (ثم تولى الملك المنصور على بن الملك الاشرف) فاقام خمس سنين وأربعة أشهر وكان محجورا بالصغر سنه والكلام لبرقوق وتوفى الملك المنصور يوم الاحد ثالث عشرى صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة وفى زمنه فى سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة ورد كتاب من حلب يتضمن ان اماما قام يصلى فبعث به شخص فى صلاته فلم يقطع الامام الصلاة حتى فرغ فلما سلم انقلب وجه العابث وجه خنزير وهرب الى الغابة فتعجب الناس من ذلك وكتب بذلك محضر بواقعة الحال والله تعالى أعلم بالصواب (ثم تولى الملك المنصور حاجى بن الاشرف) فاقام سنة وستة أشهر وكان عمره ست سنين والامر فى ذلك لبرقوق ثم خلع فى ثانى عشر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة وقد انقضت دولة الاتراك كما انقضت دولة من قبلهم ولله البقاء فكان مدة ملكهم مائة واثنين سنة وسبعة شهور ولله در القائل

وصاروا أحاديثا لمن جاء بعدهم * وكان بهم فى ملكهم يضرب المثل

(الباب الثامن فى دولة الجراكسة)

وهم طوائف سواذج ولهم سماحة وحماسة وصدقات وكانت أرزاق مصر بايديهم فكانت أهل مصر تتلاعب بهم فيما بيدهم من الارزاق وكانت خدامهم تبيع جميع مايحصل من طعامهم للناس من لحم ودجاج ونفائس وغير ذلك وكان لهم سوق يباع فيه مايفضل من أطعمتهم التى أخذتها خدامهم من أسمطتهم وكانوا يتفاخرون ببناء البيوت الفاخرة والمدارس والجوامع والترب

الناصر اثنا عشر سلطانا ولم تبلغ مدتهم مدة الناصر فانه أقام أربعا وأربعين سنة ونصف شهر كامل ومدة هؤلاء ثلاثة وأربعون سنة ومدة ولاية الاتراك مائة سنة وثلاثون سنة وسبعة أشهر ثم جاءت دولة الجراكسة قال بعضهم ولهم سماحة وحماسة وصدقات وكانت أرزاق مصر بايديهم وكانت أهل مصر تتلاعب فيما بايديهم من الارزاق وخدامهم تبيع مايحصل من طعامهم للناس من لحم ونفائس وغير ذلك وكان لهم سوق تبيع

وكان لهم خيرات وقد نظم بعضهم فيهم فقال

قوم اذا أقبلوا كانوا ملائكة * لطفا وان قوتلوا كانوا عفاريتا

الى ان فشى فيهم الظلم والعدوان وكثرت فيهم المصادرات وغلبت سيآتهم على حسناتهم ومالوا الى العوانية والمفسدين واخلوا بشعائر الدين فاستجاب الله فيهم دعاء المظلومين ومزقهم كل ممزق ودار الظالمين خراب ولو بعد حين وان الملك لله يؤتيه من يشاء والعاقبة للمتقين (أولهم السلطان الظاهر برقوق) وكان اسمه من قبل الطنبغا فسماه استاذه يلبغا الكبير برقوق تسلطن يوم الاربعاء تاسع عشر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة فاقام ست سنين وعشرة أيام واختفى في جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين وسبعمائة ثم ظهر بالكرك وكان قد بدأ بعمارة مدرسته التي بين القصرين والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم عاد الملك المنصور حاجي بن الاشرف) فاقام سبعة شهور الى ان خلع نفسه من السلطنة عند مجيء برقوق من الكرك فدخل مصر والملك المنصور عن يمينه والخليفة على يساره والله سبحانه وتعالى أعلم ثم جلس برقوق على تخت السلطنة الشريفة فاتم بناء مدرسته وهي من محاسن مدارس مصر قال الشاعر

قد أنشأ الظاهر السلطان مدرسة * فاقت على ارم مع سرعة العمل

يكفي الخليل بان جاءت لخدمته * صم الجبال بها تمشي على عجل

وبنى أيضا تربة بالصحراء وهي مسكونة معمورة الى الآن وكانت مدة تصرفه ست عشرة سنة وأربعة أشهر وتوفي في شوال سنة احدى وثمانمائة ودفن بتربته المذكورة وضبط ما خلفه برقوق فكان من الذهب ألفي ألف دينار وأربعمائة ألف دينار ومن القماش والخز والاثاث ما قيمته ألف ألف دينار ومن الخيول المسومة والبغال ستة آلاف ومن الجمال البخت خمسة آلاف وكان عليق دوابه في كل شهر عشرة آلاف أردب والله أعلم * (ثم تولى الملك الناصر أبو السعادات) * فرج بن برقوق فاقام ست سنين وخمسة أشهر وعشرة أيام ثم اختفى بعد ذلك والله أعلم * (ثم تولى الملك المنصور عبد العزيز بن برقوق) * فاقام سبعة وأربعين يوما وظهر الملك أبو السعادات وأمسك أخاه وحبس بالاسكندرية وقتل بها ثالث عشر جمادى الاولى سنة ثمان وثمانمائة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم عاد الملك الناصر أبو السعادات فرج) الى السلطنة فاقام ست سنين وتسعة أشهر وجملة ولايته أولا وثانيا ثلاث عشرة سنة وشهران وعشرة أيام وكان ما كان بينه وبين جنده فقتلوه شر قتلة بدمشق وألقي على مزبلة وهو عريان من اللباس يمر به الناس وينظرون الى جسده وذلك من أعظم العبر وأكبر المحن الى ان من الله عليه ببعض الناس بعد عدة أيام فحمله وغسله وأدرجه في كفن وواراه في التراب والرجاء من الكريم

فيه خدمهم ما فضل من أطعمتهم التي يأخذونها من اسمطتهم وكانوا يتفاخرون ببناء البيوت الفاخرة والمدارس والجوامع والترب وكان لهم خيرات ومبرات ولهم بشاشة ولطف وشجاعة الى ان فشا فيهم الظلم والعدوان وكثرت فيهم المصادرات وغلبت سيئاتهم على حسناتهم ومالوا الى العوانية والمفسدين وأخلوا بشعائر الدين فاستجاب الله فيهم دعاء المظلومين ومزقهم كل ممزق ولم يزل ذلك في ممالكهم الى الآن وأولهم السلطان

الوهاب أن يكون قد غفر له انه على كل شئ قدير * (ثم تولى الملك العادل أبو الفضل العباسى بن المتوكل) * فاقام سنة شهور وأياما وخلع فى مستهل شعبان وكان استناب المؤيد وشاركه فى الخطبة والامر للمؤيد والله أعلم (ثم تولى الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى) وحبس الخليفة بالقلعة الى ان أرسله الى الاسكندرية فى المحرم سنة تسع عشرة وثمانمائة ومعه أولاد الناصر فرج وهم محمد وفرج وخليل وكان المؤيد شيخ بنى مدرسته الموجودة الآن فبدأ فى عمارتها سنة سبع عشرة وكملت فى سنة عشرين وليس بمصر من مدارس السلاطين أحسن منها ولا أكلف ولا أبهى منظرا قيل ان حالة بنائها أمر المهندسين ان يعملوا بابها مثل باب مدرسة السلطان حسن فبنى كما أمر ولما تم بناؤها أشاروا عليه انه لا يصلح لباب مدرسته الا الباب المركب على مدرسة السلطان حسن فقلعه وركبه على بابها وجعل لوقف السلطان حسن فى نظير الباب قرية بالقليوبية تسمى قها فكان ذلك سببا لنمو وقف السلطان حسن وادرّ بها واجزل منفعة وهى مستمرة الى الآن ذكر القطبى فى أعلامه انه فى سنة خمس عشرة وثمانمائة زمن السلطان المؤيد ان شخصا بمكة المشرفة يدعى بالقارونى كان له جمل حمله فوق الطاقة فهرب الجمل من صاحبه ودخل البيت ولم يزل يطوف بالبيت والناس حوله يريدون امساكه فيعضهم ولم يقدر أحد أن يمسكه الى ان أتم ثلاثة أسابيع ثم جاء الى الحجر الاسود فقبله ثم توجه الى مقام الحنفية ووقف هناك تجاه الميزاب الشريف فبرك عنده وبكى وألقى نفسه على الارض ومات فحمله الناس الى ما بين الصفا والمروة ودفنوه هناك ومما يحكى أن السلطان سليما فاتح مصر لما كان بمصر دخل مدرسة السلطان حسن فقال هذا احصار عظيم ودخل مدرسة المؤيد فقال هذه عمارة الملوك ودخل مدرسة الغورى فقال هذه قاعة تاجر وكان مدة السلطان المؤيد ثمان سنين وخمسة شهور وتوفى يوم الثلاثاء ثامن محرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة والله تعالى أعلم (ثم تولى الملك المظفر أبو السعادات بن المؤيد) وعمره ست سنين وتسلطن يوم الخميس تاسع محرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة فكانت مدته سبعة أشهر وعشرين يوما والامر لتتر فاقام سبعة شهور وأياما قلائل ثم خلع بعد ذلك والله تعالى أعلم (ثم تولى الملك الظاهر أبو الفتح تتر) فى تاسع عشرى شعبان سنة أربع وعشرين وثمانمائة فاقام ثلاثة وتسعين يوما وتوفى فى خامس عشر ذى الحجة سنة تاريخه والله تعالى أعلم (ثم تولى الملك الظاهر محمد بن الظاهر تتر) فاقام أربعة شهور ويومين وخلع تاسع ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة وأقام بقلعة مصر مكرما فى أحسن عيش الى ان مات بالطاعون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة فى دولة الاشرف برسباى (ثم تولى الملك الاشرف أبو النصر برسباى) التركمانى يوم الاربعاء

برقوق وكان اسمه من قبل الطنبغا فسماه استاذه يلبغا الكبير برقوق وكان أبوه ملكا ولقب بالظاهر باشارة السراج البلقينى تولى سنة أربع وثمانين وسبعمائة فاقام ست سنين وثمانية أشهر وستة وعشرين يوما واختفى فى جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين وسبعمائة ثم ظهر بالكرك وكان قد بدأ فى عمارة مدرسته التى بين القصرين ثم عاد من الكرك وأتم بناءها وهى من أحسن مدارس مصر وبنى أيضا تربته

ثامن ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة وكان سلطانا مهابا ذا شهامة وتدبير وفتح قبرس سنة تسع وعشرين وثمانمائة وأحضر ملكها أسيرا ذليلا حقيرا حتى وقف بين يديه بخضوع وانكسار فمنّ عليه وأعاده الى مملكته بمن اختاره من أتباعه وجعل عليه خزينة فى كل سنة يرسلها حكى عنه انه لما سافر سفرته المشهورة الى آمد سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة نزل بالخانقاه السرياقوسية بمكان خال من البناء فنذر لله تعالى نذر تبرر وقربى ان أحياه الله تعالى وظفره بعدوه ورجع سالما ليعمرنّ فى هذا المكان سبيلا ومدرسة فلما توجه الى آمد ظفره الله بعدوه فقتل ملكها واستأصل أمواله وأحضر خودته وعلقها بسلسلة فى دهليز مدرسته التى أنشأها بمصر برأس الوراقين والخودة باقية مرئية الى الآن مشاهدة وان الاشرف أوفى نذره وعمر بخانقاه سرياقوس بالموضع الذى كان نزل به عند ذهابه الى آمد جامعا عظيما مفروشة أرضه بالرخام الملوّن وبجواره سبيل وقيل ان بمحراب الجامع المذكور تسع شعرات من شعر النبى صلى الله عليه وسلم وفى معنى ذلك قال الشاعر

الاشرف السلطان عمر جامعا * بالخانقاه ليرتجى بثوابه
وأتى بآثار النبى محمد * شعراته قد قيل فى محرابه
وامامه بين البرية محسن * وكذا القضاة مع الشهود ببابه

وان الاشرف عمر أيضا تربة خارج باب النصر بجوار تربة الظاهر برقوق (ومما يحكى) عنه ان شخصا مؤذنا كان قاطنا بمدرسته التى برأس الوراقين وكان مولعا بشرب الخمر ويؤذن ويسبح وهو سكران فبينما هو ذات ليلة قبل الفجر وهو نائم مخمور اذ رأى رجلا جليل المقدار ذا هيبة ووقار وخلفه ثلاثة أنفار غلاظ شداد ومع أحدهم فلكة وكرابيج فقال للمؤذن ما السبب الداعى فى جراءتك على شرب الخمر فى هذه المدرسة فقال له المؤذن من تكون أنت فقال أنا السلطان برسباى منشى هذه المدرسة ثم قال لاتباعه أطرحوه فطرحوه ووضعوا الفلكة فى رجليه وامر بضربه فضرب ضربا شديدا الى أن غاب عن وجوده فلما أفاق لم ير أحدا ووجد ألم الضرب برجليه وأراد الانتصاب فوجد نفسه مقعدا ثم انه تاب الى الله تعالى عن شرب الخمر واستمر وهو مقعد الى أن مات وتوفى السلطان برسباى فى يوم السبت ثالث عشر الحجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة فكانت مدة تصرفه ست عشرة سنة وثمانية شهور وخمسة أيام والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الملك العزيز يوسف بن برسباى) فاقام ثلاثة شهور وستة أيام وخلع فى سادس عشر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة وأقام أياما وجهز الى الاسكندرية ومات فى أيام خشقدم والله تعالى أعلم (ثم تولى الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلائى اينال) وعمر فى

بالصحراء وهى مسكونة مشهورة الى الآن فكانت مدة تصرفه فى المرة الثانية تسع سنين وثمانية أشهر وتوفى سنة احدى وثمانمائة ودفن بتربته المذكورة (وولى من بعده ولده السلطان الناصر فرج بن برقوق فاقام ست سنوات واختفى (وولى بعده أخوه) عبد العزيز سنة ثمان وثمانمائة وأقام عاما واحدا ثم عاد الناصر فرج ثانيا وأقام الى ان قتل وامتحن فى قتله سنة خمس عشرة وثمانمائة وكان أفرس ملوك الترك بعد

أيامه عمارات كثيرة من مساجد وجوامع وقناطر وجسور وغير ذلك وكان مغرما بحب الايتام والاحسان اليهم ولغيرهم (ومما يحكى) عنه أنه كان مقيدا بخدمة العارف بالله تعالى الشيخ شمس الدين محمد الحنفى عمت بركاته وكانت خدمته عنده مل‌ء مطهرة زاوية الشيخ فخرج الشيخ من خلوته ذات يوم فوجد جقمق بلا عمامة على رأسه وكان الشيخ فى ساعة جمال فقال له أين عمامتك ياجقمق قال سقطت فى البئر ياسيدى فتبسم الشيخ محمد الحنفى وقال له أما يكفيك ياجقمق فى عمامتك سلطنة مصر فقبل أقدام الشيخ على هذه البشارة ولم يزل جقمق يترقى فى المناصب الى ان ولى سلطنة مصر فاقام فى السلطنة أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وتوفى ليلة الثلاثاء ثالث صفر الخير سنة سبع وخمسين وثمانمائة بعد ان فوض أمر السلطنة لولده فى ابتداء توعكه ودفن بتربة الامير قايتباى أمير اخور والله أعلم (ثم تولى الملك المنصور أبو السعادات عثمان بن جقمق) فاقام أربعين يوما وخلع يوم الاثنين مستهل ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة وجهز الى الاسكندرية والله تعالى أعلم (ثم تولى الملك الاشرف أبو النصر اينال العلائى الناصرى) فى يوم الاثنين تاسع ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة وكان قليل السماع فى الناس فاقام ثمان سنين وشهرين وستة أيام وتوفى يوم الجمعة خامس عشر جمادى الاولى سنة خمس وستين وثمانمائة بعد أن فوض الامر لولده بيوم ودفن بتربته التى أنشأها بالصحراء ثم تولى أبو الفتح أحمد بن المؤيد فاقام أربعة أشهر وأربعة أيام الى ان خلع يوم الاحد تاسع عشر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة (ثم تولى الملك الظاهر أبو سعيد خشقدم الناصرى) ثم المؤيدى وهو السلطان الاول من الاروام بمصر ان لم يكن المعز أيبك التركمانى ولاجين من الاروام فاقام ست سنين وخمسة شهور واثنين وعشرين يوما وتوفى يوم السبت عاشر ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة ودفن بالتربة التى انشأها بالصحراء (ثم تولى الظاهر أبو سعيد بلباى العلائى) ثم المؤيدى يوم وفاة السلطان خشقدم فاقام سبعة وخمسين يوما وخلع يوم السبت عاشر جمادى الاولى وجهز الى الاسكندرية فاقام بها الى أن مات رحمه الله تعالى (ثم تولى الملك الظاهر تمربغا الظاهرى) يوم خلع بلباى فاقام ثمانية وخمسين يوما وخلع يوم الاثنين سادس رجب سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وجهز الى دمياط وخرج لامر لم يبلغه فاعيد الى الاسكندرية ليسكن بها فى أى مكان شاء فسكن بها الى ان مات رحمه الله تعالى (ثم تولى الملك الاشرف قايتباى المحمودى) فى سادس رجب سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة قيل انه حصلت له البشارة بالسلطنة من عدة من أولياء الله الصالحين قبل ان يليها وكان محبا للخير معتقدا للصالحين (حكى) عنه أنه لما جلبه الخواجا محمود الى مصر وكان معه رفيقه أحد المماليك الذى جلب

الاشرف خليل تجهز سبع مرات للخروج الى الشام وتمهيدها وقهر متغلبيها كالمؤيد شيخ وغيره وفى أيامه وصل تيمورلنك البلاد الشام فسفك دماء المسلمين وسبى ذراريهم وأسر أمير الشام وقتله فخرج الناصر لقتاله فوجده قد ترك البلاد وتوجه للروم فرجع الناصر الى مصر وكثرت الفتن (وولى بعده السلطان الملك المؤيد) أبو النصر شيخ المحمودى مملوك الظاهر برقوق فأقام ثمان سنين وخمسة اشهر وتوفى سنة أربع

معه فتهاد ثامع الجمال الذى هو قائد الجمل الذى هو حاملهما فى ليلة مقمرة من شهر
رمضان فقالوا لعل هذه الليلة النيرة ليلة القدر ولعل الدعاء فيها مستجاب فليدع
كل منا بما يحبه فاما قايتباى فقال انا أطلب سلطنة مصر من الله تعالى وقال الثانى
وأنا أطلب أن أكون أميرا كبيرا والتفتا الى الجمال وقالا له اى شئ تطلب أنت
فقال أطلب من الله حسن الخاتمة فصار قايتباى سلطانا وصار صاحبه أميرا
كبيرا فكانا اذا اجتمعا يقولان فاز الجمال من بيننا وللسلطان قايتباى محاسن
لا تحصى من خيرات وعمارات ومساجد ودور باطات ومدارس وأسبلة وغير
ذلك منها انه أمر ببناء مسجد الخيف فبنى بناء محكما وبوسطه قبة عظيمة وبالمسجد
خوخة صغيرة يتوصل منها الى الجبل الذى فى سفح غار المرسلات وهو الموضع الذى
أنزل فيه سورة المرسلات على النبى صلى الله عليه وسلم وفى سنة اثنتين وعشرين
وألف حج مؤلف هذا الكتاب ودخل الغار المذكور وشاهد به تجويفا باعلى
رأس الجالس فيه ذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار وجلس فيه
وكان الجالس لا يستطيع أن يرفع رأسه فلما رفع النبى صلى الله عليه وسلم رأسه
الشريف لان الحجر وارتفع فالناس يضعون رؤسهم فى تلك التجويفة تبركا ومما
شاهده المؤلف المرقوم فى الحجة المذكورة من الامر المهول أن الامير قاسم أمير
الحاج الشريف دخل بالحجاج المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام
يوم الاثنين والغالب ان الحجاج يصلون الجمعة عند النبى صلى الله عليه وسلم والعادة
أنهم لا يزيدون فى المقام بالمدينة زيادة عن ثلاثة أيام فأراد أمير الحاج الرحيل
بالحجاج يوم الخميس فأبرم عليه جماعة من أكابر الدولة بصلاة الجمعة فى الحرم النبوى
فوافق على ذلك وكان حصل من عرب العنزة عند قدوم الحاج بجبل مفرح
مفاسد وضرر للحجاج فخاف أمير الحاج على الحجاج فى التقدم قبله من غير حرس
يقدمهم من العسكر المنصور فنادى أن لا احد من الحجاج يتقدم بالمسير قبل
صلاة الجمعة ولا يتأخر بعدها فلما قضيت الصلاة وأراد الانصراف من صلى الجمعة
بالحرم الشريف من الحجاج لاجل التأهب للسير حصل ازدحام فى بابى السلام
والرحمة فقتل فى تلك الساعة بالبابين خلق كثير والذى ضبطه شهود المحمل من
القتلى ما يزيد على سبعين نفرا خارجا عن المكسورين ومن هو الى الموت أقرب
وتركوا ابجاتهم الى أن يحثى الله عليهم من يواريهم التراب وهذه مصيبة عظيمة ومن
أثر عمارة السلطان قايتباى مسجد نمرة الذى بجبل عرفات ومن آثاره أيضا أنه
أمر تاجره الخواجا شمس الدين بن الزمن أن يبنى مدرسة ملاصقة للحرم المكى فبنى
له مدرسة واحكم بناءها بالرخام الملون والسقف المذهب وبها شبابيك مطلة على
الحرم الشريف وهى على يسار الداخل من باب السلام وقرر بها خدمة وطلبة علم

وعشرين وثمانمائة
وخرج الى الشام
مرتين ومهدها ثم
خرج الى بلاد
العثمانى وافتتح قلاعا
كثيرة وكان شجاعا
مقداما عارفا بأنواع
الفروسية ومكر
الحروب معظما
للشريعة محبا للفقهاء
والعلماء وبنى مدرسته
المعروفة بباب زويلة
ابتدأ فيها سنة سبع
عشرة وكملت فى سنة
عشرين وثمانمائة
وولى بعده ولده أبو
(السعادات) أحمد
وعمره دون سنتين
وكان أمره مفوضا الى
ططر ثم خلعه ططر
واستقل بالامر

للمذاهب الاربعة وهى باقية عامرة لم يحصل بها خلل فى أوضاعها ولا بنائها وينزل بها أمير الحاج المصرى ومما وقع فى زمن السلطان قايتباى من الامر المهول والحادث العظيم حريق المسجد الشريف النبوى على ساكنه أفضل الصلاة والسلام وذلك فى ثالث عشر رمضان سنة ست وثمانين وثمانمائة فارسل أمير المدينة قاصدا الى مصر لاجل عرض ذلك على السلطان قايتباى فتهول لتلك الحادثة العظيمة وتوجه الى عمارة المسجد الشريف وعرف نعمة الله تعالى عليه بتاهيله لهذا الشرف العظيم فأرسل نحوا من ثلثمائة من أرباب الصنائع وكثيرا من البغال والحمير وسائر مؤنهم ومبلغا نحو مائة ألف دينار أو أكثر وجهز المؤن الكثيرة حتى امتلأت البنادر من الخيرات وأمر بعمارة المسجد الحرام وان تبنى له مدرسة ملاصقة للحرم الشريف ولما تمت العمارة أرسل الى المدينة المنورة خزانة كتب وجعل مقرها بالمدرسة وأرسل عدة مصاحف ووقف عدة قرى بمصر تحمل غلالها الى جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم والمدرسة باقية الى الآن فى غاية الانتظام وهى على يسار الداخل الى الحرم الشريف النبوى وينزل بها أمير الحاج الشريف المصرى قال بعض الشعراء

لم يحترق حرم النبى لريبة * تخشى عليه ولا هنالك عار
لكنما أيدى الروافض لامست * ذاك الضريح فطهرته النار

وحج السلطان قايتباى حجة عظيمة * وعن الملوك فلا تسل * وكان واسطة عقد ملوك الجراكسة وأقربهم ميلا الى قلوب الرعية وأكملهم عقلا وعاشت الرعية فى أيامه عيشا رغيدا الى أن غدر به الزمن الجائر واستيقظت له عيون الليالى الغوابر فقدم على ماقدم من عمله وترك ماجمعه من متاع الدنيا وراء ظهره وادرج فى أكفان عمله بعد ماغسل بدموع فقره وأنزل من سريره الى قبره وكان انتقاله الى رحمة الله تعالى فى آخر يوم الأحد لثلاث بقين من شهر ذى القعدة سنة احدى وتسعمائة وصلى عليه يوم الاثنين ودفن بتربته التى أنشأها بالصحراء فى حال حياته وهى فى غاية الحسن وبها مساكن للفقراء وأرباب الوظائف ولها أوقاف جارية وهى مسكونة معمورة الى الآن ليس بالصحراء أعمر منها وكانت مدة سلطنته تسعة وعشرين سنة وأربعة أشهر ولم يملك أحد من الجراكسة قدر مدته وقيل انه تقطب قبل موته والله أعلم (ثم تولى الملك الناصر أبو السعادات بن السلطان قايتباى) وكان شابا يغلب عليه السفه والجنون وما كان له التفات الى ملك ولا الى سلطنة بل كان يغلب عليه اللهو وكان والده فى حال حياته يود ان لا يتولى السلطنة * ويابى الله الا ما أراد * حكى عنه أمور قبيحة قيل ان والدته كانت من أعقل النساء وأجلهن فهيأت له جارية وجعلتها له فى بيت خال مزين أعدته لها فدخل بها وقفل الباب على نفسه

تلك السنة وأقام ثلاثة أشهر وتوفى ودفن بجوار الليث بن سعد فى القرافة (وولى بعده ولده محمد) وعمره نحو عشر سنين فاقام نحو أربعة أشهر وخلع سنة خمس وعشرين وثمانمائة (وولى بعده الملك الاشرف) أبو النصر برسباى الدقاقى وهو ثامن ملوك الجراكسة فاقام ست عشر سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام وتوفى سنة احدى وأربعين وثمانمائة وفى أيامه بنى المدرسة الاشرفية التى بالعنبرانيين بالقاهرة والتربة كسية خارج

وعلها وربطها من رجليها ويديها وصار يسلخ جلدها كالجلادين وهي حية فلما سمعوا صراخها أرادوا الهجوم عليه فلم يمكنهم لانه قفل الباب وأحكم قفله من داخل واستمر كذلك الى أن سلخها وحشى جلدها بالثياب وخرج يظهر استاذيته في السلخ وان الجلادين يعجزون عن صنعته واستمر في أفعاله الشنيعة الى أن قتل في بر الجيزة وجاؤا به مقتولا الى القاهرة ودفنوه في تربة أبيه في سنة أربع وتسعمائة فكانت مدة سلطنته ثلاث سنوات والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الظاهر أبو النصر قانصوه وهو خال الناصر بن قايتباى) وكان ساذجا أميا لا يعرف الا بلسان الجركس قريب العهد ببلده لان السلطان قايتباى جلبه من بلاده وهو كبير وصار برقيه بواسطة زوجته خوند أم الناصر لانه أخوها وهي التي أقامته مقام ولدها وبذلت له الاموال وأرادت ان تقويه * وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر * فخلعوه بعد ان سلطنوه سنة وسبعة أشهر واخرجوه من الملك في أواخر سنة خمس وتسعمائة والله تعالى أعلم (ثم تولى جانبلاط أمير كبير ولقبوه بالملك الاشرف جانبلاط) في أوائل سنة ست وتسعمائة ولم يتهنأ بالملك وما وافقه عليه أحد وخلع نفسه بعد ستة أشهر والله تعالى أعلم (ثم تولى الملك العادل طومان باى) فلم يستكمل يوما واحدا بل هجم عليه العسكر وقتلوه ظلما فلم يقدر أحد على السلطنة واتفقوا على ان يولوا قانصوه الغوري لانهم رأوه لين العريكة سهل الازالة أي وقت أرادوا عزله عزلوه لانه كان أقلهم مالا واضعفهم حالا وأوهنهم قوة فقال لا أقبل الا بشرط ان لا تقتلوني فاذا أردتم خلعي من السلطنة فاخبروني وانا أوافقكم وانزل لكم عن الملك فعاهدوه على ذلك فقبل منهم والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى قانصوه الغوري ولقبوه بالملك الاشرف) وذلك في سنة سبع وتسعمائة وفرح العسكر بولايته وكان قانصوه كثير الدهاء ذا فطنة ورأى الا انه كان شديد الطمع كثير الظلم محبا للعمارة ولما سكنت الفتنة بهذا التدبير الذي ذكره للجند قبل ولايته فاشتغلوا عنه وأهملوا أمره فصار يلقي الفتنة بينهم ويأخذ هذا بهذا ويدس لهم السم في الطعام ونحوه حتى أفنى كبراءهم ودهاتهم الا قليلا منهم ثم اتخذ مماليك لنفسه جلبا وأعدهم جندا فصاروا يظلمون الناس وأظهروا الفساد وأهلكوا العباد وهو يتغافل عنهم وصار هو يصادر الناس ويأخذ أموالهم بالقهر والباس وكثرت العوانية في زمنه لكثرة ما يصغي اليهم وصاروا اذا رأوا انسانا كثير المال وشوا به الى السلطان فيرسل اليه الاعوان ويأخذ أمواله ويسلمه الى من يعاقبه حتى يأخذ ما أخفاه من دنياه الى أن يصير فقيرا بعد غناه وجمع من هذا الباب أموالا عظيمة ذهبت في آخر الامر سدا وتفرقت بيد العدا وهكذا كل مال يؤخذ على هذا الاسلوب ويجمع على هذا الطريق المنكوب

باب النصر والمدرسة بالخانقاه السرياقوسية وأرسل الى قبرس وفتحها واحضر ملكها أسيرا ومن عليه وأعاده الى بلده بن شاه من جماعته وصار يرسل الجزية في كل سنة ثم تولى من بعده ولده عبد العزيز أبو المحاسن يوسف فأقام ثلاثة أشهر وستة أيام وخلع سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة وأقام أياما وجهز الى الاسكندرية ومات في أيام خشقدم ثم تولى بعده الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلائي فأقام أربع عشرة سنة وتوفي سنة سبع وخمسين

واما الميراث فبطل فى زمانه ولما اشتد ظلمه وطمعه استغاث الناس فيه الى الواحد القهار وتضرعوا فيه آناء الليل وأطراف النهار فاستجاب الله دعاء المظلومين فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (حكى) عن شخص مجاب الدعوة من أولياء الله الصالحين انه رأى جنديا من الجند أخذ متاعا من دلال ولم يرضه فى قيمته فتبعه الدلال يطلب حقه وهو ممتنع فقال الدلال بينى وبينك شرع الله فضربه بدبوس فتح رأسه وسقط على الارض مغشيا عليه فرفع يده الى السماء ودعا على الجندى المذكور وعلى سلطانه فصادفت ساعة اجابة فنام الرجل فرأى فيما يرى النائم ان ملائكة نزلت من السماء وبايديهم مكانس وهم يكنسون الجراكسة فاستيقظ واذا بقارئ يقرأ قوله تعالى فانتقمنا منهم فاغرقناهم فى اليم بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين فعلم ان الله يأخذهم أخذا وبيلا فلم يمض الا قليل حتى برز الغورى بجنوده وأمواله وخزائنه لقتال السلطان سليم خان الى حلب فجاء الخبر ان الغورى كسرت عساكره وفقد هو تحت سنابك الخيل فى مرج دابق وهرب بقية الجراكسة الى مصر وصيروا طومان باى الدويدار أخا الغورى سلطانا ومازال السلطان سليم فى أثر الجراكسة يفتح البلاد ويضبطها الى ان وصل الريدانية فخرج طومان باى ومن معه لقتال السلطان سليم فلم يثبت هو ومن معه الا ساعة واحدة وانكسروا وهربوا وهرب طومان باى وامسك وجىء به الى السلطان سليم فأمر بصلبه فى باب زويله فصلب لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة تسع وتسعمائة وكان الناس يزعمون أنه اختفى حتى يجد فرصة ويعود فلما صلب سكنت الفتنة وللسلطان الغورى مآثر من عمارات وخيرات وغير ذلك منها عمارة مدرسته التى برأس ٢ الشوايين وكان الفراغ من بنائها فى ربيع الاول سنة تسع وتسعمائة والمدفن الذى هو مقابلها وسبيل بجوار المدفن يعلوه مكتب للايتام وكان يود ان يدفن فيه وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس باى أرض تموت ومنها عمارة منارة بالجامع الازهر ومنها عمارة جامع المقياس بالروضة وما جاوره من قاعات ومساكن وغير ذلك ومنها عمارة سبيل المؤمنين بالقرافة ومنها عمارة بندر عقبة أيلا وتمهيد جبالها للسالك فيها ومنها اسحابة للفقراء بطريق الحاج الشريف فى كل سنة وهى مستمرة الى الآن ومنها السواقى بمصر العتيقة والمجراة المتصلة من السواقى الى القلعة وهى باقية الى الآن ومنها القبة بالملقة بالقرب من المطرية وما يليها من الكشك والمجالس المطلة على الملقة ومنها انه عمر بمكة المشرفة باب ابراهيم وبيوتا حوله ومنها بناء فسقية خارج باب ابراهيم على يمين الخارج ومنها ترخيم فى حجر البيت الشريف ومنها بناء سور جدة فانها كانت بلا سور فكانت مدة تصرف الغورى فى

٢ وفى نسخة الجرابين

وثمانمائة وعمرف أيامه عمارات كثيرة من مساجد وقناطر وجسور وغير ذلك وكان مولعا بحب الفقراء والايتام والاحسان اليهم ثم تولى بعده ولده عثمان فاقام أربعين يوما وخلع وجهز الى الاسكندرية (وولى بعده) الملك الاشرف أبو النصر اينال العلائى فاقام ثمان سنين وشهرين وستة أيام وتوفى سنة خمس وستين وثمانمائة ودفن بتربته التى أنشأها فى الصحراء (وولى بعده ولده أبو الفتح أحمد) فاقام

السلطنة ست عشرة سنة وثلاثة أشهر تقريبا ومدة تصرف الجراكسة مائة سنة واحدى وعشرين سنة وملوك الجراكسة اثنان وعشرون ملكا أولهم برقوق وآخرهم طومان باى وقد انقطعت دولة الجراكسة كما انقطعت دول من قبلهم ولله البقاء كما قيل

عمروا الارض مدة * ثم صاروا الى الحفر
يابنى جركس كنتم * خبرا فانقضى الخبر

وقد سمعت من بعض الأفاضل ان المرحوم السلطان سليم لما ملك مصر انشأ يقول

يابنى جركس هينوا * ملك الامر سليم
ملككم كان معارا * والعوارى لاتدوم
ظلمكم أوجب هذا * انه فعل ذميم
قد ملكتم فقهرتم * فلهذا لم تقيموا
ولهذا قد ذهبتم * مالكم خل حميم
قد حمى الله حمانا * انه البر الرحيم
بمليك فاق كسرى * اذ له الملك العظيم
٣ اسمه فى الذكر يتلى * فافهمنه ياحكيم

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

(الباب التاسع فى ظهور ملوك آل عثمان خلد الله ملكهم الى آخر الزمان)

أوّل جلوس السلطان عثمان الغازى على تخت السلطنة الشريفة فى سنة تسع وتسعين وستمائة فبدأ بالجهاد وافتتاح البلاد وقتل الكفار أهل الفساد وكان للسيف والضيف كثير الاطعام فاتك الحسام شجاعا مقدام فعاش حميدا ومات شهيدا فكانت مدة سلطنته ستا وعشرين سنة وتوفى سنة خمس وعشرين وسبعمائة (ثم تولى السلطان أورخان الغازى بن السلطان عثمان) وجلس على تخت السلطنة الشريفة فى سنة ست وعشرين وسبعمائة وسنه خمس وثلاثون سنة وهو الذى افتتح بروسيا وجعلها مقر سلطنته وكان فاق والده فى الجهاد وفتح عدة حصون واتسعت مملكته ونفذت كلمته وله حروب مشهورة مع النصارى فكانت مدة سلطنته خمسا وثلاثين سنة والله تعالى أعلم (ثم تولى السلطان مراد الغازى بن السلطان أورخان) وجلس على تخت السلطنة الشريفة فى بروسيا سنة احدى وستين وسبعمائة وعمره أربع وثلاثون سنة وافتتح عدة قلاع وحصون من جملتها أدرنه وهو الذى اتخذ المماليك وسماهم ٤ ينكجرى يعنى العسكر الجديد وألبسهم البركاه وكانت له صولة عظيمة على الكفار فاظهر احد ملوك النصارى الطاعة وكان اسمه بلواش وتقدم ليقبل يد السلطان فلما قرب منه أخرج خنجرا كان

خمسة أشهر وأربعة أيام وخلع ظلما مع كثرة محاسنه (وولى بعده الملك الظاهر خشقدم الناصرى) فاقام ست سنين وخمسة أشهر واثنين وعشرين يوما وتوفى سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وكان له شح وطمع ودفن بتربته التى أنشأها بالصحراء (وولى بعده الملك الظاهر أبو سعيد بلباى العلائى) فاقام سبعة وخمسين يوما وخلع وجهز لاسكندرية فاقام بها الى ان مات (وولى بعده الملك الظاهر تمربغا الظاهرى فاقام ثمانية وخمسين يوما

٣ أى فى قوله تعالى الا من أتى الله بقلب سليم اه

٤ وفى نسخة ينشرى

أعـده فى كمه فضرب السلطان مراد فاستشهد الى رحمـة الله تعالى فصار القانون العثمانى من يومئذ أن لا يدخل على السلطان أحد بسلاح وان يفتش وان يدخل بين رجلين يكتنفانه فكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سـنة والله أعلم (ثم تولى السلطان يلدرم بايزيد بن السلطان مراد) وعمره اثنتان وأربعون سـنة وجلس على تخت السلطنة الشريفـة فى سنة احدى وتسعين وسبعمائة وقد استولى على كثير من بلاد النصارى وقلاعهم وأراضيهم وصارت النصارى تنتمى الى بعض ملوك الطوائف فى بلاد الروم فقبض عـلى جماعة منهم ابن قرمان فأخـذه وحبسه فهـرب من الحبس ومضى الى تيمورلنـك وحسـن له الوصول الى بلاد الروم وشـكى له من السلطان بايزيد فاستمر تيمورلنـك يفسد فى الارض الى ان وصل الى أذربيجان فخرج السلطان بايزيد الى لقائه ولما التقى الفريقان هرب من عسكره طائفـة التتار وعسكر منتشار وعسكر كرمان وتركوا السلطان بايزيد وهربوا الى تيمورلنك ووقع الحرب فشرع عسكر بايزيد فى الانهزام وثبت هو وقليل معه واستمر السلطان بايزيد يقاتل الى ان وصـل الى تيمورلنك بسيفه وهو مشهور وقد عجزوا عنه فرموا عليه بساطا وأمسكوه وحبسوه فلحقته الحمية الغضبية فتوفى الى رحمـة الله تعالى فكانت مدة سلطنته ست عشرة سنة ثم تخلف من بعده أولاده وهم عيسى ومحمـد وموسى وسليمان وقاسم وصار بينهم النزاع والقتال اثنتى عشرة سنة وقتل بينهم خلق كثـير الى ان استقر بالسلطنة السلطان محمد بن السلطان يلدرم بايزيد فى سنة ست عشرة وثمانمائة وعمره تسع وثلاثون سنة وكان شجاعا مقداما مجاهدا فى سبيل الله افتتح عـدة بلاد وبذل نفسه فى الغزو والجهاد ومهـد البلاد أعظم مهاد ومما افتتحه قلعة اصطمونية وقلعة اسكب وقلعة اقشهر وغيرها وهو أوّل من عمل الصرة لاهـل الحرمين الشريفين من آل عثمان وفى أيامه ظهر بدرالدين ابن قاضى سموات وادعى السلطنة وجمـع جماعة من مريديه فأرسل له السلطان محمد العسكر فقتـل من مريديه نحو ثلاثة آلاف نفر وأمسك بدرالدين وقتل وفى أيامه أيضا خرج محمد بن قرمان وولده مصطفى عن الطاعـة واحرق بروسيا فجاء السلطان محمـد من بلاد روملى ووصـل الى قونيـة ووقع بينه وبين محمد بن قرمان حروب عظيمة مشهورة وأمسك محمد بن قرمان وولده مصطفى وأتى بهما أسـيرين الى السلطان محمد فعاتبهما وأنعم عليهما عملا بكرمه فكانت مدة سلطنته تسع سنين وتوفى بمرض الاسهال فـكانت له مرتبـة الشهادة وذلك فى سـنة خمس وعشرين وثمانمائة (ثم تولى السلطان مراد الثانى بن السلطان محمـد) وجلس على تخت السلطنة سـنة خمس وعشرين وثمانمائة وعمره ثمان عشرة سنة وكان ملكا عظيما مقـداما فاتـكا فتح الفتوحات ومهد المسالك وأمّن السالك وأذل الـكفار

قوله يلـدرم لفظـة تركية معناها صاعقة اه

وخلـع وذهب الى دمياط ثم أعيد الى الاسكندرية ومات بها (وولى بعده الملك) الاشرف أبو النصر قايتباى الظاهرى المحمودى نسـبة للخواجا محمود وللظاهر جقمق معتقه وهو السادس عشر من ملوك الجراكسة والحادى والاربعون من ملوك الترك بويـع له يوم خلع الظاهر تمربغا سادس رجب عام اثنتين وسـبعين وثمانمائة فأقام تسعة وعشرين سنة وأربعة أشهر وعشرين يوما وتوفى سـنة احدى وتسعمائة ودفن بقبته

والمهديين وأعز الاسلام والمسلمين الى ان انتشا ولده محمد فرأى نجابته وعرف اقباله وشهامته فاجلسه على سرير السلطنة واختار لنفسه التقاعد والفراغ بحسن رضاه فكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى السلطان محمد خان بن السلطان مراد) فى سنة ست وخمسين وثمانمائة وسنه عشرون سنة وكان من أعظم سلاطين آل عثمان وأقواهم اقداما واجتهادا وأكثرهم توكلا على الله واعتمادا له غزوات كثيرة من أعظمها فتح القسطنطينية الكبرى وساق اليها السفن رخاء تجرى برا وبحرا وحاصرها خمسين يوما وفتحها فى اليوم الحادى والخمسين وهو الرابع والعشرون من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وثمانمائة وصلى فى أكبر كنائسها صلاة الجمعة وهى أياصوفية وقد عمل بعض الفضلاء لفتح القسطنطينية تاريخا وهو بلدة طيبة سنة ٨٥٧ ذكر علماء التاريخ ان مدينة القسطنطينية كمل بناؤها فى أربعين سنة وكان اسمها قبل ذلك ٣البزنطية ومات بانيها قسطنطين فى منتصف سنة ست وعشرين وستمائة من تاريخ الاسكندر وهى مدينة مثلثة الشكل جانبان فى البحر وجانب فى البر ولها سور سمكه أحد وعشرون ذراعا والآن صارت القسطنطينية معدن الفخار والعلا ومقر السلطنة الشريفة العثمانية واجتمع فيها أهل الكمالات من كل فن فعلماؤها الآن أعظم علماء الاسلام وأهل حرفها أدق الفطنا فى الانام وقد ضبطت أماكنها زمن المرحوم زكريا أفندى شيخ الاسلام سنة ٩٩٤ فوجد بها من محلات المسلمين ثلاثة آلاف وتسعمائة وثمانون محلا ومن الجوامع أربعمائة وثمانية وثمانون جامعا ومن المساجد أربعة آلاف وخمسمائة وستة وتسعون مسجدا ومن مكاتب الأطفال ألف وستمائة وأربعة وخمسون مكتبا ومن المدارس خمسمائة وخمسة وثمانون مدرسة ومن التكايا مائة تكية ومن الخانات مائة وخمسة وخمسون خانا ومن الزوايا ثمانمائة وستة وثمانون زاوية ومن الشمسات تسعمائة وخمسة وسبعون شمسة وهى الصهاريج للشرب بلغة الترك ومن الحنفيات أربعة آلاف وأربعمائة وثمانون حنفية ومن الأفران ألفان ومائتان وخمسة وثمانون فرنا ومن أسواق الاسباب تسعمائة وخمسة وثمانون سوقا ومن القبانية اثنا عشر ألف قبانى ومن الحمامات ألف حمام ومن البوظات ثمانمائة وخمسة وثمانون بوظة ومن القهاوى ألفان وثلثمائة واثنان وخمسون قهوة ومن محلات النصارى أربعة آلاف وتسعمائة ومن محلات اليهود أربعة آلاف وتسعمائة وخمسة وثمانون محلا ومن الكنائس مائة وخمسة وأربعون كنيسة ومن الميخانات أربعة آلاف وخمسمائة وثمانية وخمسون ميخانة وذلك خارج عما تجدد بعد ذلك من المحلات والجوامع وحمامات البيوت وغير ذلك وقد ضبط فى مملكة آل عثمان من قضاة القضيات

٣ فى نسخة البزنطية اه

بالصحراء وقبره ظاهر بزار وكان ملكا جليلا له اليد الطولى فى الخيرات وكانت أيامه كالطراز الذهب وهو واسطة عقد ملوك الجراكسة وسار فى المملكة بشهامة ماسارها أحد قبله من عهد الناصر محمد ابن قلاوون وله العمارات الكثيرة من مساجد ومدارس ورباطات وغيرها وهى باقية الى الآن ثم تولى بعده ولده محمد أبو السعادات وهو فى سن البلوغ سنة احدى وتسعمائة فأقام سنة أشهر ويومين ثم خلع فى

ماجملتهم خمسة آلاف وتسعمائة وستون قاضياماهو بقضاء أناضولي خمسة آلاف وستمائة وماهو بقضاء الروملي ثلثمائة وستون قاضيا وذلك خارج عن الموالي والدشمانية والملازمين وقد سمعت من شخص من العسكر المنصور أن بالقسطنطينية الآن من العسكر المنصور ماهو من البنشرية أربعون ألفا ومن الاسباهية ستون ألفا ومن عجم أوغلان أربعة وعشرون ألفا ومن السراجين ثلاثة عشر ألفا ومن الجبجيات ثلاثة عشر ألفا ومن العربان اثناعشر ألفا ومن الطوبوجية سبعة آلاف وذلك خارج عن الموالي والوزراء والجاويشية والمقتبين والمتفرقة والزعماء والمتقاعدين والصناجق والقابوجية والاغاوات والطباخين والبازرجدان والخواتين والنساء والمساحين وأرباب الآلات وماهؤلاء من الاتباع والخدم ومالكل مملكة من ممالك آل عثمان مثل مصر والشام واليمن والحجاز والثغور والبنادر والحصارات والشرق والغرب من العساكر والاجناد ممايعجز عنه الوصف وأخبرت أيضا أنه في يوم جلوس المرحوم السلطان عثمان ابن المرحوم السلطان أحمد صرف الترقي للعسكر المنصور فبلغ قدر خزينة مصر سبع مرات فسبحان مالك الملك جل جلاله وقد اطلعنا على بعض تواريخ الدول السابقة والملوك السالفة فماسمعنا فارأينا مثل دولة بني عثمان ولا أحسن نظامامنها ولا أحفظ قانونامنها لاسيما اطاعتها للشرع الشريف وتوقيرها اهل العلم وحملة القرآن واسداء الخيرات للفقراء والمساكين وسكان الحرمين الشريفين ومجاوريهما على ماسيأتي بيانه فيه قريبا فنسأل الله الحنان المنان أن يديم دولة بني عثمان الى آخر الزمان فكانت مدة مولانا السلطان محمد احدى وثلاثين سنة وتوفي سنة ست وثمانين وثمانمائة والله أعلم ثم تولى السلطان بايزيدخان ابن السلطان محمد وجلس على تخت السلطنة الشريفة في تاسع عشر ربيع الأول سنة ست وثمانين وثمانمائة وعمره اذذاك ثلاثون سنة وهو من أعيان سلاطين آل عثمان تفرع من شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وورث سرير السلطنة كابرا عن كابر وتزينت باسمه صدور المنابر وافتتح الفتوحات وغزا في سبيل الله أعظم الغزوات وظهر في أيامه من بلاد العجم اسمعيل بن الشيخ حيدر الصفوي في سنة تسعمائة وخمسة وكان له ظهور عجيب واستيلاء على ملوك العجم يعد من الاعاجيب ففتك في البلاد وسفك دماء العباد وأظهر مذهب أهل الرفض والالحاد وغير اعتقاد أهل العجم الى الفساد وأخرب ممالك العجم وأزال من أهلها احسن الاعتقاد والله يفعل ماأراد وصارت فتنة في غالب البلاد حكاية عجيبة وهي ان السلطان بايزيد حذره منجم حاذق من أهل عصره ان هلاكه يكون على يدولد يولد له بعد ماولد له عدة أولاد فكان التحذير قبل ان يولد له السلطان سليم فطاب السلطان

ثامن عشري جمادى الاولى بعد ثبوت عجزه عن السلطنة بحضرة القضاة والخليفة المتوكل على الله وولوا بدله الملك الاشرف قانصوه مملوك والده قايتباي فأقام احد عشر يوما ثم وقعت فتنة وهرب ولم يعلم حاله فأعيد السلطان محمد بن قايتباي ثانيا للسلطنة بعد ثبوت رشده فأقام سنة وستة أشهر ونصف شهر ثم شرع في اللهو واللعب ومخالطة الاوباش وارتكاب الفواحش وارتكاب أمور لاتليق منها انه

بايزيد قابلة كان يعتمد صدقها وكانت من الصالحات الخيرات وقال لها اذا وضعت جارية من الجوارى ذكرا فاقتليه ولا تدعيه حيا وان ولدت أنثى فاتركيها وأكد عليها فى ذلك غاية التأكيد واستمرت على ذلك الى أن ولد السلطان سليم فتناولته القابلة لتقتله فرأت صورته جميلة فرق قلبها وقالت فى نفسها باى وجه القى الله تعالى فى قتل هذا الطفل المعصوم والله لا أقدم على قتله وقالت لابى يزيد جاءتك بنت جميلة حسنة الصورة فلما أخبر بذلك سماها سليمة واستمر الحال مكتوما لا يعلمه غير القابلة وامه والله تعالى وكان كلما كبر وانتشى ظهرت عليه سمة الغلبة والقهر فاذا اجتمعت أخواته البنات وجلس بينهن لطم من بجانبه وضرب ونهب ما بايديهن من المآكل وغيرها وكانوا يحذرون منه فدخل السلطان بايزيد الى السرايا فى يوم عيد وأمر بالمكان ان يطيب ويزين واستدعى بناته وأجلسهن بين يديه وأمر ان يوضع بين يدى كل واحدة منهن أنواع الحلوى والفواكه وبينهن السلطان سليم فشرع السلطان سليم فى سطوته وعادته وخطف ما بايديهن من الحلوى والفواكه ووضع الكل بين يديه فصار الكل خائفات منه فتعجب السلطان بايزيد وصار يتأمل فى ذلك وصار السلطان سليم يضرب البنات ويؤذيهن فقال السلطان بايزيد للنساء الواقفات هذا لا يكون انثى اكشفوا لى عنه فبادرت القابلة وقالت نعم هوذ كرواليس بانثى فقال لها وكيف خالفت أمرى وما قتلتيه فقالت خفت الله وخلصت ذمتك من قتل هذا الولد المعصوم ولا ذنب له فتفكر طويلا ثم قال ما قدره الله فهو كائن لا مفر منه وامر بالكف عنه وتربيته الى أن كان من أمر الله ما كان ولما استولى على بايزيد مرض النقرس ضعف عن الحركة وترك السفر سنين فبطر العسكر لكثرة راحتهم وطلبوا سلطانا قوى الحركة كثير الاسفار ليجاهد فى سبيل الله ورأوا السلطان سليما ذا قوة وشهامة أجلد من سائر اخوته وعاين السلطان بايزيد من أركان الدولة والعسكر ميلهم الى السلطان سليم فأشار عليه وزراؤه أن يفرغ عن السلطنة لقلب سليم السليم ويختار المقام فى أدرنه فى عز وتعظيم فأبرموا عليه فى ذلك فأجابهم الى سؤلهم وفرغ له عن السلطنة وتوجه الى أدرنه فلما وصل اليها انتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى فى سنة ثمان عشرة وتسعمائة فكانت مدة سلطنته اثنتين وثلاثين سنة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد) كاسر العجم وفاتح ممالك العرب وذلك فى سنة ثمان عشرة وتسعمائة وكان سلطانا ماهرا باقهارا كثير السفك للدماء قوى البطش والفحص عن أخبار الناس عظيم الكشف عن أخبار الممالك والملوك وكان يغير زيه ولباسه فى الليل والنهار ويتجسس ويطلع على الاخبار وكان له عدة مصاحبين تحت القلعة وفى الاسواق

والجمعيات

والدته جهزت له جارية وأدخلتها عليه فقفل الباب وربطها من يديها ورجليها وصار يسلخ جلدها كالجلادين وهى حية فلما سمعوا صراخها أرادوا الهجوم عليه فما أمكنهم لانه قفل الباب وأحكم قفله من داخل واستمر كذلك الى أن سلخها وحشا جلدها بالثياب ثم خرج يفتخر بحسن صنعته ومعرفته بالسلخ واستمر فى حركاته الشنيعة الى أن قتل فى بحر الجيزة وجاؤا به وهو مقتول الى القاهرة ودفن فى تربة أبيه فى سنة

والجمعيات والمحافل ومهما سمعوه ذكروه له فى محل المصاحبة ولما استقر السلطان سليم على سرير الملك بدأ بقتال العجم وتوجه بخيله ورجله وعساكره المشهورة الى أن وصل تبريز وتصادمت عساكره مع عسكر قزل باش ونزل النصر من عند الله والفتح القريب وانهزمت عساكر اسمعيل شاه وساقت العساكر المنصورة خلفه وكادوا يقبضون عليه ففر من بين أيديهم وهم ينظرون اليه وترك ما حوله من مخيمه وأثاث تجملاته فاغتنمها عساكر السلطان سليم ووطئت حوافر خيله ارض تبريز ونحوى وأمر وقتل وأسر وأعطى الرعية تمام الامان وأراد التمكن من بلاد العجم فما أمكنه ذلك لكثرة القحط والغلاء بحيث بيعت العليقة بمائة درهم وبيع الرغيف بمائة درهم وسبب ذلك انقطاع القوافل التى كان أعدها السلطان سليم لتتبعه بالمؤن والعليق وتخلفت عنه فى محل الاحتياج اليها وما وجد فى تبريز شيأ من المأكولات والحبوب لان شاه اسمعيل أمر باحراق اجران الحبوب من شعير وغيرذلك فاضطرب السلطان سليم لذلك وتفحص عن انقطاع القوافل فاخبران سبب ذلك سلطان مصر قانصوه الغورى فانه كان بينه وبين اسمعيل شاه محبة ومودة ومراسلات وغيرذلك فلما استقرركاب السلطنه الشريفة فى تخت ملكه الشريف تأهب لاخذ مصر وأزالة الجراكسة عنها فتوجه بعسكره الجرار الى حلب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ولما بلغ السلطان الغورى قدوم السلطان سليم جمع عساكره من الجراكسه وغيرهم وبرز الى قتال السلطان سليم فتلاقى العسكران قرب حلب بمرج دابق وكان الغورى يتوهم ويخاف على نفسه من خيربك والغزالى وكانا يكرهانه فى الباطن ويكرههما كذلك فامرهما ان يتقدما لقتال السلطان سليم وجعلهما وعسكرهما أمامه ووقف الغورى بخواص عسكره الذين يعتمد عليهم من الجلبان وقصد بذلك قتل خيربك والغزالى وعسكرهما بالبنادق فى أول مرة ويسلم هو ومن معه نخاب ظنه ورد الله مكره عليه قال الله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وقيل فى المعنى للامام على كرم الله وجهه

الحذر ينفع مالم يأتك القدر * فان أتى قدر لم ينفع الحذر
من يحتفر حفرة يوما يصيرلها * فان حفرت فوسع حين تحتفر
ان الشباب لهم عذر اذا جهلو * وليس يقبل من ذى شيبة عذر

فتفطن خيربك والغزالى لذلك وكانا ارسلا للسلطان سليم وطلبا منه الامان ووثقا منه ان لا يقتلهما بل يكرمهما وينعم عليهما فأرسل السلطان سليم لهما الامان وعهد لهما بان يطيب خاطرهما وأن يعطى خيربك مصر والغزالى الشام فقبلا منه ذلك واتفقا على ذلك فلما تراءى الجمعان واضطربت نيران المدافع والبنادق

قوله ومهما سمعوه الخ كذا فى النسخ التى بايدينا ولعل المناسب ومهما سمعوا شيئا او وكلما سمعوا كلاما فى حقه اه

أربع وتسعمائه (وولى بعده الملك الظاهر) قانصوه الاشرف القانصباى خال محمد ابن قايتباى بذلت له أخته مالا كثيرا وولته وبويع له بالسلطنه بحضرة الخليفة والقضاة سابع عشرى ربيع الاول سنة أربع وتسعمائة وكانت سيرته جيدة ورتب لاهل الازهر فى أيام رمضان الخبز والحرمزة وضاعفها الغورى وزادها فاقام فى السلطنة سنة وثمانية أشهر ثم خلع (وولى بعده الملك الاشرف) جانبلاط فاقام نصف سنة وخلع سنة خمس

فى مرج دابق فر خير بك بمن معه من الميمنة وفر الغزالى بمن معه من الميسرة وبقى السلطان الغورى بمن معه من خواص اتباعه فى القلب وأطلقت البنادق والزربطانات فهلك من هلك وهرب من هرب وانقلب النهار ليلا بالدخان وامتلأ وجه الارض بشعل النفط والنيران وغار الغورى تحت سنابك الخيل ومحى نور العدل ظلم الجراكسة كما محوا النهار الليل وانقلبت رايات السلطان سليم على قلعة حلب الشهباء فطلب أهلها الامان فاجابهم بالقبول لطفا وكرما وحضر صلاة الجمعة وخطب الخطيب باسمه الشريف ودعا له ولاسلافه وبالغ فى المدح والتعريف وعندما سمع السلطان سليم الخطيب يقول فى تعريفه خادم الحرمين الشريفين سجد لله شكرا وقال الحمد لله الذى يسر لى ان صرت خادم الحرمين الشريفين وأظهر الفرح والسرور بتلقبه بخادم الحرمين الشريفين وخلع على الخطيب خلعا متعددة وهو على المنبر وأحسن اليه احسانا كثيرا وأقام بحلب أياما وهو يمهد الممالك ويجرى أحكام العدالة والسياسة والاحسان الى الرعايا ثم ارتحل بالجيوش المنصورة الى الشام فخرج أهل الشام الى لقائه وطلبوا منه الامان والامن فاجابهم الى ما سالوه وبسط لهم ما طلبوه وأملوه وخلع على من يستحق خلع الرضى والاكرام ودخل الشام بموكب عظيم واقام لتمهيد امور المملكة برأيه الشريف وخطب له الخطباء فخلع عليهم وأكرمهم وأمر بعمارة مقام الاكسير الاعظم مولانا الشيخ محيى الدين بن العربى ورتب له أوقافا كثيرة وهو باق الى الآن واستمر السلطان سليم بارض الشام حتى مهد امورها وضبط حصونها ثم توجه الى مصر فوصل الى غزة ثم عدل بمفرده الى زيارة القدس والخليل فى نفر يسير بقصد الزيارة فاحسن الى أهل القدس والخليل وعاد الى عسكره فصار كلما مر ببلدة أو قصبة أو قرية فى طريقه أحسن الى اهلها وفر بقية الجراكسة الى مصر وجعلوا الدوادار طومان باى سلطانا ولقبوه بالاشرف واجتمعوا عليه والقوا مقاليد سلطنتهم اليه وصاروا يموكبهم بين يديه وجندوا الجنود وعقدوا الالوية والبنود وبرزوا الى الريدانية خارج باب النصر ونصبوا المدافع الكبار والاحجار وهيئوها للطلق وها اذا أقبلت العساكر العثمانية فلما أخبر الجواسيس السلطان سليم بذلك عدل هو وعسكره وجاؤا من خلف الجبل المقطم من وراء عسكر الجراكسة واستمرت مدافع الجراكسة مركوزة لمن يأتى من أمام الريدانية وقاتل السلطان طومان باى ومن ثبت معه من الجراكسة قتالا شديدا وأظهر طومان باى شجاعة قوية عرف بها وشهد له المصاف وهو يغوص فى العسكر ويكر ويفر وقتل من وزراء السلطان سليم سنان باشا فاسف عليه وقال أى فائدة فى مصر بلا يوسف ووجه النكتة ان يوسف يلقب بسنان فى عرفهم وبعد ساعة انكسر

وتسعمائة وبنى المدرسة الجنبلاطية خارج باب النصر وهدمها الفرنسيس فى سنة اربع عشرة ومائتين بعد الالف وكان فيها قبتان ليس لهما نظير فى مصر (وولى بعده الملك العادل) طومان باى وكان من اعيان مماليك قايتباى وكان بالشام فبويع له هناك ثم جاء الى مصر وبويع له أيضا بقلعة الجبل وكانت مدته أربعة اشهر ونصفا وبنى مدرسته العادلية خارج باب النصر ثم هجم عليه العسكر وقتلوه ودفن بمدرسته

الجراكسة وانهزموا وهرب طومان باى وأمسك وصلب فى باب زويله كما ذكرنا ذلك سابقا (واستمر السلطان سليم) يدبر أمور مصر ويضبط خراجها ومتحصلاتها الى ثالث عشرى رجب سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وكان مقام السلطان سليم بالروضة وبنى له كشكا فوق قاعات المقياس وهو مشرف على بحر النيل والروضة والمقياس ولما دخل السلطان سليم منه قفل ومنع من يجلس فيه حرمة لمولانا السلطان سليم ذكر القطبى فى أعلامه قال رأيت جماعة من مصاحبى السلطان سليم وسمعت منهم حسن سيرته ولطف معاشرته وشدة تيقظه ودقة فهمه مع كثرة مطالعته للتواريخ وتفرسه فى اللغة الفارسية والرومية بحيث انه فاق الطائفتين ورأيت بخطه الشريف بيتين كتبهما بابا على المقياس فى الكشك الذى أمر ببنائه لما افتتح مصر وسكن الروضة وكان هذا الكشك محترما مقفلا لا يصل اليه أحد لعظم بانيه فدخلت مصر سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وكان يوم كسر النيل السعيد ففتحوا هذا الكشك لباشة مصر خسرو باشا وكنت مصاحبا المعلم عبد الكريم العجمى فطالع واطلعنى معيته فرأيت مكتوبا على الرخام الابيض كتابة خفية لا تكاد تظهر الا بالتأمل هذين البيتين وهما

الملك لله من يظفر بنيل منى * يرد قهرا و ينزل بعده الدركا

لو كان لى أولغيرى قدر انملة * فوق التراب لصار الامر مشتركا

ومرقوم تحتهما كتبه الفقير سليم ولعمرى ان كان هذان البيتان من نظم المرحوم فهما فى غاية البيان والبراعة ونهاية فى الشعر العربى الفصيح المنسجم وان كان قد تمثل بهما فهما أيضا مرتبة علية فى حسن التمثيل ولطف الاستحضار رحمه الله الله تعالى وكان أشيع بمصر فى جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين والف ان السلطان عثمان بن المرحوم السلطان أحمد يحل ركابه السعيد الى مصر المحروسة بقصد الحج أوغير ذلك على ماقيل فجددما انهدم من الكشك المذكور وزخرف وزين بناء على ان السلطان عثمان اذا قدم الى مصر يقيم بالكشك المذكور وياتى الله الا ما أرادا * ومما أفاده مولانا شيخ الاسلام الشيخ محمد حجازى الواعظ الشعراوى خادم السنة النبوية بالديار المصرية فى فتوى أفتى بها على سؤال رفع اليه فى سنة احدى وثلاثين وألف فيمن يتعرض للرزق وأوقاف المسلمين فمن جملة جوابه انه قال سمعت من استاذنا المؤرخ من ألحق الاصاغر بالاكابر شهاب الدين أحمد الجهركسى يخاطبنى وكثيرا من مشايخى مشافهة ان مولانا السلطان سليم لما أخذ مصر من الجراكسة ووضع رجله فى الركاب ليتوجه الى الروم فتقدم اليه خير بك بمفاتيح البلد فردها عليه وولاه عليها الى أن يموت بها فشاوره على ان ابناء الجراكسة يريدون الدخول فى جملة الاجناد فاجابه الى ذلك وشاوره على

وقد خربها الفرنسيس أيضا (وولى بعده الملك الاشرف قانصوه الغورى) يوم الاثنين يوم عيد الفطر سنة ست وتسعمائة بعد اختلاف بين العسكر ثم اتفقوا على توليته لانهم رأوه لين العريكة سهل الازالة متى ارادوا ازالته أزالوه لانه كان أقلهم مالا واضعفهم حالا وقال أقبل التولية بشرط ان لا تقتلونى فان أردتم خلعى من السلطنة فأخبرونى وأنا أنزل لكم عنها فعاهدوه على ذلك وبويع له بقلعة الجبل بحضرة الخليفة

ابقاءه أوقاف الجراكسة وهى نحو عشرة قراريط من أراضى مصر فاجازه بابقائها على ما كانت عليه فتشوش وزيره وقال فى مالنا وعساكرنا وتسلمهم بلادهم وتدخلهم فى عسكرنا وتبقى لهم أوقافهم يستعينون علينا بذلك فقال السلطان سليم اين الجلاد فضرب عنق الوزير المذكور ووضع رجله الثانية فى الركاب ولما نزل الخانقاه السرياقوسية لاطفوه فقال عاهدناهم على انهم ان مكنونا من بلادهم أبقيناهم عليها وجعلناهم أمراءها فهل يجوز لنا أن نخون العهد ونغدر واذا أدخلنا أبناءهم فى جندنا فهم مسلمون أولاد مسلمين و يغارون على ديارهم واما أراضيهم فأصحابها ملاك الغانمين ومنهم من وقف ومنهم من قامت ذريته من بعده فهل يجوز أن ننازع الملاك فى أملاكها وانما أزلت الوزير كراهة ان يغير على اعتقادى بتكرار كلامه فرحم الله هذا الملك العظيم وهكذا شأن الملوك ولما رحل السلطان سليم بعساكره المنصورة ظهرت فى ظهره جراحة منعته الراحة وعجزت عن علاجه حذاق الاطباء وتحيرت فى دائه عقول الالباء وكانت توضع الدجاجة فى جرحه فتذوب وشوهدت معاليق أكباده من خلف ظهره وأنشبت المنية أظفارها فما نفعته التمائم والرقى وفدى بالاموال فما قبل الفدا كما قيل فى المعنى

ولو قبل الفداء لكان يفدى * وان جل المصاب عن التفادى
ولكن المنون لها عيون * تكد لحاظها فى الانتقادى
فقل للدهر أنت أصبت فالبس * بزعم بنيك أثواب الحداد

وكان السلطان سليم قصده العود ثانيا الى العجم فما ساعدته القدرة الربانية ولما وصل الى تخت ملكه الشريف وهو متوعك استمر الى ان لحق بربه فكانت وفاته سنة ست وعشرين وتسعمائة ومدة سلطنته تسع سنين ولم يعمر أكثر من ذلك ولم تطل سلطنته لانه كان سفاكا للدماء كثير القتل وهذه عادة الله فى السلاطين والامراء اذا أكثروا فى سفك الدماء (ثم تولى السلطان سليمان خان) بن السلطان سليم خان بعد وفاة والده فى سنة ست وعشرين وتسعمائة وجلس على تخت السلطنة الشريفة ولا ادمى أنف أحد ولا أريق محجمة دم وسنه ست وعشرون سنة وكان سلطانا ماهيا باسعد أيده الله لنصرة الاسلام برغم أنوف أعدائه وكان مؤيدا فى حروبه ومغازيه مسعودا فى حركاته ومعانيه أينما توجه فتك وانى سافر سافر وسفك (ذكر غزواته) أول غزواته انكروس سنة ٩٢٧ ثانى غزواته رودس سنة ٩٢٨ وعمل الناس لذلك تواريخ الطفها يفرح المؤمنون بنصر الله * ثالث غزواته انكروس ثانيا سنة ٩٢٩ رابع غزواته غزوة مسيح سنة ٩٣٥ خامس غزواته غزوة العجم سنة ٩٣٩ سادس غزواته غزوة ألمان سنة ٩٤١ سابع غزواته غزوة الونية سنة ٩٤٤ ثامن غزواته غزوة بغداد سنة ٩٤٥ تاسع غزواته غزوة اسطمبور سنة ٩٤٨

المستنصر بالله وهو وأصحاب الحل والعقد فأقام سلطانا خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوما وكان ذا رأى وفطنة كثير الدهاء والفسق قمع الامراء وآذى المعاندين حتى اشتد ملكه وهيبته فهابته ملوك الروم والمشرق والافرنج وذلك الاميرى منهم وكان له المواكب الهائلة فى مهد طريق الحج بحيث كان يسافر اليه من مصر النفر القليل وكان فيه خصال جيدة وميل الى الخير وكان يصرف فى شهر رمضان الى

عاشر غزواته غزوة مسيح واستمر عون سنة ٩٥٠ حادى عشر غزواته غزوة الغاس سنة ٩٥٤ ثانى عشر غزواته سفره الى المشرق سنة ٩٦٠ ثالث عشر غزواته غزوة سكتوار وهى آخر غزواته وتوفى فيها سنة ٩٧٤ ذكر وزرائه العظام أوّل وزرائه بيرى باشا الصديقى صادفه وزيرا لوالده فابقاه ثم استعفى من الوزارة لكبر سنه فاجيب ثانى وزرائه ابراهيم أودا باشا حرمه الخاص ثالث وزرائه اياس باشا وكان من الارنؤت رابع وزرائه لطفى باشا وكان من الارنؤت خامس وزرائه سليمان باشا الخادم وكان من الارنؤت سادس وزرائه رستم باشا وكان من الارنؤت سابع وزرائه أحمد باشا ثم أعيد رستم باشا ثامن وزرائه على باشا وكان من ٢ البوسنه تاسع وزرائه محمد باشا وهو آخر وزرائه وكان متصرفا متمكنا فى الوزارة العظمى مع التدبير الحسن والتصرف العام على الخاص والعام وكانت وزارته فى سنة ٩٧٢ واستمر بقية مدة السلطان سليمان وكان مدة السلطان سليم الثانى الى ان استشهد فى زمن المرحوم السلطان مراد وكان السلطان سليمان يحب الخيرات واجراء الصدقات من جملة آثاره الحميدة السحابة الكبرى بطريق الحاج الشريف ولها أوقاف بكثرة يشترى من ريع أوقافها فى كل سنة جمال لحمل الفقراء والمنقطعين والعواجز والماء والزاد وغير ذلك ومقرر بها من المغاربة أربعون نفرا ومن المطاوعة أربعون نفرا ذهابا وايابا وذلك مستمر الى الآن وانضم الى أوقاف الدشيشة الكبرى أوقاف أخر فصارت الآن خمسة أوقاف وقف السلطان قايتباى ووقف السلطان جقمق ووقف السلطان ثم ووقف السلطان سليمان ووقف خوندو القرى الموقوفة عليها وهى بالقليوبية ناحية سرياقوس وطحانوب وناحية سندوه وناحية نوى والقشيش وناحية امياى وبالمنوفية ناحية البيجور وناحية المقاطع وناحية اسدود وناحية الصفراء وناحية دمدون وبالغربية ناحية شبرابسيون وناحية القضابة وناحية كفر شبرابسيون وناحية محلة المرحوم وكفرها وناحية منية الليث هشام وناحية بقلولة وناحية قويسنه وناحية دمقنوا وبالدقهلية ناحية تدوية وناحية قبيده وناحية منية شرف وناحية منية القرشى وناحية أبوداود العزب وناحية طوانيس وناحية منشاة عنبر وناحية منية العز مساعد وناحية الجديدة ناحية شبراغنت وناحية بستبودا وبالبحيرا ناحية مطوبس الرمان وناحية منية المرشد وناحية شمشيرة وناحية عزبة عمرو وناحية القنى وبالجيزة ناحية صقيل وناحية منية قادوس وناحية صيده وناحية الكنيسة وناحية وسيم وبالبهنسا ناحية منية ابن خصيب والاسيوطية والوجه القبلى وناحية الفيوم وناحية زاوية عباس وناحية طرشوب وناحية حلف وناحية شمسطا وناحية براوه

٢ فى نسخة من السرايا باه

مطبخ الجامع الازهر كل سنة سبعمائة وسبعين دينارا ومائة قنطار من العسل وخمسمائة أردب قمح وبنى معامر للخير كثيرة الاثانه كان شديد الطمع كثير الظلم والعسف يصادر الناس فى أموالهم واذا مات أحد أخذ جميع ماله واتخذ مماليك فصاروا يظلمون الناس ظلما كثيرا فتوجه الناس فيهم وفى سيدهم الى الله تعالى فأزال الله ملكه بسبب فتنة بينه وبين السلطان سليم خان ملك القسطنطينيه فقصد كل منهما الآخر واجتمعا

وناحية سخبرج وناحية ابو الهدر وناحية طهماذات الاعمدة وناحية طوة
بنى ابراهيم وناحية منشأة التركمانى وناحية أبو الهر وناحية ضبوا وكفورها
وسهواج وكفورها وناحية طميمة وناحية اللاهون وان المتحصل من النواحى فى
كل سنة ماهو من المال سبعون كيسا وماهو من الغلال ثلاثة وثلاثون ألف أردب
وثمانمائة وثمانون أردبا وذلك خارج عن أجرة الاماكن الكائنة بمصر وغيرها وهو
فى كل شهر هلالى أربعة وأربعون كيسا فكان مدة تصرف السلطان سليمان
فى السلطنة تسعا وأربعين سنة والله أعلم (ثم تولى السلطان سليم الثانى) ابن
السلطان سليمان خان وجلس على تخت السلطنة الشريفة تاسع ربيع الآخر سنة
أربع وسبعين وتسعمائة وسنه ست وأربعون سنة وعمل بعض الفضلاء تاريخا
لتوليته فقال سليم تولى الملك بعد سليمان * سنة ٩٧٤ وبعد ثلاثة أيام من جلوسه
توجه الى سكتوار لحفظ عساكر الاسلام المجاهدين فى سبيل الله فسار سيرا حثيثا
الى أن وصل ركابه السعيد الى سرم فتلقاه الوزير محمد باشا المتقدم ذكره واعلمه
بهجوم الشتاء وتيسير قلعة سكتوار والتمس الاذن الشريف بعود العسكر المنصور
الى الاوطان واستمرار الركاب بذلك المكان الى أن يصل هو وبقية الوزراء ووجوه
الدولة الى لثم الركاب الشريف وبعد ذلك يعودون فى خدمته الى مقر التخت
الشريف بالقسطنطينية الكبرى فأجيب حضرة الوزير الاعظم الى ما أشار
واستمر ركاب السلطنة الشريفة بذلك المحل الى أن ورد عليه الوزير الاعظم وباقى
الوزراء وقبلوا الركاب وهنوه بالملك وعادوا فى خدمته الى القسطنطينية الكبرى
بغاية البشر واليمن والقبول وجهزت البشائر الى الممالك الشريفة وأتت اليه
الهدايا والتحف من الملوك والاشراف فعم بحسن نظره الشريف البلاد واطمأن
فى زمنه العباد ودمر أهل الكفر والالحاد وله غزوات مشهورة دمر بها دابر
الكافرين وقطع دابر الظالمين وهو جالس بمكانه الشريف منها فتح قبرس ومنها
فتح تونس وحلق الوادى ومنها فتح ممالك اليمن واسترجاعها من العصاة (ومما
يحكى) عنه انه كان لوالده المرحوم السلطان سليمان مصاحب يسمى شمسى باشا
العجمى ولا يخفى ما بين آل عثمان والعجم من العداوة المحكمة الاساس الراسخة
الاوتاد فأقر السلطان سليم شمسى باشا مصاحبا على ما كان عليه زمن والده
وكان شمسى باشا له مداخل عجيبة وأمور غريبة يلقيها فى قالب مرضى يسحر بها
ذوى العقول فقصد أن يدخل شيأ منكرا فى سلطنة بيت آل عثمان يكون سببا لخللها
وهو قبول الرشا من أرباب الولايات والعمال فلما تمكن من مصاحبة السلطان
سليم قال له على سبيل العرض عبدكم فلان المعزول من منصب كذا وليس
بيده منصب الآن وقصده من فيض انعامكم عليه بالمنصب الفلانى ويعطى كذا

وكذا

بعسكرين عظيمين فى موضع يقال له مرج دابق شمالى حلب بمرحلة فى شهر رجب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة فانهزم عسكر الغورى ولم يعلم حال الغورى فأقام السلطان سليم بالشام شهرا ثم رحل الى مصر فوجد عسكر مصر ولوا عليهم الملك الاشرف طومان باى ابن أخ الغورى ووقع بينهم حروب كثيرة فرأى طومان باى فى نومه النبى صلى الله عليه وسلم وقال له ياطومان أنت ضيفنا بعد ثلاثة أيام نخلع آلة القتال وذهب الى السلطان سليم طائعا

وكذا فلما سمع السلطان سليم ما أبداه شمسى باشا وعلم انها مكيدة منه فى ادخال الرشوة بيت آل عثمان تغير مزاجه الشريف وقال له يارافضى تريد أن تدخل الرشوة بيت السلطنة حتى يكون ذلك سببا لازالتها وأمر بقتله فتلطف به وقال له لا تعجل أيها الملك هذه وصية والدك لى فانه قال لى السلطان سليم صغير السن وربما يكون عنده ميل للدنيا فاعرض عليه هذا الامر فان جنح اليه فامنعه بلطف فان امتنع فقل له هذه وصية والدك فدعا عليه ودعى له بالثبات فى ترك الرشوة التى هى من الامور المستصعبات فخلص من القتل بهذه الحيلة وكانت مدة سلطنة السلطان سليم تسع سنين وكانت وفاته فى سابع رمضان سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة والله أعلم (ثم تولى السلطان مراد بن السلطان سليم) وجلس على تخت السلطنة الشريفة فى عاشر شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين وتسعمائه وسنه ثلاثون سنة وكان يحب الخيرات ووجوه المبرات فمن جملة خيراته انه أنشأ تكية بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وربا طابقباء ظاهر المدينة المنورة وقرر بها أرباب وظائف ومجاورين ورتب بالتكية طعاما يطبخ صباحا ومساء ورتب حبا لاهل الحرمين الشريفين ووقف على ذلك قرى من قرى مصر المحروسة وهى باقليم البحيرة ناحية نكلا وناحية الضاهرية وبالمنوفية ناحية سبك الاحد وناحية شبرا زنجى وبالقليوبية ناحية طنان وناحية كفرزريق وناحية طوخ الملق وناحية سدطنان وناحية سنهرا وبالدقهلية ناحية سندوب وناحية منية سمنود وناحية أبوالحسن وبالجيزية ناحية كوم براوناحية نهيا وا لبهنساوية والوجه القبلى ناحية بلغيا وناحية دندبل وناحية العتامنة وناحية دشنا وناحية الضوابط وناحية اهناس الخضرا وفى كل سنة يجهز الى بندر السويس من متحصل النواحى المذكورة فى كل عام من الحب قدر ألفى أردب ومائتى أردب تحمل فى مراكب فى وقف الدشائش المداديه الى الينبع برسم التكية المذكورة ومجاورى الحرمين الشريفين واما ما يجهز من النقد من متحصل النواحى المذكورة فى كل عام صحبة أمير الحاج الشريف المصرى فقدره سبعة عشر كيسا توزع على أربابها من مجاورى الحرمين الشريفين وتوفى السلطان مراد فى سابع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وألف فجملة تصرفه فى السلطنة عشرون سنة وتسعة أشهر وستة أيام والله أعلم (ثم تولى السلطان محمد بن السلطان مراد) وجلس على تخت السلطنة الشريفة يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وألف وقد نظم بعضهم تاريخا لجلوسه فقال

مراد أتى الفردوس والملك زانه * محمد الآتى بخير معاد
باثر أبيه قد تولى فارخوا * محمد تولى عين ملك مراد

مختارا فقتله وشنقه وأبقاه فى باب زويلة مشنوقا ثلاثة أيام ثم دفن بعد دفن الغورى المشهور وبموت طومان باى انقطعت دولة الجراكسة وارتفعت السلطنة من مصر وعادت الى النيابة كما كانت وكانت مدة الغورى ست عشرة سنة وثلاثة أشهر تقريبا ومدة تصرف الجراكسة مائة واحدى وعشرون سنة وجملة ملوكهم اثنان وعشرون ملكا أولهم برقوق وآخرهم طومان باى ثم جاءت الدولة العثمانية ذات الصولة الباهرة البهية

وقد نظم أيضا بعضهم تاريخا لجلوس السلطان محمد المومى اليه فقال

بولاية المولى المليك محمـــد * عم الهنا والكون بالبشر انشرح
ومحا الشفا سقم الوجود فأرخوا * بمحمـــد قد شرف الملك وضح

ونظم بعضهم أيضا تاريخا لجلوسه فقال

محمد خان سلطان على * أدم يارب دولته وابق
أيا أهل الممالك أرخوه * محمد خان سلطان بحق

وتوجه بذاته الشريفة وصحبه عساكره المنصورة الى غزوة المجر وحصل هنالك قتال ونزال يطول شرحه ألف المؤرخون لهذه الغزوة تواريخ بالتركي والعربي وحصلت النصرة لولاة حضرة السلطان محمد وعاد سالما مؤيدا منصورا ومن أثر خيراته أنه رتب حبوبا بالمحمل في مراكب من بندر السويس الى الينبع لفقراء الحرمين الشريفين ووقف على ذلك قرى من قرى مصر المحروسة وهي بأقاليم المنوفية ناحية البقنون وناحية مليج وناحية شنوان وبالغربية ناحية الهياثم وناحية منية محيل وناحية بهوت وبالقليوبية ناحية صنافين وناحية مجول البيضا وبالشرقية ناحية شلشلمون وبالدقهلية ناحية نقيطا وناحية صهرجت الماش وبالفيوم ناحية نقاليفة وناحية بغمين وبالبهنسا والوجه القبلي ناحية نويرة وناحية سلاوة وناحية بهبا وناحية قاي وناحية الريئة وناحية بهدادو وناحية قلوصنة وناحية سفط الخمارة وناحية أهناس المدينة وناحية كفر حمدوه وناحية القيس وناحية انسوخ وناحية زيدة والذي يجهز من محصولات القرى المذكورة الى المدينة المنورة وفقراء الحرمين الشريفين ومجاوريهما ما قدره من الحب اثنا عشر ألف أردب ومن المال النقد ما جملته أثنا عشر كيسا فكانت مدة تصرف السلطان محمد في السلطنة تسع سنين وخمسة عشر يوما وتوفي في رجب سنة اثنتي عشرة وألف (ثم تولى السلطان أحمد بن السلطان محمد) وسنه ثماني عشرة سنة وجلس على تخت السلطنة الشريفة في ثالث رجب سنة اثنتي عشرة وألف وكان ماكما مهابا أوله التفات الى السلطنة الشريفة وقتل جماعة من وزرائه من جملتهم نصوح باشا فانه لما آلت اليه الوزارة العظمى وتصرف فيها مع نفوذ الكلمة كثرت اتباعه ومماليكه حتى خرج عن طوره ووقع في ألسنة العامة والخاصة واشيع عنه ما يوجب التيقظ لأموره كما قيل وعند صفو الليالي يحدث الكدر * فقتل ولله عز وجل البقاء ومن جملة محاسن السلطان أحمد أنه عمر جامعا بالقسطنطينية لم يعمل مثله في اتساعه واحكام بنائه ودقة صنائعه وغير ذلك مما يعجز عنه الوصف ومنها أنه أرسل حجرا من ألماس قيمته اثنا عشر ألف دينار أو أكثر الى المدينة المنورة وأمر أن يوضع بالحجرة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وهو موجود الى الآن

التي هي غرر جباه الايام أبقيهم الله تعالى حلة الدوام فأولهم في ولاية مصر (السلطان سليم خان فاتح مصر) وقد ملكها مستهل سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وتوفي سنة ست وعشرين وتسعمائة وكان سلطانا مهابا قهارا كثير السفك للدماء قوي البطش والفحص عن أخبار الناس عظيم الكشف عن أحوال الملوك وكان يغير زيه ولباسه ويتجسس بالليل والنهار ويطلع على الاخبار وتوجه لقتال العجـــم ونصره الله عليـــهم

ومنها أنه حصل فى بناء الكعبة الشريفة ميلان فى بعض أحجارها فارسل عمدا من فولاذ مطلية بالفضة مموهة بالذهب فطوقت بها الكعبة الشريفة من جوانبها الاربع وحفظت الاحجار من السقوط ومن آثار خيراته أيضا أنه أرسل ميزابا من فضة مموها بالذهب ووضع موضع الميزاب العتيق وتسلم أمير الحاج الشامى الميزاب العتيق ووضعه فى تختروان وأسبل عليه كسوة المحمل الشريف الشامى وخرج أمير الحاج الشامى أمامه وخلق كثير من العسكر المنصور ركبانا ومشاة بالطبل التركى وكان يوم خروجه من مكة يوما مشهودا وذلك فى سنة اثنتين وعشرين والف وكان مؤلف هذا الكتاب حاجا فى السنة المذكورة وشاهد خروج الميزاب المذكور وأرسل الميزاب العتيق الى القسطنطينية ووضع بالخزائن العامرة تبركا ومن خيراته أيضا أنه عمل سحابة بركب الحاج الشريف المصرى يحمل بها الماء للفقراء والمساكين ووقف عليها أوقافا وهى مستمرة الى الآن وبها النفع العام ومن آثاره أيضا أنه رتب من ريع أوقافه أيضا لفقراء الحرمين الشريفين وأرباب وظائفهما زيادة فى معلومهم فى كل سنة ما قدره اثناعشر كيسا يحمل اليهم صحبة أمير الحاج المصرى ولا يخفى على أولى البصائر وذوى العقل الباهر ما لآل عثمان من الخيرات والطول الكامل فى اسداء المبرات وكثرة احسانهم وتواتر انعامهم واسعافهم واكرامهم لاهل الحرمين الشريفين جيران الله وجيران نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى هذين البلدين العظيمين المنيفين والتصدق عليهم والرأفة اليهم بكثرة الانعام فى كل عام فلا غرو ان نطقت بمدحهم أفواه الدفاتر وخطبت بذكرهم الاقلام على انها خطباء والانامل لها منابر وشدت بذكرهم الاطيار فى أوكارها وأجابهم عامى الصوادح طائعا أوكارها فلا زالت ألويتهم منشورة الذوائب مشرقة كالشمس فى المشارق والمغارب ظاهرة السفور محلية عاطل طروس السطور والذى ضبطه جامع هذه الاوراق المرتجى عفو ربه الخلاق فقير رحمة ربه محمد بن اسحاق ورقمه بطريق التقريب فى هذا الكتاب ورسمه حسبما وصل اليه علمه من أفواه المباشرين والكتاب ان الذى يجهز الى فقراء الحرمين الشريفين ومجاوريهما فى كل عام من صدقة آل عثمان وخدمتهم وممن يأتى ذكره فيه من الديار المصرية حماها الله تعالى من كل ضرو بلية ما هو من المال النقد المسمى بالمصرة مائة كيس وأربعة وستون كيسا بيان ذلك ما هو من أوقاف الدشيشة الكبرى أربعة وستون كيسا وما هو من أوقاف السلطان مراد سبعة عشر كيسا وما هو من وقف السلطان محمد اثناعشر كيسا وما هو من وقف السلطان أحمد اثناعشر كيسا وما هو من وقف الخاصكية عشرة أكياس وما هو من وقف الحرمين عشرة أكياس وما هو من وقف الاشرف

لكنه لم يتمكن من بلادهم شدة التمكن للغلاء والقحط الذى وقع هناك بسبب انقطاع القوافل التى كان أعدها لتتبعه بالمؤن فتفحص عن انقطاع ذلك فاخبران سببه سلطان مصر قانصوه الغورى لانه كان بينه وبين اسمعيل شاه كبير العجم مودة ومراسلات فلما استقر فى تخت السلطنة استعد لاخذ مصر فكان منه ما كان وكان مستقره فى مدة اقامته بمصر الروضة وبنى له كشك عند قاعة المقياس وهو مشرف على بحر النيل

وفى نسخة الحاز كيه اه

خمسة عشر ألف نصف فضة وماهو من وقف الخدم ثمانون ألف نصف فضة وماهو من وقف رستم باشا اثنا عشر ألف نصف فضة وماهو من وقف اسكندر باشا عشرة آلاف نصف فضة وماهو من وقف سنان باشا عشرون ألف نصف فضة وماهو من وقف على باشا اثنان وثلاثون ألف نصف فضة وماهو من الحب فى كل عام ثمانية وأربعون ألف أردب وثمانمائة وثمانون أردبا كماهو مذكور فى محله فى هذا الكتاب وذلك خارج عن صدقات البلاد الرومية والحلبية والشامية وغالب البلاد الاسلامية وذلك ببركة دعوة سيدنا ابراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام حيث قال رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون فاجاب الله تعالى دعاءه وجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ فان أودية مكة حجرية لانبات بها قال البيضاوى فى تفسيره عند قوله تعالى فاجعل أفئدة من الناس ومن للتبعيض ولذا قيل لو قال أفئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى وتوفى السلطان أحمد فى عاشر شهر القعدة سنة سبع وعشرين وألف فكانت مدة تصرفه أربع عشرة سنة وأربعة شهور وعشرة أيام والله أعلم (ثم تولى السلطان مصطفى بن السلطان محمد) وهو أخو السلطان أحمد وجلس على تخت السلطنة الشريفة فى ثالث عشرى ذى القعدة سنة سبع وعشرين وألف وكان فى مدة ولاية أخيه السلطان أحمد فى محل داخل السراية وهو ممنوع التصرف والاجتماع بالناس لايمكن من الخروج من السراية وعنده بعض أطفال يخدمونه وهو موصوف بالصلاح لا التفات له الى سلطنة ولا الى تصرف فى أمر من الامور وكان كلما اجتمع باخيه السلطان أحمد يقول له لاحاجة لى بسلطنة مطلقا وكان يشاع ان السلطان أحمد كلما خطر بفكره شئ من قبل أخيه السلطان مصطفى يقول له ارجع عما تقصده فكان ذلك سببا للكف عنه ثم خلع مولانا السلطان مصطفى ليلة الاربعاء ثالث ربيع الاول سنة ثمان وعشرين وألف وأودع فى جب داخل السراية وسد بابه ماعدا روزنة لطيفة ينزل منها طعامه وشرابه وكانت مدة ولايته ثلاثة أشهر وعشرة أيام والله أعلم (ثم تولى السلطان المظلوم الشهيد عثمان بن السلطان محمد) وجلس على تخت السلطنة الشريفة يوم الاربعاء ثالث ربيع الاول سنة ثمان وعشرين وألف وسنه احدى عشرة سنة وهو مع صغر سنه ملك همام وأسد ضرغام ولما تمكن وتصرف واستقام له الحال توجه بذاته الشريفة وعساكره المنيفة الى غزوة طائفة من النصارى المعروفين باللية من جنس الروس فانه بلغه عنهم أمور قبيحة وخروج عن الطاعة وايذاء للمسلمين فوطئ بلادهم بخيله ورجله وقتل منهم من قتل وأسر من أسر

والروضة ولما أراد التوجه الى الروم تقدم اليه خير بك بمفاتيح البلد فردها عليه وولاه عليها الى أن يموت فشاوره على أن أبناء الجراكسة يريدون الدخول فى جملة الاجناد فاجازه بذلك وشاوره على ابقاء أرقاف الجراكسة وهى نحو عشرة قراريط من أرض مصر فأجازه بابقائها على ماكانت عليه فتشوش وزيره وقال فى مالنا وعساكرنا وتبقى لهم أوقافهم يستعينون علينا بها فقال السلطان سليم أين

فاذعنواله ووافقوا على أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وعاد الى تخت ملكه مؤيدا منصورا فمكث مدة يسيرة وبعد ذلك شاع الخبر من الداخل ان السلطان عثمان قصد الحج الى بيت الله الحرام والفوز بزيارة قبر خير الانام عليه أفضل الصلاة والسلام وبعد تمام الحج يحل ركابه السعيد بمصر المحروسة لاجل احتياطه بامورها فبلغ ذلك الخبر مولانا محمود أفندى الولى العارف وبعض الوزراء وأكابر الدولة فاشاروا على مولانا السلطان عثمان بترك هذا الوارد وبانه ماتقدم لاحد من أكابر سلاطين آل عثمان مثل هذه الحركة وان فيها ضررا عاما للرعايا والبرايا والعساكر المنصورة فلم يقبل لاحد منهم اشارة ولم يلتفت لما قالوه وصمم على هذا الامر أشد تصميم لامر اراده العزيز العليم ثم فى يوم الاربعاء سابع رجب سنة احدى وثلاثين وألف أثيرت فتنة بالقسطنطينية بسبب هذه الحركة المتقدم ذكرها فقتل بها خلق كثير من الاكابر والاماثل وغيرهم من جملتهم سليمان أغا ودلاور اغا الوزير الاعظم واختفى السلطان عثمان ونزل من السراية الى اسطودار لاجل الاجتماع بمحمود أفندى المشار اليه فطرق عليه الباب فلم يمكنه من الاجتماع به بسبب عدم قبول نصيحته اول مرة وكان ذلك قبيل الغروب ثم عاد الى السراية الكبرى فوجدها مقفولة فلم تفتح له فرجع على أثره لمنزل حسين باشا وبات به ثم توجه بكرة النهار هو وحسين باشا الى منزل أغات الينشرية وابرم السلطان عثمان على حسين باشا وأغات الينشرية بالتوجه الى العسكر المنصور وأخذ خواطرهم وان يعطيهم مايريدون ويدفع مايتضررون منه ويكرهونه فقالا لا يتيسر ذلك الآن بمقتضى أنهم أخرجوا السلطان مصطفى من الجب وأجلسوه على تخت السلطنة الشريفة فابرم السلطان عثمان على أغات الينشرية فى ايصال هذا الكلام الى العسكر المنصور فماوسعه مخالفته وسلم الامر الى الله تعالى لانفاذ القدر المقدور فلما وصل اليهم وذكر لهم ماذكره له السلطان عثمان فما كان جوابهم الا ان قطعوه بالسيوف اربا اربا وتوجهوا فورا الى بيت أغات الينشرية وأخرجوا السلطان عثمان وجاؤا به للسلطان مصطفى فلما تلاقيا تباكيا وعما حصل لا تسل وأخذوا السلطان عثمان ونزلوا به فى قائق وتوجهوا به الى المكان المعروف بيدى قله فبات به فلما أصبح الصباح عاد به داود باشا بالقائق وهو ميت لاروح به ولا حركة وادخل الى السراية الكبرى وأذن الناس اذناعاما فى الصلاة عليه ثم دفن بتربة والده المرحوم السلطان أحمد التى أنشأها عند جامعه وكان له مشهد مشهود تباكت عليه الرعايا والعساكر المنصورة ونم بعضهم على بعض فى الذى كان سببا لذلك ونشأ بعد ذلك فتن كقطع الليل المظلم من قال وقيل وغير ذلك مما يجب كتمه ولا يستحب اذاعته وبعد ذلك قتل داود باشا

الجلاد وكانت احدى رجليه فى الركاب فضرب عنق الوزير ووضع رجله الثانية فى الركاب ولما نزل الخانقاه لاطفوه فقال عاهدناهم على انهم ان مكنونا من بلادهم ابقيناهم عليها وجعلناهم امراءها فهل يجوز لنا ان نخون العهد ونغدر واذا ادخلنا أبناءهم فى جندنا فهم اولاد مسلمين ويغارون على دارهم وأما أراضيهم فاصلها لملك الغانمين ومنهم من وقف ومنهم من قامت ذريته من بعده فهل يجوز ان ننازع الملاك فى

أشهر قتله وقتل معه جماعة من الاكابر ولا يعلم ما يحدث بعد ذلك الا الله تعالى وكانت وفاة السلطان عثمان يوم الخميس تاسع رجب سنة احدى وثلاثين وألف ومدة تصرفه أربع سنوات وأربعة أشهر وأربعة أيام وقد نظم بعضهم تاريخا لقتله فقال

قتلتموا عثمانكم * وخنتموا امامكم
أما تخافوا فتنة * تاريخها ظلامكم ١٠١٣

وقد نظم بعضهم أيضا تاريخا فقال

مات سلطان البرايا * وهو فى الاخرى سعيد
قال لى الهاتف ارخ * ان عثمان شهيد
١٠٣١

(ثم اعيد مولانا السلطان مصطفى الى الملك ثانى مرة) وجلس على تخت السلطنة الشريفة يوم الخميس ثامن رجب سنة احدى وثلاثين وألف خلد الله تعالى ملكه على الاسلام والمسلمين وجعل ظل سلطانه قويا متين وأنام الانام فى ظل أمانه وعدله المكين لازالت ان شاء الله تعالى دولته ماشية وآية ملكه تتلو هل أتاك حديث الغاشية وابقاه على سرير السلطنة الباهرة دهرا طويلا وثبته على منهج الكتاب والسنة ولن تجد لسنة الله تحويلا وجعل السلطنة باقية فى عقبه الى يوم التناد وأنار بنور عدله ظلم الظلم والفساد بجاه سيدنا محمد أفضل العباد انه كريم جواد لطيف بالعباد

* (الباب العاشر فيمن تصرف فى مصر من جانب آل عثمان المعظمين من الوزراء والبشوات المفخمين وايراد أخبارهم ومدة اقامتهم بالديار المصرية وأحكامهم بها

(أول من تقرر باشا بمصر خاير بك أمير الامراء) بوعد سابق له فى ذلك من المرحوم السلطان سليم وذلك فى أوائل رجب سنة أربع وعشرين وتسعمائة وجعلها مطعمة له الى أن يموت فتوفى فى عاشر شهر صفر سنة ست وعشرين وتسعمائة فمدة تصرفه سنتان وتسعة أشهر وثلاثة أيام (ثم تولى مصطفى باشا) وكان دخوله فى أوائل شهر رجب سنة سبع وعشرين وتسعمائة وعزل فى سادس عشرى شهر الحجة سنة ثمان وعشرين وتسعمائة فمدة تصرفه سنة واحدة وعشرة أشهر ويومان اثنان والله أعلم (ثم تولى قاسم جزل باشا) فكان دخوله سنة تسع وعشرين وتسعمائة وخروجه من مصر فى أوائل سنة ثلاثين وتسعمائة فكانت مدة ولايته سنة واحدة والله تعالى أعلم (ثم تولى أحمد باشا الخائن) فى شهر صفر سنة ثلاثين وتسعمائة والسبب فى توليته ان المرحوم السلطان سليمان لما جلس على تخت الملك صادف وزير والده المرحوم السلطان سليم وهو محمد باشا الصديقى فأبقاه على الوزارة العظمى وكان محمد باشا

أملاكهم وأنا ازلت الوزير كراهة ان يغير على اعتقادى بتكرار كلامه فرحم الله هذا الملك العظيم وهذا شأن الملوك وكانت مدة ملكه تسع سنين وثمانية أشهر وتوفى (وولى بعده ولده السلطان سليمان خان) بن السلطان سليم خان سنة ست وعشرين وتسعمائة فأقام تسعا وأربعين سنة وتوفى سنة خمس وسبعين وتسعمائة وكان سلطانا سعيدا لم يل مصر من بنى عثمان مثله وصلت سراياه الى أقصى المشرق والمغرب وغزا

كبير السن بطيء الحركة في قيامه وقعوده وتصرفه والملوك لا يليق بخدمتها الا من يكون له حركة ومبادرة للامور فاستعفى من الوزارة وولي مكانه أوداباشا وكان أقدم منه في الخدمة المذكورة أحمد باشا وكان مؤملا ان الوزارة العظمى لاتتعدّاه فزاحم ابراهيم باشا وجلس بقوّة قربه من السلطان فشكاه ابراهيم باشا للسلطان فدبر في ازالته وأعطاه باشوية مصر يستجلب بذلك خاطره وصار ابراهيم باشا يتعقبه للعداوة السابقة ويرميه بما يوجب قتله فبرز الامر لجماعة الامراء المحافظين بمصر أن يجتمعوا عنده ويقتلوه في محله بالامر الشريف ويولوا أحدهم مكانه الى أن يرد الامر الشريف باقامة باشا وأرسلت الاحكام الى الامراء بمصر فوقع الامر في يد أحمد باشا قبل أن يصل الى الامراء فسوّلت له نفسه العصيان وانه يقاتل بجيش يلفقه من مصر فأبدى الطغيان وادعى السلطنة وضرب السكة باسمه على الدنانير والدراهم وعصي بقلعة الجبل وكان قد حبس عنده بالقلعة أميرين كبيرين وهب جانم الحمزاوي ومحمود بك وأراد قتلهما وقد أخر الله تعالى أجلهما فسمعا انه دخل الحمام فكسرا الحبس وخرجا ونصبا صنجقا سلطانيا ونادبا من أطاع الله ورسوله والسلطان فليقف تحت الصنجق فوقف تحت الصنجق السلطاني خلق كثير وجم غفير وسار سرّدارهم جانم الحمزاوي ومحمود بك وتوجها بالعسكر الى الحمام فكبسا الحمام على أحمد باشا وكان قد حلق نصف رأسه وأعجله عن حلق النصف الثاني هجوم العسكر فهرب الى سطوح الحمام وتسلق من مكان الى مكان الى أن وصل الى البر فنهبوا جميع ما عنده من السلاح وغيره ثم انهم اقتفوا أثره فادركوه بمنية جناح بالغربية فقتلوه في أواخر سنة ثلاثين وتسعمائة وجزوا رأسه وجيء بها الى مصر وعلقت في باب زويلة ثم جهزت الى الاعتاب الشريفة فكانت مدة تصرفه بمصر سنة واحدة والله تعالى أعلم (ثم تولى ابراهيم باشا) الذي صار وزيرا أعظم وكان دخوله في أوائل سنة احدى وثلاثين وتسعمائة وخروجه من مصر في شهر شعبان من السنة المذكورة فمدة تصرفه سبعة أشهر (ثم تولى سليمان باشا الخادم) في تاسع شعبان سنة احدى وثلاثين وتسعمائة وفي زمنه حرقت الدفاتر الموضوعة بديوان مصر المحروسة وفي سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة عين الامير كيوان لمساحة قرى مصر وضبط أراضيها كل اقليم على حدته من الاطيان السلطانية والرزق والاوقاف والاقطاعات وغير ذلك وكتب بذلك دفاتر محررة ووضعت بديوان مصر المحروسة وهي معول عليها الآن ومشار اليها وتسمى دفاتر ابيع سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة وعمر أيضا جامعا بقلعة الجبل وعمر سليمان باشا جامعا ببولاق القاهرة وبجواره وكائل وأسواق وربوع وغير ذلك ولما تولى المرحوم الامير محرم بك أمير اللواء بالديار المصرية ناظرا على

بنفسه ثلاث عشرة غزوة وبنى مدرسة عظيمة مشهورة بالسليمانية وله بيمارستان للمرضى وما زال منذ ولي قائما بنصر الدين وتأييد الشريعة الى ان توفاه الله تعالى وكانت أيامه من غرر الزمان وجملة وزرائه بمصر خمسة عشر وزيرا (وولي بعده ولده السلطان سليم خان الثاني) فاقام في السلطنة ثمان سنين وشهرا واحدا وأربعة عشر يوما ومات في شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وكان حليما عظيما وسلطانا حكيما بشهما

أوقاف سليمان باشا زاد في الجامع المذكور زيادة حسنة ورفع سقفه فصار الآن في غاية الحسن والكمال مقام الشعائر الاسلامية وعمر أيضا جامع سارية بقلعة الجبل وعمر أيضا وكائل برشيد وغير ذلك ثم ورد عليه أمر شريف بالتوجه الى اليمن فكانت مدة تصرفه بمصر تسع سنين واحد عشر شهرا وستة أيام (ثم تولى خسرو باشا) في عشري شهر رمضان سنة احدى وأربعين وتسعمائة وعمر في ولايته مصر بجامع القصرين بمصر وبه النفع للشاردين والواردين فتصرف الى سادس جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنة وثمان شهور وستة أيام والله أعلم (ثم عاد سليمان باشا الخادم الى باشوية مصر) عند عوده من اليمن في حادي عشر شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة فتصرف الى حادي عشري محرم سنة خمس وأربعين وتسعمائة فكانت مدته سنة واحدة وخمسة أشهر واحدى وعشرين يوما (ثم تولى داود باشا) في سابع محرم سنة خمس وأربعين وتسعمائة وبنى في ولايته مدرسة عظيمة محكمة البناء بسويقة صفية اللالة بمصر المحروسة ووقف لها أوقافا وهي باقية الى الآن متامة الشعائر الاسلامية فتصرف الى ثالث عشر ربيع الاول سنة خمس وخمسين وتسعمائة فكانت مدته احدى عشرة سنة وشهرا واحدا وعشرين يوما وتوفي بمصر المحروسة ودفن بالقرافة (ثم تولى مصطفى باشا صغصغان) في خامس ربيع الاول سنة ست وخمسين وتسعمائة ومكث الى رجب من السنة المذكورة فكانت ولايته اربعة شهور ونصف شهر والله أعلم (ثم تولى على باشا) في خامس شعبان سنة ست وخمسين وتسعمائة وتصرف الى غاية محرم سنة احدى وستين وتسعمائة فكانت مدته أربع سنوات وخمسة أشهر وستة وعشرين يوما ولما انصرف من باشوية مصر توجه الى الاعتاب الشريفة فتنقلت به الاحوال الى ان ولي الوزارة العظمى فاحسن فيها السلوك وساوى بين الغني والصعلوك وصار محمودا في جميع تصرفاته مع الثناء عليه (ثم تولى محمد باشا الشهير بدوقتر كين زاده) في أول صفر سنة احدى وستين وتسعمائة وتصرف الى عشري شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وتسعمائة فكانت مدته سنة واحدة وشهرين وتسعة عشر يوما (ثم تولى اسكندر باشا) في جمادى الاولى سنة ثلاث وستين وتسعمائة وتصرف الى غاية رجب سنة ست وستين وتسعمائة فكانت مدته ثلاث سنوات وثلاثة أشهر وثمانية أيام وفي ولايته عمر المدرسة التي بباب الخرق المطلة على الخليج وهي مشيدة محكمة البناء وعمر تكية تجاهها وسبيلا بجوار المدرسة وقد عمل له بعض الفضلاء تاريخا وهو رحم الله من دنا وشرب * ٩٦٦ ووقف على ذلك أوقافا وهم في غاية الحسن والانتظام ولله الحمد والمنة (ثم تولى على باشا الخادم) في سابع عشر شعبان سنة ست وستين وتسعمائة

مطاعا أحيا سنة الجهاد وبدأ في فتح البلاد منها جزيرة قبرس وكان أول من افتتحها أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ثم بعده الملك الاشرف برسباي ثم صار وا يعكرون ويقطعون الطريق في البحر على المسلمين فاستفتى السلطان سليم فيهم المفتي أبا السعود فافتاه بانهم ناقضون للعهد فجهز اليهم وظفره الله بهم وجملة وزرائه بمصر أربعة منهم سنان باشا صاحب الخيرات والعمارات (ثم تولى بعده ولده السلطان

وتسعمائة فتصرف الى سادس صفر سنة ثمان وستين وتسعمائة فكانت مدته سنتين وستة أشهر (ثم تولى شاهين باشا) فى ثانى ربيع الاول سنة ثمان وستين وتسعمائة فتصرف الى غاية جمادى الآخرة سنة احدى وسبعين وتسعمائة فكانت مدة ولايته ثلاث سنين وثلاثة أشهر والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى على باشا الصوفى) فى أول رجب سنة احدى وسبعين وتسعمائة وتصرف الى غاية رمضان سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة فكانت مدته سنتين وثلاثة شهور (ثم تولى محمود باشا المقتول) وكان دخوله يوم الاربعاء تاسع عشر رمضان سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة فتصرف الى ان قتل يوم الاحد تاسع عشرى شهر جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنة واحدة وتسعة شهور وعشرين يوما وقد نظم بعض الفضلاء تاريخا لقتله فقال

موت محمود حياة * فيه للعالم رحمه
قتله بالنار نور * وهو فى التاريخ نظمه ٩٧٥

وقال بعضهم

أتى محمود باشا يوم نحس * فساقته منيته غصيبه
تجاه الناصرية خاف حيط * بغيط جاءه منه مصيبه
ببندقة رماه كمن رام * فخررها فجاءته مصيبه

(ثم تولى سنان باشا) فى ثالث عشرى شهر شعبان سنة خمس وسبعين وتسعمائة وتصرف الى ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ست وسبعين وتسعمائة فمدة تصرفه تسعة اشهر وأربعة وعشرون يوما ثم ورد عليه أمر شريف من الملك بان يتوجه الى فتح بلاد اليمن واسترجاعها من اليد بين العصاة فتوجه ومعه جماعة من أكابر صناجق مصر وكان يقال ان استصحابه للصناجق لامر نسبوا اليه وهو قتل محمود باشا ولم يرجع من الصناجق أحد ولله البقاء وفتح سنان باشا اليمن واستنقذها من أيدى العصاة وشتت شملهم وقطع دابرهم وقد ألف القطبى تاريخا لهذا الفتح وسماه البرق اليمانى فى الفتح العثمانى لم ينسج على منواله فى حسن انسجامه وفكاهته فمن أراد أن ينزه طرفه ويطلع على ما اودعه فيه من الدر المكنون فليطالعه وبه قصيدة لا بأس بايراد ابيات منها أولها

لك الحمد يا مولاى فى السر والجهر * على عزة الاسلام والفتح والنصر
كذا فليكن فتح البلاد اذا سمت * لها الهمم العليا الى أشرف الذكر
جنود زهت من كوكبان خيامها * وآخرها بالنيل من شاطئ المصر

(ومنها)

سنان عزيز القدر يوسف عصره * ألم تره فى مصر أحكامه تجرى

مراد خان الاول) ابن السلطان سليم الثانى سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة فأقام فى السلطنة اثنتين وعشرين سنة وتوفى سنة ثلاث والف وكان ملكا متداما وسلطانا ضرغاما وله مدرسة بخطبة باسلامبول وفى أيامه تحركت عساكر البحر فارسل لها جيوشا كثيرة وافتتح منها المدن وجملة وزرائه بمصر ستة أولهم مسيح باشا صاحب المدرسة المسيحية بباب القرافة (ثم تولى بعده ولده السلطان محمد خان الاول) ابن

تدلى الى أقصى البلاد بجيشه * وبهدهم ملكا فقد تمزق بالقهر
وشتت شمل الملحدين وردهم * مثال قرود فى الجبال من الذعر
وقطع روسا من كبار رؤسهم * له باطن السرحان والطير كالقبر
وكان عصى موسى تلقف كلما * بدا من صنيع الملحدين من السحر

(ومنها)

وما يحسن الاهمال تبع * وناهيك من ملك قديم ومن فخر
وقد ملكتها آل عثمان اذ مضت * بنو طاهر أهل الشآمة والذكر
فهل يطمع الزيدى فى ملك تبع * ويأخذها من آل عثمان بالمكر
أبى الله والاسلام والسيف والقنا * وسر امام المسلمين أبى بكر

(ثم تولى اسكندر باشا الفقيه) الجركسى فى رابع جمادى الآخرة سنة ست وسبعين وتسعمائة فتصرف الى غاية المحرم سنة تسع وسبعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنتين وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم عاد سنان باشا من اليمن) وتصرف فى باشوية مصر من أول شهر صفر سنة تسع وسبعين وتسعمائة وله ماترجم له وآثار حميدة وخيرات جسيمة لا تنقطع على توالى الايام وعدة مساجد وربط وتكايا وجوامع بالديار المصرية والشامية والرومية والثغور والبنادر ولم يكن أحد من خدمة آل عثمان أنشأ خيرات مثله ثم توجه بذاته الى زيارة القطب العلوى سيدى أحمد البدوى فى تاسع شهر ذى القعدة سنة تسع وسبعين وتسعمائة فانه بلغه ان الامير منصور بن بغداد امير ولاية المنوفية صغير السن متلاعب لا يلتفت الى التصرف فى ولايته وهو منهمك على اللذات واتباع الشهوات واستولى على عقله جماعة من السفهاء من المنسوبين اليه وهم متصرفون فى ولايته كيف شاؤا وعنده غرور فى نفسه وهو متمسك بحبل ظهره الوزير الاعظم سياوش باشا فانه مكث عنده بالقسطنطينية مدة وكان عهد له ان لا قدرة لاحد على عزله فخشى سنان باشا من ضياع الاموال الديوانية وخلل يحصل باقليم المنوفية فقبض على الامير منصور وعزله فى رابع عشرى شهر القعدة المذكور وولى مكانه الامير علام بن بغداد واستمر الامير منصور مسجونا فى البرج بقلعة الجبل بمصر المحروسة من سنة تسع وسبعين وتسعمائة الى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة الى ان قدم حسن باشا الخادم واطلقه وولاه المنوفية على عادته فكانت مدة حبسه نحو عشر سنوات ومدة تصرفه بالمنوفية الى ان عزله أويس باشا عشر سنوات سنتان قبل حبسه وثمان سنوات بعد اطلاقه من الحبس فولايته معادلة لحبسه وهذا اتفاق عجيب فكانت مدة تصرف سنان باشا فى الولاية الثانية سنتين وتوجه الى الاعتاب العالية فولى الوزارة العظمى وفرحت الناس بولايته والله أعلم

السلطان مراد خان الاول سنة ثلاث بعد الالف فاقام فى السلطنة تسع سنين واشهرا وتوفى فى سادس رجب عام اثنى عشر وألف وجملة وزرائه بمصر أربعة منهم السيد محمد باشا الذى جدد عمارة الجامع الازهر ورتب له العدس يطبخ كل يوم وعمر المشهد الحسينى (ثم تولى بعده ولده السلطان أحمد خان ابن السلطان محمد خان فى رجب سنة موت والده فاقام فى السلطنة أربع عشرة سنة وأربعة أشهر

(ثم تولى حسين باشا) فى سادس عشر محرم سنة احدى وثمانين وتسعمائة فتصرف الى غاية جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة فمدة تصرفه سنة واحدة وعشرة اشهر ونصف وفى زمنه حصل غلاء عظيم وقحط حتى اكلت الناس بزر الكتان وأعقب ذلك موت فجأة حتى ان الرجل والمرأة والخادم اذا توجه من منزله لاجل قضاء مصلحة تدركه المنية فيموت من غير ضعف ولا الم واستمر ذلك مدة والله سبحانه أعلم (ثم تولى مسيح باشا الخادم) فى أوائل سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة وكان ذا مهابة متصفا بالعدل والعفة يكره أهل الفساد واللصوص وقطاع الطريق و يتجسس عن أخبارهم ومواطنهم و يرسل لحكام الاقاليم فى احضارهم و يقتل منهم من يظفر به و يشنع فى قتله و بسبب ذلك رجع أهل الفساد عن فسادهم واختفى أرباب التهم وانتظم الحال فى زمانه وأمنت الرعايا على أنفسها وأموالها وألقى الله الرعب فى قلوب الحكام والكشاف والولاة وانكفت أيديهم عن التجرى فى الامور الخارجة عن الشرع والقانون وعمل شنكالا من حديد لقتل المفسدين بالرميلة و بولاق وبالشون بمصر العتيقة وظفره الله بالمفسدين ووقعت نادرة غريبة لا بأس بايرادها وهوان شخصا من الواحات اخبرنى شفاها انه كان بوابا عند القاضى محب الدين الظاهرى كاتم أسرار السلطنة الشريفة العثمانية بالديار المصرية ثم ان القاضى محب الدين المشار اليه لما شرع فى بناء قاعة مجاورة لبيته الكائن بمصر المحروسة بباب سر الصالحية وابتدأ فى حفر أساسها فوجد تحت الارض قاعة وبوسطها قبة لطيفة معقودة بالجبس والمون المحكمة فهدمها فوجد بها صندوقا لطيفا فيه زجاجة تقارب ان تكون ظرفا لرطلين زيتا و بازائها ثلاثة أرغفة ففتحها فوجد بها شيئا يشبه الدهن ولم يعلم جنسه فاطلع عليه بعض جلسائه فلم يعرف أحد ماهو فأشار واعليه ان يطلع عليها المرحوم الشيخ سرى الدين الصائغ الحكيم رئيس الحكماء بمصر فاحضروه واطلع عليها فعرف مابها لكن لم يخبره وقال دعنى أراجع كتب الحكماء وتركه وطلع من فوره الى مسيح باشا واخبره انه وجد كنزا عظيما ولا بأخذ جائزته الا كذا وكذا عثمانيا فى الجوالى فاجابه لذلك فقال ان القاضى محب الدين الظاهرى وجد عنده بقاعة خربة قنينية دهن اكسيرا اذا وضع منه درهم على قنطار من القزدير أو الرصاص صار ذهبا خالصا فاحضر القاضى محب الدين وأمره باحضارها فاحضرها فورا واختبرما فيها فوجد كما قيل ثم ان مسيح باشا جمع كثيرا من الموالى واكابر الدولة والصناجق واطلعهم على ذلك ثم أرسل القنينية بعد الختم عليها الى خزانة المرحوم السلطان مراد والقاضى محب الدين لم يتأسف على ذلك ولم يعاتب الشيخ سرى الدين بكلمة واحدة وبنى مسيح باشا مدرسة ومدفنا له بالقرافة ووقف

أشهر ومات سنة ست وعشرين وألف وبلغ من العمر نحو ثمان وعشرين سنة وخلف أربعة ذكور عثمان ومحمد ومراد وابا زيد وله خيرات وعمارات بالحرمين وغيرهما وله جامع عظيم بالقسطنطينية أنفق عليه مالا كثيرا وجملة وزرائه بمصر ستة (وتولى بعده اخوه السلطان مصطفى خان) ابن السلطان محمد خان سنة سبع وعشرين وألف وخلع سنة ثمان وعشرين وألف ولم يخلع قبله احد من سلاطين آل عثمان

على ذلك أوقافا وكان يؤمل ان يدفن بالمدفن المذكور وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت فتصرف الى ثانى عشر جمادى الاولى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة وكان تصرفه خمس سنوات وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما (ثم تولى حسن باشا الخادم) فى سادس عشرى جمادى الاولى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة وقد نظم بعض الفضلاء لعزل مسيح باشا تاريخا فقال

والله نرجوا ان نراه كاسمه * وبه ترى الكربات عنا تنجلى
ولطالب التاريخ زين القول خذ * أرخ مسيح أثره حسن ولى

وفى زمنه لبست اليهود الطراطير الحمر والنصارى البرانيط السود وكان قبل ذلك لبس اليهود العمائم الصفر والنصارى العمائم الزرق وكان حسن باشا محبا لجمع المال من محله ومن غير محله وحصلت منه مصادرات لبعض اكابر مصر من أولاد العرب وعمر وكالة ببولاق القاهرة تجاه التارسخانة وصهريجا مقابلها يعلوه مكتب أيتام وكان قصده ازالة التارسخانه و يبنى مكانها جامعا فاتما لم يمكن من ذلك فتصرف الى ثالث عشرى شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنتين واحد عشر شهرا وثمانية عشر يوما ولما توجه الى الاعتاب الشريفة حصل له مشاق وأهوال وبعد ذلك تنقلت به الاحوال وولى الوزارة العظمى ثم عزل وقتل وهو غير محمود والله تعالى أعلم (ثم تولى الوزير ابراهيم باشا) فى رابع عشرى ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وتسعمائة ودخل مصر فى موكب عظيم لم يعهد لاحد غيره وفرحت الناس بقدومه واستبشروا بالخير وكان بيده أمر شريف بالتفتيش على حسن باشا المذكور وكان مؤملا ان يظفر به و يقبض عليه فسبقه بالتوجه ثم انه أقام عنه وكيلا فى الدعاوى وأثبت عليه غالب ما اخذه ثم ان ابراهيم باشا توجه بنفسه الى بئر الزمرد فاحاط بها علما وظفر منها بالزمرد النفيس وتوجه الى الاهرام بعد ذلك وأراد الوقوف على ما بها وأنزل جماعة الى الهرم الكبير بشموع مطيبة ليخبروه بما يعاينوه فلم يظهر لذلك نتيجة ثم توجه الى دمياط ثم الى المحلة الكبرى وهدم كنيسة كانت بها وعمرها مدرسة وسماها الوزيرية ثم عمد بعد ذلك الى زيارة القطب الربانى والولى الصمدانى سيدى أحمد البدوى عمت بركاته فزاره وأحسن الى مجاوريه ثم توجه الى محلة المرحوم ثم رجع الى مصر فكانت ولايته سنة واحدة وتسعة عشر يوما وتوجه الى الاعتاب الشريفة فى شهر شوال سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة (ثم تولى سنان باشا الدفتدار) باقامة ابراهيم باشا الوزير فى ثالث عشر شوال سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة فتصرف الى ثالث عشرى شهر ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنتين وستة أشهر وعشرة أيام

(وتولى يوم خلعه ابن أخيه السلطان عثمان خان) ابن أحمد خان وهو مراهق فأمر باكرام عمه السلطان مصطفى المخلوع وخرج السلطان عثمان المذكور الى جهاد الكفار بنفسه وغاب نحو سبعة أشهر ثم عاد منصورا مؤيدا ثم عزم على الحج وأفضى الحال الى مثل فتنة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه وكانت مدته أربع سنوات وأربعة أشهر وعشرة أيام وجلة وزرائه ستة (ثم تولى بعده عمه السلطان

واستمر مقيما بمصر المحروسة الى ان قدم أويس باشا ونزل بناحية شبرا قريبا من بولاق فارسل هدية الى أويس باشا من جملتها حصان أشهب وهو مسرج بسرج مرصع وعدة تليق بالمرسل اليه وكان يؤمل ان أويس باشا حال طلوعه من المركب الى أوثاقه المنصوب له ان يركب الحصان المذكور فعدل عنه وركب اكديشا أشهب كان أحضره معه من الديار الرومية ثم ان سنان باشا قدم الى ناحية شبرا وقابل أويس باشا عند غروب الشمس فشاهد غيظا الانحاف في وجه أويس باشا وهاله ذلك وداخله أمور تخوف منها فلما رجع من عنده الى مصر اختفى ولم ير بعد ذلك الا بالديار الرومية (ثم تولى أويس باشا المشار اليه) في ثالث عشرى جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وتسعمائة وفي زمنه حصلت الفتن بمصر المحروسة وتحركت العساكر وقتل من قتل وهرب من هرب ومنعت أولاد العرب من الدخول في العسكر المنصور ومن التشبه بلباسهم وحدثت المطالب وحصلت المناهب من وجوه شتى وقيل ان هذه الحركة كانت باشارة أويس باشا فسبحان عالم الغيب وفي يوم الاحد المبارك رابع شهر صفر سنة تسع وتسعين وتسعمائة حصلت زلزلة بمصر بعد ظهر اليوم المذكور فمكثت درجة وسدسا وسقطت منها منارات وبيوت وربوع وفاض الماء من حيطان الحمامات ومطاهر الجوامع وهدمت عقبة أيلا ونهب العرب جميع ما كان فيها من ذخيرة الحجاج والمحافظين وسقطت صخرات من الجبال بطريق مكة وحال وقوع الزلزلة المذكورة كان مؤلف هذا التاريخ اذ ذاك بيت نقيب الجيوش بمصر فشاهد جهات حوش البيت المذكور وهي تمايل ولها قعقعة وسقط منها بعض أحجار وكان بالحوش المذكور سدرة كبيرة فصارت تمايل يمينا وشمالا كانها في فلاة وطرقها ريح عاصف ولم ير مثل تلك الزلزلة وقد نظم بعض الفضلاء تاريخها فقال

اقترب الامر فتب * ممتثلا للموعظة
زلزلة قد أرعبت * تاريخها وهي عظه

٩٩٦

وفي يوم الاربعاء عاشر جمادى الاولى من السنة المذكورة حصلت زلزلة عند طلوع الشمس مكثت مدة يسيرة وقد ذكر جماعة أن جانبا من الجبل المقطم بالقرب من البقنون بشرق اطفيح انفرق ثلاث فرق وخرج من كل فرق عين ماء ابيض من اللبن وأحلى من العسل وأشد ما يكون في الجريان ذكر الجلال السيوطي في كتابه المسمى بكشف الصلصلة في وصف الزلزلة فقال أخرج أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة وابن أبي الدنيا عن ابن عباس قال خلق الله جبلا يقال له قاف محيط بالعالم وعروقه الى الصخرة التي عليها الارض فاذا أراد الله ان يزلزل

في نسخة الوطاف اه
ولعل المراد به الفسطاط
أعني الخيمة اه

مصطفى خان) الذي كان مخلوعا فأقام في السلطنة سنة ثم خلع ومات بعد خلعه بأيام وتولى بعده ابن أخيه السلطان مرادخان ابن السلطان أحمد خان سنة اثنتين وثلاثين والف فأقام في السلطنة ست عشرة سنة واحد عشر شهرا وخمسة أيام ثم مات تاسع شوال سنة تسع وأربعين والف وجملة وزرائه بمصر ستة ايضا (ثم تولى بعده أخوه السلطان ابراهيم خان) ابن السلطان احمد خان ووافق تاريخ توليته (استعنت بالله) فاقام في السلطنة

قرية أمر ذلك الجبل ان يحرك العرق الذى يلى تلك القرية فيزلزلها و يحركها فمن ثم تحرك تلك القرية دون غيرها وان أول زلزلة وقعت فى الدنيا حكى المفسرون ان قابيل لما قتل هابيل رجفت الارض سبعة أيام وأخرج الحاكم فى صحيحه عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الله عذاب أمتى فى الدنيا القتل والزلازل والفتن وفى خلافة المأمون وقعت زلزلة عظيمة بخراسان دامت سبعين يوما وفى سنة خمس وأربعين ومائتين فى خلافة المتوكل زلزلت الارض شرقا وغربا وسقطت الحصون والاسوار وخربت المنازل بالغرب و بمصر والشام وانطاكية والمداين حتى خرج أهلها الى الصحارى وانقطع الجبل الاقرع بانطاكية وسقطت منه قطعة عظيمة فى البحر وارتفع منها دخان أسود منتن وفى سنة ثمانين فى خلافة المعتضد ورد الى مصر شخص من أهل قرية أردبيل أخبر ان فى شهر شوال فى السنة المذكورة كسف القمر وأصبحت الدنيا مظلمة الى العصر فهبت ريح سوداء فدامت الى ثلث الليل وأعقبها زلزلة عظيمة أذهبت غالب بنيان المدينة وكان عدة من أخرج من تحت الردم مائة وخمسين ألفا وفى خلافة المطيع لله سنة أربع وأربعين ومائتين زلزلت مصر زلزلة عظيمة اذهبت غالب عامر المدينة هدمت البيوت ودامت ثلاث ساعات وفى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة كانت الزلزلة العظيمة المعروفة بزلزلة حماه هدمت ثلاث عشرة مدينة وهى حلب حماه المعره شيراز كفطاب افاميه حمص حصى الاكراد عدقا اللادقيه طرابلس انطاكيه بل حرب و يستحب عند الزلزلة العتق والدعاء والتضرع والتكبير والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فانها تدفع كل بلية وتزيل كل كرب من كرب الدنيا والآخرة (ذكره الكمال الدميرى فى حياة الحيوان) قال وهب بن منبه كانت الارض كالسفينة تذهب وتجىء فخلق الله ملكا فى نهاية العظم والقوة وأمره ان يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه فدخل تحتها وأخرج يدا من المشرق ويدا من المغرب وقبض على أطراف الارض وأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله صخرة من ياقوتة حمراء فى وسطها سبعة آلاف ثقب يخرج من كل ثقب بحر لا يعلم عظمه الا الله تعالى ثم أمر الصخرة فاستقرت تحت قدمى الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله ثورا عظيما له أربعة آلاف عين ومثلها آذان ومثلها أنوف وأفواه وألسنة وقوائم ما بين كل اثنين منها مسيرة خمسمائة عام وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة فحملها على ظهره وقرونه واسم هذا الثور كيوتا ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا عظيما لا يقدر أحد ان ينظر اليه لعظمه وبريق عينيه وكبره حتى قيل لو وضعت البحار كلها فى احدى منخريه لكانت كخردلة فى فلاة فامر الله ذلك الحوت أن يكون قواما لقوائم الثور

ثمان سنين وتسعة أشهر ثم خلع وفى اليوم الثالث قتل (وفى ذلك اليوم تولى ابنه السلطان محمد خان) وكان عمره تسع سنين فأقام فى السلطنة احدى وأربعين سنة ثم خلع سنة تسع وتسعين وألف (وتولى ذلك اليوم السلطان سليمان خان) ابن السلطان ابراهيم خان فأقام ثلاث سنوات وشهرا ومات سنة اثنتين ومائة وألف (وتولى بعده أخوه السلطان أحمد خان) ابن السلطان ابراهيم خان فأقام فى السلطنة ثلاث سنين وتسعة

أشهر ومات سنة ست ومائة وألف (وفي هذه السنة) لم يطلع النيل بمصر ولم يجر كعادته فارتفعت الاسعار واشتد الكرب على الناس من الغلاء وخصوصا الفقراء حتى أكلوا الميتة ثم كثر الموت من الطاعون حتى صار الناس المشيعون للجنائز يسقط منهم الكثير فيموتون وهم سائرون فكانت لا تخلو طريق من طرق مصر من أموات مطروحين فيها لا يعرف لهم أهل ولا مسكن ووفق الله تعالى بعض الاغنياء لحمل الاموات

واسم هذا الحوت بهموت ثم جعل قراره الماء وتحت الماء ظلمة ثم انقطع علم الخلائق عما تحت الظلمة هكذا نقله القاضي شهاب الدين بن فضل الله في كتاب مسالك الامصار ومما اتفق في زمان أويس باشا ان الامير حسين البرموني انكسر عليه مال للسلطنة الشريفة قدره ثلاثون ألف دينار فطلب منه ذلك فتعلل وذكر ان عنده قصبا سكريا يفي بالقدر المذكور فاستبعد ذلك أويس باشا فحبسه فشفع فيه بعض أرباب الدولة وطلبوا المهلة ثلاثين يوما فقال أويس باشا كيف يمكن ذلك وهل يتصور أن يجمع من بيع القصب في كل يوم ألف دينار فقالوا له يرجى ذلك ان شاء الله تعالى فاطلقه من الحبس وسلمه للحوالة ثم انه أحضر القصب الى ساحل بولاق شيأ فشيأ وأطلق المبيع فيه فامضى الشهر حتى أوفى الثلاثين ألف دينار وطلع بها الاويس باشا فتعجب من ذلك وقال مصر يباع فيها قصب برسم المصاصين كل يوم بالف دينار فقالوا له هذا من موجود شخص واحد وهناك ما يباع براو بحرا من القصب ما ينوف عن ذلك فانظر يا أخي الى خيرات مصر وما أودعه الله فيها من الارزاق والبركات وسماحة أهلها بالمصرف والنفقات وهذا القصب من أعظم نعم الله على أهل مصر لما فيه من الحلاوة السائغة فسبحان ذى المنة العظمى والحكمة البالغة قال الامام الشافعي رحمه الله لولا قصب السكر ما أقمت ببلدكم يعني مصر والقصب حار رطب وقيل معتدل وأجوده الحلو الكثير الماء ويوجد فيه شئ من الصمغ اذا اكتحل به يجلو العين ومصه ينفع الصدر والسعال ويولد دما معتدلا ويدر البول ولكنه يولد أرياحا فينبغي ان يغسل بماء حار بعد تقشيره ليزول ضرره وقد شاهدت في سنة ست وتسعين وتسعمائة أعجوبة لا بأس بذكرها وان كانت خارجة عن المقصود وهو ان شخصا يدعى الامير سليمان ابن أحمد بن أزدمر المشهور بالاخرس الجركسي الاصل وهو من أعيان عسكر مصر حضر الى محكمة منف وأبرز من يده حبة أرز مكتوب عليها ما قرأته وهو بسم الله الرحمن الرحيم والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر بسم الله الرحمن الرحيم ان أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد كتبه محمد سنة ٩٩٤ وشاهد ذلك قضاة المحكمة المذكورة وشهودها وما من شخص منهم الا وقرأ ذلك مرة أو مرتين وأما مؤلف هذا التاريخ فانه قرأها على الارزة أكثر من ثلاث مرات وتامل حروفها تأملا شافيا وشاهد بجرة كل بسملة والكافات المبسوطة واسم الكاتب والتاريخ المكتوب بالاحمر وكتب في خصوص ذلك محضرا ورقم به شهادة من شاهد ذلك ورآه فرحم الله كاتبها وعفى عنه بمنه وكرمه فانظر يا أخي كيف يلم التراب مثل هذه

الانامل فان من سمع ولم يشاهد فربما داخله الشك ويجول فكره ويقول كيف يتصور ذلك فسبحان المنعم المتفضل على عبيده ومن على من يشاء بجودة الخط الذى هو من أعظم موجبات الحظ وانعم بهذه الصناعة على أهل البراعة والبراعة وأجرى ذكرهم بالخيرات الى قيام الساعة قال الله تعالى فى كتابه العزيز الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم ذكر ابن الخازن فى تفسير سورة اقرأ فقال تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لان بها ضبطت العلوم ودونت الحكم وبها يعرف أحوال الماضين وأخبارهم ومقالاتهم ولولا الكتابة ما استقام أمر الدين والدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله عظيمة لولاه لم يقم دين ولم يصلح عيش وسئل بعضهم عن الكلام فقال ريح لا يبقى قال فما قيده قال الكتابة لان القلم ينوب عن اللسان ولا ينوب اللسان عنه انتهى كلام ابن الخازن (فائدة) فى معنى حروف المعجم اذا نطق بها من غير تركيب ا الفرد الذى لا مثل له ب الكثير الجماع ت التراب الذى يتمرغ عليه الحمار ث اللبن الحليب ج الجمل المتعلم ح الدليل الحرس خ عرف الديك د الرجل الاكول ذ القرد الصغير ر الشيخ البخيل ز التفاح الاحمر س الديك الممرغ منقاره فى التراب ش رجل لا يشبع من الجماع ص الهدهد ض المرأة الكبيرة الثديين ط سنام البعير ظ الابل المقطورة ع زبد الماء غ المقدم على أقرانه ف المتوسط فى الصلح ق الشجرة المخضرة ك الفحل ل جمل ذو سنام م الحوت ن الدواة والسيف ه اللطم على وجه الصغير و شراك النعل ى اللبن الباقى فى الضرع وقد اختلف فى لفظ اللسان وخط البنان فقال بعضهم لفظ اللسان لا يجاوز الاذان ولا يذكر فى كل مكان ولا يترجم بكل لسان وأما خط البنان فيوجد فى كل مكان ويترجم بكل لسان وكان صلى الله عليه وسلم ينطق له الخط ولا يكتب فسمى النبى الامى لعدم الكتابة ونطق الخط معجزة فى حقه صلى الله عليه وسلم وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى النجاشى وأترب فاسلم وكتب الى كسرى ولم يترب كتابه فلم يسلم فاذا كتب أحدكم كتابا فليتربه فان التراب مبارك وهو أنجح للحاجة وسمعت وأنا بمكة المشرفة سنة ثمان عشرة وألف ان كاتب الاوزة المتقدم ذكره توجه الى بلاد الهند واجتمع على سلطانها وكتب له قل اللهم مالك الملك الى آخر الآية فى فرخ ورق هندى بقلم الثلث الوضاح كتابة تحرير على الاوضاع المرضية والطريقة الياقوتية ثم كتب الآية الشريفة ومطلوبه على حبة أرز وأوصل ذلك الى السلطان المذكور فأجله وأنعم عليه بنعمة وافرة من أقمشة وغير ذلك وأعطاه مصرف الطريق ستة وثلاثين دينارا زنة كل دينار عشرة مثاقيل ثم عاد الى مكة المشرفة وقد نظم المرحوم الشيخ

الفارضى

الذين فى الطرقات والحارات ويرسلونها مع خدمهم الى المغسل السلطانى فيجمعونهم حتى يصيروا مائتين فى آخر النهار فيغسلونهم ويكفنونهم ويضعون كل ثلاثة أو أربعة فى نعش واحد ويرسلونهم الى المقبرة ووفق الله تعالى وزير مصر اسمعيل باشا لكفن الوفا من الاموات (وبعد موت السلطان أحمد خان) ابن السلطان ابراهيم خان سنة ست المذكورة (تولى ابن أخيه السلطان مصطفى خان) ابن السلطان محمد خان فأقام فى السلطنة ثمان

الفارضى فى وصف آلات الدواة قصيدة لا بأس بايرادها فى هذا المحل وهى هذه

حمد المولى انزل الكتابا * وشرف القرآن والكتابا
ثم صلاة الله تهدى بالقلم * من مدحه فى آى نون والقلم
والآل والصحب ذوى النجابه * والحافظين العلم بالكتابه
ففى حديث قيدوا العلم بها * اسناده مصحح جاء بها
واختلفوا اهل خط اشراف البشر * أصح قول لا وانما أمر
قد ورد النص بذا وسطه * فى قول ذى العرش ولا تخطه
لحكمة بيانها ما غابا * يتلى علينا فى اذا لارتابا
وكان من كتابه معاويه * ومن علت صحبته ياساريه
وللدواة اربعون ميما * أثبتها اصطلاحهم قديما
وقد حوتهن دواة باهره * فهن فيها كنجوم زاهره
بخطها براع كل ناقش * وماسواها ملحق بالهامش
شافية بحسنها وكافيه * ما حكيت وها هنا ما نافيه
نظمتها فشكل فسرته * وواضح على التوالى سقته
أما الذى لا يختفى فالمحبره * مركبة ومنقد ومسطره
ومبرد ومفرز ومكشط * ثم مقص مجمع ومخيط
ومجرد ومحفر ومكنزه * مقلمة ومموه ومقطره
مطويه ومدية ومرمله * ممحمة ثم محك مصقله
ثم مزم ومسن ومقط * والحقت مفرشة بما قد انضبط
ثم ملف ثم محراك ولا * بأس بملقاط وعد المشكلا
فالمنبر المخيط خذ فى العرف * لقلم وافترقا فى الوصف
ومكبس للضبط والمجفف * رمله مزودة تنعطف
ومركز الاقلام هيئ وكذا * لمحبر مصفاة بها يتقى الاذى
ومقسم وهو بيكار صدق * والزموا ملزمة خوف الورق
لهم ملاق حقة مشاق * وفى حديث لفظه مساق
والف بالمنديل ما تقدما * وختمه مسك لما قد علما

رجعنا الى ما نحن بصدده من ذكر اويس باشا فانه تصرف فى باشوية مصر الى سادس شهر رجب سنة تسع وتسعين وتسعمائة ومات بمرض السكتة فجأة ودفن بالقرافة فكانت مدة تصرفه أربع سنوات وشهرا واحدا وثمانية أيام وقد نظم بعضهم تاريخا لوفاته فقال

أهلك الله أويسا انه * جار فى الحكم ولم يخش الوعيد

سنين وشهرا وخلع سنة خمس عشرة ومائة وألف (وتولى بعده أخوه السلطان أحمد خان) ابن السلطان محمد خان سابع عشر ربيع الاول من السنة المذكورة وله مسجد عظيم باسلامبول يفعل فيه مولد النبى صلى الله عليه وسلم وأول وزرائه الوزير محمد باشا رامى رئيس الكتاب حضر الى مصر أول سنة سبعة ومائة وألف ثم عزل وحضر بعده لوزارة مصر الوزير حسن باشا السلحدار سنة تسع عشرة ومائة وألف

مـذ أتى مصر تجبر واعتدى * وبه الظلم تـبدى فى مزيد
هلك الحرث وكم من فتنة * أمها بالجهل فيها لا وفيد
مـذ دهاه الموت ما أقلته * لاولا كان له عنـه محيـد
خاب سعيا بوفاة أرخو * ها وخاب كل جبار عنيد

٩٩٩

(ثم تولى أحمد باشا حافظ الخادم) فى سابع عشر رمضان سنة تسع وتسعين وتسعمائة وكان محبا للعلماء والفقراء ذا رأى وتدبير فى تصرفه وعمر وكالة كبرى ووكالة صغرى وسوقا وقهوة وبيوتا وربوعا ببولاق القاهرة بجوار شون الحطب وعمل مصلاة بالوكالة الكبرى مطلة على بحر النيل وقرر بها أرباب وظائف وهى مقامة الشعائر الاسلامية وعمر أيضا برشيد وكالة وقهوة وربوعا وعمل سحابة بطريق الحاج الشريف وبها النفع للحجاج ولما صرف من باشوية مصر وتوجه الى الاعتاب الخاقانية فساعدته العناية الربانية فولى الوزارة العظمى وشكره الناس وحمد فى ولايته ثم انه استعفى من الوزارة واستأذن فى الحج فأذن له وجاء الى مصر بحرا وتلقته الا كابر باحسن ملقى واهدت اليه الهدايا وحج ورجع وتوجه الى القدس وخليل الرحمن فزار ورجع الى الديار الرومية وتوفى بها الى رحمة الله تعالى فكانت مدة تصرفه فى باشوية مصر الى ان عزل فى تاسع شعبان سنة ثلاث وألف ثلاث سنوات وعشرة شهور واثنان وعشرون يوما والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى قورد باشا) فى ثالث عشرى رمضان سنة ثلاث وألف وكان أميا ساذجا محبا اللهو واللذات لا حيلة له فى جمع المال ولا فى غيره (ومما حكى) عنه أنه كان جالسا فى محل عال مشرف على حارة عرب اليسار فرأى شخصا مكان ينكح حمارة فضحك حتى استلقى على قفاه ثم أطلع نفرين كانا عنده من خدمته على ذلك الرجل وأمرهما باحضاره له وأوصاهما ان لا يشوشا عليه وبشرقابه فنزلا من عنده واجتمعا بالرجل وقالا له نحن ضالون عن باب القلعة ودفعا له نصفين وقالا له دلنا على الطريق فاتى بهما الى باب القلعة فقالا له لا بد من اكرامك فادخلاه الى أن أوقفاه بين يدى قورد باشا فقال له من أى القبائل أنت قال أنا من عرب اليسار ثم قال له أنت عازب أم متزوج فقال عازب فقال لاى شئ لم تتزوج فقال له من الفقر فقال له لاى شئ تنكح الحمير فخجل الرجل ونكس برأسه الى الارض حياء ثم ان قورد باشا احضر له جارية بيضاء من جواريه وقال له قد اوهبتك هذه بشرط التوبة عن نكاح الحمير فقال تبت الى الله ثم بعد ذلك أمر ان يعطى له ألف نصف وقال له هذه الدراهم تنفقها القيام الاود أنت وعيالك فاخذ الجارية والدراهم ونزل بهم وهو مسرور محظوظ فانظر الى مكارم أخلاق هذا الرجل وقل من يفعل

ثم عزل سنة احدى وعشرين ومائة وألف وحضر بعده لوزارة مصر ابراهيم باشا القابودان ثم عزل سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف وحضر بعده لوزارة مصر الوزير خليل باشا ووقع فى زمنه فتنة عظيمة سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف بين العسكر وقفلت خارات مصر وأسواقها اثنين وسبعين يوما والمدافع تضرب ليلا ونهارا وتعطلت سائر الاسباب وآل الامر الى قتل أمراء لا يحصون منهم أحد باش أوطه باش

مثل ذلك فى هذا الزمن وأن قورد باشا تصرف فى باشوية مصر الى سابع عشر رجب سنة أربع وألف فكانت مدة تصرفه عشرة أشهر وعشرة أيام وفى سنة أربع وألف توفى مولانا شيخ الاسلام محمد الرملى الشافعى ومولانا شيخ الاسلام الشيخ على المقدسى الحنفى فنظم بعض الفضلاء تاريخا لوفاتهما فقال

لما قضى الرملى شيخ الورى * من كان على مذهب الشافعى
ثم تلاه المقدسى الذى * حاز علوم الصحب والتابعى
فقلت فى موتهما أرخا * مات أبو يوسف والرافعى

١٠٠٤

(ومما يحكى) عن أبى يوسف رحمه الله تعالى ان هرون الرشيد أوى ذات يوم الى فراشه وقت الظهر فلما رقا سريره وجد منيا طريا بفراشه فهاله ذلك وانحرف مزاجه انحرافا شديدا فدعى زبيدة فلما حضرت بين يديه قال لها ما هذا الملقى على هذا الفراش فنظرت اليه ثم قالت له هذا منى يا أمير المؤمنين فقال لها اصدقينى عن سبب ذلك والا بطشت بك فى هذا الوقت فقالت له يا أمير المؤمنين والله لا أعلم لذلك سببا وانى بريئة مما تتوهمه ثم انه طلب أبا يوسف ونصب له كرسيا ونصب لزبيدة ستارة خلف السرير فلما حضر أبو يوسف ذكر له القضية فنظر أبو يوسف الى المنى ثم رفع رأسه الى السقف فرأى فرجة بالسقف ثم قال يا أمير المؤمنين ان للخفاش منيا كمنى الرجال وهذا منى خفاش وطلب رمحا فأحضر فأخذه بيده ووضعه بالفرجة التى بالسقف فطار منها خفاش والمنى يقطر منه فوق الفراش فاندفع الوهم عن هارون الرشيد وظهرت براءة زبيدة فزغرتت فرحا لبراءتها وأمرت لابى يوسف بجائزة وافرة وقالت له يا امام أيما أحب اليك حلاوة الفيروزج أم حلاوة الفيلوذج فقال لها مذهبنا لا يحكم على غائب فأحضر له الحلوتان فأكل من هذه ومن هذه ولم يفرق بينهما فقالت له فالفرق بينهما فقال لها كلما أردت ان أعجل على أحدهما أقام الآخر حجته فضحك هارون الرشيد وأمر له بصلة وافرة فأخذ الصلتين وانصرف من عنده فرحا مسرورا والله أعلم (ثم تولى الشريف محمد باشا) فى ثالث عشر شوال سنة أربع بعد الالف وكان حاكما باذا بصيرة وسطوة وعند قدومه تكاثرت الشكاوى فى كوسى حسن الشاغرت وأحمد المسلمانى بسبب خيانة حصلت فى الاموال الديوانية والشون السلطانى وثبت ذلك عليهما فأمر بشنقهما فشنقا فنظم الامير باكير الناظر تاريخا لشنقهما فقال

بالعدل رب الخلق أجرى حكمه * فى خائنين خالفا أهل التقى
وان ترد فى الحال تاريخا يكن * كوسا حسن والمسلمانى شنقا

١٠٠٤

مستحفظان الشهير بافرنج وبه اشتهرت تلك الوقعة وهرب من مصر أمراء لا يحصون منهم رئيس القوم أيوب بك أمير الحاج الشريف ونهبت أموال كثيرة وسبيت ذرارى كثيرة وعزل خليل باشا صاحب الفتنة وحضر بعده لوزارة مصر الوزير بولى باشا الشريف فى كث الى سنة سبع وعشرين ومائة والف ثم عزل وحضر بعده لوزارة مصر الوزير عابدين باشا وهو الذى قتل أمير اللواء غيطاس بك يوم الاربعاء

وكان فى نية الشريف محمد باشا ان يبطش ببعض أناس ولما أشيع عنه ذلك حصل التيقظ فخامره الغرور وقد خاب ظنه كما قال الطغرائى

والدهر يعكس آمالى و يقنعنى * من الغنيمة بعد الكد بالقفل

وقال أبو اسحاق المعرى

مصاحبة المنى خطر وجهل * وكم شرق تولد من زلال

(وقال غيره)

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

(وقال أمية بن أبى الصلت)

تجرى الامور على حكم القضاء وفى * طى الحوادث محبوب ومكروه

فربما سرنى ما بت أحذره * وربما ساءنى ما بت أرجوه

ثم أن الشريف محمد باشا عزم على التوجه الى الربيع فاشار عليه جماعة من ذوى الآراء بترك التوجه للربيع فنبذ كلامهم للامر المقدور وصمم على التوجه للربيع فتحرك عليه جماعة من العسكر المنصور وتعرضوا له عند انصرافه من الربيع وهو بباب الوزير وركبه الخاص وعسكره وطائفة من السامانية وهم معدون بالبنادق الجزائرية فلما عاين من معه كثرة العسكر المنصور تفرقوا فى الازقة وتركوا محمد باشا فى نفر قليل من أتباعه فدعاه العسكر الى المحاكمة على يد الشرع الشريف بمدرسة السلطان حسن فاوهمهم الانقياد لما دعوه اليه فتوجه معهم الى ان وصل الى الرميلة فركض حصانه نحو باب السلسلة ودخل القلعة وأغلق الباب بينه وبين العسكر المنصور واندفعت تلك الثائرة وقتل بعض من كان يكثر التردد على محمد باشا واستمر بالقلعة وهو مكفوف التصرف قاصر الكلمة الى أن صرف فى خامس عشر الحجة سنة ست بعد الالف فكانت مدة تصرفه سنتين وشهرين وثلاثة عشر يوما وفى ولايته غير أستار الاروقة بالجامع الازهر التى كانت من حصر قديمة وجعلها من خشب مدهون بالدهان الاخضر ورمم أيضا سقف الجامع الازهر ودهن بالدهان الاخضر ورتب عدسا بطبخ الجامع الازهر للفقراء والمجاورين وهو مستمر الى الآن وكان له احسان الى الفقراء والمساكين وخرج من مصر فى موكب عظيم وعلى رأسه عمامة خضراء وركب معه خاصة العسكر وعامته وكان يوم خروجه مشهودا ولما توجه الى الاعتاب الشريفة مكث مدة يسيرة وعين لسفر قول باش فاسره الشاه واستمر وهو محصور عنده الى أن مات ببلاد العجم رحمة الله تعالى عليه (ثم تولى خضر باشا) فى عشر ذى الحجة سنة ست بعد الالف فتصرف الى خامس عشر شهر محرم الحرام سنة عشرة وألف فكانت مدة تصرفه ثلاث سنوات وخمسة أيام والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى على باشا) فى تاسع صفر الخير

ثامن شهر رجب الاصب من السنة المذكورة وضعفت بقتله شوكة الفقارية بأرض مصر وقويت شوكة القاسمية ثم عزل عابدين باشا (وتولى بعده وزارة مصر على باشا الازميرى) ومكث بالما بمصر الى سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف ثم عزل وجاء بعده لوزارة مصر فى السنة المذكورة رجب باشا فسجن على باشا المعزول ثم خنقه فى قصر يوسف وأظهر محمد بك جركس الذى كان مختفيا ثلاث سنين وبطش باعدائه فقتل اسمعيل

سنة عشرة وألف وعند قدومه الى الاسكندرية تكاثرت عليه الشكاوى فى الكشاف وأكثر ذلك من برويز كاشف المنوفية فقتله حالة مقابلته ويقال ان شيخى أفندى لما انصرف عن ولاية قضاء المنوفية اجتمع بعلى باشا على رودس فسأله عن الاحوال فقال له برويز كاشف المنوفية مستحق القتل وعدد له جرائم وقبائح وعند وصول على باشا الى كفر الحضر احصات شكاوى فى محمد بن نجا حاكم النحراوية فقتله بكفر الحضر فهابه الحكام والكشاف ودخل مصر فى هيبة وجلالة وابقوه بالعمر ولما استقر بالقلعة أرسل قوسا وامر أن يعلق على باب زويلة بالرماء ولصق به تذكرة أنه مكتوب فيها ان كل من أوفى هذا القوس يعطى ماهو مقيد بالتذكرة فلم يجسر أحد ان يمسك القوس تأدبا واستمر وهو معلق ثم رفع وكان قصد على باشا بذلك اظهار نتاج واستقامة بعض أمور فما ساعدته القدرة على ذلك

ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن

وما أحسن قول ابن أسيد المحاربى

شقى المؤمّل يوم الحيرة النظر * ليت المؤمّل لم يخلق له نظر

ثم ان على باشا قصد زيارة الشريف العلوى سيدى أحمد البدوى عمت بركاته ونزل فى المراكب الى طندتا وزار سيدى أحمد البدوى وأحسن لفقراء المقام الاحمدى وقصد العود فتعرض له طائفة من العسكر المنصورة مشاة وركبانا وهم معدون بآلات السلاح وطلبوا منه أشياء كان توقف معهم فى اعطائها فأجابهم الى ماطلبوه وأعطاهم ماسألوه ودخل مصر وهو مغموم مقهور فأعقبه ذلك مرضا شديدا فأرسل الى الاعتاب الخاقانية يستعفى فأذن له فى سادس ربيع الآخر سنة أثنتى عشرة وألف وفى زمنه ظهر الدخان المضر بالابدان اليابس الطباع الذى لاشئ فيه من الانتفاع المبطل لحركة الجماع المسود للاسنان المهرب ملائكة الرحمن بل ذكرا أكثر منه ان عاقبته وخيمة ومداومة شربه ذميمة يورث النتن فى الفم والمعدة ويظلم البصر ويطلع بخاره على الافئدة ومن زعم ان شربه محرق للبلغم فقد أخطأ فيما زعم بل غم وقوله فى ذلك غير صحيح وانما هو من تحسين القبيح والعلامة اللقانى ذمّه وقبحه وألف فيه نبذه توجب على من أقبل عليه نبذه ولولم يكن من دناءته الاولع السودان به والاجلاف لكان ذلك ما يكف عنه الاشراف فكيف بأصل لانفع فيه ولا اثر بل شوهد منه القبح والضرر ذكر القاضى ناصر الدين البيضاوى فى تفسيره فى سورة الانعام عند قوله تعالى أو يأتى بعض آيات ربك يعنى اشراط الساعة عن حذيفة بن أسيد والبراء بن عازب رضى الله عنهما قالا اشرف علينا رسول الله صلى الله

لتخمدا جاويشان وقتل اسمعيل بك دفترارحالا وأرسل تجريدة الى أمير الحاج اسمعيل بك ابن ايواز بك فهرب من بندر بحر وود ودخل مصر مختفيا ثم أعمل الحيلة فاصطلح أمير الحاج اسمعيل بك بن ايواز مع عدوه محمد بك جركس ووقع الاتفاق على عزل رجب باشا فانزل من القلعة محتقرا وكانت مدته بمصر مائة يوم وحضر بعده لوزارة مصر محمد باشا النشنجى فمكث الى سنة احدى وأربعين ومائة وألف وحضر

عليه وسلم ونحن نتذاكر الساعة فقال انها لاتقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان
ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال
وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ابن مريم ونارا
تخرج من قعر عدن وذكر الكواشي في تفسيره عند قوله تعالى واذا وقع القول
عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لايوقنون
أى وقع القول على الكفار وقيل على جميع الناس والمراد بالقول العذاب
قال وروى ان الدابة لها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل ولون نمر وصدر أسد
وخاصرة هر وقرن أيل وذنب كبش وقوائم بعير بين كل مفصل اثناعشر ذراعا
وقيل ان لها وجها كوجه الانسان وسائر جسدها كالطير وقيل لها زغب وريش
وجناحان رأسها يمس السحاب ورجلاها في الارض وعن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال بينما عيسى عليه الصلاة والسلام يطوف بالبيت فتضطرب به
الارض وتنشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة ملعة أول مايخرج رأسها
ذات وبر وريش لايدركها طالب ولايفوتها هارب معها عصا موسى وخاتم
سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال
لوشاء أن أضع قدمي مكانها اليوم لفعلت وجاء انها تختم أنف الكافر بالخاتم وتجلو
وجه المؤمن بالعصا حتى ان أهل البيت ليجتمعون فيقولون لهذا مؤمن ولهذا
كافر وعنه صلى الله عليه وسلم انها تسم الكافر بين عينيه كافرا والمؤمن بين عينيه
مؤمنا وذكر الكواشي أيضا في تفسيره عند قوله تعالى ان يأجوج ومأجوج
مفسدون في الارض انهم ثلاثة أصناف صنف كامثال الارزة وهو شجر بالشام
طوله مائة وعشرون ذراعا وصنف طوله وعرضه سواء مائة وعشرون ذراعا وهذا
الصنف لاتثبت له الجبال ولا الحديد وصنف يفترش احدى اذنيه ويلتحف
بالاخرى لايمرون بشجر ولا فيل ولا وحش الا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم
بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال يأجوج ومأجوج عشرة أجزاء وبنوا آدم كلهم جزء واحد
وعن حذيفة بن اليمان مرفوعا ان يأجوج ومأجوج أمتان وكل أمة أربعمائة
أمة لايشبه بعضها بعضا لايموت الرجل حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه قد حملوا
السلاح وهم من ولد يافث بن نوح يسيرون الى خراب الدنيا وخروجهم
بعد عيسى عليه الصلاة والسلام وقتله الدجال وجاء ان الترك سرية منهم خرجت
للفساد فسد ذوالقرنين دونهم فجميع الترك منهم وقال قتادة هم اثنان وعشرون
قبيلة سد ذوالقرنين على احدى وعشرين قبيلة وترك واحدة فلذلك سموا تركا
وفسادهم في الارض انهم يفعلون فعل قوم لوط ومما يؤيد ماذكرناه من أمر

بعده لوزارة مصر
الوزير بكر باشا ومكث
شهرا وعزله العسكر
وحضر بعده لوزارة مصر
عبد الله باشا التكفورلي
سنة ثلاث وأربعين
ومائة وألف ومدحه
شعراء مصر لفضله
وميله الى الادب وله
ديوان شعر جيد على
حروف المعجم وقال
بعض شعراء مصر في
بعض قصائده
ولما جاء مصر أرخوه
لقد سعدت بعبد الله
مصر
وفي مدته جاء الخبر
بخلع السلطان أحمد
من السلطنة فكانت
مدة سلطنته ثمانية
وعشرين سنة ومكث

الدخان قال جالينوس لاصحابه اجتنبوا ثلاثا وعليكم بأربع ولا حاجة لكم الى طبيب اجتنبوا الغبار والدخان والنتن وعليكم بالدم والطيب والحلوى والحمام ولا تأكلوا فوق شبعكم وقال الحكيم الرئيس موسى بن عبد الله الاسرائيلي القرطبي لو دبر الانسان نفسه كما يدبر بهيمته التي يركبها لكان يسلم من أمراض كثيرة وذلك انه لا يلقي العلف لبهيمته جزافا من غير قدر معلوم بل يتفقد حالها لكي لا تعطب والعجب كل العجب ان الانسان لا يفعل ذلك لنفسه ولا يتفكر في رياضة الجسم التي هي الركن الاكبر ودوام الصحة ودفع اكثر المفاسد والامراض ولا ينام من به زكمة على قفاه وذكر الفخر الرازي في كتابه برء ساعة ان أصعب العلل الزكام قال الحكيم الزكام هو سيلان الرطوبة من باطن مقدم الدماغ الى المنخرين فان كان معه صداع والتهاب في الرأس وحمرة الوجه فعلاجه الفصد في القيفال ويسقى شراب البنفسج بدهن اللوز وان لم يكن معه دلائل كالحرارة ولم يتحدر معه بلغم غليظ فان تحدر معه بلغم أصفر وأبيض فيترك حتى ينقطع من ذاته وان كان أبيض رقيقا فيكمد الرأس بالمناديل المسخنة ويستنشق بالرياحين الحارة وذكر بعض الحكماء ان شم الميعة والتبخر بها ينفع من الزكام والنزلة وشم اللاذن ينفع من الزكام وكذلك شم التفاح وأكل ثمره ينفع الصداع وينوم ولا يأكل من به غم حموضة واعلم ان آفة القلب الهم والغم وهو ظهور الحرارة الغريزية الى ظاهر البدن عند الاهتمام بالامور قال الامام علي كرم الله وجهه أقوى خلق ربي ابن آدم وأقوى منه السكر الذي يزيل العقل وأقوى من السكر النوم وأقوى من النوم الهم والغم ذكر العارف بالله تعالى في كتابه المسمى بالانسان الكامل فقال اعلم انه يكون وجه القلب دائما الى نور في الفؤاد يسمى الهم هو محل نظر القلب وجهه لوجهه اليه فاذا حاذاه الاسم أو الصفة من جهة الهم نظره القلب فانطبع بحكمه ثم يزول فيعقبه اسم آخر اما من جنسه أو من جنس غيره فيجري معه ما جرى له مع الاول وهكذا مع الدوام واما ما كان من قفا القلب فلا ينطبع ثم اعلم ان القلب ليس له قفا ينص عليه بل كله وجه لكن موضع الهم منه يسمى وجها وموضع الفراغ منه يسمى قفا وهذه المدائن فيها كيفية ما ذكر وقال بعض الحكماء ان استعمال اللازورد يصفي دم القلب وينفع من الوحشة والغم والهم والامراض السوداوية ومن خاصية لسان الثور تفريح القلب وازالة الهم والغم روى ان عائشة رضي الله عنها لما حصل لها من الافك أصابها هم وغم لا يوصف فكانت تدعو وتقول في دعائها يا سابغ النعم ويا دافع النقم ويا فارج الهم ويا كاشف الغم وأعدل من حكم وحسيب من ظلم وولي من ظلم ويا أول بلا بداية وآخر بلا نهاية ويا من له اسم بلا كناية اجعل لي من أمري هذا فرجا ومخرجا

مدة مخلوعا ومات (وتولى بعده ابن أخيه السلطان محمود خان) ابن السلطان مصطفى خان سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف وله مسجد مشهور بالمحمودية ثم عزل عبد الله باشا عن وزارة مصر وتولى بعده محمد باشا السلحدار على وزارة مصر قدم من البصرة وأقام واليا بها الى سنة ست وأربعين ومائة وألف (وتولى بعده وزارة مصر الوزير عثمان باشا) الحلبي قدم من طرابلس وأقام واليا بمصر الى سنة ثمان وأربعين ومائة وألف

فانزل الله تعالى براءتها وفرج همها وغمها وذكر البونى فى اللمعة النورانية وأما اسمه الفعال فهو اسم المغلو بين بالخواطر والوساوس واغتمام القلب فمن ذكره وا كثر من ذكره ذهب ذلك عنه وهو من الاسرار البديعة فان من داوم على ذكره فرج الله عنه ما نزل به وفرح بعد حزنه وسر بعد نكده وقد حصل لى هم وغم ووسواس وتزايد ذلك على الى ان كدت أن أنتقل من حالة الى حالة وقل نومى فاستعملت له أدوية كثيرة وأوزادا شتى فلم يذهب عنى وكلما تقادم تجدد ولازمنى هذا الحال نحو سنة فلما استعملت هذا الاسم الشريف وهو فعال خف عنى هذا الوارد ببركة هذا الاسم الشريف قال الحكيم ولا تسرعوا اذا فصدتم فانه مخاطرة الموت ولا بنقايا من توله عيناه ولا تاكلوا فى الصيف لحما كبيرا لان الهضم فى الصيف ضعيف لمحال الحار الغريزى وكلما برد الهوى زاد فى المقدار فان الهضم فى الشتاء كثير بوفر الغريزى فى الاجواف لانسداد المسام وأفضل اللحوم لحول الضان الحولى السمين وأفضل لحمه مقدمه وما كان لاصقا بالعظم وكلما فى البطن ردىء والشحوم كلها رديئة تشبع وتخم وتسقط شهوة الطعام وتولد اخلاطا بلغمية وكذلك رأس كل حيوان والحرفان الرضيعة كثيرة الفضلات لاخير فيها وأما العناق الرضيع فجيد الغذاء سريع الانهضام ومن حكمة لقمان ان سيده أعطاه شاة وأمره ان يذبحها و يأتيه باطيب ما فيها فذبحها وأتاه بقلبها ولسانها ثم أعطاه فى يوم شاة أخرى وأمره يذبحها وان يأتيه بأخبث ما فيها فأتاه بقلبها ولسانها فسأله عن ذلك فقال هما أطيب ما فيها ان طابا وأخبث ما فيها ان خبثا وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب وذكر الدماميني فى عين الحياة انه يجلب من الهند نوع من الضان فى صدره ألية وعلى كتفه أليتان وعلى ذنبه ألية وربما تكبر أليته حتى تمنعه من المشى وفى الامثال كل شاة برجلها معلقة وأول من قال هذا المثل وكيع ابن سلمة بن زهير بن اياد وكان ولى البيت بعد جرهم فبنى صرحا باسفل مكة وجعل فيه سلما وكان يرقاه ويزعم انه يناجى ربه تعالى وكان يفعل الخير وكان علماء العرب يقولون انه من الصديقين فلما حضرته الوفاة جمع اياد فقال لهم اسمعوا وصيتى من رشد فاتبعوه ومن غوى فارفضوه كل شاة برجلها معلقة فارسله مثلا أى كل أحد يجزى بعمله ولا تزر وازرة وزر أخرى ولحوم الطير على العموم أخف من لحوم المواشى وأسرع انهضاما (فائدة) لحم الدجاج معتدل يربى فى الدماغ ويزيد فى المنى ولحم الديك حار يابس يضر بالمعدة مرقه وينفع القولنج ومن أسماء الديك الصارخ روى البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى عن مسروق قال سألت عائشة عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يحب الدائم من العمل قال

وتولى بعده وزارة مصر الوزير بكر باشا وهى توليته الثانية فقدم من جدة الى السويس فى البحر لانه كان واليا بجدة وأقام بمصر والياالى سنة تسع وأربعين ومائة والف ثم وقعت فتنة بمصر وقتل فيها محمد بك غيطاس وعلى بك وصالح بك وعثمان كتخدا مستحفظان ويوسف كتخدا عزبان وأمراء كثيرون وقامت الجند على بكر باشا فعزلوه وحضر الامير مصطفى أغا ميراخور كبير بخط شريف من الدولة العلية بضبط

قلت أى حين كان يصلى قالت كان اذا سمع الصارخ قام يصلى قال النووى
الصارخ هنا الديك باتفاق العلماء وسمى بذلك لكثرة صياحه فى الليل قال فى
الاحياء وهذا الوقت يكون سدس الليل فما دونه وقد ألف العلامة الجلال
السيوطى رحمه الله كتابا وسماه الوديك فى فضائل الديك لحم الحمام حار رطب
يضر بالامراض الحارة ولحم العصفور حار يابس يقوى الظهر و يزيد المنى ولحم
الكركى بارد يابس بطىء الهضم ولحم الماعز بارد يابس سريع الهضم ولحم البقر
يابس وقيل بارد يصلح للمعدة القوية ويولد السوداء ولحم الغزال حار يابس ينفع من
القولنج والفالج واللقوة والامراض الباردة (فائدة) لسان الغزال اذا جفف فى
الظل وأطعم للمرأة السليطة تزول سلاطتها واذا حرق بعر الغزال وجلده وسحقا
وجعلا فى طعام صبى نشأ ذكيا صبيحا حافظا ذاقا ولحم ابن عرس ينفع من الصرع
لحم الجمل حار يابس يولد القولنج والماخوليا لحم الفرس حار يابس كثرة اكله
تولد البواسير ولا ينام صاحب الحمى الباردة فى الشمس (فائدة) قال بعض الحكماء
النوم له أربع حالات الحالة الاولى النوم على الشق الايمن الحالة الثانية
النوم على الشق الايسر الحالة الثالثة الاضطجاع على الظهر الحالة الرابعة
الاضطجاع على الوجه فالحالة الاولى وهى الاضطجاع على الشق الايمن وهو
السنة ولكن غير محمود طبا وهو ان القلب يتعلق بالجانب الايسر فاذا نام على
الجانب الايسر ثقل نومه لانه يكون فى دعة (٢) واستراحة واذا نام على الشق الايمن
تعلق القلب وخف نومه وطلب مستقره وميله اليه الحالة الثانية النوم على الجانب
الايسر فانه أهنأ لانه مستقر القلب بسبب ميل الاعضاء فتصيب المراد من الراحة
من هضم الطعام وخلافه الحالة الثالثة الاضطجاع على الظهر فانه محمود اذا كان
من غير نوم لان البدن يستريح بذلك ويحصل للظهر راحة بسبب تلك الحالة
الرابعة الاضطجاع على الوجه فانه مذموم لانه نوم أهل جهنم ومن نام على وجهه
نكحه الشيطان وقد ورد فى سنن ابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم مر على رجل فى
المسجد منبطح على وجهه فضربه برجله وقال له قم أو اقعد فانها نومة جهنمية والى
هذا المعنى أشار سيدى على وفا بن سيدى محمد وفا فى قوله عينى
تنام ولكن قلبى والله لاينام وكيف ينام عاشق ناظر الى وجه الحبيب مسى فى
الحب مستهام شاخص على الدوام ومن شرب كل يوم فى الشتاء قدحا من ماء حار
أمن من الاعتلال ومن دلك جسمه فى الحمام بقشر الرمان أمن من الجرب والحكة
بانواعها وروى عن امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه انه قال أربعة تقوى البدن
اكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان وأربعة توهن
البدن كثرة شرب الماء على الريق وكثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة أكل الحموضة

(٢) قوله الحالة الاولى الخ هكذا فى النسخة التى بايدينا واتحرر اه

تركات المقتول ابن فركاش بمصر ثم حضر خط شريف بتولية مصطفى أغا وانه يكون وزيرا بمصر فاقام واليا بمصر الى سنة اثنتين وخمسين ومائة وألف (وتولى بعده وزارة مصر سليمان باشا) الشامى الشهير بابن العظم فاقام واليا على مصر الى شهر جمادى الاولى سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف (وتولى بعده وزارة مصر) على باشا حكيم أوغلى وهى توليته الاولى بمصر فدخلها فى جمادى سنة أربع وخمسين ومائة وألف (وتولى

وأربعة تقوى البصر الجلوس مستقبل القبلة والكحل عند النوم والنظر الى الخضرة وتنظيف المجالس وأربعة توهن البصر النظر الى المقتول والنظر الى المصلوب والنظر الى فرج المرأة والكتابة بالليل والقعود مستدبر القبلة وأربعة تزيد فى الجماع أكل العصافير وأكل الأطريفل وأكل الفستق وأكل الجرجير وأربعة تزيد فى العقل ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة العلماء ومجالسة الصالحين وعن عبد الله بن المبارك رضى الله عنه قال مررت فى سياحتى بالشام بطبيب يصف لكل من سأله عن مرضه فقلت له يا طبيب أعندك دواء للذنوب قال نعم فلما تفرق الناس قال لى يا هذا عليك بورق الفقر وعروق الصبر وأهليلج الصفا وبليلج الرضا وغاريقون الكتمان وسقمونيا الاحزان وخمره بماء الاجفان ودعه فى طاجن القلق وقد تحته نار الحدق وصفه بمنخل الأرق واشربه على الحرق فانه شفاؤك وأنشد يقول فى وقت الاسحار

يا طبيبا بذكره يتداوى * وصفوه بكل داء غريب
ليس حزنى عليك شئ عجيب * انما الصبر عنك شئ عجيب

رجعنا الى ما نحن بصدده وفى زمن على باشا المذكور حصل فناء بالطعن والطاعون عم الامصار والقرى ومكث مدة ورفعه الله وكانت مدة تصرف على باشا بمصر المحروسة سنتين وستة أشهر وعشرين يوما ولما وصل على باشا الى الاعتاب الخاقانية قلد الوزارة العظمى وفرح الناس بولايته فوجه لسفر البحر فنقض عليه المرض السابق فمات ولعله بلغ مرتبة المجاهدين فى سبيل الله تعالى (ثم تولى بيرى بك أمير الحاج الشريف) باقامة على باشا فانه أحضر له اجازة من الاعتاب الشريفة بالتصرف فى باشوية مصر فتصرف من عاشر ربيع الاول سنة اثنتى عشرة وألف وتوفى يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان فكانت مدته أربعة شهور ودفن بالقرافة رحمة الله عليه (ثم أقيم بعده عثمان بك امير اللواء) بمصر المحروسة فى سابع عشر شعبان المذكور باتفاق من الامراء وأكابر الدولة الى ان يرد من الاعتاب الشريفة من يتصرف وكان الامير عثمان مشهورا بالعفة والاستقامة وله جلالة وهيبة لا يخشى فى الله لومة لائم وله خط مليح فاق به العجم والعرب وحاز فضيلة السيف والقلم فتصرف ثلاثة شهور وثلاثة وعشرين يوما وكانت مدته حسنة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى ابراهيم باشا المقتول) فى يوم السبت ثانى عشر ذى الحجة سنة اثنتى عشرة وألف وكان مستقلا برأيه لا ينقاد الى نصيح ولا يهتدى لقول مشير سواء كان بالكناية أو بالتصريح وكان يريد اظهار شئ يستحسنه وهو فى نفس الامر قبيح كما قيل

كان لا يدرى مداراة الورى * ومداراة الورى أمرمهم

بعده محمد باشا اليدكشى فاقام والياً بمصر الى سنة ثمان وخمسين ومائة وألف (وتولى بعده الوزير محمد باشا راغب رئيس الكتاب فاقام والياً بمصر الى سنة احدى وستين ومائة وألف وعزله العسكر لفتنة وقعت قتل فيها خليل بك أمير الحاج وعلى بك الدمياطى وهرب فيها ابراهيم بك غيطاس الى أرض الصعيد مع طائفة من سناجق مصر وهرب أيضا عمر بك بن على بك مع طائفة من السناجق الى أرض الحجاز (وتولى بعده) والياً بمصر الوزير

ومن

ومن كلام الحكماء من علامات العاقل بره باخوانه وحنينه لاوطانه ومداراته لاهل زمانه وقال أبو قتادة البحترى

اذا المرء لم يرض ما أمكنه * ولم يأت من أمره أزينه
وأعجب بالعجب فاقتاده * وتاه به التيه فاستحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره * سيضحك يوما ويبكى سنه

ومن كلام الحكمة فلم يغن ذلك التدبير عما رقه قلم التقدير فى لوح المقادير والله على كل شئ قدير فاخذ يتتبع عثرات العسكر المنصور ويتجسس عن أخبارهم وعن اجتماعهم بالاماكن خصوصا مجالس الانس فاشار عليه أهل العقول بترك هذا الوارد وقالوا له هذا مشرع لا يعقبه الا التعب وربما تولد من ذلك مفاسد ومضرات فلم يلتفت الى قولهم وركب فرس الغرور لانفاذ أمر الله المقدور والمثل المشهور من أحسن السياسة دامت له الرياسه واستمر على ما هو عليه حتى بلغه ان جماعة من العسكر المنصور بالغيط الذى بقناطر السباع فبادر فورا بنفسه وغير لباسه ومعه ثلاثة أنفار وهجم عليهم وهم بالغيط المذكور فلما تحققوه فروا هاربين مع انه كان فى قدرتهم البطش به وبمن معه خصوصا من دب الشراب فى رأسه ولحقته حمية الجاهلية ولولا لطف الله لاهلك هو ومن معه فى تلك الساعة ومن كلام الحكمة من قاتل بغير نجدة وخاصم بغير حجة وصارع بغير قوة فقد أعظم الخطر وأكثر الضرر ومن كلام الحكمة أيضا من الحبة تكون الشجرة العظيمة ومن الجمرة تكون النار العظيمة ثم ان ابراهيم باشا بعد ذلك عزم على التوجه لقطع جسر أبى المنجا والقدر يقول له لست اليوم المنجا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله تعالى انفاذ قضائه وقدره سلب ذوى العقول عقولهم حتى ينفذ قضاؤه وقدره ومن كلام القاضى الفاضل رحمه الله والمقدور كائن والهم فضل والجاهل من سخط على الاقدار ويقلب الله الليل والنهار اذا دار الفلك فعليك أو فلك لاحذر من قدر ولاملام على الايام مفرد

اذا عقد القضاء عليك أمرا * فليس يحله الا القضاء

ذكر العارف بالله تعالى سيدى عبد الكريم الجيلى رحمه الله فى كتابه المسمى بالانسان الكامل ان القضاء المحكم هو الذى لا تغيير فيه ولا تبديل والقضاء المبرم هو الذى يمكن فيه التغيير ولهذا استعاذ النبى صلى الله عليه وسلم من القضاء المبرم لانه يعلم انه يمكن انه يحصل فيه التغيير والتبديل قال الله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب بخلاف القضاء المحكم فانه المشار اليه بقوله وكان أمر الله قدرا مقدورا ثم ان بعض أكابر الدولة عرف ابراهيم باشا انه ما سبق لاحد من الباشات التوجه لقطع الجسر المذكور وانما المعتاد ان زعيم مصر يباشر ذلك

أحمد باشا فدخل مصر اول يوم شهر محرم افتتاح سنة اثنتين وستين ومائة والف وأقام واليا بها الى عاشر شوال سنة ثلاث وستين ومائة والف (وتولى بعده وزارة مصر) الوزير شريف عبد الله باشا فدخل مصر فى شهر رمضان سنة أربع وستين ومائة وألف ومكث الى سنة ست وستين ومائة والف ثم عزل (وتولى بعده وزارة مصر محمد باشا أمين) فصار مستمرا على ولاية مصر من خامس شهر شعبان المكرم سنة ست وستين ومائة والف وتوفى خامس

واذا كان مشغولا لا يرسل أحدا من اتباعه يقطعه فلم يلتفت الى ذلك الكلام ثم طلع له بعض المنجمين يوم الجمعة قبل صلاتها وذكر له ان في اليوم الذي يلي يوم الجمعة المذكور قران النحسين ولابد فيه من اهراق دم والحركة فيه مذمومة منحوسة فلم يكترث بكلامه وكان من جوابه ماقدره الله سيكون كما قيل

خليلي لا تستعجلا وانظرا غدا * على أن يكون المكث في الامر أرشدا

وما أحسن قول محمد الخفاجي

وكم طالبا أمرا وفيه حمامه * وسائرة تسعى الى ما يضرها

(وقال آخر)

اذا ما حمام المرء كان ببلدة * دعته اليها حاجة فيطير

سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الهدهد كيف يبصر الماء من تحت الارض ولا يرى الفخ اذا غطي عليه بقدر اصبع من تراب فقال اذا نزل القضاء عمي البصر وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله عليه وسلم مامن مولود يولد الا وقد ذر عليه من تراب حفرته وروى عن ابن مسعود ان الملك الموكل بالرحم يأخذ النطفة من الرحم ويضعها في كفه ثم يقول يارب مخلقة أم غير مخلقة فان قال له مخلقة قال يارب ما الرزق ما الاجل ما الاثر فيقول الله انظر في أم الكتاب فينظر في اللوح المحفوظ فيجد فيه رزقه وأجله وأثره وعمله ثم يأخذ التراب الذي يدفن في بقعته ويعجن به نطفته وفي رواية فيقال للنطفة من ربك فتقول الله ثم يقال لها من رازقك فتقول الله فتخلق فتعيش في أجلها وتأكل رزقها وتطأ أثرها فاذا جاء أجلها ماتت فدفنت في المكان الذي أخذ منه التراب وعجن به ماؤها وذلك قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى وروى عن أبي هريرة أنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف ليلة في بعض نواحي المدينة واذا بقبر يحفر فاقبل حتى وقف عليه فقال لمن هذا فقيل لرجل من الحبشة فقال لا اله الا الله سيق من أرضه وسمائه حتى دفن في الارض التي خلق منها وفي المثل أنشد والابن عمران الزاهد رحمة الله عليه في هذا المعنى فاجابهم عن ذلك بقوله

اذا أراد الله أمرا بامرئ * وكان ذا عقل ورأي وبصر
وحيلة يفعلها في دفع ما * يأتي به محتوم أسباب القدر
غطى عليه عقله وسمعه * وسله من ذهنه سل الشعر
حتى اذا أنفذ فيه حكمه * رد عليه عقله ليعتبر
فلا تقل لما جرى كيف جرى * فكل شئ بقضاء وقدر

ثم ان ابراهيم باشا ركب من وقته فورا وأسرع والمنية تسوقه حتى أدرك صلاة

شهر شوال من السنة المذكورة فكانت مدة توليته شهرين مريضا ودفن بجانب قبة الامام الشافعي رضي الله عنه (وتولى بعده الوزير مصطفى باشا) فطلع القلعة ثالث شهر ربيع أول سنة سبع وستين ومائة وألف (وفي مدته توفي السلطان محمود خان) ابن السلطان مصطفى خان ثامن عشر صفر الخير سنة ثمان وستين ومائة وألف (وتولى السلطنة بعد موته بيوم من أخوه السلطان عثمان خان) ابن السلطان

الجمعة ببولاق ولما قضيت الصلاة هيئت له سفينة عظيمة وزينت له بالستائر والبيارق والفرش وغير ذلك مما يليق لمثله ونزل وهو محظوظ وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت وتوجه وصحبته الامير محمد بن خسرو أمير اللواء بمصر المحروسة بمركب عظيمة وبعض من أكابر خدمة الديوان وسارت المركب أحسن سير الى ان وصلت الى محل القطع وقطع الجسر المذكور في يوم السبت مستهل جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة وألف وكان ابراهيم باشا قد هيأ طعاما بالغيط الذي أنشأه محمود باشا تجاه قناطر أبي المنجا فدخل الغيط ومن معه وصحبته الامير محمد بن خسرو المرقوم ومصطفى أفندي عزمي زاده قاضي مصر المحروسة اذ ذاك وحصل لهم الصفا والمباسطة قبل الطعام وعند صفو الليالي يحدث الكدر * الى ان قدر الله ما قدره في الازل ودنا منه وقت حلول الاجل ولكل شئ حد محدود وأمر من المقدور ممدود فلما قدم الطعام وشرعوا في الاكل هجم عليهم طائفة من العسكر المنصور وهم مستعدون بآلات السلاح وأحاطوا بالغيط احاطة الخاتم بالاصبع وطلبوا من ابراهيم باشا في تلك الساعة شيئا كان يمكن الاجابة لتخميد هذه الفتنة فامتنع وأغلظ عليهم فلاطفهم الامير محمد بن خسرو وأراد دفعهم بلطف فلم يهتدوا وقدموا وأقدموا وفتكوا أولا بالامير محمد ابن خسرو ثم من بعده بابراهيم باشا وقطعوا رؤسهما وامتلأت جفان الطعام دما وانقلب النهار ليلا ورفعوا رؤسهما على جريدتين من الغيط الى باب زويلة وكان يوما عبوسا قفلت فيه مصر المحروسة وقد نظم بعضهم تاريخا لقتله فقال

ان ابراهيم باشا * قد سعى في الخير سعيا
قتله قد أرخوه * وأرى التاريخ بغيا

١٠١٣

وكانت مدة تصرفه أربعة أشهر وثمانية أيام والله تعالى أعلم وفي سنة ثلاث عشرة وألف كانت وفاة مولانا شيخ الاسلام الشيخ صالح البلقيني الشافعي وقد نظم بعضهم تاريخا في وفاته فقال

شيخنا صالح اذيق المنايا * ومن الهم والغموم استراحا
قلت مع غاية المصائب أرخ * صالح المؤمنين بات وراحا

١٠١٣

ثم أقيم بعده مصطفى أفندي عزمي زاده في ثالث جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة وألف فتصرف الى سادس رجب فكانت مدة تصرفه بمصر شهرين وثلاثة عشر يوما والله أعلم ثم تولى جرجي محمد باشا الخادم في سابع رجب المذكور سنة ثلاث

مصطفى خان وله عمارة عظيمة قريبة من آياصوفية واستمر الوزير مصطفى باشا والياً بمصر حتى ورد الخبر في أول شهر ربيع سنة تسع وستين ومائة وألف بعزله وتوليه على باشا حكيم أوغلي وهي التولية الثانية له فحضر وطلع قلعة الجبل يوم الاثنين غرة جمادى الاولى من السنة المذكورة ونشر لواء الاحسان وعم فضله كل انسان وسار في مصر بسيرته المعهودة وسلك طريقته المشكورة المحمودة (ثم تولى السلطنة) السلطان

عشرة وألف ورمته الرياح عند قدومه الى دمياط ولم يتقدم لاحد من الباشوات أنه قدم من دمياط ولما استقر بمصر أخذ فى طلب من كان سببا الاثارة فتنة ابراهيم باشا فانه أخبر بما تقدم مفصلا ومجملا فلما تحققوا الطلب تشتتوا فى البلاد فجد فى طلبهم من الاكناف والاطراف فمنهم من جىء به حيا فقتل ومنهم من تلقته العربان فقتل أشر قتلة ولم تطل مدة محمد باشا بل عزل فى يوم الاحد ثانى عشر شهر ربيع الاول سنة أربع عشرة وألف فكانت مدة تصرفه سبعة أشهر وسبعة عشر يوما وتنقلت به الاحوال الى أن ولى الوزارة العظمى فى مدة السلطان مصطفى فتصرف مدة يسيرة وصرف عنها ومنع من الاقامة بالقسطنطينية ثم رجع وأقام بها وهو مكفوف البصر ثم تولى حسن باشا الدفتدار بعد صرفه من اليمن فانه لما قدم من اليمن صحبة الحاج الشريف الى مصر المحروسة نزل ببيت المرحوم داود أغا الكائن بجامع قوصون فتردد عليه الناس من جليل وحقير وأمير وفقير وهم يشاهدون منه الملاطفة والمصاحبة الحسنة والسكون والاخلاق المرضية فاتفق الاجماع على محبته وحسن أخلاقه وهم يطلبون من الله ان يلى باشوية مصر وان يصلح الله الاحوال على يديه والله الفعال لما يريد ومدة اقامة حسن باشا وهو يتجسس عن أخبار مصر من كليات وجزئيات وذكر لبعض المترددين عليه أنه اذا تولى مصر يرجو من الله أن يكون الصلاح على يديه فوردت الاخبار الخاقانية الى مصر يوم الاثنين المبارك ثالث ربيع الاول سنة أربع عشرة وألف بولاية حسن باشا باشوية مصر وقد نظم الشيخ حسن الشامى تاريخا لولايته فقال

قد جاء وزير العدل لنا * من ساد بمكة بعد يمن
ولسان الحال يؤرخه * كملت مصر بجمال حسن

١٠١٤

وان حسن باشا لما أسند اليه الامر وتصرف فى مصر لم يحصل منه نفع للعباد ولا دفع ضرر عن البلاد ولم يمنع ولم يدفع وتلاشت أحواله وقصرت كلمته وعمت البلوى وانقفل باب الشكوى والامر يومئذ لله ثم صرف حسن باشا عن باشوية مصر فى يوم الاربعاء رابع صفر سنة ست عشرة وألف فكانت مدته سنة واحدة ونصفا وستة وعشرين يوما ولما توجه الى الاعتاب الشريفة بما جمعه من ولاية اليمن من تحف وأحجار وأموال وأثاث وغير ذلك فانه تصرف فى ولاية اليمن نحو خمس وعشرين سنة ثم مكث بالقسطنطينية مدة يسيرة ومات هو وولده وعياله ولم يعقب وارثا سوى بيت المال وترك ما خوله خلف ظهره وقدم على رب رحيم كريم غفور حليم يستر الذنب العظيم (ثم تولى محمد باشا) فى يوم الخميس خامس شهر صفر الخير سنة ست عشرة وألف وفيها توفى مولانا شيخ الاسلام الشيخ سالم

مصطفى خان ابن السلطان أحمد خان سنة ألف ومائة واحدى وسبعين وله محل عظيم فى اسلامبول وحضر لوزارة مصر فى تلك السنة الوزير محمد باشا سعيد فاقام سنة ثم حضر بعده الوزير مصطفى باشا الصدر فاقام سنتين ثم حضر بعده الوزير أحمد باشا كامل سنة أربع وسبعين ومائة وألف ثم عاد الوزير مصطفى باشا سنة ست وسبعين ومائة وألف ثم حضر بعده الوزير حمزه باشا سنة تسع وسبعين ومائة وألف وعزل ثانى شوال سنة

السنهورى المحدث فنظم بعضهم تاريخا لوفاته فقال

مات شيخ الحديث بل علم * سالم ذى الكمال أفضل عصر
قلت من غير غاية البكا * أرخوه فقدمات عالم مصر

وعند قدومه تراكمت عليه القصص والشكاوى باسكندرية ورشيد وفى طريقه الى أن وصل الى مصر المحروسة وهو ساكن الجنان ثابت الاركان لا يردجوابا لاحد واشتد الحال على الرعايا من كثرة الطلب ووقعت الناس فى المهالك والعطب الى غاية جمادى الأولى من السنة المذكورة فعند ذلك طلب محمد باشا سليمان ابن درغت كاشف المنوفية وبربو بزمحر كاشف الغربية وكوسى على كاشف البحيرة وأرمى رقابهم وأراح الله منهم البلاد والعباد وولى مكانهم كشافا وأخذ عليهم العهود ان لا يتعدوا الحدود فمن جملة الكشاف الحلوجى عين لكشف الغربية فتوجه لبولاق لقضاء مصالحه فأتاه طائفة من العسكر المنصور وتكلموا معه فى أمر من الأمور فلم يوافقهم وأغلظ عليهم فدب فى رؤس بعضهم حمية الجاهلية ففزعوا عليه بالسلاح فنزل الى مركب فى البحر فألقى الله الرعب فى قلبه فرمى بنفسه فى البحر فأثقلته أثوابه فغرق ومات ان شاء الله تعالى شهيدا وكان ذلك سببا لازالة الطلب فبلغ الخبر محمد باشا فجمع الامراء وأكابر العسكر المنصور بالميدان ونصبوا البيارق السلطانية ونادى منادمن كان مطيعا لله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأولى الامر فليدخل تحت لواء السلطنة الشريفة العثمانية فاجتمع عالم كثير من الامراء وأكابر العسكر المنصور وهم طائعون ممتثلون داخلون فى طاعة السلطنة العثمانية ومكثوا بالميدان ثلاثة أيام وبعد ذلك حصل الاتفاق بالخروج الى من أثار تلك الفتنة فخرجوا وقبضوا عليهم وقتلوا فقتل منهم طائفة جهارا وخفية وقد نظم بعض الفضلاء لهذه الواقعة تاريخا فقال

ان البغاة المارقين قدرمى * رب العباد كيدهم فى نحرهم
براس ابراهيم باشا سابقا * طافوا جهارا مع مزيد مكرهم
والحلوجى جرعوه كأسهم * وأغرقوه فى بحار شرهم
على الفساد قد بنوا أمورهم * فقوتلوا تاريخهم بظلمهم

١٠١٧

ثم خمدت تلك الثائرة باذن الله تعالى ثم ان جماعة من الاشقياء أيقظوا الفتنة وأثاروها فى أوائل القعدة سنة سبع عشرة وألف واجتمعوا من الآقاليم وصاروا حزبا واحدا ونصبوا خيامهم بالمرج والزيات وتحالفوا وأظهروا المحاربة والجدال فبلغت هذه الجمعية محمد باشا فأرسل لهم جماعة من الاختيارية المتصفين بالعقل والتدبير فوعظوهم وعرفوهم عواقب الامور وقالوا لهم ان الذى

ثمانسين وجبس بالكسوة فى قصر يوسف ثم حضر بعده الوزير محمد باشا راقم سنة أحدى وثمانين ومائة وألف ثم حضر بعده الوزير محمد باشا الارفلى أتى من البر سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف ثم حضر بعده الوزير أحمد باشا أتى من الحجاز وسكن بدرب الجروميات ولم يطلع القلعة سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف (ثم تولى السلطنة السلطان عبد الحميد خان) ابن السلطان أحمد خان سنة سبع وثمانين ومائة وألف وله مدد رسمة

يخالف ولى نعمته لا يفلح أبدا فلم ينتهوا ولم يتعظوا الامر أراده الله تعالى ثم ان محمد باشا أرسل الى الاجناد ومشايخ العربان من الاقاليم وصاروا حزبا واحدا وجيشا عظيما بسلاح ونار ومدافع كبار وعين الامير مصطفى بك سردارا لعسكر المنصور وبرزوا لمحاربة الخوارج وساروا يدعون الله والنصر أمامهم الى أن وصلوا بركة الحاج فلما تراءى الجمعان فما وجدت الخوارج للحرب طاقة وضاقت عليهم الارض بما رحبت فطلبوا الامان واختلط الجيشان فقبضوا على أشرارهم ومقدميهم ووضع الحديد فى أعناقهم والذى هرب منهم تلقته العربان وقتل أشر قتلة ومزقهم الله كل ممزق ولم ينج منهم الا القليل ودخل مصطفى بك السردار الى مصر المحروسة بمن معه من الخوارج المقبوض عليهم وهم مشاة حفاة منكسة رؤسهم موضوعون فى الحديد ورؤس القتلى المقتولين منهم حالة الاختلاط مرفوعة على رماح ودخلوا جميعا من باب النصر والناس ينظرون اليهم ومروا بالقصبة الى أن وصلوا الى القلعة وكان يوما مشهودا ومحفلا معهودا وقد نظم بعض الفضلاء لهذه الواقعات أبياتا فقال

يوم نصر الوزير قد كان عيدا * عيد فطر لفطر قلب الحسود
واذا قلت عيد أضحى فصدّق * فضحاياه ضاربات الاسود
ألحدوا فى الانام نهبا وقتلا * فأزيلوا وأسكنوا فى اللحود

ثم ان محمد باشا قتل منهم جماعة حالة طلوعهم جهارا وقتل منهم جماعة ليلا وألقوا فى البحر ومن بقى منهم نفى الى اليمن وقد نظم بعضهم تاريخا لهذه الواقعة فقال

انظر انظر الى البغاة ومن هم * لوزير الملك راموا نكالا
وتعدوا طورا وجاؤوا بافك * طلبوا الغدر حين راموا جدالا
وأتوا بالجيوش من كل فج * واستحقوا القيود والاغلالا
وأتو مصر صاغرين لقتل * لم يروا منه للفرار مجالا
وعلاهم الذل فأرخت * زالوا وكفى الله المؤمنين القتالا

١٠١٧

وقد نظم العلامة الشيخ عبد الله الدنوشرى تاريخا فقال

بشرى لمولانا الوزير محمد * فهو الذى بذوى المفاسد يفتك
وعلى البغاة له انتصار دائم * تاريخه جمع الخوارج أهلكوا

١٠١٧

واستمر محمد باشا محفوظا ملحوظا بمصر فافذ الكلمة لا يرد له أمر ولا يعارض فى قضية الى أن اختار التوجه الى الاعتاب الشريفة فخرج من مصر يوم السبت ثانى عشر جمادى الآخرة سنة عشرين وألف فى جلالة وموكب عظيم ما تخلف عنه

باب الاصول تسمى المدرسة الجديدة ومسجد فى براسكودار وحضر لوزارة مصر فى تلك السنة الوزير قراخليل باشا خامس عشر ربيع الاول من تلك السنة وعزل فى محرم سنة ثمان وثمانين ومائة وألف وتوجه لجدة ومات بها (ثم تولى الوزير مصطفى باشا) النابلسى من بركة الفيل يوم الاثنين فى آخر جمادى الثانية من تلك السنة وعزل فى آخر جمادى الثانية سنة تسع وثمانين وتوجه الى جدة ومات بالمدينة المنورة (ثم تولى الوزير ابراهيم عرب كيرلى)

أحد من العسكر المنصور فكانت مدة تصرفه أربع سنوات وأربعة اشهر واثنى عشر يوما وعمر فى زمنه وكالة برشيد وبجوارها جملة حوانيت وقهوة وسوق صاغة وغير ذلك وأخذ غالب الجزر المقابلة لرشيد واطيانا بالمنوفية والجيزة وعمل سحابة بطريق الحاج الشريف وتوجه الى الاعتاب الشريفة فقوبل بمزيد الاجلال والاكرام وولى الوزارة العظمى وفرح الناس بذلك وكان مؤملا ان يفعل أفعالا تزيد على مافعل بمصر فوجه اسفر العجم فما ساعدته الارادة الازلية على ذلك ولا على نتاج فعل يكون فيه اصلاح وصار كلما دبر امرا انعكس الى الفساد فرجع من سفرته غير محمود ومازال الدهر يقهقره الى أن أعطوه باشوية حلب فمات بها وهو مغموم مقهور وبعد ذلك حلت أوقافه وبددت وتصرف فيها الغير وهكذا حال الدنيا والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى حاجى باشا) بامر أحضره له محمد باشا قبل سفره وأعطاه له بمدينة بلبيس فى يوم السبت ثالث رجب سنة عشرين وألف فتصرف الى يوم الخميس عشرين من شعبان من السنة المذكورة فكانت مدة تصرفه شهرا واحدا وسبعة عشر يوما ولما توجه الى الاعتاب الخاقانية مكث مدة يسيرة وتوجه الى باشوية اليمن ولما تمكن منها احتكر البهار والبن والبضائع وكان التجار لا يأخذون الا ما فضل منه وحصل من هذا القبيل ومن غيره أموالا لاتحصى غير ماظفر به من نفائس الاحجار والتحف والاقمشة ولما صرف من ولاية اليمن قدم مكة المشرفة بجميع مامعه وماخوله فورد عليه أمر خاقانى باصلاح العين التى بمكة فادركه الاجل المحتوم فمات بها وكان يؤمل اذا توجه الى الاعتاب أولا يصل الى مصر تاتيه باشوية مصر ويابى الله الا ما أرادا * فكانت وفاته بمكة المشرفة سنة احدى وثلاثين وألف وذهب غالب ماله ولم يظفر ولده الا بما قل وأقيمت فتنة بين الاشراف حكام مكة بسبب متروكات حاجى باشا وهى باقية الى الآن ونسال الله حسن الخاتمة (ثم تولى محمد باشا) ثانى عشرى شعبان سنة عشرين وألف وفى شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وألف ورد على محمد باشا عسكر من البلاد الرومية نحو اربعة آلاف نفر خارج عن الاتباع بقصد الاقامة بمصر فلما وصلوا الى مصر واستقروا بها ورد حكم خاقانى من الملك بان محمد باشا يجهز العسكر الذى ورد عليه الى اليمن فشق عليهم ذلك وعلموا انها حيلة عليهم وكان سبب خروجهم من البلاد الرومية أنهم كانوا أحدثوا فتنة بالقسطنطينية ولولا لطف الله لحصل ماحصل فدبر لهم محمد باشا الوزير هذا التدبير وأطمعهم بالاقامة فى مصر ولما حضروا اعقبهم الامر بالسفر الى اليمن فلما تحققوا انها مكيدة أظهروا التمرد والعناد وعدم الانقياد فاعجلهم محمد باشا بالخروج بعد أن صرف لهم جوامك السفر وقدره أحد وثلاثون كيسا وعين لهم سردارا يوصلهم الى السويس وهو فندق

رابع شعبان سنة تسع وثمانين ومائة وألف ومات قبل طلوع القلعة بانبابة ودفن عند الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه (ثم تولى الوزير محمد باشا) العزتلى الكبير يوم الخميس سابع عشر ربيع الاول سنة تسعين ومائة وألف وعزل خامس عشر جمادى الثانية ومات رابع ذى القعدة سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف (ثم تولى الوزير اسمعيل باشا) يوم الاثنين سادس ذى القعدة وعزل ثانيا يوم الخميس رابع رجب سنة أربع وتسعين ومائة وألف (ثم تولى الوزير

بلك فبرز وطاقه يوم الاحد ثالث عشرى ربيع الآخر من السنة المذكورة فأمر الوطاق بباب زويلة ثم الى باب النصر على طائفة العسكر المذكورين أرموا الخيام من فوق ظهور الجمال ومنعوهم من الخروج فوصل الخبر الى محمد باشا فجمع من وجد بمصر اذذاك من العسكر المنصور وأمر فندق بلك بالخروج الى الريدانية بالعساكر المنصورة واجهار النداء أن جميع العسكر الذي ورد من الروم يطلع صحبة السردار ومن خالف وتأخر قبض عليه وجازاه فامتنعوا جميعا وقفلوا ابابي النصر والفتوح وأرموا خلف البابين الاحجار وتحفظوا من كل جانب ومنعوا أكابرهم واغواتهم الخروج الى الريدانية والطلوع الى الديوان وجعلوا احواجز بالشوارع الموصلة اليهم نحو قامة ونصف حتى صار كل حاجز مانعا التوصل الخيول والجمل الحاملة للمدافع وتحصنوا بمتاريس ولبسوا الزرد وأوقدوا البنادق وأشهروا السلاح وصعد غالبهم على اعالي الخانات والربوع والبيوت والجوامع والمنارات وهم ينتظرون من يقدم عليهم فلما بلغ محمد باشا هذا التحصن العظيم والتيقظ الاقدام على الموت وأن فندق بلك ومن عين معه لا طاقة لهم بمحاربتهم فجمع الصناجق والكشاف وابن الخبير والقلاوية ومقدمين الخفر اوكانت هذه الجمعية بالرميلة ثم ساروا الى الخوارج فلما عاينوا ذلك اذعنوا للطاعة وأجابوا ورفعوا الحواجز والمتاريس والاحجار الموضوعة خلف الابواب وفتحوا الابواب وطلبوا الامان والجمال فاحضر اليهم مايزيد على ثمانين جملا فلما وصلت اليهم الجمال ضربوها بسيوفهم فنفرت وتشتت وقفلوا الابواب وتحصنوا أقوى من المرة الاولى وعاد كل شئ الى محله وأشيع الخبر بانهم قتلوا أغواتهم فامر محمد باشا السردار بالخروج فخرج معه جمع كبير من الامراء وهم الامير قاسم والامير يوسف الغطاس والامير ماماي والامير عبدي كاشف والامير عيسى والامير مصطفى والامير أحمد والامير مراد والامير صالح والامير يوسف زعيم مصر سابقا والامير عبدي كاشف القليوبية والامير على زعيم مصر حالا وطائفة اليمانية وطائفة من القلاوية وطائفة من حارة الفوالة وهم معدون بالسلاح والسيوف والدرق والعمد الحديد والقسي وتقدم الامير يوسف الغطاس وامامه ستة مدافع كبار مملوءة فلوس جدد ومسامير ونودي للرعايا الملاصقين لاماكنهم وبيوتهم بقفل حوانيتهم وبيوتهم فلما وصلوا اليهم وجدوهم متيقظين متحفظين علو الاسطحة والموادن فلما تراءى الجمعان التحم القتال فكان كلما القى العسكر من الرصاص والنشاب والاحجار لا يصل الى الخوارج لعلوهم على العسكر وكلما القاه الخوارج على العسكر نال منهم فقتل من العسكر سبعة أنفار وفرس ثم ان الامير على زعيم مصر توصل الى الخوارج من وكالة البطيخ والامير قاسم والامير عبدي من خلف أماكنهم والامير يوسف الغطاس

الصدر ملك محمد باشا) يوم الاثنين ثالث رجب سنة خمس وتسعين ومائة وألف وعزل عاشر شعبان سنة ست وتسعين ومائة وألف (ثم تولى الوزير الشريف على باشا) القصاب يوم الخميس حادى عشر شوال من تلك السنة وعزل يوم الخميس رابع عشرى شعبان سنة سبع وتسعين ومائة وألف (ثم تولى الوزير محمد باشا) الصغير يوم الاربعاء خامس عشر المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وألف وعزل يوم السبت خامس عشر ذى الحجة ختام السنة المذكورة (ثم تولى الوزير الشريف

رفع الحواجز والمتاريس وبقية العسكر نقبوا عليهم أماكنهم ودخلوا عليهم من
محلات متعددة فلما اشتد الحال على الخوارج ولم يجدوا لهم قوة على القتال طلبوا
الامان وأجابوا بالامتثال فى التوجه الى أى محل يريده محمد باشا وخرجوا جميعا ولم
يتخلف منهم أحد وتوجهوا الى السويس واندفعت تلك الفتنة وكفى الله المؤمنين
شرها فاتفق ان عند خروجهم حصلت زلزلة فنظم بعض الفضلاء فى ذلك فقال

خرج الخوارج للسويس وهجعوا * من أرض مصر لكثرة الافساد
ورقصت لهم طربا فقالوا زلزلت * زالوا فزالت جملة الانكاد
حفروا لمولانا الوزير محمد * بئرا ففيها أوقعوا الفساد
والله ساعده على اذهابهم * وأمده بنهاية الامداد

وفى زمن محمد باشا حصل رخاء عظيم حتى بيع القمح كل أردب بخمسة وعشرين
نصفا فلوسا نحاسا والفول كل أردب بخمسة عشر نصفا والعدس والبسلة كل
أردب بثمانية عشر نصفا والارز بستة وتسعين نصفا والجبن الطرى كل قنطار
بثلاثين نصفا والسكر كل قنطار بالوزن القوى بمائة وستين نصفا وأما اللحوم
والاسماك فلكثرتها بيعت بأرخص الاثمان فسبحان المتفضل على عبيده وقدر
القنطار القوى بالوزن المصرى مائتا رطل وثنتان وخمسون رطلا تصير كل خمسة
وعشرين رطلا بالوزن المصرى بستة عشر نصفا فلوسا نحاسا وكل رطل ونصف رطل
ونصف ثمن رطل بنصف فلوسا جددا ثم فى يوم الاربعاء عاشر ربيع الاول سنة
سبع وعشرين وألف وردت أحكام سلطانية بصرف محمد باشا عن ولايته فكانت
مدة تصرفه ثلاث سنوات وستة أشهر وثمانية وعشرين يوما والله سبحانه وتعالى أعلم
(ثم تولى أحمد باشا الدفتدار) فى يوم الخميس حادى عشر ربيع الاول سنة أربع
وعشرين وألف وكان حاكما سياسيا صاحب تدبير سهل فى أموره قريب من
الناس ليس عنده تجبر ولا غلظة ومما اتفق عند قدومه لما استقبله العسكر
المنصور على العادة ودخل مصر يوم الاثنين سادس ربيع الآخر من السنة
المذكورة فى موكب عظيم بجلالته وكان بعمامته ريشتان مكللتان بالمعادن قيل
ان قيمة كل ريشة ألف دينار فلما وصل الى الجوخيين وهو بموكبه سقط على عمامته
حجر من طاقة بيت بالربع الذى بعلو حوانيت الجوخيين فألقى أحدى الريشتين
على الارض ومزق جانبا من الشاش ونسب رمى الحجر لشخص من أقارب ابراهيم
المنصورى الخياط فقبض على رامى الحجر بعد ان اعتبر الحجر بالوزن فوجد زنته
خمسة أرطال فتطير أحمد باشا من ذلك وأمر بشنق الرامى وكان يوصف بخبال العقل
وان أحمد باشا لم ينله من ذلك مكروه واستمر نافذ التصرف الى ان صرف عن ولايته
يوم الخميس ثالث شهر صفر سنة سبع وعشرين وألف وكانت مدة تصرفه سنتين وأحد

محمد باشا تكن) يوم
الاثنين رابع المحرم سنة
مائتين وألف وعزل يوم
الاربعاء سادس عشر
المحرم سنة أحدى
ومائتين وألف (ثم
تولى الوزير الشريف
عبدى باشا) ثانى
عشر رجب تلك السنة
وعزل ثالث رجب
سنة ثلاث ومائتين وألف
وفى تلك السنة (تولى
السلطنة السلطان
سليم الثالث) ابن
السلطان مصطفى
(وتولى وزارة مصر
الوزير اسماعيل
باشا) التونسى يوم
السبت خامس عشر
رجب وعزل يوم الاثنين
عشرى شعبان سنة
خمس ومائتين وألف
(ثم تولى الوزير محمد
باشا عزت) فى شوال
تلك السنة وعزل فى

عشر شهرا وثلاثة أيام والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى مصطفى باشا السلحدار) فى ثالث عشر صفر سنة سبع وعشرين وألف فتصرف نصف شهر صفر سنة ثمان وعشرين وألف فكانت مدة تصرفه سنة وشهرا وثلاثة أيام (ثم تولى جعفر باشا) وكان لما قدم من اليمن مكث بمصر مدة والناس يترددون عليه وكان ذا علم وفضل وله قوة فى طرح المسائل العلمية ومشاركة فى غالب العلوم وأبحاث جيدة وفكرة وقادة ويحب أهل العلم والصالحين ويركن اليهم ويحب الفقراء والمساكين قليل الطمع لا ينظر الى مافى أيدى الناس مستغنيا بما فى يده من الدنيا وكان أرسل عرضا للابواب الشريفة فى خصوص باشوية مصر وهو منتظر ورود الاخبار وقد كثر لغط الناس من قال وقيل فى جعفر باشا وكانت اقامته بمصر فى زمن أحمد باشا الدفتدار المتقدم ذكره وكان أحمد باشا متألما منه وخشى الفتنة فارسل اليه من أكابر الدولة من يحثه على الرحيل من مصر فتوجه برا ولما وصل الى السلطان أنعم عليه بولاية مصر فقدم برا كما توجه نخرج لاستقباله الامراء والعلماء وأكابر العسكر المنصور ودخل مصر فى موكب عظيم لم يعهد مثله وفرح العامة والخاصة بقدومه فاستبشروا بالخير وكان قدومه الى مصر فى أواسط صفر سنة ثمان وعشرين وألف ولما استقر بمصر المحروسة حصل الطعن والطاعون بمصر المحروسة وقراها ومكث نحو الشهرين فاشتغل الناس بموتاهم وقفلت غالب أسواق مصر وحوانيتها ماعدا أسواق الاكفان فانها مفتوحة ليلا ونهارا ومنع جعفر باشا عامل الاموات من التعرض للموتى فصار الناس يدفنون موتاهم بغير اذن وحصل بذلك رحمة للعالمين فيا سبحان الله يموت اليهودى وهو صاحب مائة ألف قرش فلم يتعرض له أحد من الظلمة ولا يسئل عما خلف واذا مات مسلم لم يدفن حتى يشاور عليه وتأتى الظلمة تخرجه من بيته ويختموا عليه مع ان له أولادا واخوة وزوجة فالحكم لله العلى الكبير ألم يسمعوا قول العزيز الجبار ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا وهنا حكاية لطيفة لا بأس بايرادها وهى انى لما حججت فى سنة ثمان وعشرين وألف كان ركب من التكرور وحاجا فعند العود سرت مع رفقة بغالة أمام الركب المصرى فادركت رجلا من التكرور قريبا من بندر المويلح راكبا على ناقة وحوله ثمانية أنفار وهم مشاة فسألت رجلا منهم عن الرجل الراكب على الناقة فاخبرنى انه شيخ الركب وقد وسع الله عليه دنياه وانه على الكتاب والسنة وله أربع زوجات ومايزيد على ستين جارية كلهن موطوآته فرزقه الله من زوجاته وجواريه مائة وعشرين ولدا ثمانين ذكورا وأربعين اناثا وتناكحوا وتناسلوا فصار لا يعلم عدة أولاده وأولاد أولاده وان بلادهم مجاورة لبلاد النصارى وفى كل أوان يذهب هو وأولاده وهم معدون

غرة ذى القعدة سنة ثمان ومائتين وألف (ثم تولى الوزير صالح باشا) القيصرلى فى عشرى ربيع الاول سنة تسع ومائتين وألف وعزل فى ذى الحجة سنة عشر ومائتين وألف (ثم تولى السيد أبو بكر باشا) الطرابلسى يوم الخميس الخامس والعشرين من ربيع الاول سنة احدى عشر ومائتين وألف وتوجه الى غزة يوم السبت سادع صفر سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف وذلك بسبب قدوم طائفة الفرنسيس الى مصر فى ذلك الشهر فانهم قدموا الى الاسكندرية فى شهر المحرم من تلك السنة ثم قدموا منها الى مصر فى شهر صفر

بالسلاح ركبانا ومشاة ويقاتلون النصارى ويقتلون وينهبون ويأسرون ولما وصل الركب المذكور الى مصر نزل بقرية من قرى الجيزة تسمى منشية المكارى فادرك شيخ الركب المذكور الاجل المحتوم فمات فاشيع عنه انه ترك مالا كثيرا وتبرا فارسل وكيل بيت المال من يضبط ماله فمنعوا أولاده وكيل بيت المال وقالوا والله نقتل دون مالنا فبلغ ذلك جعفر باشا فمنع بيت المال من التعرض لهم وسافر أولاده الى بلادهم وتركوا أباهم تحت رحمة الله تعالى ولما ارتفع الوباء واطمأنت العباد أراد جعفر باشا أن يظهر بمصر الآثار الجميلة وينشئ الخيرات الجزيلة وينشر العدل بالديار المصرية ويكف عن الرعايا كل ضرر وبلية فما ساعدته القدرة الازلية كما قال الطغرائى فى لاميته

والدهر يعكس آمالى ويقنعنى * من الغنيمة بعد الكد بالقفل

وفى الواقع ونفس الامر ان الزمان مدبر ما شرع فيه أحد فى شئ يكون صلاحا الا انعكس الى الفساد ولله فى هذا مراد ثم ان جعفر باشا فى أوائل رمضان سنة ثمان وعشرين وألف صرف عن باشوية مصر وتوجه الى الديار الرومية فى البحر لعدم تاهبه لآلات السفر برا فان عزله جاء بغتة على حين غفلة وما أمكنه الاستعداد لسفر البر والله يفعل ما يشاء فكانت مدة تصرفه بمصر ستة أشهر وأياما ولما وصل الى الديار الرومية مكث مدة يسيرة ومات وذهب ماله ونواله وهكذا حال الدنيا وفى ذلك عبرة لمن اعتبر وعاد ولده الى مصر وأقام بها فقيرا والله أعلم (ثم تولى مصطفى باشا) فى عاشر رمضان سنة ثمان وعشرين وألف وفى ولايته حصل متاعب لارباب الاموال وكثرت العوانية والوشاة ببابه وصاروا ينقلون اليه أخبار الناس ويزخرفون له أقاويل كاذبة وأمورا باطلة يتوصلون بها الى أغراضهم الفاسدة فتعبت أرباب الاموال واختلت الاحوال فى زمنه فمن وشى به اليه وبذل ما طلبه منه سلم ومن تقاعس ولم يبذل حقر وأخذ منه أكثر مما طلب منه وكان مصطفى باشا ذا شجاعة واقدام فقتل مصطفى بعلى بيده وظن الناس ان تقام بسببه فتنة فلم يظهر لذلك أثر ولما زاد طمعه توسلت الرعية بالنبى صلى الله عليه وسلم الى خالق البرية بكف هذه البلية فاستجاب الله دعاءهم وورد الخبر بعزله فى ثالث شهر رمضان سنة تسع وعشرين وألف فكانت مدته سنة الا ثلاثة أيام والله أعلم (ثم تولى حسين باشا) فى ثالث عشرى رمضان سنة تسع وعشرين وألف وقدم مصر فى أقرب وقت وأدرك مصطفى باشا قبل سفره فمنعه من السفر وأنزله من القلعة الى بيت مراد باشا الذى بالسبع قاعات بمصر وجعل على الباب حرسا فافتقده بعد مدة فلم يجده وكان قد تخلص من ذلك بتدبير بعض اكابر الدولة وتوجه مصطفى باشا الى الديار الرومية وتبعه جماعة ممن صادرهم وأخذ أموالهم فادعوا عليه ومزقوا

فاستقبلهم عسكر مصر عند الرحمانية وهزموا الى الجيزة فالتقوا بهم عند بشتيل قريبا من وسيم وحصلت مقتلة عظيمة وقدر الله أن المسلمين هزموا ففر مراد بك ومن معه من العسكر الذين يقاتلون فى البر الغربى الى جهة الصعيد وفر ابراهيم بك ومن كان معه فى البر الشرقى الى الشام وحقيقة حال الفرنساوية الذين حضروا الى مصر انهم فرقة من الفلاسفة اباحية طبائعية يقال لهم نصارى قاثوليقية يدعون عيسى عليه السلام ظاهرا وينكرون البعث والدار الآخرة وبعثة الانبياء والمرسلين ويقولون ان الله واحد

عرضه وأخذوا منه جميع ما اغتصبه منهم وفى زمن حسين باشا فى سنة ثلاثين وألف حصل غلاء عام حتى بيع القمح كل أردب بالكيل المصرى بمائتى نصف فضة والشعير بمائة وعشرين نصفا والفول بمائة وستين نصفا وكذلك البسلة والعدس وأما الارز فبيع بمائتين وأربعين نصفا وارتفعت الاسعار فوق ذلك وأما النيل فمكث فوق الارض الى غاية هاتور القبطى حتى كادت الناس تيأس من الزرع والذى زرع شتويا هاف ولم يحصل منه الاماقل لكونه زرع بعد الاوان وقد من الله على عباده بنموّ زرع الذرة فانه أخصب ونما وحصل به النفع لاقليم مصر وقراها وغيره من الاقاليم وفى زمنه حصلت بلية عمت وطمت على الرعية وهى رمية النطرون على المدن والثغور وتألمت الرعية بسبب ذلك وراجعوا حسين باشا فى رفعها فلم يرفعها ثم رفعت بعد عزله باذن الله تعالى وقد حصل فى زمنه فساد عظيم وفى عشرى ربيع الآخر سنة احدى وثلاثين وألف عزل حسين باشا فكانت مدة تصرفه سنة واحدة وسبعة أشهر وعشرة أيام ثم توجه الى الديار الرومية فحصلت الفتنة الكبرى بالقسطنطينية وقتل من قتل وأعيد مولانا السلطان مصطفى وجلس على التخت الشريف وتحرك بعد ذلك فتن أخر وقتل فيها جماعة من الاكابر وآل الامر الى أن ولى حسين باشا الوزارة العظمى فى أحد الجمادين سنة اثنتين وثلاثين وألف ولما تمكن من الوزارة ظن ان الدهر قد صفاله من الغم والنحوس فاستبد برأيه المنكوس فتصرف بالجهل والجنون ولم يراع الشرع والقانون ووقر فى قلبه وسوسة الشيطان الخناس ومشى بالجور والشدة والباس وركزت بغضته فى قلوب الناس فمن جملة مخاطراته انه بلغه ان جماعة من العلماء والموالى مجتمعون بجامع السلطان محمد وهم يدعون عليه ويطلبون من الله ازالته عن المسلمين فارسل لهم جماعة من أتباعه وأعوانه فقتلوا منهم جماعة ونفى جماعة من العلماء وشاع ذلك وذاع فى سائر الامصار والاقطار ومن جملة مخاطراته أيضا انه وضع يده على جملة مال الخزائن العثمانية وصار كلما أخذ مبلغا يرسله خفية الى بعض أكابر الدولة ويأخذ منه تذكرة بوصول المبلغ المذكور وكميته ويوضع التذكرة عنده فقدر الله ان السلطان مصطفى خلع نفسه من الملك وفرغ عنه لولد أخيه السلطان مراد جعل الله جلوسه مباركا على البلاد والعباد انه على مايشاء قدير (فكان جلوس مولانا السلطان مراد) حفظه الله ونصره بجاه محمد وآله على تخت السلطنة الشريفة العثمانية فى يوم الاحد المبارك رابع عشر ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثين وألف ختمت بالخير فامر السلطان مراد بعود من نفى من العلماء وطلب العسكر المنصور حسين باشا فلما أحس بالطلب وتحقق أنه انما طلب للهلاك والعطب اختفى وتفرقت أتباعه وتشتتوا وذهبت

لكن بطريق التعليل ويحكمون العقل ويجعلون منهم مدبرين يدبرون الاحكام يضعونها بعقولهم ويسمونها شرائع ويزعمون ان الرسل محمدا وعيسى وموسى كانوا جماعة عقلاء وان الشرائع المنسوبة اليهم كناية عن قوانين وضعوها بعقولهم تناسب أهل زمانهم ولذا جعلوا فى مصر وقراها الكبار دواوين يدبرون ما يناسب أهل البلاد بحسب عقولهم وكان فى ذلك رحمة باهل مصر فانهم جعلوا من جملة ديوانها جماعة من المشايخ وصاروا يراجعونهم فى بعض أشياء لاتليق بالشرع والسبب الذى أوجب

دولته كان لم تمكن وندم حيث لا ينفعه الندم وصار في الوجود عدم ثم ان مولانا السلطان مراد أعاد مصطفى قزل اغا الى مرتبته فاخذ مصطفى أغا يدبر في تحصيل حسين باشا فبلغه أنه بمكان فارسل اليه الامان من مولانا السلطان فحضر وقبل أقدام السلطان مراد فاظهر له البشر وأعاده الى الوزارة العظمى وخلع عليه خلع الرضى فلما تصرف وزال روعه مكث مدة يسيرة ثم طولب بما وضع يده عليه من مال الخزائن العامرة فاعترف بالاخذ وأحضر التذاكر التي أخذها ممن وصل اليه شئ من المال فقتله السلطان مراد أشر قتلة وأخذ جميع ما كان بمنزله مما أخفاه وأظهره وأمر أن يلقى حسين باشا على باب منزله والناس يمرون عليه وأمر أن لا يدفن الا بعد ثلاثة أيام فمر عليه شخص ممن كان ظلمه وأذاه فرفسه بجزمة كانت برجله فدخلت في جوفه وصار يلقي في جوفه رملا ودفن بعد مضي ثلاثة أيام ولم يترحم عليه أحد وهكذا حال الظلمة المغرورين ثم ان مصطفى أغا أرسل الى أرباب التذاكر وأحضرهم واحدا بعد واحد واستخلص منهم المال جميعا وكل أخذ من منه ما كان عنده يعاتبه على قبوله من حسين باشا المال ويقول له أما علمت أنه من مال الخزينة وينسب اليه الخيانة بسكوته وعدم اعلامه ثم يقتله ويلقيه في البحر ولم يبق منهم أحد ولله البقاء ثم تولى محمد باشا البستنجي في حادي عشر ربيع الآخر سنة احدى وثلاثين وألف فقام عنه حسن أفندي الدفتدار ولم يتهيأ له تولية مصر وصرف عنها فكانت مدة تصرف حسين أفندي اربعة شهور وسبعة أيام والله أعلم ثم تولى ابراهيم باشا السلحدار ودخل الى رشيد يوم الجمعة ثاني عشر شعبان سنة احدى وثلاثين وألف ووصل الى مصر في أوائل رمضان وحصل في زمنه غلاء يزيد على ما تقدم وقد جاءت الناس من الاقطار الشامية والحجازية وغزة وغيرها الى مصر واقليمها بقصد الميرة فمن كان ذا مال امتار وما يحتاج اليه ورجع الى أهله وما لا مال معه وله قدرة على الكسب أو الخدمة يقتات من كسبه أو من خدمته ومن لا مال معه ولا قدرة له على الكسب أو الخدمة يستعطي حتى امتلأت مصر وقراها منهم والذي ضبط بيعه من الذرة في ثغر دمياط في مدة ثلاثة أشهر يزيد على ستين ألف أردب وتجدد بعد ذلك ما يقاربه أو أزيد وذلك خارج عما بيع من الحنطة والشعير والفول وبقية الحبوب وأما ما بيع برشيد فضعف ما بيع بدمياط فان رشيدا أكثروا ردا من دمياط وأما ما بيع ببولاق والمدائن والقرى فلا حصر له وكل ذلك بعد كفاية أهل مصر وقراها وما ادخروه فسبحان المنعم المتفضل على عبيده فنسأل الله أن يعمر مصر وقراها ويكثر زرعها وخيرها ويهلك من أرادها ولاهلها بسوء أنه على ما يشاء قدير وفي زمن ابراهيم باشا حصل من اعوانه واتباعه اجحاف وطمع وخروج عن الحد في الخدم التي

لاهل مصر وقراها بعض الانقياد اليهم بجزهم عن مقاومتهم بسبب هروب المماليك الذين معهم آلات القتال وانهم عند قدومهم كتبوا كتبا وفرقوها في البلاد وذكروا فيها انهم ليسوا نصارى لانهم يقولون ان الله واحد والنصارى تقول بالتثليث وانهم يعظمون محمدا ويحترمون القرآن وانهم يحبون العثمانلي ولم يأتوا الا لطرد المماليك الظلمة لانهم نهبوا أموالهم وأموال تجارهم ولا يتعرضون للرعايا في شئ لكن لما دخلوا لم يقتصروا على نهب أموال المماليك بل نهبوا الرعايا وقتلوا جملة من الناس لما قامت عليهم

يتوجهون اليها وتعبت الرعايا بسبب ذلك وان ابراهيم باشا رمى بضة على التجار ومشايخ الاسواق فحصل لهم خسارة فاحشة فشكوا أمرهم اليه فلم يلتفت اشكواهم فتحرك عليه طائفة من أكابر الدولة ومنعوه من ذلك فتلاشا أمره وقصرت كلمته واستمر الى ان صرف فى يوم الاربعاء سابع رمضان سنة اثنتين وثلاثين وألف وكانت مدة تصرفه سنة واحدة وتسعة عشر يوما وبه انتهى ذكر من ورد من أرباب الحنكارى الى الديار المصرية ووقف عنده القلم طالبا لكمال هذه الخدمة التامة بخمة شعر

فما لها فى الورى مثلا يناظرها * وكم لها ثار بين الناس من مثل
يرتاح سامعها حتى يهزبها * من التعجب عطف الشارب الثمل
فلا تعرغيرها سمعا ولا نظرا * فى طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

ونرجوا من الله تعالى بقاء الدولة العثمانية ودوام عزتها الممتدة بالعناية الربانية وانتظام أقطار الارض فى سلكها داخلة تحت سلطنتها وملكها وتخت مصر عندهم بالالتفات محفوفا وكلما قدم مفخم واقتضت الحكمة توليته أصبح محفوظا بالسعد محفوفا بجاه سيدنا محمد أفضل العباد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما الى يوم المعاد آمين

(خاتمه)

روى الامام أحمد بن حنبل فى مسنده والترمذى عن عمرو بن مرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن امام أووال يغلق بابه دون ذوى الحاجة والخلة الا أغلق الله أبواب السماء دون حاجته وخلته ومسكنته ولهذا كان بعض الحكام لايغيب عن بيته ولايسكن الا فى دهليزه وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس من ولى منكم عملا فحجب بابه عن ذوى حاجة من المسلمين حجبه الله يوم القيامة ان يلج الجنة فليس شئ أحب الى الله عز وجل من قضاء حوائج المسلمين ومن كانت همته الدنيا حجبه الله عز وجل عن جوارى فانى بعثت بخراب الدنيا ولم أبعث بعمارتها وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لابد للناس من امارة برة أوفاجرة فاما البرة فيعدل فى القسم ويقسم فيكم بالسوية وأما الفاجرة فيبتلى فيها المؤمن والامارة الفاجرة خير من الهرج قيل يارسول الله وما الهرج قال القتل والكذب (فائدة) الهرج باسكان الراء الفتنة وكثرة العناد وبفتحها تحير البصر روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس بارة ولافاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لم أزدد وان عملت شرا قالت ياليتنى قصرت وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال قال رسول

أهل مصر بسبب ظلمهم تفريد غرامة على البيوت وقتل منهم مايقرب من الالف وهتكوا بعض الاعراض فى مصر وقراها فان كل قرية جار بهم نهبوا أموالها وقتلوا رجالها وأخذوا نساءها وقتلوا من علماء مصر نحو ثلاثة عشر عالما ودخلوا بخيولهم الجامع الازهر ومكثوا فيه يوما وبعض الليلة الثانية وقتلوا فيه بعض علماء ونهبوا منه أموالا كثيرة وسبب وجودها فيه ان أهل البلد ظنوا ان العسكر لايدخله فخلوا فيه أمتعة بيوتهم فنهبوها ونهبوا أكثر البيوت التى حول الجامع ونثروا الكتب

الله صلى الله عليه وسلم سيلى أموركم من بعدى رجال يطفئون السنة ويعملون بالبدعة ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها (فائدة) تعريف البدعة من ابتدع الشئ أى اخترعه وأحدثه ثم غلب على ما خالف قواعد الشرع وروى الحاكم وصحح اسناده من ولى من أمور أمتى شيئا فاحتجب عنهم احتجبت عنه يوم القيامة وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله عز وجل أقواما يختصهم بالنعم لمنافع العباد ويقرها فيهم ما بذلوها فاذا منعوها نزعها منهم فحولها الى غيرهم أخرجه الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الحلية وغيرهم وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة واحدة منها فيها اصلاح أمره كله وثنتان وسبعون درجات له يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبلغ حاجة من لم يستطع ابلاغها ثبت الله قدميه على الصراط وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى لاخيه المؤمن فى حاجة قضيت أو لم تقض غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقى أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك سره الله يوم القيامة رواه الطبرانى فى الصغير باسناد حسن ومن رسالة للجاحظ مما أتى فيها بالحكمة قوله كن شفيعا الى أذنك حتى تسمعها وشفيع أذنك الى قلبك حتى تفهمها وشفيع قلبك الى نفسك حتى تعمل بها وقال ابن زيدون فى رسالته المعروف ثمرة النعمة والشفاعة زكاة المروءة ومن كلام الحكمة بذل الجاه أحد المالين وشفاعة اللسان أفضل زكاة الانسان وبذل الجاه رفد المستعين والشفيع جناح الطالب والشفاعة أمر مندوب اليه نطق به القرآن وحثت عليه السنة قال الله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقال جابر بن عبد الله من كثرت نعمة الله عليه كثرت حوائج الناس اليه فاذا قام بما يجب لله فيها عرضها للدوام والبقاء وان لم يقم فيها عرض نعمته للزوال نعوذ بالله من ذلك ونسأله التوفيق والعصمة وعن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه وقال اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه ما أحب متفق عليه وفى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى بيتى هذا من ولى من أمر أمتى شيئا فاشفق عليهم فاشفق اللهم عليه ومن ولى شيأ فرفق بهم فارفق اللهم به (فائدة) الرفق هو التوسط واللطافة فى الامر مع الناس برفق فى تحصيله فمن فعل ذلك ولم يجهد نفسه دام له ما استفاد وأفاد وهدى واهتدى ومن كلف نفسه فوق طاقتها وعامل

التى فى الخزائن يعتقدون ان بها أموالا وأخذ من كان معهم من اليهود الذين يترجمون لهم كتبا ومصاحف نفيسة ومكث بونابارته أمير الجيوش الفرنساوية فى مصر سبعة أشهر ثم فى غرة رمضان من تلك السنة توجه الى الشام لقتال الوزير المعظم أحمد باشا الجزار فحاصره حصارا شديدا فى عكة فلم يقدره الله ظفر به وقتل معظم عسكره ورجع الى مصر وترك جانبا من عسكره فى العريش وكان قد حصن القاهرة ببناء القلاع حولها ثم جاء عسكر من جهة الروم الى ناحية أبى قير معهم مصطفى باشا فتوجه اليهم بونابارته

الناس بصلابة الجانب لم يدم له بجهله فضل وأضل قال صاحب المنفرجة

والرفق يدوم لصاحبه * والخرق يصير الى الهرج

وقد تقدم الكلام على الهرج وقال عبد الله بن طاهر لا ينبغى للملك أن يظلم وبه يدفع الظلم ولا يبخل ومنه يتوقع الجود من الفردوس عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على أمتى زمان يكون السلطان كالسبع ومن قبله كالذئب ومن قبله كالثعلب ويكون المسلم كالشاة فمتى تسلم الشاة بين سبع وذئب وثعلب فلو فى ذلك الزمان بإسلام سلم بإسلام سلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن قال الشارح ناظما

ان كنت لا ترحم المسكين ان ظلما * ولا الفقير اذا يشكو لك العدما

فكيف ترجو من الرحمن مرحمة * وانما يرحم الرحمن من رحما

ذكر الجلال السيوطى فى الاحاديث العشارية الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء وقال ناظما

ارحم المن فى الارض يرحمهم * من فى السماء فباعد عنك وسواسا

وقل أعوذ برب الناس منك اذا * لا يرحم الله من لا يرحم الناسا

ومن كلام الحكمة يستدل على ادبار الملك بخمسة أمور الاول الاكتفاء بغير أهل الديانة الثانى أن يقصد مودة أبيه وأسلافه بالاذى الثالث أن ينقص خراجه عن قدر مؤنة مملكته الرابع أن يكون تقريبه وابعاده لغرض نفسه معرضا عن مراتب الناس الخامس استهانته بنصائح الفضلاء وآراء ذوى التجارب وقال من عصى نصيحا فقد استفاد عدوا وقال بعض أهل الحكمة الملك بالملك والملك بالجند والجند بالمال والمال بعمارة البلدان وعمارة البلدان بالعدل فى الرعية وقيل فى المعنى

عليك بالعدل ان أوليت مملكة * واحذر من الظلم فيها غاية الحذر

فالملك يبقى مع عدل الاثيم ولا * يبقى مع الجور فى بدو ولا حضر

وقال الشاعر أيضا

خف الله واحذر من عواقب لذة * مسرتها تفنى ويبقى لك الوزر

ولا تحقرن ذنبا صغيرا تضيفه * الى غيره فالغيث أوله قطر

واعلم أنه لا ذنب أعظم من ظلم الناس وأخذ أموالهم بغير حق لاسيما من كان ضعيفا أو مسكينا أو لا عقل له أو كهلا أشرفت نفسه على الهلاك وقال الامام على كرم الله وجهه ملك بلا عدل كنهر بلا ماء وعالم بلا علم كغيم بلا مطر وغنى بلا جود كشجرة بلا ثمر وشاب بلا توبة كقنديل بلا زيت وفقير بلا صبر كبيت بلا سقف وامرأة بلا حياء كطعام بلا ملح وقال طلحة الطلحات لاسد بن عبد الله وهو والى

قمع عساكره وغدرهم وقتل منهم جملة وأسر مصطفى باشا المذكور مع بعض العساكر الاسلاميين ورجع الى مصر ومكث مدة قليلة ثم أخذ أمواله التى جمعها من مصر وتوجه الى ناحية أبى قير وأخذ بعض عسكره ونزل فى البحر وذهب الى بلاده مع شدة محافظة مراكب الانجليز على الاسكندرية ومنعهم كل من يسافر من جهتها حتى قيل انه أرشاهم بدراهم ليخلوا له الطريق (وولى بدله) جمهور الفرنساويه كليبر صارى عسكر عليهم ثم ان همة مولانا المعظم والخاقان المفخم السلطان سليم

خراسان ان كنت تعطى من ترحم فارحم من تظلم ان السموات لتفرج لدعوة المظلوم فاحذر من ليس له ناصر الا الله ولا جند له الا الثقة به ولا سلاح له الا الابتهال اليه فان البغى يصرع أهله والبغى مصرعه وخيم فلا تغتر بابطاء الغياث من ناصر متى شاء ان يغيث أغاث وقد أملى لقوم لكى يزدادوا اثما وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه اشتد غضبى على من ظلم من لم يجد ناصرا غيرى نقل الغزى فى كتابه حديثا عن ابن عباس رضى الله عنهما قيل يارسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل بم يارسول الله قال بتهاونهم وسكرتهم عن معاصى الله ومن الجامع الصغير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم انه ظالم فقد خرج من الاسلام ومن الجامع الصغير أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام وذكر شيخ الاسلام ابن حجر العسقلانى فى الاربعين حديثا التى جمعها الحديث التاسع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاصم فى باطل وهو يعلم لم يزل فى سخط الله حتى ينزع رواه أبو داود وصححه الحاكم وفى لفظ آخر من أعان على خصومة بظلم فقد باء بغضب من الله تعالى الحديث الحادى عشر من الاربعين حديثا المتقدم ذكرها من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ولفظه من أعان ظالما بباطل ليدحض به حقا فقد برئ من الله ورسوله وقد أجمع المسلمون على تحريم الظلم قليله وكثيره ومن استحله فهو كافر والظلمة من المكاسين وغيرهم غافلون عن هذا كله وعن قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة صاحب مكس حديث حسن رواه الامام أحمد فى مسنده وهذا الحديث مع قوله صلى الله عليه وسلم فى قصة الغامدية فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له من املاء الشيخ جلال الدين السيوطى على الدرة الفاخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقيتم عاشرا فاقتلوه أخرجه ابن عبد الحكم فى فتوح مصر عن عبد الملك بن سلمة عن أبى لهيعة الى الامام أحمد عن الطبرى وعن منصور بن مجاهد فى قوله تعالى ولا تقعدوا بكل صراط توعدون قال نزلت فى المكاسين وأنشد

اقتل أولى المكث ولا تكترث * ان حرموا ذاك أو حللوه
فان خير الخلق أوصى به * اذا لقيتم عاشرا فاقتلوه

وقال بعضهم

مصر السعيدة أصبحت * دارا تطيب بها النفوس
فالظلم فيها قد فشى * وأصله قبض المكوس

وذكر بعض الافاضل ان الشيخ محمد الحيثى بالثاء المثلثة ذكر فى كتابه البركة فى

توجهت الى مصر فأرسل مولانا الوزير المعظم والصدر المفخم يوسف باشا المعدنى المغازى صارى عسكر على جيوش المسلمين فتوجه من اسلامبول بالاوردى الهمايون ومازال يسير ويجمع العساكر من البلدان الى أن وصل الى غزة هاشم فى شهر رجب من شهور سنة أربعة عشر ومائتين وألف ثم وجه عسكرا امامه الى العريش وتوجه بعدهم بنفسه اليها ففتحها الله عليه فى مدة يسيرة نحو خمسة أيام مع ان بونابارته لما ذهب الى الشام حاصرها أربعة عشر يوما فلم يقدر على أخذها مع كون من

فضل السعى والحركة قال صلى الله عليه وسلم خلق الله ولد الزنا وأخفاه بين خلقه فاذا أراد ان يظهره جعله مكاسا أو عوانيا وقد أحدث الظلمة أشياء تقشعر من سماعها الجلود فضلا عن مشاهدتها لاشتهارها عند الخاص والعام لما أركزه الله فى قلوبهم من حب الدنيا الدنيئة والغفلة عن الآخرة وقد ورد ان الظلمة كلما أحدثوا ظلما جدد الله لهم نعمة وأنساهم الاستغفار والرجوع اليه قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم ان كيدى متين وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار وقال تعالى وقد خاب من حمل ظلما وقال تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصية فاعلموا انه استدراج ثم قرأ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (فائدة) تعريف الظلم هو مجاوزة الحد والتعدى على خلق الله وقال الراغب هو لغة وضع الشئ بغير موضعه بنقص أو زيادة أو عدول عن وقته أو مكانه قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة قال الشارح الظلم على أصحابه فى الدنيا يعنى انه يورث ظلمة القلب فاذا أظلم القلب تاه وتحير فذهبت الهداية والبصيرة فصار صاحبه فى ظلمة ذكر البيضاوى فى تفسيره فى سورة النبأ عند قوله تعالى يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا أى جماعات من القبور الى المحشر روى انه عليه أفضل الصلاة والسلام سئل عنهم فقال تحشر عشرة أصناف من أمتى بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكس يسحبون على وجوههم وبعضهم عمى وبعضهم صم وبعضهم السنتهم مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلوبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون ثيابا من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات وآكل السحت وآكل الربا والجائرين فى الحكم والمعجبين باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والمؤذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان والتابعين للشهوات والمانعين حق الله تعالى والمتكبرين وأهل الخيلاء وقال عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما تكلم بعض الملوك بكلمة بغى وهو جالس على سريره فمسخه الله فلم ير اثره وفى المعنى

أيها المستطيل بالبغى قصر * طالما طاطا الزمان رؤسا
وتذكر قول الاله تعالى * ان قارون كان من قوم موسى

وقال الامام الشافعى رضى الله عنه

فيها شرذمة قليلة من عسكر مصر فلما فنيت ذخيرتهم طلبوا الامان وخرجوا منها وأما الفرنساوية الذين كانوا فيها فعندهم ذخيرة كثيرة وجبخانة عظيمة لكن معونة الله ساعدت الوزير المذكور على أخذها ثم لما استقر ركابه هناك ذهب اليه جماعة من الفرنساوية ووسطوا بينهم وبينه جماعة من الانجليز فى اجراء الصلح بينهم فصالحوه على انه يترك لهم ما قبضوه من الاموال وان يدفع لهم جانبا يستعينون به على السفر وشرطوا شروطا كثيرة منها انهم يمكثون فى مصر والبر

اذاما ظالم استعمل الظلم مذهبا * ولج عتوا فى قبيح اكتسابه
فكله الى صرف الليالى فانها * ستبدى له مالم يكن فى حسابه
فكم قد رأينا ظالما متجبرا * يرى النجم تيها تحت ظل ركابه
طغى وبغى حتى اذا غره البقا * أناخت جميع النائبات ببابه

وقد ورد فى البغى آثار منها ان النبى صلى الله عليه وسلم أوصى رجلا فقال له أنهاك عن ثلاث لا تنقض عهدا واياك والبغى فانه من بغى عليه لينصرنه الله واياك والمكر السيئ فانه لا يحيق الا بأهله وقال صلى الله عليه وسلم اذا جار الحاكم قل المطر واذا نقض العهد جار العدو واذا ظهرت الفواحش كانت الزلزلة وقال صلى الله عليه وسلم اذا رضى الله على قوم أمطرهم المطر فى وقته وجعل المال فى سمحائهم واستعمل عليهم خيارهم واذا سخط عليهم استعمل عليهم شرارهم وجعل المال فى بخلائهم وأمطرهم المطر فى غير وقته ذكر البيضاوى فى تفسيره فى سورة المطففين ويل للمطففين التطفيف البخس فى الكيل والوزن روى ان أهل المدينة كانوا أبخس الناس كيلا فنزلت وفى الحديث خمس بخمس مانقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت وما طففوا الكيل الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم المطر حدث واصل بن عبد الله السلمى عمن حدثه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول مايذهب من هذا الدين الامانة وآخر ما يبقى منه الصلاة وسيصلى من لا خير فيه وما فشا الزنا بين قوم الا استوجبوا حرب الله ورسوله ولا ظهرت فيهم المعازف والغنا الا عميت قلوبهم ولا تركوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الا انتكست قلوبهم حتى لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا قيل ان سيدنا عيسى عليه أفضل الصلاة والسلام رآى ابليس وهو يسوق أربعة حمير فقال ماهذا قال أسوق تجارة لمشتريها الجور للسلاطين والحسد للعلماء والخيانة للتجار والكيد للنساء ومن كلام الحكمة الاسباب التى تجر الملك الى الهلكة ثلاثة أحدها ان تتأمر شهواته على عقله فيستهويه نشوان الشهوات فلا تسنح له لذة الا اقتنصها ولا راحة الا اقتنصها الثانى من جهة الوزراء وهو التحاسد المقتضى تعارض الآراء فلا يسبق أحدهم الى حق الا عورض وفند الثالث من جهة الجند وهم صنفان صنف وسع الملك عليهم ارزاقهم فابطرهم الاسراف وصبوا بنفوسهم للاتلاف وصنف قتر الملك عليهم ارزاقهم فركنوا الى الاحقاد ولزموا النفاق واعلم ان آفة الملوك سوء السيرة وآفة الوزراء خبث السريرة وآفة الجند مخالفة العادة وآفة الرعية مخالفة السادة وآفة الرؤساء ضعف السياسة وآفة العلماء حب الرياسة وآفة القضاة شدة الطمع

الشرقى مدة أربعين أو خمسة وأربعين يوما يقضون فيها أشغالهم وبعد ذلك يذهبون الى الجيزة يترددون ما بينها وبين الصعيد والاسكندرية نظير تلك المدة حتى يجمعوا عساكرهم من البلاد فاجابهم الوزير لذلك اسلامة صدره فلما حضر بعسكره ونزل ما بين الخانقاه السرياقوسية والمطرية تعللوا عليه بان الانجليز لم تمكنهم من السلوك فى البحر ومكثوا مدة يخادعونه حتى جمعوا عسكرهم وغدروا الوزير المذكور وهجموا عليه بغتة فانكسر امامهم وسببه انه اعتمد على الصلح المذكور لسلامة صدره ولم

وآفة العدل قلة الورع وآفة القوى استضعاف الهمم وآفة المنعم منع النعم والخلافة لا يصلح لها الا التقوى والرعية لا يصلحها الا العدل فمن جار في قضيته ضاعت رعيته ومن ضعفت سياسته بطلت رياسته ومن كلام الحكمة خير الملوك من أشرب قلوب رعيته محبة لا تزول وان ينال ذلك الا بخمسة اشياء اكرام شريفها واغاثة لهيفها ورحمة ضعيفها وكف عدوان عاديها وتأمين سبل رائحها وغاديها روى عن الامام على رضى الله عنه انه قال فساد العامة من فساد الخاصة والخاصة تنقسم على أربعة أقسام العلماء وهم الدالون على الله والزهاد وهم الطريق الى الله والتجار وهم أمناء الله والملوك وهم رعاة دين الله فاذا كان العالم طامعا وللمال جامعا فبمن يقتدى واذا كان الزاهد راغبا فبمن يهتدى واذا كان التاجر خائنا فبمن يؤتمن واذا كان الملك جائرا فبمن يلتجى فوالله ما أهلك الرعية الا العلماء الطامعون والزهاد الراغبون والتجار الخائنون والملوك الجائرون فانا لله وانا اليه راجعون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وقال صاحب النفحات المسكية وأما أصناف العدل من الخلائق نخمسة رفع الله بعضهم فوق بعض درجات كما قال تعالى وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات فالصنف الاول الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهم أدلاء الامة وعمد الدين والاسلام ومعادن حكم الكتاب وأمناء الله على خليقته وهم الهداة والقدوة والسرج المنيرة الى سبيل الهدى وحملة الامانة عن الله الى خلقه بالهداية وأنزل معهم الكتاب والميزان وان لا يتعدوا حدود ما أنزل الله من الاوامر والزواجر ارشادا وهداية لهم حتى تقوم الناس بالقسط والحق ويخرجونهم من ظلمات الكفر والطغيان الى نور اليقظة والايمان وهو سبب نجاتهم من دركات جهنم الى درجات الجنان الصنف الثانى العلماء وهم ورثة الانبياء فهموا مقامات الاقتداء من الانبياء فاقتدوا بهداهم واقتفوا آثارهم فمهدوا قواعدا أبوابه وشيدوا كلمهم وأيدوا دعوتهم ونشروا حكمتهم كشفا وذوقا وتحققوا ايمانا بكمال المبالغة لهم ظاهرا وباطنا أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وما ظهر فى هذا الزمان من الاختلال فى حال البعض من حب الرياسة والمال والجاه والحسد لا يقدح فى حق الجميع غفر الله لنا ولهم (تنبيه) فى هذا المحل وهو ان مولانا شيخ الاسلام الشيخ زكريا الانصارى رحمه الله أفاد فى شرحه على المنفرجة حيث قال قال بعض العارفين العلم بمنزلة البحر أجرى منه واد ومن الوادى نهر ثم من النهر جدول ثم من الجدول ساقية فلو جرى البحر فى النهر أو الوادى الى الجدول لغرق وهو المراد بقوله تعالى أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فيجوز والعلم عند الله ان الله أعطى الرسل منها أودية ثم

يخاطر بماله أنهم يغدرون فارجع بعض العساكر والجبخانة والمدافع العظيمة ولم يقدم الا بمدافع صغيرة لا تقاوم مدافعهم ثم رجع من العسكر الذين كانوا بالطرية جملة صحبة كتخدا الدولة عثمان كتخدا منهم نصوح باشا والى مصر حالا وابراهيم بك شيخ البلد حالا وبعض سناجق وقدم أيضا من جهة الصعيد بعض عساكر صحبة حسن بك الجداوى ومن جهة دمياط بعض أرنؤط ومحمد بك الالفى ومما اليك وانحاز الجميع فى مصر ويسر الله لهم بعض الجبخانة والمدافع بهمة الخواجا السيد أحمد المحروقى

أعطت الرسل من أودية العلماء أنهارا ثم أعطت العلماء من أنهارها العامة جداولا بقدر طاقتهم والمناسب ان يقيد العلماء بالمتفقهة فى الدين الصنف الثالث الملوك الذين هم يراعون العدل والانصاف بين الناس والرعايا توصلا الى نظام المملكة وتوسلا الى قوام السلطنة فى أموالهم وأبدانهم وعمارة بلدانهم بالعدل ومنع القوى عن الضعيف والدنىء عن الشريف فرأس المملكة وأركانها وثبات أحوال الامة وبنيانها العدل والانصاف فان الله تعالى أمر بالعدل ولم يكتف به حتى أضاف اليه الاحسان فقال تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان لان العدل ثبات المملكة ودوامها والجور والظلم خرابها وزوالها قال سفيان الثورى صنفان اذا صلحا صلحت الامة واذا فسدا فسدت الامة الملوك والعلماء الصنف الرابع أوساط الناس يراعون بالعدل فى معاملاتهم وأرش جناياتهم فيكافؤن بالحسنة الحسنة والسيئة السيئة الصنف الخامس القائمون بسياسات نفوسهم وتعديل قواهم وحفظ جوارحهم وانخراطهم فى سلك العدل لان كل فرد من أفراد الانسان مسؤل عن رعاية رعيته التى هى جوارحه وقواه كما ورد كل راع مسؤل عن رعيته قال صاحب الدرر مسؤل عن أهل بيته وحاشيته ولا يؤثر وعظ الشخص فى غيره مالم يؤثر فى نفسه والتأثير فى القريب قبل البعيد كما قال الله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقال الشاعر

لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

انتهى كلام النفحات المسكية وعلى ذكر الصنف الثانى من النفحات المسكية المتقدم ذكرها قال الشاعر

اجعل العلم يا فتى لك قيدا * واتق الله لا تخنه رويدا
لا تكن مثل معشر فقهاء * جعلوا العلم للدراهم صيدا
طلبوه فصيروه معاشا * ثم كادوا به البرية كيدا
فلهذا أصاب البلاء علينا * مستمرا ومادت الأرض ميدا

وقال الغزالى رحمه الله تعالى فى بداية الهداية أيها الحريص ان كنت تقصد بطلب العلم المنافسة والمباهاة والتقدم على الاقران واستمالة وجوه الناس اليك وجمع حطام الدنيا فانت ساع فى هدم دينك واهلاك نفسك وبيع آخرتك بدنياك فصفقتك خاسرة وتجارتك بائرة ومعلمك معين لك على عصيانك وشريكك فى خسرانك وهو كبائع سيف لقاطع الطريق قال صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسرى بى بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم قالوا كنا نامر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه ومما يعزى لمولانا الشيخ عبد العزيز الديرينى رحمه الله تعالى

لطف الله به ومنعوا الفرنسيس من دخول البلد وأحاطوا بجميع جوانبها ومنعوا من يدخل اليها ومن يخرج منها وحصل للفقراء ضنك بسبب قلة القمح لكن حصل لطف بسبب كثرة الارز والعدس والفول وكان ثمن ربع الارز ثمانية وأربعين نصفا فضة والعدس اثنين وعشرين نصفا فضة والفول قريبا من ذلك وصار الفرنسيس يضربون البلد بالمدافع والقنابر حتى أتلفوا منها بعض اماكن ولم يمت من ذلك الا القليل من الناس وذلك بفضل الله تعالى وهجموا عليها مرات كثيرة

ان شئت تدعى فقيه قوم * فطوّل الكم ثم عمم
واجعل على الرأس طيلسانا * واجلس على الركبتين واجم
وباحث القوم فى عياط * لا من بخارى ولا بمسلم
الازعبق ونفض كم * وقول لم لا ولا مسلم
ثيابهم بيض رياء * وقلبهم بالسواد مظلم
وان رأوا الوقف باكوه * ويتركوا العلم والمعلم
احذر ترى فى الورى فقيها * اهرب وقل يا سلام سلم

وقال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزده هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال صلى الله عليه وسلم العالم بغير عمل كالمصباح يحرق نفسه و يضىء على الناس وقال صلى الله عليه وسلم العالم الذى يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضىء للناس ويحرق نفسه وقال صلى الله عليه وسلم ان أشدّ الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه رواه الطبرانى والبيهقى وخبر لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال صلى الله عليه وسلم انا من غير الدجال أخوف عليكم فقيل من هم يارسول الله قال علماء السوء واعلم ان الناس فى طلب العلم على ثلاثة أحوال رجل طلبه ليتخذه لمعاده ولم يقصد به الا وجه الله والدار الآخرة فهذا من الفائزين و رجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة و ينال العز والمال وهو عالم بذلك مستشعر فى قلبه ركاكة حاله فهذا من المخاطرين يخاف عليه سوء الخاتمة و يبقى أمره للمشيئة ان وفق للتوبة قبل حلول الاجل ورجل استحوذ عليه الشيطان فاتخذ علمه ذريعة الى التكاثر بالمال والتفاخر بالجاه والتعزز بكثرة الاتباع يدخل بعلمه كل مدخل رجاء ان يقضى وطره من الدنيا وهو مع ذلك يضمر فى نفسه انه عند الله بمكان فلا تسمه بسمة العلماء فما أفسد هذا المغرور باعماله أكثر مما أصلحه باقواله انتهى كلام الغزالى وقيل

انى رأيت الناس فى عصرنا * لا يطلبون العلم للعلم
الا مباهاة لاصحابهم * وعدة للظلم والغشم

ومن الجامع الصغير من أكل بالعلم طمس الله على وجهه ورده على عقبه وكانت النار أولى به ومن الفردوس عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان يكون عامتهم يقرؤن القرآن و يجتهدون فى الصلاة يستعملون عمل أهل البدع يشركون من حيث لا يعلمون يأخذون على قراءتهم وعلمهم الورق ويأكلون الدنيا بالدين هم أتباع الدجال الاعور ومما أفاده مولانا شيخ الاسلام الشيخ زكريا رحمه الله فى شرحه على المنفرجة حيث قال ان كتاب الله تعالى خص بالذكر لانه مرجع الاودية الكبرى والنعمة العظمى فى بيان

من كل طرف ولم يمكنهم الله تعالى منها ثم بعد مضى ثلاث وثلاثين يوما هجموا على باب الشعرية وحرقوا أطراف الحارات التى بجوار سيدى عبد القادر الدشطوطى وقتلوا جماعة من الرجال ونهبوا الاموال وسبوا رجالا ونساء وهجموا قبل ذلك على بولاق وقتلوا جماعة كثيرة ونهبوها وسبوا منها رجالا ونساء فلما رأى المسلمون ذلك وانهم كلما تمكنوا من محل احرقوه بالنار مالوا الى الصلح بعد طلب الفرنسيس له شفقة على الرعية وخرجت العساكر من البلد وتوجهوا الى الشام صحبة حضرة الدولة

مالا تهتدى اليه العقول فى الاعتصام من الفتن: انها ستكون فتن كقطع الليل قيل فما النجاة منها يارسول الله قال كتاب الله تعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم وهو فصل ليس بالهزل من تركه تجبرا قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله وهو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم هو كلام الله لاتزيغ به الاهواء ولا تتشعب منه الآراء ولا تشبع منه العلماء ولا يمله الاتقياء من عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن اعتصم به فقد هدى الى صراط مستقيم (وهنا) حكاية لطيفة لابأس بايرادها فى هذا المحل وهى ان الشيخ زكرياء المشار اليه آنفا كان قاضى القضاة بالديار المصرية وكان معاصراله رجل من العلماء فأخذ ذلك الرجل يعيب الشيخ زكريا بولاية القضاء ويشنع عليه فى المجالس ثم ان ذلك الرجل رأى فى منامه رب العزة جل جلاله فقال له مالك ولعبدى زكرياء ان اغضبتنا نهارا صالحنا ليلا ثم ان ذلك الرجل تاب الى الله تعالى ورجع عما هو فيه وجاء الى الشيخ زكرياء معتذرا فانظر الى هذا المقام الذى للشيخ زكرياء رحمه الله تعالى ومما يقع لكثير من الناس ممن ابتلى بالتردد على أرباب الولايات ومجالستهم ممن ينتمى الى علم أو صلاح فانه يرى منهم مالا يحل فعله فلا ينكره عليهم فيقع بسبب ذلك فى الهلاك وربما يظن صاحب المجلس ان سكوته عن النهى عن المنكر تقرير له واستحسان فيتمادى على ذلك فما ظنك باناس يحضرون مجالس الظلمة ويشاهدون من ظلمهم مالا يحل من اكراه ضرب ومصادرات وغير ذلك ولا ينكرون عليهم والعجب من اطباق من يتظاهر بالدين والصلاح على ذلك فانا لله وانا اليه راجعون لم يبق من الاسلام الا رسمه ومن الدين الا اسمه ومن تذكر فيما ذكر وعمل بما أوردناه فقد أحسن الى نفسه ويرى نور عمله فى ظلمات رمسه ومن لم يجعل الله نورا فماله من نور من الجامع الصغير عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيت العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم انه لص قال الشارح أى سارق محتال على اقتناص الدنيا بالدين ويجذبها اليه من حرام أو غيره فاحذره أما لو خالطه احيانا لمصلحة كشفاعة ونصرة مظلوم فلا بأس والله يعلم المفسد من المصلح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزداد الأمر الا شدة ولا الدنيا الا ادبارا ولا الناس الا شحا ولا تقوم الساعة الا على شرار الناس ولو بسطنا القول فى هذا لاتسع الخرق على الراقع ولكن نسأل الله العفو والعافية وحسن الخاتمة والتوفيق للعمل الصالح بمنه وكرمه ومن كلام الحكمة أحسن الملوك من كاف الكاف عن رعيته فانه سائسها فى اقبالها وادبارها والقائم على ثغورها وسدادها والرادع لمراوغها عن افسادها والحافظ لدينها والمعد لنوازل المهمات

وابراهيم بك وأما مراد بك فاصطلح معهم على أن يمكث فى الصعيد فى بلاد معلومة ويدفع لهم خراجها ثم بعد خروج العساكر وتوجههم الى الشام جمع كبير الفرنسيس كبراء اهل البلد وطلب منهم مالا عظيما نحو عشر خزن ووكل بجمع ذلك رجلا من القبط يقال له يعقوب ففرد ذلك على طوائف الناس والحرف وصار يجمع ذلك منهم بمشقة عظيمة من ضرب وغيره حتى صار بعض الناس يموت من شدة الضيق والحبس وطلبوا من شيخ السادات سيدى محمد أبى الانوار مالا عظيما نحو خزنة وحبسوه وباعوا

قبل حينها والجابى لفيئها وخراجها والمنفق فى مصالحها وحاجاتها والمجاهد لعدوّها والكالئ ضعيفها من قويها ولرشيدها من غويها مع شدة حال الملك الى رعيته فى سورة أمره وتنفيل نفسه ونهيه ومنع عدوّها وعدوّه والى ذلك أشار عمر ابن الخطاب رضى الله عنه من ولى أمر المسلمين فهو عبدهم ويقال أربعة من استقبلها بالعنف فى أربعة أحوال هلك الملك فى حال غضبه والسيل فى حال صدمته والفيل فى حال غلمته والرعية فى حال هيجانها ويقال ان الرعية لا تخلو من عاقل ذى حزم بان يخرج السوقة والتجار وأرباب الصنائع من طبقات الجند الى طبقاتهم فانه ليس فى قواهم مافى قوى الجند من بذل النفوس فى تشييد عز الملك ولم تزل قدماء الملوك يلزمون كل طبقة ترك التعرض للترقى عنها (فصل فى ادارة الرأى والاحتراز من العدوّ) قال بعضهم الرأى مرآة العقل فمن أردت استحسان صورة عقله فاستشره (فائدة) سبعة لا ينبغى لذى لب أن يشاورهم جاهل وعدوّ وحسود ومرائى وجبان وبخيل وذو هوى فان الجاهل يضل والعدوّ يريد الهلاك ويتمنى زوال النعمة والمرائى واقف على رضى الناس والجبان من رأيه الهرب والبخيل حريص على جمع المال فلا رأى له فى غيره وذا الهوى أسير هواه فلا يقدر على مخالفته واحترز من تدبيرك على عدوّك كاحتراسه من تدبيره عليك فرب هالك بما دبر وساقط فى البئر الذى حفر وجريح بالسلاح الذى شهر ويقال اذا أمكنت عدوّك من أذنك فقد تعرضت للغرق فى بحره والخوض فى وهن بحره والعجب لمن يصغى لعدوّه ويلقى له سمعا وهو لا يرجو له نفعا ويقال من غرس العلم اجتنى النباهة ومن غرس الزهد اجتنى العزة ومن غرس الاحسان اجتنى المحبة ومن غرس الفكرة اجتنى الحكمة ومن غرس الوقار اجتنى المهابة ومن غرس المكر اجتنى المقت ومن غرس الحرص اجتنى الذل ومن غرس الطمع اجتنى الكمد وللامم على اختلاف أزمانها وبلدانها وأديانها اتفاق على مدح أربعة أخلاق العلم والزهد والاحسان والامانة (حدث عباد بن كثير عن أبى ادريس عن وهب بن منبه قال من أخلاق العاقل عشر الحلم والعلم والرشد والعفاف والصيانة والحياء والرزانة ولزوم الخير والمداومة عليه وقصر الشر عنه وعن أهله وطواعية الناصح وقبوله منه وحدث حسان ابن عبد الله البصرى عن السرى بن يحيى قال وجدت كتابا فيه قول قاله وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطئ ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المراء يشتم ومن يكره الستر يأثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يأمن ومن يتولى الله يمنع ومن لا يسأل الله يفتقر ومن لا يكون بالله يخذل ومن يستعن بالله يظفر ويقال

جميع متاعه فلم يف بثلث ما طلب منه فأخذوا منه فى نظير الباقى التزامه وتعلقاته ماعدا العقار والرزق والتزام الحريم ثم فى يوم السبت الحادى والعشرين من المحرم سنة خمس عشرة ومائتين وألف خرج رجل على صارى العسكر المذكور فقتله فى بستان خلف البيت الذى فى الازبكية وقبض على ذلك الرجل فادعى انه جاء من الشام منذ ثلاثين يوما واختبأ فى رواق الشوام بالجامع الازهر وسعى جماعة منه كان عندهم فاحضروهم وقتلوهم وهم ثلاثة علماء صلحاء وصلبوا القاتل وقفل الجامع الازهر بعد اخراج غالب الكتب منه وشرعوا فى بناء قلاع

صفاء النفس الناطقة بمواظبة الفكرة الصادقة ومن لا فكرة له فيما خلق لاجله فهو مسلوب يعني الانسانية وحقيقة الروحانية و يقال الاماني في الشدة ارتياح وفي الرخا جماح فلا يصلح للعاقل أن يريح نفسه في الاماني الا بقدر ما يؤنس الوحشة وينفس الكربة و يقال استيلاء الاماني على النفوس كتأمر السفلة الذين يجعلون الرؤس اذنابا والاذناب رؤسا ويسعون في تغيير صدور الصواب روى الطبري باسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ويخون الامين ويؤتمن الخائن وتهلك الوعول وتظهر النخوة قالوا يارسول الله ما الوعول وما النخوة قال الوعول وجوه الناس واشرافهم والنخوة الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يعبأ بهم (فائدة) الفحش هو السوء والفحشاء ما أنكره العقل واستقبحه الشرع وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما يجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما فيه حد والثاني ما شرع فيه الحد *(ولنجعل ختام هذه الخاتمة)* في التفويض والصبر أما التفويض فهو اعتقاد العجز عن مغالبة القدر وأنه لا يكون من الخير والشر الا ما أراد الله كونه ولا يصح التفويض ممن لا يعتقد ذلك و يعلمه علم اليقين قال صلى الله عليه وسلم لابي هريرة من كلام له وان أصابك شئ فلا تقل لو فعلت كذا وكذا كان كذا ولكن قل قدر الله تعالى ومن كلام الحكمة اذا كانت مغالبة القدر مستحيلة فمن أعوانه تكون الحيلة الكيس الماهر من استسلم لامر القادر وأما الصبر فقد تقدم الكلام على نبذة منه في خلافة المقتدي لكن لا باس بايراد نبذة منه في هذا المحل فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله وقائده والرفق والده والبر أخوه والصبر أمير جنده وقال صلى الله عليه وسلم ما أعطى المؤمن عطاء أوسع من الصبر وان الصبر من الانسان بمنزلة الرأس من الجسد (فائدة) اصبر للنوائب صبر من لا يحتال ولا تقلق لنزولها فان في حوادث الدهر ووقائعه ما يغنيك عن الحيل ويأتيك ما لا تقدر بحولك ولا بحيلتك ولو لم يكن في الصبر الا ما جاء في القرآن العظيم من الثناء على من اتصف به ومن الوعد له بالعقبى وما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة لكان ذلك كفاية وروى عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله وقالت عائشة رضي الله عنها لو كان الصبر رجلا لكان كريما وقال على بن أبي طالب رضي الله عنه القناعة سيف لا ينبو والصبر مطية لا تكبو وأفضل العدة الصبر على الشدة وسئل الامام على رضي الله عنه أي شئ أقرب الى الكفر قال ذوفاقة لا صبر له وقال الحرث

ابن أسد المحاسبي لكل شئ جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر قال الشاعر

لا تجزعن لعسرة من بعدها * يسران وعد اليس فيه خلاف
كم عسرة ضاق الفتى لنزولها * ويجيء في اعطافها الطاف

مفرد

ما أحسن الصبر ولكنه * في ضمنه يذهب عمر الفتى

وقال القاضي الفاضل

يقولون ان الصبر يعقب راحة * وما فهموا تبليغ عاقبة الصبر
وفي الصبر بحر أو طريق مبلغ * الى الربح لكن الخسارة في العمر

(وللسراج الوراق)

وقائل قال لي لما رأى قلقي * اطول وعد وآمان تمنينا
عواقب الصبر فيما قال اكثرهم * محمودة قلت نخشى ان تخزينا

والصبر أنواع كثيرة واللائق بهذا المقام صبر الملوك وهو عبارة عن ثلاث قوى الاولى قوة الحكم وثمرتها العفو الثانية قوة الحفظ وثمرتها عمارة المملكة الثالثة قوة الشجاعة وثمرتها الثبات قال الشاعر

لا تقف للخطوب في كل وقت * ولا تخشها اذا هي جلت
فحقيق دوام ماليس يبقى * كثرت في الزمان أوهي قلت
وأودع للهموم صبرا جميلا * فالرزايا اذا تولت تولت

وليكن هذا آخر ما يسر الله تعالى جمعه على يد مؤلفه محمد بن اسحاق في هذه الاوراق عمارق معناه وراق لاسيما مع تشتت البال والاشتغال بهم العيال والخاطر بالافكار مشغول والعزم للالتواء بالامور وتعسرها فاتر محلول والذهن من خطوب هذا الزمن القطوب كليل والقلب لتوالي المحن وتواتر الغم عليل كما قيل في المعنى

يعاندني دهري كاني عدوه * وفي كل يوم بالكريهة يلقاني
فان رمت منه جاءني منه ضده * وان راق لي يوما تكدر في الثاني

وأرجو ممن رشف من راح براعة هذه العبارة وراح يدبر في حدائق البراعة نظره وعضى انظاره أن يغمض نظر الافكار عند العثور على العثار فاني في خجل واضطراب من هفوات هذا الكتاب لانه أدرج فيه بقدر ما وسع ملء اهابي من غث وسمين ورخيص وثمين واذا عثر على غير صواب فليصلح واذا وقف على ماليس يحسن فلا يقبح فاني ناقل عمن مضى وأحسن الناس ما كان لطرف الانتقاد مغمضا فان الكريم غفار والحليم ستار فاني لا أعي رتب الكمال

والمسلمين وصلوا الى ساحل أبي قير والاسكندرية ولما وصل هناك وقع بينه وبينهم حروب وهزم الفرنسيس وقتل منهم خلق كثير وانحازوا الى الاسكندرية فاحتاط بها المسلمون والانجليز وقطعوا البحر الملح حتى أحاطوا بها وانحاز جملة منهم الى الرحمانية وتحصنوا [illegible]قلعة بنوها هناك [illegible]توجه المسلمون والانجليز الى رشيد [illegible]أخذوها ثم توجهوا [illegible]منها الى الرحمانية [illegible]أخذوها أيضا [illegible]توجه الفرنسيس الذين كانوا فيها وانحازوا الى مصر [illegible]جوامع من فيها الى [illegible]لاقاة المسلمين الذين [illegible]قدموا في البر من الشام مع حضرة الوزير الاعظم يوسف باشا [illegible]حصل بينهم مقتلة عظيمة فنصر الله

وفوق كل ذى علم عليم ولا أزعم النزاهة عن النقص والعيب فالمنزه عن كل عيب هو الملك القدوس العزيز العليم قال الشاعر

ما كان من خطا فى النقل أو خطل * فى اللفظ أو هفوة فى الرقم أو خلل
وشامه ذو ذكاء ناقد فطن * فليسترن عوار امنه بالحلل
فليس يعصم من عيب ومنقصة * سوى الملائك والانبياء والرسل

* (ذكر أثر متصل السند فى النيل) *

(حدثنا) أبو صالح عبد الله بن صالح بن محمد كاتب الليث بن سعد قال بلغنى أنه كان رجل من بنى العيص يقال له حائذ بن أبى شالوم بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام خرج هاربا من مصر من ملك من ملوكهم حتى دخل أرض مصر فاقام بها سنين فلما رأى أعاجيب نيلها وما يأتى به جعل لله عليه أن لا يفارق ساحله حتى يبلغ منتهاه ومن حيث يخرج أو يموت قبل ذلك فسار عليه قال بعضهم ثلاثين سنة فى الناس وثلاثين سنة فى غير الناس وقال بعضهم خمسة عشر كذا حتى انتهى الى بحر أخضر فنظر الى النيل يشق مقبلا فصعد على البحر فاذا رجل قائم يصلى تحت شجرة من تفاح فلما رآه استأنس به وسلم عليه فسأله الرجل صاحب الشجرة فقال له من أنت فقال له أنا حائذ بن أبى شالوم بن العيص ابن اسحق بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام فمن أنت قال أنا عمران بن العيص بن اسحق بن ابراهيم قال فما الذى جاء بك يا حائذ قال جئت من أجل هذا النيل فما الذى جاء بك هنا أنت يا عمران قال جاء بى الذى جاء بك حتى انتهيت الى هذا الموضع فاوحى الله الىّ أن أقف فى هذا الموضع حتى يأتينى أمره فقال له حائذ أخبرنى يا عمران ما انتهى اليك من أمر هذا النيل وهل بلغك فى الكتب أن أحدا من بنى آدم يبلغه قال له عمران نعم بلغنى أن رجلا من بنى العيص يبلغه ولا أظنه غيرك يا حائذ فقال له حائذ يا عمران أخبرنى كيف الطريق اليه قال له عمران لست أخبرك بشئ الا أن تجعل لى ما أسألك قال وما ذاك يا عمران قال اذا رجعت الىّ وأنا حى تقيم عندى حتى يوحى الله الىّ بامره أو يتوفانى فتدفننى فان وجدتنى ميتا فتدفننى وتذهب قال ذلك على قال له سر كما أنت على هذا البحر فانك تأتى دابة ترى آخرها ولا ترى أولها فلا يهولنك أمرها اركبها فانها دابة معادية للشمس اذا طلعت أهوت اليها لتلتقمها حتى يحول بينها وبينها حجبها واذا غربت أهوت عليها لتلتقمها فتذهب بك الى جانب البحر فسر عليها راجعا حتى تنتهى الى النيل فسر عليها فانك ستبلغ أرضا من حديد جبالها وأشجارها وسهولها من حديد فان أنت جزتها وقعت فى أرض من نحاس جبالها وأشجارها وسهولها من نحاس فان أنت جزتها وقعت فى أرض من فضة جبالها وأشجارها وسهولها من فضة فان أنت

جزتها وقعت فى أرض من ذهب جبالها وأشجارها وسهولها من ذهب فيها ينتهى اليك علم النيل فسار حتى انتهى الى أرض الذهب فسار فيها حتى انتهى الى سور من ذهب وشرفه من ذهب وقبة من ذهب فيها أربعة أبواب فنظر الى ما ينحدر من فوق ذلك السور حتى يستقر فى القبة ثم ينصرف فى الأبواب الاربعة فاما الثلاثة فتغيض فى الارض وأما الواحد فيسير على وجه الارض وهو النيل فشرب منه واستراح وأهوى الى السور ليصعد فاتاه ملك فقال له يا حائد قف مكانك فقد انتهى اليك علم هذا النيل وهذه الجنة والماء ينزل من الجنة فقال أريد أن انظر الى الجنة فقال انك لن تستطيع دخولها اليوم يا حائد قال فاى شئ هذا الذى أرى قال هذا الفلك الذى يدور فيه الشمس والقمر وهو شبه الرحى قال انى أريد أن أركبه فادور فيه قال بعض العلماء انه ركبه حتى دار الدنيا وقال بعضهم لم يركبه فقال له يا حائد انه سيأتيك من الجنة رزق فلا يؤثر فيه شئ من الدنيا يبقى ما بقيت قال فبينما هو واقف كذلك اذ نزل عليه عنقود من الجنة فيه ثلاثة من الاصناف لون كالزبرجد الاخضر ولون كالياقوت الاحمر ولون كاللؤلؤ الابيض ثم قال يا حائد ان هذا من حصرم الجنة وليس من طيب عنبها فارجع يا حائد فقد انتهى اليك أمر النيل قال فهذه الثلاثة التى تغيض فى الارض ما هى قال أحدها الفرات والآخر دجلة والآخر جيحان فارجع فرجع حتى انتهى الى الدابة التى ركبها فركبها فلما أهوت الشمس لتغرب قذفت به من جانب البحر فاقبل حتى انتهى الى عمران فوجده ميتا حين مات فدفنه وأقام على قبره ثلاثا فاقبل شيخ متشبه بالناس أغر من السجود ثم أقبل الى حائد فسلم عليه ثم قال يا حائد ما انتهى اليك من علم هذا النيل فاخبره فلما أخبره قال هكذا نجده فى الكتب ثم أظهر له شجرة تفاح فى عينه فقال ألا تأكل معى قال معى رزقى قد أعطيته من الجنة ونهيت أن أوثر عليه شيئا من الدنيا قال له صدقت يا حائد أو ينبغى لشئ من الجنة أن يؤثر عليه شئ من الدنيا وهل رأيت فى الدنيا مثل هذا التفاح انما أنزل الى الارض وليس من الدنيا وانما هذه الشجرة من الجنة أخرجها الله تعالى لعمران يأكل منها وما تركها الا لك وان وليت عنها رفعت فلم يطريها له فى عينه حتى أخذ منها تفاحة فعضها فلما عضها عض يده ثم قال أتعرفه هو الذى أخرج أباك من الجنة اما انك لو سلمت لهذا الذى كان معك لأكل منه أهل الدنيا قبل ان ينفد وهو مجهودك ان يبلغ فكان مجهوده ان بلغه وأقبل حائد حتى دخل أرض مصر وأخبرهم بهذا ومات حائد بارض مصر وبهذا الاسناد الى عبد الله ابن صالح حدثنا ابن لهيعة عن وهب بن عبد الغافرى عن عبد الله بن عمرو فى قوله تعالى فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم قال كانت الجنان بحافتى هذا

...ها يوم الاربعاء رابع ...هر ربيع الاول من ...السنة المذكورة الى ...رشيد وأبى قير صحبة ...حسين باشا القابودان ...عساكر كثيرة من ...المسلمين والانجليز ...أنزلوهم فى المراكب ...متلات مصر ...عساكر المسلمين ...بعض عساكر ...الانجليز ودخل ...الوزير الاعظم مصر ...الخميس فى موكب ...عليه أبهة الجلال ...الكمال ...وامتلأت قلوب أهل ...مصر فرحا وسرورا لم ...يحصل لهم فرح مثله ...كثرة ما وقع لهم من ...أذية الفرنسيس ...أخذ أموالهم ...وقتل رجالهم وهدم ...بيوتهم حتى صاروا ...فقراء ثم فى يوم الاحد ...السابع والعشرين من ...شهر ربيع الآخر ...جاء الخبر بان المسلمين

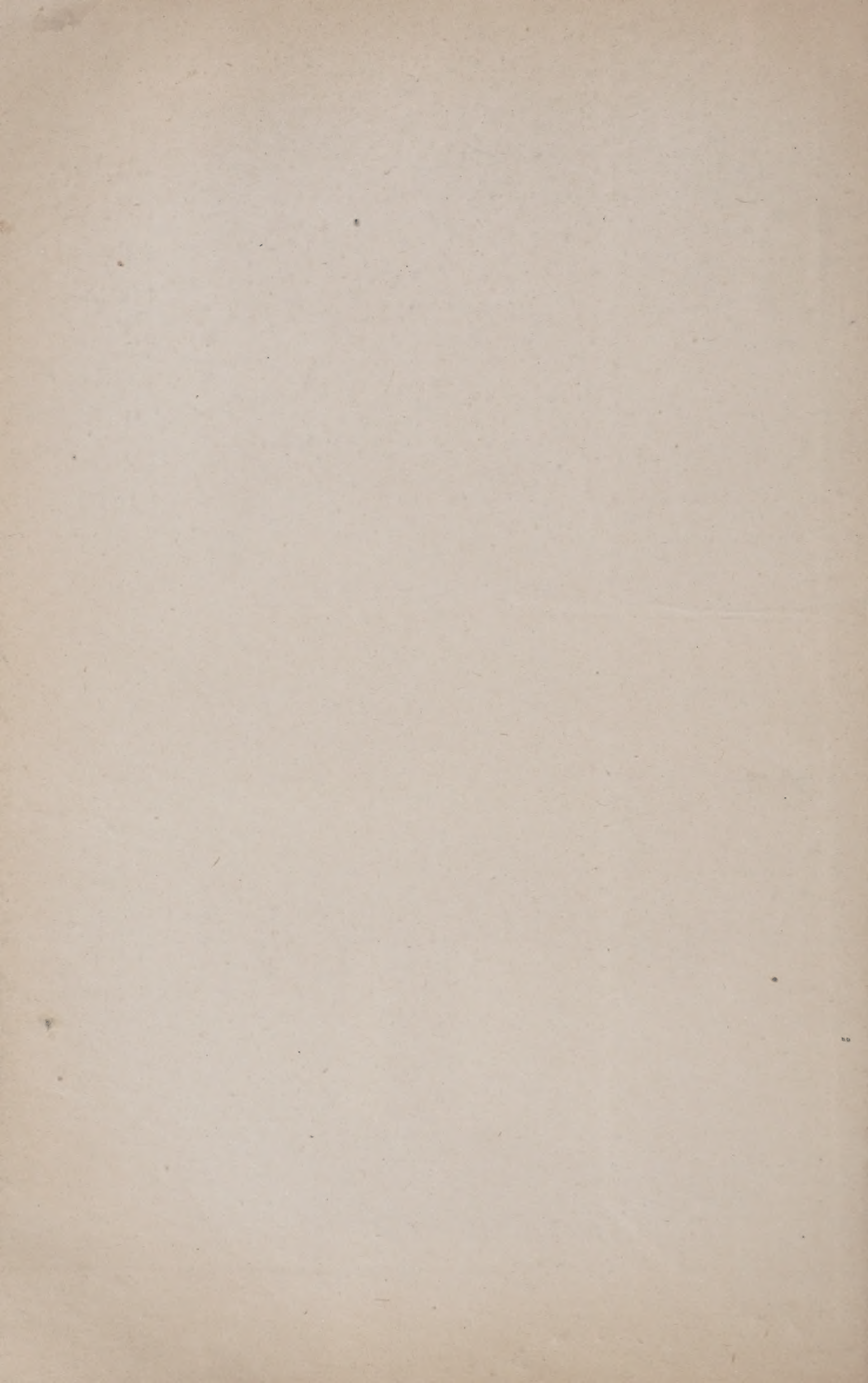
النيل من أوله الى آخره من الشقين جميعا من اسوان الى رشيد وكان له سبعة أخلجة خليج الاسكندرية وخليج دمياط وخليج سردوس وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهى متصلة لا ينقطع منها شئ عن شئ و يزرع ما بين الجبلين كله من أول مصر الى آخر ما يبلغه الماء وكانت جميع مصر كلها يومئذ تروى من ستة عشر ذراعا و بهذا الاسناد الى ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب انه كان على نيل مصر فرضة لحفر خلجها واقامة جسورها و بناء قناطرها وقطع جزائرها مائة ألف وعشرون ألف فاعل معهم الطوريات والمساحى والاداة يعتقبون ذلك لا يدعونه شتاء ولا صيفا وذكر فى بعض الاخبار ان حائدا هذا لم يتنبأ وانما اوتى الحكمة وانه سأل الله تعالى ان يريه منتهى النيل فاعطى قوة على ذلك فوصل الى جبل القمر وقصد أن يطلع على أعلاه فلم يقدر فسأل الله تعالى فيسره عليه فصعد فرأى خلفه البحر الزفتى وهو بحر أسود منتن الريح مظلم فرأى النيل يجرى فى وسطه كانه السبيكة الفضة وقال صاحب مباهج الفكر ذكر أبو الفرج قدامة ان مجموع ما فى المعمور من الانهار مائتان وثمانية وعشرون نهرا منها ما يجرى من المشرق الى المغرب ومنها ما يجرى من الشمال الى الجنوب ومنها ما جريانه كنهر النيل من الجنوب الى الشمال ومنها ما هو مركب من هذه الجهات كالفرات وجيحون فاما النيل فذكر قدامة ان انبعاثه من جهة القمر وراء خط الاستواء من عين تجرى منها عشرة أنهار وكل خمسة تصب منها الى بطيحة كبيرة فى الاقليم الاول ومن هذه البطيحة يخرج ماء النيل وذكر صاحب كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق أن هذه البحيرة تسمى بحيرة كورى منسوبة لطائفة من السودان بين كانم والنوبة فاذا بلغ دنقلة مدينة النوبة عطف من غربيها الى المغرب وانحدر الى الاقليم الثانى فيكون على شفته عمارة النوبة وفيه هنالك جزائر متسعة عامرة بالمدن والقرى ثم يشرف الى الجنادل واليها ينتهى مراكب النوبة انحدارا ومراكب الصعيد الاعلى صعودا وهنالك أحجار مضرسة لا مرور للمراكب عليها الا فى أيام زيادة النيل ثم يأخذ الى الشمال فيكون على شرقية مدينة أسوان من الصعيد الاعلى ثم يمر بين جبلين مكتنفين لاعمال مصر شرقى وغربى الى الفسطاط فاذا تجاوزها مسافة يوم انقسم قسمين أحدهما يمر حتى يصب فى بحر الروم عند رشيد ويسمى بحر الغرب ومسافته من منبعه الى ان يصب فى رشيد سبعمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخا وقيل انه يجرى فى الخراب أربعة أشهر وفى بلاد السودان شهرين وفى بلاد الاسلام شهرا وليس فى الارض نهر يزيد حين تنقص الانهار غيره وذلك ان زيادته تكون فى القيظ الشديد فى شمس السرطان والاسد والسنبلة وروى ان الانهار تمده بمائها وقال قوم ان زيادته من ثلوج يذيبها الصيف على

ما لكوا الاسكندرية بعد قتال شديد ومات خلق كثير من الانجل والمسلمين وحصروهم فى البرج ثم طلبوا الامان وكان ذلك فى يوم الجمعة لثمانية عش من الشهر المذكور ثم طلبوا امدة فاعطوهم ذلك وبعدها أنزلوهم فى المراكب شيأ فشيأ وخلت منهم البلاد وأراح الله منهم العباد وكانت مدة تصرفهم فى مصر ثلاث سنين وشهرا وكان خروجهم بهمة مولانا سلطان سلاطين أهل الارض الذى صرفه الله فى طولها والعرض مالك رقاب الامم سيد سلاطين العرب والعجم مولانا السلطان سليم خان لازال محفوفا برعاية الحنان المنان وتسديد وزيره الاعظم ومشيره الانخ صاحب الاوصاف السنية والاخلاق

حسب مددها تكون كثرته وقلته وذهب آخرون ان زيادته بسبب أمطار كثيرة
تكون ببلاد الحبشة وذهب آخرون الى ان زيادته عن اختلاف الريح وذلك أن
الشمال اذا هبت عاصفة الريح للبحر الرومي فيدفع اليه ما فيه منه فيفيض على وجه
الارض فاذا هبت الجنوب سكن هيجان البحر فيسترجع منه ماءه اليه فينقص
وقال آخرون مجراه من جبال الثلج وهي بجبل قاف وانه يخرق البحر ويجري على
معادن الذهب والياقوت والزمرذ والمرجان فيسير ما شاء الله الى أن يأتي بحيرة
الزنج قالوا ولولا دخوله في البحر المالح وما يختلط به منه لم يستطع أحد شربه لشدة
حلاوته وقد تم هذا الكتاب البديع المستطاب

بعد حمد الملك الباقي قد تم طبع تاريخ العلامة الشيخ محمد الاسحاقي في بيان
الخلفاء الراشدين فيمن ولي مصر من الوزراء والسلاطين وغيرهم وفي
تنبيهات على درر نفائس غريبة وحكايات عجيبة حصلت في زمنهم
وقد ضم الى ذلك فوائد من أخبار من مضى وآيات من القرآن العزيز لمناسبة
الاستدلال وبالجملة ففيه على صغر حجمه ما يقضي بالعجب العجاب وما ترتاح
اليه نفوس الطلاب وكان قد سبق لهذا التاريخ طبع ولكن لم يحرر كهذا
التحرير مع حسن الوضع لما يسر الله بنسخة صحيحة صحح عليها في هذه المرة فجاء
بحمد الله يسر الناظر غاية المسرة كما يعلم لمن يطلع على النسختين ويتبين له
الغث من السمين ويعرف الطريق الواضح المستبين ومن يعتصم بالله فقد
هدي الى صراط مستقيم وقد فاح مسك ختامه ولاح بدر تمامه بالمطبعة
الحسينية العامره بكوم الشيخ سلامة من مصر القاهره مصححا بقلم الفقير
الى الله تعالى حسن سلامه وقلم من أزال الخطأ وأتى بدلا عنه بالصواب
العلامة الشيخ عبد الوهاب في العشر الاخير من شهر شعبان
سنة ١٢٩٦ ست وتسعين ومائتين بعد الالف من
هجرة من كان يرى من الامام كما يرى من الخلف
صلى الله وسلم عليه وآله وكل منتم اليه
ما تعاقبت الشهور والاعوام
وناح قمري وفاح
مسك ختام
آمين
تم

المرضية من هو
حقيق بقول الشاعر
خلق كماء المزن طيب
مذاقه * والروضة
الغناء طيب نسيم
كالغيث الا أن جود
منه * أبدا وجود
الغيث غير مقيم
كالدهر لكن فيه
حلم واسع * عمن
جنى والدهر غير حليم
كالسيف الا انه ذو رحمة
والسيف قاسي
القلب غير رحيم
أوصافه الجليلة لا تحد
أخلاقه الحسنى
تحصر ولا تعد أسألك
اللهم ان تكسو
الايام ملابس العز
بطول حياته وان
تشرح صدر الزمان
بدوام مسراته وان تحفظ
من كل مكروه مهجته
وان تديم على مدى
الزمان بهجته بجاه
سيدنا محمد صلى
الله عليه
وسلم
تم





28 ٢٨

AVRIL إبريل

٢٠ برمودة ١٦٧٨ | ٢٣ ذو القعدة ١٣٨١

المواقيت	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
القاهرة	٤١ ٣	١٦ ٥	٥٢ ١١	٢٩ ٣	٣٠ ٦	٥٣ ٧
اسكندرية	٤٥ ٣	٢٠ ٥	٥٨ ١١	٣٦ ٣	٣٧ ٦	٢ ٨

ليس كل ما يلمع ذهبا

الأحد

١٠

سبتمبر

(أيلول)

نسيئ ١٦٧٧

٣٠

ربيع الأول

١٩٦١ مواقيت الصلاة ١٣٨١

فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
٠٨ ٥	٣٧ ٦	٥٢ ١٢	٢٤ ٤	٠٧ ٧	٢٦ ٨

SUNDAY

10

SEPTEMBER

Elul

5 *Nassie* 1677

توقيت صيفي + ٦٠ دقيقة

